

الاعتبار في كربلاء

تطبيقات تاريخية على مفردات أخلاقية من جامع السعادات
للعلامة النراقي (قده)



تصنيف

العالم الجليل

السيد حسين بن السيد شبير التوبلي البحراني

(١٣١٩ - ١٣٩٣ للهجرة)

إعداد وتحقيق

السيد محمد بن الغفراني



دار حفظ التراث البحراني
سلسلة الاعمال المتفرقة (٢٠)

الاعتبار من كربلاء

تأليف

العالم الجليل السيد حسين الموسوي البحراني رحمته الله

إِعْدَادُ وَمَحْفَظُ
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْفَرَّجِيِّ



البحراني كمالاً في معجزات القرآن ومبادئها في معجزات القرآن



البحراني كمالاً في معجزات القرآن



مؤسسة الكويت للتراث

الكتاب: الاعتبار من كربلاء

المؤلف: العالم الجليل السيد حسين الموسوي البحراني

المعد: السيد محمود الغريفي البحراني

الناشر: دار حفظ التراث البحراني

تنفيذ الحروف والخراج الفني: كومبيوتر المجتبى

تصميم الغلاف: علي الساعدي

التدقيق اللغوي: دار الصديقة الشهيدة (فرع السيدة زينب)

المطبعة: ثامن الحجج - الكمية: ١٠٠٠ نسخة

الطبعة: الاولى ١٤٢٨ هـ

رقم الايداع الدولي: ٣ - ٠٤١ - ٩٨٤ - ٩٦٤ - ٩٧٨

يهدى والى

■ مقدمة التحقيق:



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا
الأكرم محمد ﷺ وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، لاسيما بقية الله في أرضه
(أرواحنا لمطلعة الفداء)..

وبعد:

فلا بد في المستهل التنويه إلى أن هذا العنوان (الاعتبار في كربلاء) ليس من
صناعة المؤلف وإنما اخترناه بعد استكمال العمل على الكتاب، ونعترف إن اختياره لم
يكن موفقاً للغاية لأنه لم يستوعب كل مقاصد الكتاب إلا أنه عني بالمساحة الأكبر منه
ومع ذلك فإنه دلّ على هويته وهذا هو المبتغى.

■ هوية الكتاب:

محاضرات تمزج بين الأخلاق والتاريخ لصناعة الإنسان المؤمن، وهي ربما
تكون تجربة فريدة من نوعها أو جديدة لم تسبقها تجربة.

حيث عمد المصنف إلى تقديم (مفردات أخلاقية) واستكمال الرؤية حولها من جوانبها المختلفة ثم الغور في أعماق الحوادث التاريخية وخصوصاً حقبة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ونسلهم الطاهر، وبالأخص حقبة كربلاء سيد الشهداء عليه السلام التي أبقت الاسلام حيّاً إلى يومنا هذا لتطبيقها عملياً وفق الظروف المختلفة، وبالتالي فإنها تحقق لمستمعها أو قارئها، مايلي:

● أولاً:

البصيرة بقيم معرفية اسمها (الأخلاق) و(التاريخ).

● ثانياً:

التوافر على خبرة بالحوادث التاريخية المتكررة وسبل التعامل معها وفق المبادئ الأخلاقية.

● ثالثاً:

تقوية الرابطة بالمعصومين الأطهار عليهم السلام وأهل بيتهم الطيبين الميامين وذلك من خلال المرور بسيرتهم ومسيرتهم.

● رابعاً:

استذكار مظلومية أهل البيت عليهم السلام التي ما بلغت مبلغها أي من الأزمنة والعصور، ولن تبلغ مبلغها.

● خامساً:

اليقين بأن لا طريق قويم إلا طريق أهل البيت عليهم السلام وانهم مصدر اشعاع خير وايمان وسعادة ورفي، فإنما الأمم مابقيت إلا بالأخلاق والمثل العليا التي لا توجد إلا

في ذوات المعصومين الأطهار عليهم السلام بنص الثقلين..

ووفق هذه الثمار الخمسة نجد هذا العمل نافعاً:

- (١) لعموم أيتام آل محمد عليهم السلام وشيعتهم.
- (٢) لحلقات الدرس والمذاكرة.
- (٣) لخطباء المنبر الحسيني.
- (٤) للتبليغ والارشاد.
- (٥) لمختلف الأفراد من مختلف الأديان والمذاهب.

■ منهج المصنف:

يبدأ المؤلف في كل محاضرة بانتخاب مفردة أخلاقية مختارة من كتاب (جامع السعادات) للعلامة المولى الفقيه الحكيم محمد مهدي بن أبي ذر الكاشاني النراقي (المتوفى سنة ١٢٩٨ للهجرة) والذي قال فيه العلامة الطهراني آغا بزرك في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة انه: (أجمع كتاب في الأخلاق للمتأخرين) ومن أتقنها في المنهج والاسلوب والتصنيف كما يذكر محقق الكتاب المرحوم آية الله السيد محمد كلانتر رحمته الله..

وبالفعل فإن هذا الكتاب جاء في زمن متميز ومن يراع علم متميز. أما زمن الكتاب فقد كان - كما يقول السيد كلانتر - قد جاء في زمن طغيان التصوف من جهة، وطغيان التفكك الأخلاقي عند العامة من جهة أخرى، وبالتالي فقد عم الانحطاط والفوضى والأفكار والسلوكيات الوضيعة.

فولد (جامع السعادات) كنموذج معتدل ومتوازن في السلوك الأخلاقي القائم

على منابع شرعية موثقة ومسندة بالأخبار والروايات ليرسم المنهج والاسلوب لمعالجة الفوضى والانحلال وقد أسمى الكتاب (جامع السعادات في موجبات النجاة)، وكانت البداية في محاربة الصوفية التي أشاعت طرق الابتذال وقادة الأمة إلى الضياع.

وقد نقلت المصادر الكثيرة التي ترجمت للمصنف النراقي رحمته الله انه كان مطبقاً لجل المفردات الأخلاقية التي أوردتها في كتابه ودعا لها وإلى جانب بصيرته كفقيه متتبع للأخبار والروايات ومضطرباً بالأصول والفلسفة والعلوم العقلية والنقلية لذا كان موفقاً في عمله هذا.

ولهذه الخصوصيات وغيرها فقد رجع إليه مصنف هذا الكتاب واستقى المفردات الأخلاقية من معينه، مع معالجة لبعض الصياغات التوضيحية للعبارة أو الكلمات المتعلقة، وتصحيح بعض الأخطاء المطبعية في طبعة النجف الأشرف التي اعتمدها، وإضافة لم من الأخبار الضرورية.

وفي بعض الأحيان قام بتجزأت الموضوع الواحد إلى عدة محاضرات، ثم تطبيق الموضوع على مقطع من سيرة أحد المعصومين عليه السلام، وأكثر التطبيقات كانت على مقطع حادثة كربلاء الذي كان مشحوناً بالجوانب والحوادث، ثم تذييل كل حادثة بأبيات من الشعر التي تقرأ على منابر العزاء.

■ مصنف الكتاب:

لقد كتب نجله الشاعر السيد هاشم نبذة عن حياة والده مصنف الكتاب نشرناها في مقدمة ديوانه (من نفحات الولاء) الذي قمنا بتنظيمه للنشر والتعليق عليه، لأنها

كانت مختصة بالديوان وقد قمنا بالانتخاب منها لنشرها في هذا التقديم.

■ اسمه ونسبه:

السيد حسين بن السيد شبر بن السيد علي بن السيد كاظم الموسوي التوبلي
البحراني.

■ ولادته:

ذكر آل مكباس في موسوعة شعراء البحرين نقلاً عن أوراق للمرحوم محمد
علي التاجر إن ولادته كانت سنة ١٣١٩ للهجرة، وقد ذكر نجله السيد هاشم إن هذا
التاريخ مقارب للصواب لأن والده أخبره أن عمره كان عند وفاة والده المرحوم السيد
شبر في غرة شهر رمضان سنة ١٣٣٧ للهجرة في ذي تسعة عشر عاماً.

■ أسرته وموطنه:

كانت تقطن أسرته منطقة (توبلي) في البحرين والتي منها وفيها مرقد المحدث
الكبير والعلامة الفقيه السيد هاشم البحراني رحمته الله صاحب تفسير البرهان وغيره من الآثار.

■ الهجرة:

ثم في أواسط أو أواخر القرن الثالث عشر الهجري هاجرت أسرته مع الكثير من
الاسر العلمية البحرانية التي هاجرت إلى المناطق المجاورة أو البعيدة بسبب
الاضطهاد السياسي للشيعه في البحرين والظلم والطغيان الواقع عليهم.

▣ دراسته:

بدأ دراسته للعلوم الدينية على يد أخيه الأكبر العالم الفاضل السيد علي شيرازي الذي كان يكبره بعشرين عاماً، ويقيم في إمارة دبي عالماً وموجهاً لأهلها ولجملة من المناطق المجاورة لها (بقيّة الامارات) و(عمان) و(قطر) و(بندر لنجة) والذي صرف عليه مجهوداً في تكوينه العلمي.

▣ المقومات الذاتية:

ولأنه كان على استعداد تام لتلقي العلوم والمعارف الدينية، ومثابراً على التحصيل، ومستفيداً من الوقت، ومغتتماً لفرصتي:

(١) وجود أستاذ عالم مربي كأخيه السيد علي عليه السلام والذي كان يعبر عنه بـ (الأخ المعظم حجة الاسلام...) وغيرها من التعابير التي تكشف عن عمق الاحترام والتقدير.

(٢) مكتبته النفيسة بجملة مختلفة من الآثار والمصنفات القيّمة في المجالات المختلفة والتي كان يصرف وقتاً كبيراً فيها كما يتضح من هذا الأثر، ومكتبته النفيسة لاتزال مصونة عند العيال إلا أنها لم تجمع بعد في مكان يرجع إليه أهل الاختصاص للاستفادة منها كما أوصى (رحمه الله).

▣ اهتماماته وميوله:

وقد ركز جهده في طي التحصيل والمطالعة المكثفة للكتب الفقهية وكتب الحديث والتاريخ واللغة وغيرها وباللغتين الفارسية والعربية على:

(١) المجال المنبري (الخطابة الحسينية).

و(٢) المجال الأدبي (نظم الشعر).

ولأجل ذلك طالع الكثير من الكتب الأدبية لأدباء وشعراء من العصور المختلفة والمدارس الأدبية المتفرقة، كما حفظ الكثير من الخطب الخاصة بالصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام والمولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخطب الحقة الكربلائية للإمام الحسين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام وغيرها.

والى جانب ذلك اهتم بتعليم الشباب الأحكام وارشادهم إلى الفضائل والأخلاق، وقد كانت له في إمارة (دبي) حوزة مصغرة لتعليم العلوم الدينية وإن لم تكن تُعرف باسم الحوزة إلا أنها كانت تؤدي دورها.

■ المنبر الحسيني:

وكان ومع هذا الشغل الشاغل لا يقصر في أمر (الخطابة الحسينية) لأنه كان يرى المنبر الحسيني أفضل طريق لبعث الدين والإيمان في الناس من مختلف المشارب والاتجاهات والطبقات.

■ ترحاله وأسفاره:

كان ينتقل بين عدة مناطق التبليغ والخطابة الحسينية ومن تلك الأسفار والبلدان التي شغلت مساحة كبرى من حياته:

(١) دبي:

احدى امارات دولة الامارات العربية المتحدة التي كانت مقره الأول ومستقره حتى حين وفيها نشأ ودرس وعلم جيل من أجيالها وأعطى في كل مجال يمكنه

فيه العطاء.

(٢) بندر لنجة:

وهي منطقة من مناطق ايران التي هاجرت إليها الكثير من عوائل البحرين للفراغ من الظلم والاضطهاد الذي يقع على الشيعة، ولاتزال الكثير من العوائل هناك تحفظ العادات والتقاليد وحتى اللهجة البحرانية، فكان يقصدها في العام مرة لوصول الرحم البحراني والتبليغ والخطابة الحسينية فيها.

(٣) سلطنة عمان:

التي قضى فيها مايقرب من الخمسة عشر عاماً، والتزم أبان اقامته فيها بقراءة مجلس حسيني كل صباح في مسجد (الكورنيش) المعروف الى الآن، وكل ليلة اثنين وجمعة له مجلس بالاضافة إلى كل مناسبة دينية، وكان يستقبل الخطباء القادمين من العراق وإيران والخليج في بيته تحيى فيها جلسات الأدب والعلم التي كانت لها انعكاساتها على شخصه وعلى المجتمع العماني.

(٤) قطر:

التي كان يقطنها ولايزال يقطنها عدد من الشيعة والذين بحق أيتام آل محمد ﷺ إذ ينذر مرور العلماء بهم، وعندما اطلع السيد على هذا الحال واستمع لاقتراح البعض يمم مع عائلته نحوها وذلك في الثالث عشر من شهر رجب سنة ١٣٧٨ للهجرة، وخط رحله في تلك الأرض القاحلة لبضفي على الواقع الشيعي فيها كسوة جديدة انقذت الطائفة من الأنهار، وشرع في مهمات وأعمال ومسؤوليات كبرى ينبغي أن تذكر له ويكرم عليها وإن كان الجزاء والأجر قد ناله من أهل بيت العصمة والطهارة.

ومن انجازاته في هذه الواحة:

(١) بناء مسجد:

كانت قطر تخلو من مساجد تجمع المؤمنين للصلاة فيها واحياء المناسبات الدينية، فبادر إلى بناء مسجد الامام الحسن عليه السلام، واشرف بنفسه على البناء لضبط الجوانب الشرعية ويكون بناءً موسساً على تقوى من الله، وبعد سنتين استكمل البناء، لتبدأ حياة اعمار المساجد.

(٢) احياء فريضة الجماعة:

ثم شرع في امامة الجماعة أوقات الصلاة ايماناً منه بأهمية الجماعة في المسجد لتقويم الايمان في المجتمع وحفظ الأجيال.

(٣) رعاية الأحوال الشخصية:

كما قام بالاهتمام بهذا الجانب الذي يحفظ الهوية والمعتقد ويحق الحكم الشرعي وفق الموازين الصحيحة.

(٤) الأحكام الشرعية:

وأيضاً تعليم الأحكام الشرعية والمسائل الدينية لعامة الناس وكان يحرك أجواء السؤال والاستفسار ليجيبهم على مايتبغى معرفته من المسائل الفقهية وكذلك الأمور الاعتقادية.

(٥) إحياء الأدب:

ايماناً منه بدور الشعر في النهضة والايمان فقد كان مهتماً بهذا الأمر غاية الاهتمام وعلى مايقول نجله السيد هاشم إنه بالرغم من تقلص عطاءه الشعري والأدبي (إلا أن بعض الشعراء الذين كانوا يتكسبون بشعرهم كانوا يعرضون عليه قصائدهم

بغية التصحيح العروضي أو النحوي أو غير ذلك وبحكم صداقته معهم لم يكن يمتنع عن هذا التصحيح).

وكذلك المنبر الحسيني الذي تقلص هو الآخر بسبب تلك الأعمال الجسيمة التي تشغل جل الوقت إلا أنها لم تلغي هذا المساحة الأساسية من حياته.

▣ وكالته لمراجع التقليد:

وعلى امتداد هذه الحقبة من التبليغ والارشاد وتوجيه الناس فقد كان وكيلاً معتمداً وموثقاً لدى جملة من الفقهاء الاعلام ومراجع التقليد العظام، وبالأخص:

(١) آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمته الله.

(٢) آية الله العظمى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمته الله.

(٣) آية الله العظمى السيد محسن الحكيم رحمته الله.

(٤) آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي رحمته الله.

▣ مصنفاته:

لقد سطر يراعه في دفاتر وكراريس جملة من السطور التي هي صالحة لأن تكون مؤلفات يستفاد منها، وقد وفقنا لبذل بعض الجهد في اخراج بعضها في ثوب كتاب، وهي:

(١) هذا الكتاب:

الذي مر الحديث عنه.

(٢) من نفحات الولاء

عنوان للقوائد التي نظمها في مديح ورثاء المعصومين وأهل بيته عليهم السلام، وفي

رثاء بعض الأعلام، وقد نشرناه في مقدمة وأربعة أبواب:

- **الأول:** في مناسبات الأفراح الدينية.
- **الثاني:** في المراثي والعزاء للنبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤﺘﻪ.
- **الثالث:** في مراثي وأفراح الفقهاء والعلماء.
- **الرابع:** في التخميسات.

وبقى له دفتر فيه جملة من القصائد التي اختارها لجملة من فحول الشعراء الذين نظموا في أهل البيت ﺍﻟﻤﺘﻪ.

وودفتر آخر يحتوي على جملة من الردات واللطميات التي انتخبها من لسان الخطباء الذين كانوا ينزلون في بيته أو الذين كان يلتقي بهم في المحافل المختلفة. وقصائد كثيرة متفرقة في (الجلوات) والعلاقات مع أصدقاءه، والمناسبات الاجتماعية المختلفة، وتأريخ بعض الأمور، والوعظ والارشاد وغيرها، وهي لا يجمعها جامع وتحتاج إلى جهد جاهد لتجمع في اصدار أنيق يليق بهذا العلم الأديب والخطيب الحسيني الأريب.

■ وفاته:

وبعد عمر حافل بالعلم والعمل والعطاء صارعه مرض ضعف الأعصاب ولم ينفع علاج أي المصححات في الهند والباكستان وايران فقصد بلاد الافريج (بريطانيا) ليجد الأمر كما هو في بلاد المسلمين فودع الدنيا بعد عمر صرفه في خدمة الشيعة والشرعية، وذلك بتاريخ:

٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ للهجرة

الموافق ١ مايو ١٩٧٣ م.

▣ قبره ومدفنه:

وشيع في الدوحة بدولة قطر من الحسينية اللارية (حي المشيرب) الى المقبرة القديمة (حي الغانم) ودفن بها.
فرحمه الله وحشره مع المعصومين الأطهار عليه السلام.

▣ عملنا في الكتاب:

حاولت قدر الامكان خدمة هذا الكتاب بما أمكن وذلك بعد أن حصلت على أوراق الكتاب المكتوب أكثره بقلم الرصاص مصورة وكان يصعب عليّ معرفة الكثير من الكلمات وكذلك الأخ جعفر الوائلي الذي أعطني بتنضيد الكتاب، فكنت أنتظر سفري إلى الامارات لأتمكن من الحصول على النسخة الأصلية من نجل المؤلف الاستاذ الموقر السيد هاشم الموسوي الذي عضد مشكوراً لنشر هذا الكتاب، ولكن النسخة الأصل كانت تزيد التعقيد تعقيداً.

ثم قمت بتوزيع الأوراق على فصول ثلاثة نظمتها بحسب ما رأيته مناسباً لتنظيم الكتاب، وصار بلا اعتبار مماثلاً لتقسيم كتاب جامع السعادات وهذا من توفيق رب الأرباب ولطف المعصومين الأطهار عليه السلام.

وبعدها شرعت بمقابلة المطبوع على المخطوط للتأكد من صحة المطبوع وعدم فوت شيء في المخطوط، وقد ساعدتني في مقابلة (الفصل الأول) الفتية العفيفة زينب أمر الله بشوق واقتدار، ثم أكملت مقابلة (الفصل الثاني) معي السيدة خديجة الموسوي وبحماس ومثابرة، ثم أكملت (الفصل الثالث) بنفسي مع المشقة.

ثم شرعت بـ: تقطيع النص، ووضع علائم الترقيم، وإضافة جملة من العناوين المفيدة للقارئ، واستخراج الآيات، وضبط النصوص والروايات على مصادرها الأصلية وبيان المصدر، وتوضيح الكلمات الصعبة، وترجمة بعض الأعلام في الهامش، وتثبيت مصادر الأشعار والأمثال والحكم والكلمات والفتاوى والأحكام. وإذ فاتنا العثور على مصادر بعض الأخبار، أو ضبط بعض الأشعار فالكمال لله، والعذر من كرام القراء.

ثم وقبل الدفع به للطباعة تفضل بعض الاخوة الكرام ممن لم يرض بذكر اسمه في مكتب المرجع الديني الراحل سند العقيدة والمدافع عن مظلومية الزهراء عليها السلام والمعصومين الأطهار عليهم السلام العالم الرباني آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي (قدس الله روحه الزكية) في منطقة السيدة زينب عليها السلام ببلاد الشام بمراجعة الكتاب وتقديم بعض الملاحظات فجاءه الله خيراً وجزى كل من اسهم واشترك في احياء هذا السفر.

وجزى الله والدي العالم والدي المربية

على صنعهما هذا بي خير الجزاء.

والله ولي التوفيق

من عش آل محمد عليهم السلام

السيد محمود نجل السيد مصطفى الغريفي البحراني

ALHALAQH@hotmail.com

انزلنا اليكم ذكرًا سهلاً . ففي قوله انزلنا اشارة الى هذا الانزال
 المعنوي وهو من درجة الذبحة وليس المراد الانزال الحسي لان
 في الآيات حتى انزل الى الارض بل كان بين انزالهم وما كان انزالهم
 انزل عليه لانه كان في الدرجة الاولى يحالي جناب القدوس
 علم الملكوت وقد صار في الثانية متكلماً مع اجلاف قريش ومها
 الذين يقولون اجعل الآلة الخا وحداً ان هذا شيء عجاب فانه
 كانوا يعبدون ثلثاً فانه وستين صنماً ولما ترك اليهم امرهم بالتوحيد
 فاعلموا هذا العجب من قوله وقد حصل له رضى من مدحهم عليه
 مقابل تعجب عظيم والم جسيم وتعجب القلب اشد من ضرب الجوف
 من ربي اربعين سنة في جرمه ريل وكان المعلم له رتب الملك
 فادبه بأدبه وأطلعته على مراتب جبروته ثم يقول من هذا كله حقاً
 بما شئت اجلاف العرب وأهل ترك اللذيق مع فوط روحانيته
 ولطافته قد سبته كان هذا عليه انقل من الجبال الروابي لولاه
 سبحانه لم عثله . كنهه المقدمه من باب التمهيد والاشعار
 بالتواضع واذا تحققت هذا فاعلم ان الناس كلهم بل كل اصناف
 الخلق في مساوون في العبودية لانهم واحد فهم من قبيل
 هذه النوع من العبيد وليس للابيض ان يفتخر على الاسود في سل
 ومن هذا يتبين في الحديث ان الله سبحانه اوتي الى من
 اذابت المناجات فاصحب معك تكون خير منه فجعل

يعرض أحد الأوهول يجسر أن يقول أنا خير منه، فنزل على الناس
 شرع في اصناف الحيوانات حتى تركب ارب فقال اصحب هذا .
 بل في عنقه حبلاً ثم عربه فلما كان في بعض الطريق شمر الحبل وابله
 وجاء الى المصالحات مناجاة الرب بحاجته قال يا موسى اين ما اهلك
 قال يا رب لم اجد فقال تعا وعزتي وجلالي اوجسني ياخذ نحوك
 هديوان النبوة . فهذا الحديث وعاروه في معناه منزل على اذن
 باب المنصور لله والتساوية في العبودية والانلاخل في ان كل
 في بعث في زمان فهو افضل واشرف من اهل زمانه وكذا الناس يتفا
 اوت في الفضل والشرف على قدمه احد منهم مولاهم فيكون هذا الشرف
 ضياً ومع هذا فلا ينبغي للعبد ان يفخر على غيره به وينبغي ان بكل
 فخر والمدح الى الله مولاه بان يكون هو الذي يباهي به ويظهر شرفه
 في الديوان المنسوب لامير المؤمنين (ع)

الناس من جهة القمائل اكفاء ابوهم آيم والام حواء
 فان يكن لهم في اصلهم شرف فياخزون به فالطين والماء
 لا فخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمواستبداد الادلاء
 وبقية المزمات كان يحسن والجاهلون لاهل العلم اعداء
 ثم اذا اراد الانسان بيان احواله اذا كانت مجعولة لغرض من الاغراض الشرعية
 ولذا كثر العلماء مدائحهم ومعاني مناقبهم في كل الفنون وذلك لتسديد الناس
 انهم . فقد جاء في الحديث قوله (ع) انا خير المخلوقين والاخر

الفصل الأول

المقدمات في الأخلاق



■ [المطلب الأخلاقي]:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١) ، في تفسير القمي، عن الباقر عليه السلام في قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ يقول عليه السلام: «إن كان من أهل النار وكان قد عمل في الدنيا مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة حسرة أنه كان عمله لغير الله» و﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، يقول: «إن كان من أهل الجنة رأى ذلك الشر يوم القيامة ثم يغفر الله فعالة»^(٢). وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(٣).

(١) الآيتان ٧ و ٨ من سورة الزلزلة.

(٢) المصدر: (ج ٢، ص ٤٣٤) ونص العبارة الأخيرة: «رأى ذلك الشر يوم القيامة ثم غفر الله تعالى الله» وفي هامش هذه العبارة نقل المحقق عن تفسير الصافي، عن فاطمة عليها السلام قالت: «أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر، ففزع الناس إلى أبي بكر وعمر فوجدوا قد خرجا فزعين إلى علي عليه السلام فتبعهما الناس وقعدوا وحوله وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترجع جاثية وذاهبة، فقال لهم علي عليه السلام: كأنكم قدها لكم ماترون؟ قالوا: أو كيف لا يهولنا ولم نرمثلها قط، فحرك شفتيه ثم ضرب الأرض من تعجبهم الأول حيث خرج إليهم: قال لهم فإنكم قد عجبتم من صنعني؟ قالوا: نعم. قال: أنا الرجل الذي قال الله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا فَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ فأننا الإنسان الذي يقول لها مالك؟ يومئذ تحدث أخبارها، إياي تحدث.

(٣) الآية ٣١ من سورة النجم.

قد اختلف علماء الأخلاق في الجزاء يوم القيامة من الخير والشر، فبعضهم^(١) يقول: إن العمل نفس الجزاء، يعني نفس يتجسّم يوم القيامة لصاحبها إن كانت حسنة تتجسّم بأشياء حسنة ليس وإن كانت سيئة تتجسّم بأشياء سيئة مؤلمة موحشة توحشه وتسوؤه، وبعضهم يقول: الجزاء غير العمل، ولكلّ منهما أدلّة من الكتاب والسنة يأتي تفصيلها.

يقولون كلّ نفس في بدء الخلقة خالية عن الملكات بأسرها وإثما تتحقّق الملكة بتكرار الأفعال، فإذا تكرّر ذلك الفعل من الإنسان أثر في النفس واستحكم وصار ملكة راسخة أي سجيّة راسخة، في النفس، مثاله: الحرارة التي تحدث في الفحم فإنّها ضعيفة أولاً، وإذا اشتدّت تجمّدت ثم استضاءت ثم صارت صورة نارية محرقة لما قاربها. وكذلك الأحوال النفسانيّة إذا تضاعفت قوّتها صارت ملكات راسخة وصوراً باطنيّة [تكون] مبادئ للأثار المختصّة بها، أي منشأ لتلك الآثار، فالنّفوس الإنسانيّة في أوائل الفطرة كصحائف خالية عن النّقوش والصور بنقل كلّ خلقٍ بسهولة، وإذا استحكمت فيها الأخلاق تعمّر قبولها لامتدادها^(٢) ولذلك سهل تعليم الأطفال وتأديبهم وتنقيش نفوسهم بكل صورة وصفة وتعسر أو يتعذّر تعليم الرجال البالغين وردهم عن الصفات الحاصلة لهم لاستحكامها ورسوخها.

ثم لاخلاف أنّ هذه الملكات وأفعالها اللازمة لها إن كانت فاضلة كانت موجبة للالتذاذ والبهجة ومرافقة الملائكة والأخيار، وإن كانت ردية كانت مقتضية للألم والعذاب ومصاحبة الشياطين والأشرار، وإنما الخلاف في كيفية إيجابها للثواب أو

(١) كالعلامة النراقي رحمه الله في كتابه جامع السعادات: (ج ١، ص ٤٠).

(٢) في المصدر: نعسر قبولها لأضدادها.

العذاب، فمن قال: إنّ الجزء مغاير للعمل قال: إنّ كلّ ملكة وفعل بصير منشأ لترتب ثواب أو عقاب مغاير له بفعل الله سبحانه وتعالى على التفصيل الوارد في الشريعة. ومن قال: إنّ العمل نفس الجزء، قال: إنّ الهياث النفسانية اشتدّت وصارت ملكة تصير متمثلة ومتصورة في عالم الباطن والملكوت بصورة يناسبها إذ كلّ شيء يظهر في كلّ عالم بصورة خاصّة، فإنّ العلم في عالم البقطة أمر عرضي يدرك بالعقل أو الوهم وفي عالم النوم يظهر بصورة اللبّ فالظاهر في العالمين شيء واحد هو العلم لكنّه تجلّى في كلّ عالم بصورة، والسرور يظهر في عالم النوم بصورة البكاء، ومنه يظهر أنّه قد يسرك في عالم مايسووك في عالم آخر، فاللذات الجسمانيّة التي تسرك في هذا العالم تظهر في عالم^(١) الجزء بصورة تسووك وتؤذيك، وتركها وتحمل مشاق العبادات والطاعات والصّبر على المصائب والبلّيات يسرك في عالم الآخرة مع كونها مؤذية في هذا العالم.

ثم القائل بهذا المذهب قد يطلق على هذه الصورة صورة^(٢) الملك إن كانت من فضائل الأخلاق أو فواضل الأعمال، واسم الشيطان إن كانت من أضدادها، وقد يُطلق على الأولى اسم الغلمان والحوور وأمثالهما، وعلى الثانية اسم الحيّات والعقارب وأشباههما، ولا فرق بين الاطلاقين في المعنى، وإنّما الاختلاف في الاسم.

وهذا المذهب يرجع الى القول بتجسد الأعمال بصورة مأنوسة مفرحة أو صورة موحشة معذبة، وقد ورد بذلك أخبار كثيرة: منها ما روي عن قيس بن عاصم عن النبي ﷺ أنه قال: «يا قيس، إنّ مع العزّ ذلّاً، ومع الحياة موتاً، ومع الدنيا آخرة، وإنّ

(١) في المصدر: في دار الجزء.

(٢) في المصدر: اسم الملك.

لكل شيء رقيباً وعلى كل شيء حسيباً، وإن لكل أجل كتاباً، وإنه لابد لك من قرين يدفن معك، وهو حيّ وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لثيماً الامك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تحشر إلا معه ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحاً؛ فإنه إن صلح أنست به، وإن فسد لاتستوحش إلا منه وهو فعلك» (١) (٢).

ومنها «إن المؤمن اذا وضع في قبره، قالت الأرض له: مرحباً وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فستري ذلك، قال: فيفسح له مدّ البصر، وإذا أدخل الرجل الخبيث الفاسق قبره، قالت الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فستري ذلك، فتضغطة تضغطة تخرج مخّ رأسه من أضافره ويفتح له باب الى النار، ثم يخرج إليه رجل قبيح فيقول له: يا عبد الله من أنت؟! ما رأيت شيئاً أقبح منك فيقول: أنا عمك السيي الذي كنت تعمله ورأيتك الخبيث» (٣).

وأما ما جاء في الآيات الكريمة فكثير منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤) إشارة الى هذا المعنى حيث قال عز وجل: ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولم يقل: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وجاء في الحديث النبوي (٥) «الذي يشرب في أنية الذهب والفضة إنما يجزي (٦) في بطنه نار جهنم»، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ

(١) أمالي الصدوق: (ص ٥١).

(٢) جامع السعادات: (ج ١، ص ٤٠ - ٤٢).

(٣) تعددت الأخبار بهذا المعنى والمضمون ووردت في هذه المصادر: الكافي (ج ٣، ص ١٣٠)، والاختصاص للمفيد (ص ٣٤٧)، والبحار (ج ٦، ص ٢٦٦)، وغيرها.

(٤) الآية ١٦ من سورة الطور.

(٥) وقد روى هذا الخبر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) كما في الحقائق الناضرة (ج ٥، ص ٥٠٥).

(٦) في مصدر: إنما يجزى في بطنه نار جهنم (صحيح البخاري: أواخر الجزء الثاني، أنية الفضة، ح ٢).

تَمْحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾

ثم الظاهر إنَّ هذا المذهب عند من قال به من أهل الشرايع بيان لكيفية الثواب والعقاب الروحانيين مع اذعانه بالجنة والنار الجسمائين وإن كان مراده غير هذا فهو مخالف لضرورة الدين.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

وربما تجسّمت للإنسان أعماله في دار الدنيا من خير وشرٍّ، أما ترى لما أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد، وجعله في الطشت، وطغى اللعين وتحبّر لما رأى رأس الحسين عليه السلام وحرّمه بين يديه، دخلت نار في قصر الامارة حتى هرب ابن زياد فسمع هاتفاً لا يرى شخصه^(٢): لئن عجزت عنك في الدنيا فلم يعجز عنك في الآخرة، فلما ارتفعت النار عاد الى قصره فنظر الى فخر المخدرات العقيلة زينب عليها السلام وهي جالسة في زاوية من المجلس وقد حف بها اماءها وخدمها، وقال: من هذه؟! قيل له: زينب بنت علي. فالتفت إليها قائلاً: أرايت صنيع الله بأخيك والمردة من أهل بيتك، الى آخر الحديث^(٣).

② كتاب الأشربة) والمستدرک (ج ٢، ص ٥٩٧) وصحيح مسلم (ج ٣، ص ١٦٣٤) وسنن

البيهقي (ج ١، ص ٢٩).

(١) الآية ٤٩ من سورة التوبة.

(٢) وقيل كما في بعض الأخبار إن الذي تحدث هو رأس سيد الشهداء عليه السلام كما في الدعاء الساكبة (ج ٥،

٥١) ومدينة المعاجز (٤، ص ١٢٣) ومعالي السبطين (ج ٢، ص ١١٤).

(٣) الملهوف (ص ١٤٢).

في تحصيل الأخلاق الفاضلة وترك الردية

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾^(١) أنه تبارك وتعالى حثَّ عباده على تركية النفس بتحصيل الأخلاق الفاضلة ورفض الأخلاق الرذيلة.

[و]إنَّ المزاج الانساني له مدخلية تامة في الصفات، فبعض الأمزجة في أصل الخلقة مستعدة لبعض الأخلاق، وبعضها مقتض لخلافها، فالناس يختلفون في الأمزجة، وقد يكون اعتدال القوى فطرياً بحيث يبلغ الانسان كامل العقل فاضل الأخلاق غالبه قوته العاقلة على قوتي الغضب والشهوة كما في الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وقد تتجاوز حدَّ الاعتدال وهو الوسط الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «خير الأمور أوسطها»^(٢)، بحيث يبلغ ناقص العقل ردي الصفات مغولية عاقلته تحت سلطان الغضب والشهوة كما في بعض الناس.

إلّا أن الحق كما يأتي امكان زوالها بالمعالجات المقررة في علم الأخلاق فيجب السعي في إزالة نواقصها وتحصيل فضائلها، وعجباً لأقوام يبالبغون في إعادة الصحة الجسمانية الفانية ولا يجتهدون في تحصيل الصحة الروحانية، يطيعون قول الطبيب النصراني أو اليهودي أو الوثني في شرب الأدوية الكريهة ومزاولة الأعمال القبيحة لأجل صحة زائلة ولا يطيعون أمر الطبيب الالهي لتحصيل البشارة الدائمة، فإن اعتدال المزاج والأخلاق لا يكون فطرياً إلا في الأنبياء والأئمة الطاهرين، وأمّا ما عداهم

(١) الآيات ٧ - ١٠ من سورة الشمس.

(٢) عيون الحكم والمواعظ (ص ٢٤٠) وبدائع الصنائع (ج ١، ص ٢٣) وعوالي اللئالي (ج ١، ص ٢٩٦) وكنوز الحقائق للمناوي (جامع الصغير: ج ١، ص ١٢٤) وبحار الأنوار (ج ٧٤، ص ١٦٦).

فبالسعي والاجتهاد.

فاطلب^(١) العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل
لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل^(٢)

كما قال الله تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣) فبقدر السعي يصل إلى المطلوب.

[قال العلامة النراقي:]

(واختلف علماء الأخلاق الأوائل في إمكان إزالة الأخلاق وعدمه، وثالث الأقوال: أن بعضها طبيعيّ يمتنع زواله وبعضها غير طبيعيّ حاصل من أسباب خارجة يمكن زواله، ورجّح المتأخرون الأوّل (يعني امكان زوال الأخلاق) وقالوا: ليس شيء من الأخلاق طبيعيّاً ولا مخالفاً للطبيعة، بل النفس بالنظر الى ذاتها قابلة للاتصاف بكلّ من طرفي التضاد) يعني قابلة أن تتصف بالأخلاق الحميدة وضدّها الأخلاق الرذيلة - «أمّا بسهولة إن كان موافقاً للمزاج، أو بعسر إن كان مخالف له فاختلف الناس في الأخلاق لاختلافهم في الاختيار والمزاولة لأسباب خارجة).

حجة القائل: «إن كلّ خلق قابل للتغيّر، وكلّ خلق قابل للتغير ليس طبيعيّاً»

[فينتج لاشيء من الخلق بطبيعي والكبرى بديهية، والصغرى وجدانية].

فإنّا نجد أنّ الشرير يصير بمصاحبته الخير خيراً، والخير بمصاحبة الشرير شريراً، ونرى أن التأديب (في السياسات) في أثر عظيم في زوال الأخلاق ولولاه لم يكن لقوة الروية فائدة وبطلت التأديبات والسياسات ولغت الشرايع والديانات، ولما

(١) في مصدر: اطلب العلم وحصله فما أبعد العلم على أهل الكسل

(٢) جاءت هذه الأبيات في صحيح شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٤).

(٣) الآية ٣٩ من سورة النجم.

قال الله سبحانه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(١) (٢). ولما قال النبي ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٣).

والذي يقول بعدم امكان زوال الأخلاق وتغييرها يقول: إنا نشاهد بعض الأخلاق في بعض الأشخاص غير قابلة للتبديل لاسيما الذي يتعلق بالقوة النظرية كالحدس والتحفظ وجودة الذهن وحسن التعقل ومقابلاتها كما هو معلوم من بعض الطلبة فإنه لاينجح سعيهم في التبديل مع مبالغتهم في المجاهدة.

فأجيب: إن عدم زوال بعض الأخلاق وامكان زوال أغلب الأخلاق فلايلزم ترك السعي في الممكن، ولو كان عدم قبول بعض الأخلاق التغير موجباً لبطلان علم الشرايع والأخلاق، لكان عدم قبول بعض الأمراض للدوى مقتضياً لبطلان علم الطب مع أننا نعلم ان بعض الأمراض لايقبل العلاج.

فإذا ثبت بطلان القولين الأولين فالحق القول بالتفصيل، يعني: قبول بعض الأخلاق، بل أكثرها بالنسبة إلى أكثر الناس للتبديل للحس والعيان، وبطلان السياسات والشرايع لولاه وإمكان تغير خلق البهائم، اذ ينتقل الصيد من التوحش إلى الأنس، والفرس من الجماع^(٤) الى الانقياد، والكلب من الهراشة^(٥) الى التأدب، فكيف لايمكن في حق الانسان. انتهى^(٦).

(١) الآية ٩ من سورة الشمس.

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٤٧).

(٣) مسند الرضا عليه السلام داود بن سليمان الغازي (ص ١٣١) وكنز العمال (٤٣٥٤) والسنن الكبرى (ج ١٠، ص ١٩٢).

(٤) الامتناع.

(٥) التي لايصح ملكها.

(٦) هذا الكلام من جامع السعادات (ج ١، ص ٤٨ - ٤٨).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

إذا كانت الحيوانات تتأدّب فالإنسان أولى، ومن الحيوانات المؤدّبة جواد الحسين عليه السلام حين همّ الحسين عليه السلام على مشرعة الفرات وأولع رأسه ليشرب، فقال الحسين عليه السلام: «يا جواد أنت عطشان وأنا عطشان» فكان الجواد [قد] فهم، فرفع رأسه، فقال الحسين عليه السلام: «اشرب وأنا اشرب» فمدّ يده ليشرب وإذا بالمنادي: يا حسين أتلتذ بشرب الماء وقد هتكت خيم النساء!! فبغض الماء من يده، وكشف القوم عن الخيم فإذا هي سالمة^(١).

المقام الثاني: حين سقط الحسين عليه السلام جعل الفرس يحوم حوله ويجعل اللجام بيده فكأنه يشير إليه أن قم واركب ظهري. الى آخر الحديث^(٢).

في أن الاخلاق لا تزول بالكلية

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

(١) مناقب آل أبي طالب (ج ٣، ص ٢١٥).

(٢) وجاء في شأن هذا الفرس العظيم كما عن عبد الله بن عباس أنه قال: حدثني من شهد وقعة الطف: إن فرس الحسين (أو صلّه الله إلى غاية بركاته ومنتهى رضوانه وسعادته) جعل يصلّ صهيلاً عالياً ويمشي عند القتلى واحداً بعد واحد، حتى وقف على البدن المبارك للحسين (عليه آلاف آلاف التحية والثناء) ويقبله، فلما نظر إليه عمر بن سعد قال لأصحابه: خذوه وآتونني به، فلما علم طلبهم جعل يلطمهم برجله ويكدم بفمهم حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، وطرح فرساناً عن ظهر خيولهم، فصاح عمر، وقال: وليكم تباعدوا عنه. ثم جعل يقبل البدن المبارك المكرم ويمرغ ناصيته بالدم المطهر المعطر ويصلّ صهيلاً عالياً وتوجه إلى الخيمة (ينابيع المودة: ج ٣، ص ٨٤).

المُخْسِنِينَ^(١)

قد ثبت مما تقدم في المجلس السابق، أنَّ أغلب الأخلاق قابلة للتبديل والتغيير إمّا بسهولة أو بصعوبة، ولولا ذلك لما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٢) فإذا لم يكن للإنسان قوّة يجاهد بها الأخلاق الرديّة فلم كلفه الله تعالى بتزكية نفسه، ليس إلّا هناك قوّة يجاهد بها ولولا امكان تبديل الأخلاق وتغييرها لما قال رسول الله ﷺ: «بَعِثْتُ لَا تَتَمُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٣) وما الفائدة في قوله وما الفائدة في بعثه إذا لم تؤثر في تغيير الأخلاق، ولكن الحق ما تقدم وأقيمت عليه الأدلة من إمكان ذلك.

ثم [إنَّ] المراد من التغيير ليس الغرض من رفع الغضب والشهوة مثلاً واماطتها بالكليّة، فإنّ ذلك محال لأنهما مخلوقان لفائدة ضرورية في الجبلة، إذ لو انقطع الغضب عن الانسان بالكليّة لم يدفع الانسان ما يهلكه ويؤذيه، وامتنع جهاد الكفار، ولولا قدم عنه شهوة الطعام لم تبق حياته، ولو بطل عنه شهوة المواقعة بالمرّة لضاع النسل. بل المراد ردهما من الافراط والتفريط إلى الوسط، فالمطلوب في صفة الغضب خلوّ النفس من الجبن و[....]، والاتصاف بصفة الحميّة وهو أن يحصل إذا استحسن حصوله شرعاً وعقلاً؛ ولا يحصل إذا استحسن عدمه كذلك أي شرعاً وعقلاً، وكذلك الحال في صفة الشّهوة.

ولاريب في أنّ ردّ بعض الموجودات الناقصة من القوى وغيرها إذا وجدت فيه قوّة الكمال ممكن إذا كان له شرط يرتبط باختيار العبد، فكما أنّ النواة يمكن أن تصبح نخلاً بالتربية لوجود قوّة النخلية فيه، وتوقّف فعليّتها على شرط التربية التي بيد العبد،

(١) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

(٢) الآية ٩ من سورة الشمس.

(٣) تقدم مصادر الحديث.

فكذلك يمكن تعديل قوتي الغضب والشهوة بالرياضة والمجاهدة لوجود قوة التعديل فيهما، وتوقف فعليتهما على شرط ارتبط باختيار العبد - أعني الرياضة والمجاهدة - وإن لم يمكن لنا قلعهما بالكلية، كما لا يمكن لنا اعدام شيء من الموجودات، ولا إيجاد شيء من المعدومات ثم إن شرائط الرد تختلف بالنسبة إلى الأشخاص والأخلاق، ولذا ترى أن التبدل يختلف باختلاف مراتب السياسات والتأديب، فيمكن أن لا يرتفع مذموم خلق بمرتبة من التأديب، ويرتفع بمرتبة منه فوقها، والأسهل قبولها لكل خلق الأطفال لخلو نفوسهم عن الأضداد المانعة من القبول، فيجب على الآباء تأديبهم بالآداب الجميلة، وصونهم عن ارتكاب الأعمال القبيحة حتى تعتاد نفوسهم بترك الرذائل، وارتكاب الفضائل، والمؤدّب الأول هو التاموس الإلهي (أي الحكم الشرعي)، والثاني: أولو الأذهان القويمة من أهل المعارف الحقّة، فيجب تقييد من يراد تأديبه بالتواميس الربانيّة أولاً، وتنبيه بالحكم والمواعظ ثانياً.

■ [شرف علم الأخلاق لشرف موضوعه وغايته]:

فإذا عرفت أن الحياة الحقيقية للانسان تتوقف على تهذيب الأخلاق الممكن بالمعالجات المقررة في علم الأخلاق، تعرف أنها أشرف العلوم وأنفعها لأن شرف كل علم إنما هو بشرف موضوعه أو غايته، فشرف علم الطب على صناعة الدّباغة بقدر شرف بدن الانسان وإصلاحه على جلود البهائم، وموضوع هذا العلم هو النفس الناطقة التي هي حقيقة الانسان ولّبه وهو أشرف الأنواع الكونيّة^(١).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٤٨).

لأنّ الانسان ذو عرض عريض متّصلاً أولاً بأفق البهائم وآخره بأفق الملائكة لا يكاد أن يدرك التفاوت الذي بين أشخاص النوع الإنساني فإن فيه أخسّ الموجودات كما قال الله تعالى: ﴿كَأَلَاتِقَامٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(١) ومنهم أشرف الكائنات. كما قيل: ولم أر امثال الرجال تفاوتت^(٢) لدى المجد^(٣) حتى عد ألف بواحد^(٤) وإلى هذا التفاوت يشير سيد الرسل ﷺ بقوله: «اني وزنت بأمتي فرجحت بهم»^(٥). ولاريب أنّ هذا التفاوت لأجل الاختلاف في الأخلاق والصفات لاشتراك الكل في الجسمانية ولواحقها.

وهذا العلم هو الباعث للوصول إلى أعلى مراتبهما (أي الجسمانية والروحانية)، وبه تتم الإنسانية، ويعرج من حضيض البهيمية الى ذرى الرتب الملكية... ولذلك كان السلف من الحكماء لا يطلقون العلم حقيقةً إلّا عليه، ويسمونه بالأكسير الأعظم، ويعتقدون أنّ المتعلّم ما لم يهذب أخلاقه لاتنفعه سائر العلوم وكما أنّ البدن الذي ليس بالنقي كلّما غدّوته فقد زدته شرّاً، فكذلك النفس التي ليست نقيّة عن ذمائم الأخلاق لايزيده تعلّم العلوم إلّا فساداً. ولذا ترى أكثر المتشبهين بزي العلماء أسوأ حالاً من العوام مائلين عن وظائف الإيمان والإسلام، إمّا لشدة حرصهم على جمع المال، غافلين عن حقيقة المال، أو لغلبة حبّهم الجاه والمنصب، ظناً منهم أنه

(١) الآية ١٧٩ من سورة الاعراف.

(٢) أو تفاوتاً كما في حاشية رد المحتار لابن عابدين (ج ٦، ص ٥٦٧).

(٣) إلى الفضل، كما في حاشية رد المحتار لابن عابدين (ج ٦، ص ٥٦٧).

(٤) المواقف للایجي (ج ١، ص ١٩) وهو قول البحري كما في الحاشية على الكشف (ص ١٤).

(٥) المسترشد (ص ٥٥٣) وفي الاستيعاب لابن عبد البر (ج ٣، ص ١١٥٠) أنه قال ﷺ: رأيت في

الغمام كأني وزنت بأمتي فرجحت.

ترويج للدين والمذهب (١) ...

■ [الاعتبار من كربلاء]:

وهؤلاء هم الذين يتوصفون من قبل الملوك والحكام طلباً للمال والجاه، ومنهم شريح القاضي (٢) الذي أفتى بقتل الحسين عليه السلام حيث استفته في قتل الحسين فأجاز له ذلك، وأخيراً أفتى أن الحسين خرج عن جدّه فقتل بسيف جدّه (٣)، ولما علم الحسين أن دين جدّه لا يستقيم إلا بقتله وسبي عياله، لدفع هذه البهات والتمويهات الأموية ولم يتقلب على رمضاء كربلاء مناجياً ربّه:

تركت (٤) الخلق طراً في هواكا
وايتممت العيال لكي أراك
ولو قطعتني في الحب إرباً
لما مال (٥) الفؤاد الى سواكا (٦)

ويقول الفارسي بلسان الحال:

رضا گشتم که اکبر گشته گردد تن قاسم بخون آغشته گردد
رضا گشتم که عباس جوانم شود کشته ببیش چشمهایم
رضا گشتم که اصغر شیر خارم بمیرد تشنه لب اندر کنارم

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٤٩).

(٢) كان مستخدماً لعمر بن صهاك فماذا يمكن أن يكون؟! (مستدرك سفينة البحار: ج ٥، ص ٣٨٢) وهو ملعون كما في طرائف المقال (ج ٢، ص ٨٩).

(٣) شرح احقاق الحق (ج ٢٩، ص ٦٠٩).

(٤) في مصدر: هجرت الخلق طراً في هواكا.

(٥) في مصدر: لما جنّ تاريخ مدينة دمشق: ج ٦، ص ٣٠٦.

(٦) وهي قول لبعض الشعراء عن حال لسان الامام الحسين عليه السلام كما في ليلة عاشوراء في الحديث

والأدب (ص ١١٦).

رضا گشتم که زینب خار گردد اسیر کوچه و بازار گردد^(١)

النفس المطمئنة واللوامة والأمارّة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * قَدْ خَلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾.^(٢) وقال: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.^(٣) وقال: ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.^(٤) فالمفهوم من ظاهر الآيات الثلاث أن النفوس ثلاثة كما قال بذلك بعض علماء النفس، والحق إنها واحدة وتنطوي عليها صفات.

لاريب أن النفس لها مبدء تصدر منه وتؤوب إليه لأن الرجوع لا يكون إلا وهناك صدور.

فالنفس هي حقيقة الانسان وهي التي يترب عليها الثواب والعقاب والعذاب والتّعيم، وهي قدسية ملكوتية تأتي من العالم العلوي عالم التجرد، بصفة مسافر الى العالم السفلي عالم المادة عالم الاجسام، بأمر من الله تعالى، تأتي لهذا العالم بصفة تاجر سافر للتجارة ويكون بينها وبين الجسم العنصري ارتباط لتنفيذ أمور تلك التجارة، فالجسم مركب للنفس لقطع هذه المسافة، أولاً فاله النفس تستعمله في شؤونها لأن

(١) هذه الأبيات الفارسية لم نعلم قائلها إلا أنه أراد منها: لقد رُضيت بقتل علي الأكبر، ورضيت بأن يتلطح جسد القاسم بن الحسن بالدم، ورضيت بأن يقتل العباس بين يدي، وأمام مرأى مني، كما رُضيت بأن يموت علي الأصغر الرضيع عطشاناً بحب، وكم رُضيت بسببي السيدة زينب عليها السلام في الأزقة والأسواق.

(٢) الآيتان ٢٧ - ٢٩ من سورة الفجر.

(٣) الآيتان الأولى والثانية من سورة الفجر.

(٤) الآية ٥٣ من سورة يوسف.

لا يتم أمر النفس وغايتها إلا باستخدام الجسم وقواه العقلية والغضبية والشهوية والحيوانية والوهمية.

والعقل هو السلطان وهذه القوى بصفة الجنود له يستخدمها كيف شاء، فما استقامت هذه القوى تحت أوامر السلطان وهو الفعل وغاب العقل عليها وصارت منقادة له ومقهورة منه وزال اضطراب القوة العاقلة الحاصل من المدافعة سميت النفس (مطمئنة)؛ لسكون تلك القوات الأوامر والنواهي وميلها الى ما يلائم العاقلة التي تقتضيه جبلتها، وإذا لم تتم غلبة القوة العاقلة وكان بين القوات تنازع وتدافع وكلما صارت النفس مغلوبة عنها بارتكاب المعاصي حصل للنفس لوم وندامة سميت (اللؤامة)، وإذا صارت النفس مغلوبة منها مذعنة لها من دون دفاع سميت (الأمارة بالسوء)؛ لأنه لما اضمحلت قوتها العاقلة وأذعنت للقوى الشيطانية من دون مدافعة فكأنما هي الأمارة.

فعلاج هذه النفس تهذيبها بمكارم الأخلاق، وعلم الأخلاق والعلم التكفل لسعادة الانسان، وبه يرجع الى أوج الكمال؛ ولهذا كان حكماء السلف يسمون بهذا العلم الاكسير الأكبر، ويقولون: من لم يهذب أخلاقه لا يفيده أي علم كما أن البدن ما لم تنق من الأمراض لا يزيد الأكل إلا مرضاً.

وهكذا النفس إذا لم تنق من الأخلاق الرذيلة لا يزيد العلم إلا فساداً كالمزيلة إذا هطل عليها المطر لم يفدها إلا إظهار العفونات وتصاعدها، فما نفع ابليس علمه وعبادته؛ إذ كان يظهر العبادة حتى تعجبت الملائكة من عبادته، إذ كان ينطق وكان عاقبة أمره أن قال الله له: ﴿قَالَ فَاهْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (١)

فهذه الخصلة الوحيدة هي التي أهلكتها إلى أبد الأبدین.

فمدار العبادة والعلم على تزكية النفس وتطهير من الادناس.

يا خادم الجسم كم أنت تسفى الحند منه فأنت بالنفس لا بالجسم انسان^(١).

في مايلزم لطالب السعادة

فاللزم على طالب السعادة تزكية نفسه من الأخلاق الرذيلة وتحليتها بالأخلاق الفاضلة. ولا يستقيم له هذا الأمر إلا بشروط:

أولها: الاجتناب عن مجالسة الأشرار وذوي الأخلاق الرذيلة والتجنب من سماع حكاياتهم وما حدث منهم.

وجاء في الحديث (قرين السوء يغير جليسه)^(٢)، وجاء في المثل (الطبع مكتسب من كل مصحوب)^(٣)، ومجالسة أصحاب الأخلاق الفاضلة ومعاشرتهم والالتفات إلى سيادتهم ومعاملتهم مع الخلق ومع الخالق جلّ وعلا، وأن يبحث عن السلف من الصالحين وأهل الدين والسالكين طريق السعادة، حتى يطلع على سيرتهم، ويدرج على طريقتهم، والجلوس له مدخلية تامة في اكتساب الأخلاق، فإن كان فاضلاً تكسب منه الأخلاق الفاضلة وإن كان رذيلاً اكتسب منه الاخلاق الرذيلة، وقد أشار إلى

(١) هكذا ورد الشعر في الكنى والألقاب (ج ٢، ص ٨٣):

يا خادم الجسم كما تسعى لخدمته
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان
وهي للشاعر أبي الفتح علي بن محمد المعروف بـ (جودة الشعر) وهذا البيت جزء من قصيدته النونية المشهورة المشتمة على الحكم والمواظ وقد أوردها الدميري في حياة الحيوان.

(٢) مصباح البلاغة (ج ٤، ١٦٧)، والامالي للمفيد (ص ٢٢٢)، وهو حديث لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) دراسات في علم الدراية (ص ١٥٧).

هذا الامام الزكي الحسن بن علي عليه السلام في وصيته لجنادة بن أمية: «إِنْ نازعت الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك»^(١)، وقال المتمثل:

عن المرأة لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن ينسب^(٢)

لأن الطبع الانساني برق اذا تكررت رؤيته لطبع اكتسبه، والحد في ذلك أن للإنسان قوى متعددة، فبعضها يميل الى الخير، وبعضها يميل الى الشرّ والردايل، ولا زالت هذه القوى في تنازع وجدال، وكلما تغلبت منها قوّة على النفس ولو قليلاً جذبت النفس الى طبعها وهواها؛ ولهذا ترى الانسان تارة يميل الى الطاعات وتارة يميل الى المعاصي.

ولارب أن المجالسة مع كلّ ذي صفة واستماع حكاياته وسيرته والنظر الى أفعاله يكون باعثاً لنشاط قوته المناسبة لذلك الفعل والسيرة؛ ولذا ترى المجالسين للأشرار في أغلب الأوقات، يكونون كتلاميذ استاذ واحد، أو مماليك رجل واحد، أو أمراء سلطان واحد، تكون أخلاقهم متلازمة وأوصافهم متشابهة؛ ولكن حيث إنّ أغلب قوى الانسان تميل الى الرذائل فالانسان يكون أكثر ميله الى الشر وميله الى الأخلاق الرذيلة أسهل من الميل الى الخيرات؛ ولذا قيل: إنّ تحصيل الملكات الفاضلة مثل من يصعد من الحضيض إلى الجوّ، ومثل من يكتسب الصفات الرذيلة مثل من ينزل من الأوج الى الحضيض. وقد أشار رسول الله ﷺ الى ذلك بقوله الشريف: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»^(٣)، يعني الوصول الى الجنة يستلزم تحمل المكاره والمشاق، ودخول النار يستلزم اللذات والشهوات النفسانية.

(١) الصواعق المحرقة (ص ٣٤١) وكفاية الأثر (٢٢٨).

(٢) أو يقتدي، وهو للشاعر عرطوفة أو بعدي؟؟ زيد العبادة (جامع البيان: ج ٥، ص ١٢٣).

(٣) المجازات النبوية (ص ٣٨٧) وروضة الواعظين (ص ٤٢١)، وصحيح مسلم (ج ٤، ص ٢١٧٤).

الشرط الثاني: المواظبة على الأعمال الصالحة وعلى أي حال، يمدد النفس على الأعمال كمن يريد أن يحافظ ملكة كي لا تزول منه كمن يريد أن يحافظ على ملكة الكرم إذا كانت فيه أو تحصيلها إذا لم تكن فيه، فيلزمه البذل على المستحقين بطريق العقل والشرع، وإذا مالت نفسه إلى البخل والإمساك يلومها ويعاتبها، ومن أراد أن ترسخ فيه صفة الشجاعة ينبغي أن يسعى في تحصيلها فيلزمه مباشرة الحرب وارتكاب الأهوال والخطر الذي يرتضيه العقل والشرع، وإذا تبين منه آثار الجبن يقهر نفسه ويزجرها.

والكرم منه غريزي ومنه اكتسابي، وكذلك الشجاعة منها ذاتي ومنها اكتسابي، وكل كريم لا يلزم أن يكون شجاعاً ولكن كل شجاع كريم.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

والدليل على ذلك أن من سخا بنفسه فهو بماله أسخى، فاجتمعت الخصلتان في أنصار الحسين عليه السلام فإنهم أعرضوا عن زهوة دنياهم وبذلوا لغيرهم وسخوا بأنفسهم في نصرة الحسين عليه السلام.

جادوا بأنفسهم في نصر سيدهم	والجود بالنفس أقصى غاية الجود
باعوا على الله ارواحاً مقدسة	وما رضوا غير دار الخلد اثماناً
بأبي من شروا لقاء حسين	بفراق النفوس والارواح ^(١)
قوم اذا نودوا لدفع ملة	والخيل بين مدعس ومكردس

(١) هذا البيت للشاعر العالم السيد رضا الهندي.

لبسوا القلوب على الله واقبلوا يتهافون على ذهاب الأنفس^(١)
ليتهم بعد ما أوفى اكلتهم ارسلوا نظرة وقاموا عجالا
الشرط الثالث:

من شروط تزكية النفس وتهذيب الاخلاق: أن يكون الانسان مراقباً لأحواله وأفعاله وأعماله، قبل الشروع في العمل يفكر فيه لئلا يصدر منه عمل مخالف لحسن الأخلاق. كمن يريد أن يكتب رسالة لا بد أن يفكر في عباراتها ومضامينها لئلا يكتب شيئاً يكون وبالاً عليه، لاسيما إذا أراد أن يكتب إلى الملوك والأكابر، فهكذا يراقب أعماله وأفعاله، وإذا بدت منه زلة يعاتب نفسه ويوبخها ويتحمل الأتعاب والمشاق في سبيل تهذيب أخلاقه، وليكن كمراقب من جهة السلطان يراقب أعمال العمال في كل وقت حذراً من الخيانة، لأن بخيانة العمال تتضعض أركان المملكة، وهكذا ينبغي أن يكون الانسان مراقباً لنفسه، وقد جاء في الحديث: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا**»^(٢).

وليزيق البدن ألم الطاعة كما أذاقه حلاوة المعصية، كما إذا تناول طعاماً لذيذاً حلواً غير أنه مخالف للصحة جالب للمرض، فعليه أن يبادر لتناول الدواء المر ويلزم الحمية لتعود إليه الصحة الجسمانية، وإذا صدر منه غضب في غير محله فليبادر للصبر على ما هو أشق من ذلك، أو يؤدب نفسه بما يهينها ويكسر سورتها، أو يتلافى ما صدر منه بالصدقة والتذر وما شاكل ذلك، ولا يغفل عن نفسه طرفة عين أبداً، باكتساب الأخلاق والصفات الحميدة حتى لو وجد نفسه متحلياً بالأخلاق الجميلة وقد تقدم

(١) وردت بعض هذه الآيات في ناسخ التواريخ (ج ٢، ص ٢٢٧)، ومعالي السبطين (ج ٢، ص ١٩)، ومقتل الحسين لأبي مخنف (ص ٢٢٣).

(٢) وسائل الشيعة (ج ١٦، ص ٩٩) ومصباح الشريعة (ص ٨٦).

فيها؛ لأن الغفلة توجب الكسل، وبسبب الكسل منقطع عند الفيض الالهي كعامل اذا عمل اعطي الاجرة واذا لم يعمل يعط اجره.

اقبل واطلب الخير ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسب

وقيل: من لم يكن في الزيادة فهو في النقصان. وليجتهد أن يقدم درجة ولا يتأخر درجة. وليجتهد أن يحصل كل يوم صفةً جديدة ويكتسب خلقاً جديداً؛ ليترقى في معارج الكمال والمعارف والسعادة، الى أن ينكشف عن بصيرته حجاب الطبيعة وبصيرة من أهل الكشف، ويكون فيه محل لأسرار الملك والملوك، ويتعدى من أمور الدنيا العارية، إلا بقدر الضرورة، ولا يسعى في أكثر من ذلك وأي عاقل يبيع السعادة بالشقاوة ويبيع هذه الجوهرة الثمينة بالخزق.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام الى ذلك في بعض خطبه يقول: «**بئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً ومما أعد الله لك عوضاً**»^(١). وكن كتلميذ مدرسة يسعى في ملاحظة دروسه اليومية واتقانها وحفظها، فاذا أصبح حصل على دروس أخرى، وبهذا يتقدم التلميذ ويرقى يوماً فيوماً الى بادي الامتحان النهائي فينال الشهادة النهائية، ولو شئت فقل (سيأتي فيك) فهناك يرى ان هذه الأنباب اذا توصف وحصل المعاش الرافي واذا تكاسل عن دروسه واشتغل باللهو واللعب تقهقر يوماً فيوماً عند الامتحان يكون صفرراً ولا ينال الشهادة من الاستاذ بل الخجالة والسقوط بين أقرانه، والندامة على ما فرط.

(١) نهج البلاغة (ج ١، ص ٧٨) وعيون الحكم والمواعظ (ص ٤٠٤).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

فالحاصل أن المحافظة على النفس والحفظ عليها بالرياضة تارة وبالمعاينة أخرى باعث لسعادة الانسان وتقدمه في الايمان واتباع هوى النفس باعث للخذلان واليكم مثالين عن واقعة الطف:

الأول: لما دعى ابن زياد عمر بن سعد لعنه الله وانتدبه لحرب الحسين عليه السلام قال: دعني افكر شهراً قال: لا افعل قال: دعني افكر هذه الليلة قال: قد فعلت فجعل ليلته يتقلب ويفكر في أمره، وأنشأ أبياته المذكورة:

**افكر في أمري وإني لحائر^(١)
أترك ملك الري والري منيتي
افكر في أمري على خطرين
أم ارجع مأثوماً بقتل حسين**

فكان عاقبة امره أن اتبع هواه ومناه وأثر دنياه على اخراه وخسر الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين.

وأما الثاني: هو الحر بن يزيد الرياحي حين رأى تصميم القوم على حرب الحسين، جعل يفكر في نفسه ويعاتبها ويخبر نفسه بين الجنة والنار واختار الجنة على النار، الى أن جاء ووقف أمام الحسين عليه السلام، وقال بعد أن سلم عليه وقبل الارض بين يديه، قال: سيدي إذن أن أكون أول قتيل بين يديك. فلما أذن له وبرز وجعل يفظ القوم، ويقول: مالكم دعوتهم هذا الرجل الصالح واحطتم به من كل جانب ومكان، ومنعتموه من الذهاب في أرض الله الواسعة... الى آخر خطابه، فأحاطوا به وبعد أن جاهد أتم

(١) في المصادر: فوالله ما أدري وأني لحائر أو لصادق (مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٨) واللهوف على قتل الطفوف: ص ١٩٣).

الجهاد نال درجة الشهادة، فلمّا مشى اليه الحسين عليه السلام رثاه بهذه الابيات، وقيل علي بن الحسين الأكبر:

لنعم الحر حر بني رياح صبور عند مشتبك الرماح
لنعم الحر إذ واسى حسيناً وجاد بنفسه عند الكفاح^(١)

الشرط الرابع:

في تهذيب الاخلاق ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٢) من عشق شيئاً أغشى بصره وأمراض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سمیعة.

أن يحترز الانسان من الامور التي تحرك قوة الشهوة والغضب، ويغض النظر عنها ويخبر زمن سماعها، ولا يرددها في فكره وخياله ويضبط قلبه عنها؛ لأنها إذا تصورها في فكره وخياله، أهاجت شهوته وغضبه وسرت إلى الأعضاء والجوارح؛ لأنّ التصور فيه أشدّ تأثيراً على الجوارح، والنظر لا يؤثر على الجوارح تأثيراً تاماً ما لم يكن ذلك الشيء مرتكزاً في فكره، والذي بهيج قوة شهوته وغضبه ولا يحافظ على حبسها وتسكينها كمن يطلق عن أسدٍ أو كلب مجنون أو فرس جموح وبعدها يحتاج الى التخلص من أذيته.

(١) وفي بعضها:

لنعم الحر حر بني رياح ونعم الحر مختلف الرماح
ونعم الحر إذ نادى حسيناً فجاد بنفسه عن الصباح

أمالى الصدوق (ص ٢٢٣) ومقتل أبي مخنف (ص ١٢٤) ونور العين في مشهد الحسين عليه السلام (ص ٤٥) وينايع المودة (ص ٤١٤)، وتسليمة المجالس وزينة المجالس (ج ٢، ص ٢٨٠).

(٢) الآية السادسة من سورة فاطر.

الشرط الخامس:

أن لاتخدعه نفسه بأن يحمل أعماله على الصحة، ولا يسعى في التجسس من عيوبه ويستقصيها استقصاءً تاماً بالدقة، بل اللازم عليه الفحص التام بالدقة وإذا وجد عيباً يسعى في اصلاحه؛ لأنّ كل نفس تطلب صفاتها إذ تكره فيها فهذا كل انسان يرى افعاله جميلة من حيث أنّها توافق ذوقه، وبدون الفحص والتعمق تنكشف له عيوب نفسه بل ان اغلب الناس لا يلتفتون الى عيوب أنفسهم، بل يلتفتون الى عيوب غيرهم، ولو دخلت في رجل أقل شوكة فهم يرونها، وربما يصيب أعينهم غصن شجرة ولا يلتفتون، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، فعلى طالب السعادة وسالك سبيل النجاة أن يتجسس ويتفحص عن عيوب نفسه من أصدقائه وأخصائه والملازم عليهم أن يوقفوه على عيوبه، والأحسن من هذا ان يخصّص ويتجنّب نفسه صديقاً خاصاً، ويتعاهد معه أن يكون مراقباً عليه، وكلّما يرى منه عيباً ينبّهه عليه، فإذا نبّهه ذلك الصديق بعيب من عيوبه فليفرح بذلك ويشكر منه، ويسعى للاصلاح ذلك العيب، لكن هذا الصديق عزيز الوجود، ولأنّ أغلب الاصدقاء لم يحبّذون أفعال الصديق ولا يظهرون عيوبه لأغراض لأهواء فاسدة وكم من أمر أو فعل يراه أهل النقد غلطاً وفاسداً، وهم يرونه صحيحاً صالحاً، وكم أمر يراه أهل النقد صحيحاً صالحاً وهم يرونه غلطاً فاسداً، طالما يندفع الانسان من عدوه في هذه الموارد أحسن من صديقه؛ لأنّ الصديق يكره اظهار معائب صديقه، والعدوّ همته اظهار معائب عدوّه كما قيل في المثل:

وعين الرضا عن كلّ عيب كليله كما أنّ عين السخط تبدي المساويا^(١)

(١) المفردات (ص ٣٣٠) أوزهر الآداب (ص ٨٥) وهو لعبدالله بن معاوية وذكره في الأغاني (ج ١٢).

والعاقِل من إذا سمع عيبه من عدوّه يتشكر منه ويبادر إلى إصلاحه، ومن الأمور النادرة في هذا الباب أن يجعل أفعال الناس برنامجاً لنفسه فما كان من أعمالهم قبيحاً فليره من نفسه قبيحاً، وما كان من أعمالهم حسناً، فليره من نفسه حسناً ولم تزل أعماله نصب نظره كدفتر منشور بين يديه يحاسب نفسه كل يوم وليلة، فإذا رأى عملاً حسناً يحمد الله على ما وقفه وإذا رأى زلة أو عملاً قبيحاً عاتب نفسه ولامها وتاب منه وأتاب إلى الله تعالى.

ومن الأمور النافعة في هذا الباب استماع الوعظ والحضور في مجالس الوعظ فإن الموعظة نافعة جداً كما جاء في الآية الشريفة: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) وفي الحديث: رب كلمة أحييت سامعها بعد الموت.

■ [التخلص الحسيني]:

ولهذا ترى رجال الدين لا ينفكون عن بعث الموعظة، والحسين بن علي عليه السلام:

لم ينقطع قط من إرسال خطبه حتى بها رأسه فوق السنان حكى
يتلو الكتاب وما سمعت بواعظ اتخذ القنا بدلاً عن الأعواد
يتلو الكتاب على السنان وإنما حملوا^(٢) به فوق السنان كتاب^(٣)

وكم اهتدى راهب بموعظة رأس الحسين من كربلاء إلى الشام، لاسيّما صاحب الدير الذي تركوا عنده رأس الحسين وحرمه، فلمّا جثّه اللّيل ورأى سقف البيت قد انشق، ورأى المشايخ الذين هبطوا من السماء إلى الرأس الشريف، يقبلونه ويبكون

(١) الآية ٥٥ من سورة الذاريات.

(٢) أو رفعوا.

(٣) وهي أبيات للسيد رضا بن السيد هاشم الهندي (أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٢٦).

عنده، ثم رأى التابوت الذي نزل، وفيه الخمس النسوة والمرأة اللابسة السواد، فجلسوا عند الرأس يقبلونه ويبكون عنده، فلمّا نظر ذلك عمد إلى الرأس وغسّله بماء الزعفران وتركه بين يديه وجعل يقول له: من أنت؟! وهو ينوح ويبكي، فتكلّم الرأس، وقال: ما تريد مني؟ قال: من أنت؟ قال: أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا المقتول بكر بلا، أنا الغريب العطشان، حتى قضى. فأسلم وحسّن اسلامه وأشرف على ابن سعد عند تسليم الرأس فقال له: بالله لاتصنع مع هذا الرأس مثلما كنت تصنع قبل (١).

لا يحصل السعادة إلا باصلاح جميع الصفات والقوى دائماً.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِئْسَ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (٢) فقد وعد الله تعالى السعداء بالخلود في الجنة والمراد بهذه الجنة، كما جاء في التفسير هي جنة البرزخ (٣)، من حين الموت الى يوم القيامة، وكذلك النار المذكورة في الآية المتقدمة على هذه الآية، وهي قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَبِئْسَ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (١٠٦) «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (٤)، وعن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام ما معناه: إنّ المراد بالجنة والنار في هذه الآية ولاية آل محمد ﷺ وولاية أعدائهم.

والغاية من الاستفتاح بهذه الآية الشريفة أنّ السعادة غايتها دخول الجنة، وجنة

(١) مدينة المعاجز (ج ٤، ص ١٢٧).

(٢) الآية ١٠٨ من سورة هود.

(٣) التفسير الأصفي (ج ١، ص ٥٥٥).

(٤) الآيتان ١٠٦ و ١٠٧ من سورة هود.

الدنيا يعني البرزخ مفتاح لدخول جنة الآخرة، وهو متصل بها لقوله عطاءً غير مجذوذ أي غير مقطوع عن نعيم جنة الآخرة بل متصل به.

فالسعادة لا تحصل إلا باصلاح جميع الصفات والقوى دائماً.

فلا تحصل باصلاح بعضها دون بعض، ووقتاً دون وقت، كما أنَّ الصحة الجسمية، وتدبير المنزل، وسياسة المدن، لا تحصل إلا باصلاح جميع الاعضاء والاشخاص والطوائف دائماً في جميع الأوقات، فالسعيد المطلق من أصلح جميع صفاته وافعاله على وجه الثبوت والدوام، بحيث لا يغيّره تغيير الاحوال والزمان، فلا يزول صبره بحدوث المصائب والفتن، ولا شكره بورود الغرائب والمحن، وبقينه بكثرة الشبهات، ولا رضاه بأعظم الكبات، ولا احسانه بكثرة الاساءة ولا صدقائه بالعداوة، وبالجمله لا تحصل التفاوت في حاله، ولو ورد عليه ماورد على أيوب النبي ﷺ لشهامه فانه ورسوخ اخلاقه وصفاته، وإن هو لم يبلغ هذا المقام فلا يأس من روح الله، ولا يترك السعي وكما قيل في المثل:

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا إن التشبه بالكرام فلاح^(١)

فقد ظهر ممّا ذكر أنّ من يجزع بورود المصائب الدنيوية، ويضطرب من الكدورات الطبيعية، ويدخل نفسه في معرض شماتة الأعداء، وترحم الأحياء، خارج عن زمرة السعداء؛ لضعف غريزته، وغلبة الجبن على طبيعته، وعدم تلبيته الى

(١) في بعض المصادر هكذا ورد البيت:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

نكلمة حاشية رد المحتار: ج ١، ص ٤١٧) وهو للشهاب السهروردي أو:

إن لم تكونوا منهم فتشبهوا إن التشبه بالكرام فلاح

(تفسير الآلوسي: ج ١، ص ٨٩).

الابتهاجات التي تدفع عن النفس ذلك، ومثله لو تكلف الصبر والرضا وتشبه ظاهراً بالسعداء لكان في الباطن متألماً، وهذا ليس سعادة واقعية، والسعادة الواقعية صيرورة جميع الأخلاق الفاضلة ملكات راسخة؛ بحيث لا تغيرها المغيرات ظاهراً وباطناً بلغنا الله وإياكم الى هذا المقام.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

وقد حاز هذه الصفات كلها وزاد عليها الحسين بن علي عليه السلام الذي لم يغيره فقد الأولاد والإخوة وأبناء أخيه وانصاره، وقد أحاطت به الأعداء من كل جانب ومكان، ثم العطش الذي حال بينه وبين السماء كالذخاں حيث قال السيد جعفر:

**وبقلبه الهم الذي لو بعضه بشير لم يثبت عليه ثبير
حزن على الدين الحنيف وغربة وظماً وفقد أحبة وهجير
وينظر أجسام الكرام على الثرى ضحايا وبالسحق الفواطم تنحب**

وقال الامام الحجة عليه السلام في زيارة الناحية: قد عجبت من صبرك ملائكة السموات فاحد قرايك من كل الجهات واثنونك بالجراح وحالوا بينك وبين الرواح ولم يبق لك ناصر وأنت محتسب صابر تذب عن نسوتك وأولادك حتى نكسوك عن جوادك فهويت الى الأرض جريحاً تطأك الخيول بحوافرها^(١).

قانون العلاج في الطب الروحاني للأمراض الروحانية

قد تبين أن للطب الروحاني أسوة بالطب الجسماني والقانون في معالجة

(١) الصحيفة الهادية والتحفة المهدية (ص ٢١٣).

الامراض الجسمانية، أن يعرف جنس المرض أولاً ثم الاسباب والعلامات، ثم يبين كيفية العلاج، والعلاج فيه إما كلي يتناول جميع الامراض أو جزئي يختص بمرض دون مرض، فكذلك الحال في الطب الروحاني ونحن نشير الى ذلك في مجالس متعدّدة.

طريقة معرفة الأمراض النفسانية

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:^(١)

الأمراض النفسانية هي انحرافات الأخلاق عن الاعتدال. وطريق معرفتها: أنك قد عرفت أنّ القوى الإنسانية محصورة في أنواع ثلاثة: (أحدها) قوة التمييز ويعبر عنها بالعتل، (ثانيها) قوة الغضب ويعبر عنها بقوة الدفع (وثالثها) قوة الشهوة ويعبر عنها بقوة الجذب.

وانحراف كلّ منها إما في الكميّة أو في الكيفيّة، والانحراف في الكميّة إمّا للزيادة من الاعتدال أو للنقصان عنه، والانحراف في الكيفيّة إنما يكون برداءتها فأمراض كلّ قوة إمّا بحسب الإفراط أو التفريط أو بحسب رداءة الكيفيّة.

فالإفراط في قوة التمييز: كالجرّيزة والدهاء عن حدّ النظر، والمبالغة في التنبّير (يعني البحث والتتبع)، والتوقف في غير موضعه للشبهة الراهنة والحكم عن المجرّدات بقوة الوهم، وإعمال الذهن في إدراك ما لا يمكن دركه، والتفريط فيه كالإفراط، وقصور النظر عن درك مقدار الواجب، كإجراء أحكام المحسوسات على المجرّدات، والرداءة كالسفسطة في الاعتقاد، والميل الى العلوم الغير اليقينيّة - كعلم

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ١٠٥).

الجدل والخلاف - أزيد مما يميل إلى اليقينيّات، والشوق إلى علم الكهانة والشعبذة وأمثالهما للوصول إلى الشهوات الخسيسة.

وأما الإفراط في قوة الدّفع: كشدة الغضب والغيط وفرط الانتقام بحيث يتشبه بالسّباع، وأما التفریط: كعدم الغيرة والحميّة والتشبه بالأطفال والنساء في الأخلاق والصفات.

وأما الرداءة فيها كالغيط على الجمادات والبهائم أو على الناس لا بسبب موجب للانتقام.

وأما الإفراط في قوّة الجذب: - يعني الشهوة - فكالحرص على الأكل والجماع أزيد من قدر الضرورة، والتفريط فيه: فكالتور عن تحصيل الأقوات الضرورية وتضييع العيال والخمود عن الشهوة حتّى ينقطع النسل. أما الرداءة فيها: كشهوة البطن والميل إلى مقارنة الذكور^(١).

في الحسد

وهو من رذائل الأخلاق المهلكات

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٢).

الحسد من أشد الأمراض النفسانية، وأصعبها وأساء الرذائل وأخبثها، ويؤدي بصاحبه إلى عقوبة الدّنيا وعذاب الآخرة؛ لأنّه في الدّنيا لا يخلو لحظة عن الحزن

(١) انتهى كلام العلامة النراقي في جامع السعادات (ج ١، ص ١٠٦).

(٢) الآية ٥٤ من سورة النساء.

والألم، إذ هو يتألم وكلّ نعمة يرى لغيره ونعم الله غير متناهية لا تنقطع عن عباده فيدوم حزنه وتألمه.

فوبال حسده يرجع الى نفسه ولا يضرّ المحسود أصلاً. بل يوجب ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث إنّه بعينه فيحمل بعضاً من أوزاره وعصيانه وتنقل صالحات أعماله الى ديوانه (أي ديوان المحسود).

فالحاسد يكون مضاداً لله تعالى اذ هو الذي افاض النعم على العباد كما شاء وأراد بمقتضى حكمته، والحاسد المسكين يريد زوالها، وهل هو عدم الرضا والسخط بقضاء الله وارادة خلاف ما أراد الله بل هو يريد نقصه سبحانه وعدم اقصائه بصفات الكمالية؛ إذ إفاضة النعم في أوقاتها اللاتقة على محالها المستعدة من صفاته الكمالية، التي عدمها نقص عليه تعالى، وقد ورد فيه الذم في القرآن المجيد كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً تَنْسُوهُمْ وَإِنْ تَتَّبِعُوا سَبِيلَهُمْ يَفْرَحُوا بِهَا﴾^(٢). وقال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»^(٣).

وقال ﷺ: «دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء. والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين»^(٤).

(١) الآية ١٠٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٢٠ من سورة آل عمران.

(٣) الكافي (ج ٨، ص ٤٥) والمجازات النبوية (ص ٢٥١) وعيون الحكم والمواعظ (ص ٥) وسنن ابن ماجه (ج ٢، ص ١٤٠٨) وسنن أبي داود (ج ٢، ص ٤٥٧).

(٤) المجازات النبوية (ص ١٧٨) وهذه استعارة والمراد بالحالقة هاهنا المبيدة المهلكة، أي: هذه الخلّة

[وعنه] عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا»^(١)، وقال عليه السلام: «كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر»^(٢) وقال الصادق عليه السلام: «آفة الدين الحسد والعجب والفخر»^(٣)، وقال عليه السلام: «إن المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط»^(٤) وقال عليه السلام: «الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم عليه السلام الاجتباء والهدى والرفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإن ميزان الحاسد أبداً خفيفٌ يثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم فماذا ينفع حسد الحاسد وماذا يضر المحسود الحسد. والحسد أصله من عمى القلب، والجحود بفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبله وهلك مهلك لا ينوح منه أبداً، ولا توبة للحاسد لأنه مصرّ عليه، معتقد به، مطبوع فيه، يبدو بلا معارض له، ولا سبب، والطبع لا يتغير عن الأصل وإن عولج»^(٥) وقال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ^(٦).

❦ المذمومة تهلك الدين وتستأصله كما تستأصل الموسيقى الشعر والمراقض الوبر كما في هامش مسائل علي ابن جعفر (ص ٣٣٧).

(١) المجموع للنووي (ج ٤، ص ٥٩٣) وأدب الدنيا والدين (ص ٢٦٠) والحديث بالنص الشيعي: «إنكم لا تدخلون الجنة حتى تحبوني، وكذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا يعني علياً عليه السلام» كما في الأمالي (ص ٣٤١).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٧).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٧).

(٤) وسائل الشيعة (ج ١٥، ص ٣٦٦).

(٥) مصباح الشريعة (ص ٣٣).

(٦) هذا النص وما يليه من جامع السعادات (ج ٢، ص ١٥١).

وعندنا أيضاً المنافسة والغبطة. المنافسة هي تمنّي ما للمغبوط، من غير أن يريد زواله عنه، وليست مذمومة، بل هي في الواجب واجبة وفي المندوب مندوبة، وفي المباح مباحة. قال الله: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (١).

والحسد المذموم له أربع مراتب:

الأولى: أن يحب زوال النعمة عن المحسود وإن لم تنتقل إليه وهذا أخبث المراتب [وأشدّها ذمّاً] (٢).

الثانية: أن يحب زوالها لرغبته في عينها، كرغبته في دار حسنة معينة، أو امرأة جميلة بعينها، ويحب زوالها من حيث توقف وصوله إليها عليه، لامن حيث تنعم غيره بها. ويدلّ على تحريم هذه المرتبة وذمها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (٣).

الثالثة: أن لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها، إلا أنه إن عجز عن مثلها أحبّ زوالها عنه، كيلا يظهر التفاوت بينهما، ومع ذلك لو خلّي وطبعه، اجتهد وسعى في زوالها.

الرابعة: كالثالثة، إلا أنه إن اقتدر على إزالتها منعه فاهر العقل أو غيره من السعي فيه، ولكنه يهتزّ ويرتاح به من غير كراهة من نفسه لذلك الارتياح.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

فمراتب الحاسد تختلف، فمنهم من يتظاهر بالحسد والعداوة، ومنهم من

(١) الآية ٢٦ من سورة المطففين.

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٥٣).

(٣) الآية ٣١ من سورة النساء.

تمنعه السياسة والعقل، ألا ترى معاوية لما أراد أن تتم البيعة لنفله يزيد، وعلم أنه لا يتم له البيعة إلا بإزالة الحسن بن علي عليه السلام من عالم الوجود، فمن دهائه ومكره لم يتظاهر بقتل الحسن عليه السلام علانية ولهذا دس له السم النقيع حتى قطع به أمعاءه ويزيد لعنه الله ما أراد البيعة من الحسين بن علي عليه السلام تجاهر بالحسد والعداوة حيث كتب للوليد أن خذ لي البيعة من الحسين فإن أبي فاضرب عنقه وليكن رأسه مع الكتاب.

بواعث الحسد

[قال العلامة النراقي رحمته الله] ^(١)

بواعث الحسد سبعة:

الأول: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله. فإنك تجد في زوايا العالم من يسر ويرتاح بابتلاء العباد بالبلايا والمحن، ويحزن من حسن حالهم وسعة عيشتهم، فمثله إذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم، وفوات مقاصدهم وتنقص عيشتهم، يجد من طبعه الخبيث فرحاً وانبساطاً، وإن لم يكن بينه وبينهم عداوة ولا رابطة، ولم يوجب ذلك تفاوتاً في حاله من وصوله إلى جاه أو مال أو غير ذلك. وإذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله وانتظام أموره، شق ذلك عليه، وإن لم يوجب ذلك نقصاً في شيء مما له. فهو يبخل بنعمة الله على عباده من دون قصد وغرض. ولا تصور انتقال النعمة إليه، فيكون ناشئاً عن خبث نفسه ورذالة طبعه. ولذا يعسر علاجه، لكونه مقتضى خبائث الجبلة، وما يقتضيه الطبع والجبلة تعسر إزالته، بخلاف ما يحدث من الأسباب العارضة.

الثاني: العداوة والبغضاء. وهي أشد أسبابه، إذ كل أحد إلا أوحدي من

المجاهدين إذا أصابت عدوّه بلية فرح بذلك، إمّا لظنّها مكافأة من الله لأجله، أو أنّه لحبه طبعاً ضعفه وهلاكه. ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك، لأنّه ضدّ مراده، وربما تصور لأجله أنّه لا منزلة له عند الله، حيث لم ينتقم من عدوّه وأنعم عليه، فيحزن لذلك.

الثالث: حبّ الرئاسة وطلب المال والجاه. فإن من غلب عليه حبّ التفرد والثناء، واستقره الفرح بما يمدح به من أنّه وحيد الدهر وفريد العصر في فنّه، من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو غير ذلك، لو سمع بنظيره في أقصى العالم ساءه ذلك، وارتاح بموته أو زوال النعمة التي يشاركه فيها، ليكون فائقاً على الكلّ في فنّه، ومتفرداً بالمدح والثناء في صفته.

الرابع: الخوف من فوت المقاصد. وذلك يختصّ بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كلّ واحد منهما يحسد صاحبه في وصوله هذا المقصود، طلباً للتفرد به كتحاسد الضرّات في مقاصد الزوجيّة، والأخوة في نيل المنزلة في قلب الأبوين توصلاً إلى مالهما، والتلامذة لأستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه، وندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة والكرامة عنده، والوعاظ والفقهاء المتزاحمين على أهل بلدة واحدة في نيل القبول والمال عندهم، إذا كان غرضهم ذلك.

الخامس: التعزز، وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه بعض أقرانه، ويعلم أنّه لو أصاب بعض النعم يستكبر عليه ويستصغره، وهو لا يطيق ذلك لعزّة نفسه، فيحسده لو أصاب تلك النعمة تعزّزاً لنفسه، فليس غرضه أن يتكبر، لأنّه قد رضي بمساواته، بل غرضه أن يرفع كبره.

السادس: التكبر، وهو أن يكون في طبعه الترفع على بعض الناس، ويتوقع منه الانقياد والمتابعة في مقاصده، فإذا نال بعض النعم خاف ألاّ يحتمل تكبره ويترفع عن خدمته، وربما أراد مساواته أو التفوّق عليه، فيعود مخدوماً بعد أن كان خادماً، فيحسده

في وصول النعمة لذلك. وقد كان حسد الكفار لرسول الله ﷺ من هذا القبيل [حيث] قالوا كيف يتقدم علينا غلام فقير يتيم؟ ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (١).

السابع: التعجب، وان يكون المحسود في نظر الحاسد حقيراً، والنعمة عظيمة، فيعجب من فوزه مثله بمثلها، فيحسده ويحبّ زوالها عنه، ومن هذا القبيل حسد الأمم لأنبيائهم، حيث قالوا: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (٢). وقالوا: ﴿أَنْزَلْنَاهُ عَلَى رَجُلٍ مِثْلِنَا﴾ (٣) ﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (٤) فتعجبوا من فوز هؤلاء ومن هو مثلهم برتبة الوحي والرسالة، وحسدوه بمجرد ذلك، من دون قصد تكبر أو رياسة أو عداوة أو غيرها من أسباب الحسد. وقد تجتمع هذه الأسباب أو أكثرها في شخص واحد، فيعظم لذلك حسده، وتقوى قوة لا يقدر معها على المجاملة فتظهر العداوة بالمكاشفة، وربما قوي الحسد بحيث يتمنى صاحبه أن يزول عن كل أحد ما يراه له من النعمة، وينتقل له (٥).

■ [التعقيب الحسيني]:

وهذه صفة خلفاء الامويين والعباسيين، سيما الرشيد الذي ملك شرقها وغرباً وبلغ من أمره اذا مرت سحابة يخاطبها امضي حيثما تمطري يأتي خراجك، معناه أنه

(١) الآية ٣١ من سورة الزخرف.

(٢) الآية ١٥ من سورة يس.

(٣) الآية ٤٨ من سورة المؤمنون.

(٤) الآية ٣٤ من سورة المؤمنون.

(٥) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٥٦).

ملك الدنيا فهو على هذا لم يقنع ولم يتركه الحسد أن يترك الإمام باب الحوائج منزوياً
 بعبد الله عز وجل؛ لما كان يبلغه من فضله وعلمه ومعاجزه حتى قصده في مدينة جدّه،
 وأمر بالقبض عليه، وهو قائم يصلي في روضة جدّه حتى هدموا صلاته، وأخذوه سحياً
 إليه، كما سحب جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، حتى سبّه، وجابهه بالكلام الغليظ، وقيده
 وسيره الى البصرة، ومن البصرة الى بغداد، ينقله من سجن الى سجن، وهو صابر
 محتسب، لأنه قال للإمام: إن لم توطن نفسك على السجن لم اترك له شيعة على وجه
 الأرض، فبقى يقاسي السجون الى أن ضاق الأمر بشيعتهم فاجتمعوا وقالوا نهجم على
 السجن ولو نستخرج الامام وقتلنا عن آخرنا، فقال بعضهم: أولاً نستأذن الامام في
 ذلك، فإن أذن لنا فعلنا فارسلوا خفية اليه فبعث اليهم اني بعد ثلاثة أيام اتلاقى معكم
 على جسر بغداد فلما صار اليوم الثالث اجتمعوا على الجسر، وإذا هم بجنازة تحمل
 على أربعة من الحمالين والمنادي ينادي: ألا ومن أراد التفرج الى آخر ^(١)....

علاج الحسد

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

لمّا علم أنّ الحسد من الأمراض المهلكة للنفوس، فاعلم أنّ أمراض النفوس
 لاتدأى إلا بالعلم والعمل. والعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنّه يضرّك في الدين

(١) مصادر هذه الحادثة: إثبات الوصية للمسعودي (١٦٩) وتاريخ الفخري (ص ١٩٦) والفصول المهمة
 (ص ٢٣٨) وعمدة الطالب (ص ١٩٦) ودلائل الإمامة (ص ١٤٨) وإعلام الوري (ص ١٨٠) ومناقب
 آل أبي طالب (ج ٢، ص ٣٨٣) والأنوار النعمانية (ص ١٢٧) وروضة الواعظين (ص ١٨٥) وأمالى
 الصدوق (ص ١٤٦) وعيون أخبار الرضا عليه السلام (ج ١، ص ٩٣) وبحار الأنوار (ج ٤٨، ص ٢٠٦) وغيبة
 الطوسي (ص ٢٤)، والتتمة في تواريخ الأئمة عليهم السلام (ص ١١٦) وغيرها.

والدنيا، ولا يضرّ محسودك فيهما، بل ينتفع به فيهما، ومهما عرفت ذلك عن بصيرة وتحقيق، ولم تكن عدو نفسك ولا صديق عدوك فارقت الحسد.

وأما أنه يضرّ بدنيك ويؤذي بك إلى عذاب الأبد وعقاب السرمد، فلما علمت من الآيات والأخبار الواردة في ذمه وعقوبة صاحبه، ولما عرفت من كون الحاسد ساخطاً لقضاء الله تعالى، وكارهاً لنعمه التي قسمها لعباده، ومنكراً لعدله الذي أجراه في ملكه. ومثل هذا السخط والانكار^(١)، والعناد لخالق العباد، كاد أن يزيل أصل التوحيد والإيمان فضلاً، عن الإضرار بهما. على أن الحسد يوجب الغش والعداوة بالمؤمن، وترك نصيحته وموالاته بل الحاسد يفارق أنبياء الله ورسله إلى آخر يتعلق بالحسد.

وأما أنه يضرّك في الدنيا، لأنك تتألم وتتعبّد بالحسد، ولا تزال في تعب وغم وكد وهم، إذ نعم الله لا تنقطع عن عباده ولا عن أعدائك، فأنت تتعبّد بكلّ نعمة تراها لهم، وتتألم بكلّ بلية تتصرف عنهم، فتبقى دائماً مغموماً محزوناً، ضيق النفس منشعب القلب، فأنت باختيارك تجرّ إلى نفسك ماتريد لأعدائك وما يريد أعداؤك لك، وما أعجب من العاقل أن يتعرض لسخط الله ومقته في الآجل، ودوام الضرر والأثم في العاجل فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى وفائدة.

وأما من إنه لا يضرّ الحسود في دينه ودنياه فظاهر، لأنّ النعمة لا تزول عنه بحسبك. إذ ما قدره الله من النعم على عباده لا بدّ أن يستمر إلى وقته، ولا ينفع التدبير والحيلة في دفعه، لا مانع لما أعطاه ولا راد لما اقضاه ﴿يَكُلْ أَجَلُ كِتَابٍ﴾^(٢) ﴿وَكُلْ شَيْءٍ مِنْ عِنْدِ بِمَقْدَارٍ﴾^(٣) ولو كانت النعم تزول بالحسد، لم تبق عليك وعلى كافة الخلق

(١) في المصدر: لا يحابه الضدية.

(٢) الآية ٤٠ من سورة الرعد.

(٣) الآية ٩ من سورة الرعد.

نعمة، لعدم خلوك وخلوهم من الحسد.

وإذا تصوّرت زوال النعمة عن محسودك بحسدك، وعدم زوالها عنك بحسده، لكنت أجهل الناس وأشدهم غباوة. نعم ربما صار حسدك منشأ لانتشار فضل المحسود، كما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وآخر:

وإذا سمعت مذمتي من حاسد فهي الشهادة لي بأنني فاضل

فاذا لم تزل نعمته بحسدك، لم يضره في الدنيا، ولا يكون عليه اثم في الآخرة. وأما إنه ينفعه في الدين، فذلك ظاهر من حيث كونه مظلوماً من جهتك لا سيما إذا انتهى بك الحسد الى ما لا ينبغي من القول والفعل، كالغيبة، والبهتان، وهتك ستره، وإفشاء سرّه، والقدح فيه، وذكر مساويه. فتحتمل بهذه الهدايا التي تهديها إليه بعضاً من أوزاره وعصيانه، وتنقل شطراً من حسناتك إلى ديوانه، فيلقاك يوم القيامة مفلساً محروماً عن الرحمة. كما كنت تلقاه في الدنيا محروماً عن النعمة فأضفت له نعمة إلى نعمة. ولنفسك نعمة إلى نعمة.

وأما إنه ينفعه في الدنيا، فهو إن أهم أغراض الناس مساءة الأعداء، وسوء حالهم، وكونهم متألّمين معذّبين. ولا عذاب أشدّ مما أنت فيه من ألم الحسد. فقد فعلت بنفسك ما هو غاية مراد حسادك في الدنيا. وإذا تأملت هذا، عرفت أنّ كلّ حاسد عدوّ نفسه وصديق عدوّه.

وأما العمل النافع في دفع الحسد: هو المواظبة على آثار النصيحة التي هي ضدّ الحسد، بأن يصمّم على أن يكلف نفسه بنقيض ما يقتضيه الحسد من قول وفعل، فإن لعبة الحسد على التكبر عليه، ألزم نفسه للتواضع له، وإن بعثه على غيبته والقدح فيه

كلّف نفسه المدح والثناء عليه، وهلمّ جرى. ومهما فعل ذلك عن تكلف ودوام عليه انقطعت عنه مادة الحسد بالتدريج، على أن المحسود إذا عرف منه ذلك طاب قلبه وأحبّه، وإذا ظهر حبّه للحاسد زال حسده وأحبّه أيضاً فتولد بينهما الموافقة وهذه هي المعالجة الكلية لمطلق مرض الحسد والعلاج النافع لكل نوع منه.

وقد فعل في الحاسد (لا يرضي الحاسد إلا بزوال نعمة المحسود) وقد تكون النعمة لاتزول إلا بزوال صاحبها، كالفضل والعلم والشرف فهو يسعى في هلاك المحسود إن قدر عليه، كسعي المنصور في الصادق عليه السلام، والرشيد بالكاظم عليه السلام، والمأمون بالرضا عليه السلام، والمعتصم بالجواد عليه السلام لما رأى من علمه على صغر سنه، وقد أفحم العلماء وأعجزهم بالسؤالات المشكّلة في الفقه.

وقد امتلأ قلبه منه غيظاً وحسداً، حتى دسّ لزوجته أم الفضل بنت المأمون فجرعته السم فقطعت أحشاءه، ومنعته الماء، حتى قضى ظامياً وتركته ثلاثة أيام إلى أن تحامت الشيعة واخذوا جنازته قهراً وغسلوه وشيعوه باجلال ودفنوه إلى أبيي من بقي ثلاثة أيام لغير غسل وكفن ما غسلوه ولا لفوه في كفن.

في الإيذاء والاهانة والاحتقار

من الأخلاق المذمومة بل المحرمة الإيذاء والاهانة والاحتقار [قال العلامة النراقي عليه السلام] ^(١): ولا ريب في كون ذلك في الغالب مترتباً على العداوة والحسد، وإن ترتب بعض أفرادها في بعض الأحيان على مجرد الطمع أو الحرص فيرجع إلى رداءة القوة الشهوية، أو على مجرد الغضب وسوء الخلق والكبر، وإن لم يكن حقد وحسد.

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٦٥).

وعلى أي تقدير لاشبهة في أَنَّ الإيذاء للمؤمن واحتقاره محرّم في الشريعة، موجب للهلاك الأبدى. قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ

أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾^(١) وقال رسول الله ﷺ: «من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والانجيل والزيور والفرقان»^(٢).

وفي خبر آخر: «عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٣).

وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»^(٤).

وقال ﷺ: «لا يحلّ للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة توذيه»^(٥).

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بالمؤمن من اتّمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم. والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخنله أو يفتابه أو يدفعه دفعة»^(٦).

وقال الصادق عليه السلام: «قال الله تعالى ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن»^(٧).

وقال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين المؤذون لأوليائي فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم العداوة وعاندوهم وعنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم إلى جهنم»^(٨).

(١) الآية ٥٨ من سورة الأحزاب.

(٢) جامع الأخبار (ص ١٤٧).

(٣) مستدرک الوسائل (ج ٩، ص ٩٩).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٢٣٣).

(٥) بغية الباحث (ص ٢٤٤) والمحجة البيضاء (ج ٣، ص ٣٥٩).

(٦) شرح أصول الكافي (ج ٩، ص ١٦٥).

(٧) عقاب الأعمال (ص ٢٣٠).

(٨) الكافي (ج ٢، ص ٣٥١).

وقال ﷺ: «قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: من أهان لي ولياً فقد أَرَصِدَ لمحاربتي وأنا أسرع شيء إلى نصرته أوليائي»^(١). إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب.

ومن عرف النسبة التي بين العلة والمعلول والربط الخاص بين الخالق والمخلوق يعلم أن إيذاء العباد وإهانتهم يرجع في الحقيقة إلى إيذاء الله وإهانتة وكفاه بذلك ذمّاً.

فيجب على العاقل أن يكون دائماً متذكراً لدم إيذاء المسلمين واحتقارهم ولمدح ضدهما من رفع الأذى عنهم وإكرامهم ويحافظ نفسه عن ارتكاب أذية المسلمين واحتقارهم.

كف الأذى عن المسلمين

وعلاج ذلك كف الأذى. [قال العلامة النراقي ﷺ]^(٢): لا ريب في فضيلة اضداد ما ذكر وفوائدها وكف الأذى عن المؤمنين والمسلمين وإكرامهم وتعظيمهم. والظواهر الواردة في مدح دفع الضرر وكف الأذى عن الناس كثيرة كقوله ﷺ: «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من يده ولسانه»^(٣)، وقوله ﷺ في حديث طويل أمر فيه بالفضائل: «فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تتصدق بها عن نفسك»^(٤).

(١) كتاب المؤمن (ص ٣٢).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٦٦).

(٣) كنز العمال (ج ١، ص ١٥١).

(٤) فيض القدير (ج ٢، ص ٤٥).

وقال عليه السلام: «رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»^(١)، وقال عليه السلام: «من زحزح من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب الله له به حسنة أو جبر له بها الجنة»^(٢).

وكذا الأخبار التي وردت في مدح اكرام المؤمن عظيمة كثيرة.
قال الصادق عليه السلام: «قال الله سبحانه ليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»^(٣).
وقال عليه السلام: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلفظه بها وفرج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك»^(٤). وقال الصادق عليه السلام: «من أخذ من عين أخيه المؤمن قذاة»^(٥) كتب الله عز وجل له عشر حسنات ومن تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة»^(٦). وقال عليه السلام: «من قال لأخيه مرحباً كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامة»^(٧). إلى غير ذلك من الأخبار.

ثم ينبغي تخصيص بعض الطبقات من الناس بزيادة التعظيم والاكرام، كأهل العلم والورع، لما ورد من الحث الأكيد في الأخبار على إكرامهم والاحسان إليهم، وكذا ينبغي تخصيص ذي الشبهة المسلم بزيادة التوقير والتكريم، لما ورد في ذلك من الأخبار:

(١) العهود المحمدية (ص ٤٩٨).

(٢) إحياء العلوم (ج ٢، ص ١٧٢).

(٣) عقاب الأعمال (ص ٢٣٠).

(٤) العقد الحسيني (ص ٨).

(٥) القذى ما يقع في العين فمن تراب أو تين أو وسخ أو غير ذلك وهو كل ما يؤذي المؤمن (شرح أصول

الكافي: ج ٩، ص ٩٧).

(٦) الكافي (ج ٢، ص ٢٠٥).

(٧) الكافي (ج ٢، ص ٢٠٥).

قال ﷺ: «من عرف فضل كبير لسنه^(١) فوقره آمنه الله تعالى من فزع يوم القيامة»^(٢)، وقال الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا»^(٣).

وكذا ينبغي تخصيص كريم القوم بزيادة الاكرام لقوله ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». وكذا تخصيص الذرية العلوية بزيادة الاكرام والتعظيم قال رسول الله ﷺ: «حقت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله»^(٤). وقال ﷺ: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»^(٥).

وقال ﷺ: «أكرموا أولادي الصالحون لله والطالحون لي»، وقال ﷺ: «أكرموا أولادي وحسنو آدابي»^(٦)، الى غير ذلك من الأخبار.

أقول: يا رسول الله قد خالفت الأمة وصاياك في أهل بيتك، أما ابنتك فاطمة فقد كسروا ضلعها واسقطوا جنينها وابن عمك قاده ملبياً الى [أن] قتلوه في محرابه ساجداً، والحسن قطعوا أحشاءه بالسم، والحسين ذبحوه ظامياً عطشاناً وجروا حرمة من بلد الى بلد، وهكذا الأئمة من ذريتك كلهم مضوا مسمومين فلهنفي عليهم ما قضى حتف أنفه كريم لهم إلا بسم وصارم.

(١) أولشيبته (المقتنع: ص ٢٩٩).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٦٥٨).

(٣) شرح الأخبار (ج ٢، ص ٤٨٨).

(٤) جامع الأخبار (ص ٣٩٣).

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: (ج ١، ص ٢٨).

(٦) جامع أحاديث الشيعة (ج ١٦، ص ١٩٢).

النميمة وهي قسم من الايذاء

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ خَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^(١).

النميمة تطلق في الأكثر على نقل كلام انسان الى آخر، كأن يقول له: تكلم فيك فلان كيت وكيت، وعلى هذا تكون نوعاً خاصاً من افشاء السر وهتك السر وهو الذي يتضمن فساداً أو سعاية.

وقد تطلق على كشف ما يكره كشفه، سواء كره المنقول عنه أو المنقول اليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو الكناية أو بالرمز والايماء، وسواء المنقول من الأعمال أو الأقوال، وسواء كان عيناً ونقصاناً على المنقول عنه أم لا.

وعلى هذا يكون باعثاً لافشاء السر وهتك السر وحينئذ فكلماً يرى من أحوال الناس ولم يرضوا بافشائها فأذاعه نميمة.

فاللزام على كل مسلم أن يسكت عن كل ما يطلع عليه من أحوال غيره؛ إلا إذا كان في حكايته نفع لمسلم أو دفع لمعصية.

كما إذا رأى أحداً يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاةً لحق المشهود له، وأما إذا رآه يخفي مالاً لنفسه فحكايته نميمة وافشاء السر.

ثم الباعث للنميمة يكون غالباً إرادة السوء بالمحكي عنه، فيكون داخلاً تحت الايذاء، وربما كان باعثه اظهار المحبة للمحكي إليه أو التفريح بالحديث أو الخوض في الفضول.

وعلى أي تقدير لا ريب في أن النميمة أرذل الأفعال القبيحة وأشفها، وما ورد في

(١) الآيتان ١٠ و ١١ من سورة القلم.

ذمّها من الآيات والأحاديث ما لا يحصى كثرة.

قال الله سبحانه في سورة القلم: ﴿هَمَزٌ مَشَاءٌ يَنْمِيهِ * مَتَاعٌ لِخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنْيَمِ * عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيَمِ﴾^(١) والزنيم هو ولد الزنا فيستفاد من الآية أن كل من يمشى بالنميمة فهو ولد زنا، وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٢) أي النمام المغتاب، وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»^(٣). وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بشراركم قالوا: بلى يا رسول الله. قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء المعاييب»^(٤).

وقال الباقر عليه السلام: «يحشر العبد يوم القيامة وما ندا دماً (أي ماسفك دماً) فيلقع الله شبه المحجمة، أو فوق ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يارب إنك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً، فيقول: بلى، سمعت من فلان رواية كذا وكذا، فرويتها عنه، فنقلت إلى فلان الجبار فقتله عليها. وهذا سهمك من دمه»^(٥).

وروي أنه أصاب بني اسرائيل قحط، فاستسقى موسى عليه السلام مَرَاتٍ، فما أجيب فأوحى الله تعالى اليه: إني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصرّ على النميمة، فقال: يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال: يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً فتابوا بأجمعهم فأسقوا^(٦).

(١) الآيتان ١١ - ١٣ من سورة القلم.

(٢) الآية الأولى من سورة الهزمة.

(٣) الترغيب والترهيب (ج ٣، ص ٤٩٥).

(٤) من لا يحضره الفقيه (ج ٤، ص ٢٧١).

(٥) أصول الكافي (ج ٢، ص ٣٧٠).

(٦) الجواهر السنية (ص ٧٨).

ومن عرف حقيقة النميمة يعلم أَنَّ النمام شرّ الناس وأخبثهم، كيف لا وهو لا ينفكّ من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغفل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١). والنامم منهم، وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع»^(٢) أي قاطع بين الناس والنامم قاطع بينهم.

نقل أَنَّ رجلاً باع عبداً فقال للمشتري مافيه عيب إلا النميمة، قال: رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياًماً، ثم قال لزوجة مولاه: إِنَّ زوجك لا يحبك، وهو يريد أن يتسرّى عليك، وأنا اسخّره لك في شعره، فقالت: كيف أقدر على أخذ شعره، فقال: إذا نام فخذني الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات، ثم قال للزوج: إِنَّ امرأتك اتخذت خليلاً، وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف، فتناوم فجاءته المرأة بالموسى، فظنَّ أنها تقتله، فقام فقتلها، فجاء أهلها وقتلوا الزوج، فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر بينهم^(٣).

أقول: هذه عادة جارية بين الناس أَنَّ من يقتل ظملاً وله عشيرة لا بد أن تثور في دمه وأخذ ثاره، ولا يتركون قاتله يمشي على وجه الأرض بعده كائناً من كان، وهناك قاعدة أخرى عند العرب أن من قتل ظملاً ولم يؤخذ بثأره، ينصب على قبره علم أسود علامة أنه لم يؤخذ ثاره.

أما ترى العلم الأسود يرفرف في قبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فلا يلبث ذاك العلم حتى يؤخذ بثأره، اذاً متى يا فرج الله يا صاحب العصر تخرج وتأخذ بثار جدك

(١) الآية ٢٧ من سورة البقرة.

(٢) جامع أحاديث الشيعة (ج ١٦، ص ٢٦٢).

(٣) بحار الأنوار (ج ٧٢، ص ٢٧٠).

الحسين المظلوم.

ماذا يهيجك أن صبرت الى آخر (١).

في الرياء وما يتعلق به من الذم

الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير، أو ما يدل عليه من الآثار فهو من أصناف الجاه إذ هو طلب المنزلة في القلوب بأي عمل اتفق.

والرياء طلب المنزلة بأداء خصال الخير أو ما يدل عليه.

أما خصال الخير كالصلاة والصوم والحج والصدقة وأمثال ذلك.

والمراد بالآثار الدالة على الخيرية هي كل فعل ليس في ذاته براً وخيراً وإنما تدل به على الخيرية. وهي إما متعلقة بالبدن كإظهار النحول والصفار ليستدل بهما على قلة الأكل أو الصوم وسهر الليل، ويوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة الخوف من الله ومن أهوال الآخرة. وكخفض الصوت يستدل به أن وقار الشرع الخيرية صوته. وقس عليها غير من الأمور المتعلقة بالبدن الدالة على الخيرية قصداً الى تحصيل المنزلة في قلوب الناس، وكل ذلك يضر بالدين ديناً في الورع واليقين. ولذا قال عيسى عليه السلام: «إذا صام أحدكم فليدهن ويرجل شعره ويكحل عينيه،

خوفاً من نزغ الشيطان بالرياء» (٢)، وهذه مراعاة أهل الدين بالبدن. وأما أهل الدنيا

(١) وهي أبيات من الشعر للسيد حيدر الحلبي يقول فيها:

لوقعت الطف الفضيعة
بأَمْضٍ من تلك الفجيعة

ماذا يهيجك إن صبرت
أترى تجيء فجیعة

(ديوان السيد حيدر الحلبي: ج ١، ص ٣٧).

(٢) التحفة السنية (ص ٧٦).

فيرأون في البدن باظهار السمن وصفاء اللون والنظافة وأمثال ذلك.

وأما مايتعلّق بالزي والهيئة كحلق الشارب وأطراف الرأس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء أثر السجود في الجبهة ولبس الصوف أو الثوب الخشن أو الأبيض وتعظيم العمامة ولبس الطيلسان، وأمثال ذلك، مما يدل على العلم والتقوى أو الانخلاع من الدنيا. والمراؤون من أهل الدّين بالزي واللباس على طبقات. منهم من يرى طلب المنزلة بالثياب الخشنة ومنهم من يرى بالثياب الفاخرة ومنهم من يرى بالوسخة ومنهم من يرى بالنظيفة وللناس فيما يعشقون مذاهب.

وأما أهل الدنيا فلا ريب أنهم يراؤون في اللباس بلبس الثياب النفيسة وركوب المراكب الرفيعة وأمثال ذلك.

وأما مايتعلّق بالقول والحركات كإظهار الغضب والأسف على المنكرات ومفارقة الناس للمعاصي، يستدل به على حمالية الدين وشدة اهتمامه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أنّ قلبه غير متأثر من ذلك، وكإرخاء الجفون وتنكيس الرأس عند الكلام، وإظهار الهدوء والسكون في المشي ليستدل بذلك على وقاره، ربّما أسرع المرائي في المشي الى حاجته، فإذا اطلع عليه واحد رجع الى الوقار خوفاً من أن يذهب الوقار فإذا غاب الوجل عاد الى العجلة.

أو متعلقة بغير ذلك كأن يتكلف أن يكثر الزائرون له والواردون عليه لاسيما من العلماء والعباد والأمرء ليقال: إنّ أهل الدين والعظماء يتبركون بزيارته.

ذم الرياء في الكتاب والسنة

الرياء من الكبائر الموبقة والمعاصي المهلكة، وقد تعاضدت الآيات والأخبار

في ذمه، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ •

الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ • وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ»^(١). وقال تعالى: ﴿يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٢)، وقال تعالى: ﴿كَأَلَيْدِي يُفِيقُ مَالَهُ رِقَاءَ النَّاسِ»^(٣) وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ». قالوا: وما الشرك الأصغر قال: الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة: للمرائين إذا جاز العباد بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون إليهم في الدنيا هل تجدون عندهم الجزاء. وقال ﷺ: «استعينوا بالله من جبّ الحزن»^(٤) قيل: وما هو يارسول الله ﷺ قال: «واد في جهنم أعد للقرء المرائين»^(٥).

وقال ﷺ: يقول الله تعالى من عمل عملاً أشرك فيه غيري لهو له كله، وأنا منه بريء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك^(٦). وقال ﷺ: لا يقبل الله تعالى عملاً فيه مثقال ذرة من رياء^(٧)، وقال ﷺ: «إِنَّ سِيرَ الرِّيَاءِ شُرْكٌ»^(٨)، وقال ﷺ: «إِنَّ الْمُرَائِيَّ يَنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا فَاجِرُ يَا غَادِرُ يَا مُرَائِي ضَلَّ عَمَلُكَ وَحَبِطَ أَجْرُكَ أَذْهَبَ فَخْذُ أَجْرِكَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ»^(٩).

وكان ﷺ يبكي فقليل له: ما يبكيك قال: إني أتخوف على أمتي الشرك أما إنهم

(١) الآيتان ٤ - ٧ من سورة الماعون.

(٢) الآية ١٤٢ من سورة النساء.

(٣) الآية ٢٦٤ من سورة البقرة.

(٤) أو الخزي كما في مصدر.

(٥) مستدرك الوسائل (ج ١، ص ١٠٧).

(٦) سبل السلام (ج ٤، ص ١٨٥) وبحار الأنوار (ج ١١، ص ٢٥٩).

(٧) مستدرك الوسائل (ج ١، ص ١١١).

(٨) تحف العقول (ص ٨٧) ونيل الأقطار (ج ٨، ص ٣٥).

(٩) مستدرك الوسائل (ج ١، ص ١٠٧).

لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكنهم يراؤون بالأعمال.
 أقول: إن كل العبادات ذات بشروط ولا تنبل إلا بشروطها، وقُلْ من يعمل بشروطها ويسلم من الرياء، إلا البكاء على مصيبة الحسين عليه السلام، فإنها خالية من الرياء لأن البكاء لا يكون إلا من تصور المصيبة وتأثر القلب بالحزن.
 قال الرضا عليه السلام لابن شبيب: يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء، فابك للحسين، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في شبيهه ^(١)، وقال عليه السلام: إن يوم الحسين أفرح جفوننا وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلا وأورثنا الكرب والبلاء ^(٢).

أتنقضي فداك حشي العالمين	خميص الحشاشة ظمائها
تريب المحيا تظن السماء	بأن على الأرض كبوانها
غريباً أرى يا غريب الطفوف	توسد خديك كئيبانها ^(٣)

في الرياء ونتائج الرياء

قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم، طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم، يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوفه، يعتمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم» ^(٤).
 وقال ﷺ: إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول

(١) أمالي الصدوق (ص ١٩٢).

(٢) مسند الامام الرضا عليه السلام (ج ٢، ص ٢٧).

(٣) ديوان السيد حيدر الحلي (ج ١، ص ٤٤).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٢٩٦).

الله عز وجل اجعلوها في سجين إنه ليس إيتاي أنا ربه (١).

وقال عليه السلام: إن الحفظة تصعد بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وجهاد وورع، ولها دويّ كدويّ الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك، فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بها العمل وجه صاحبه، اضربوا به جوارحه، اقللوا به على قلبه اني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي، إنه أراد بعمله غير الله، إنه أراد رفعة عند الفقهاء، وذكراً عند العلماء، وصيتاً في المدائن، أمرني أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي (٢).

وقال عليه السلام: وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى، وتشيعه ملائكة السماوات، حتى يقطع الحجب كلها الى الله، فيقفون به بين يديه، ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله. قال: فيقول الله تعالى لهم: أنتم الحفظة على عمل عبدي، وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري، فعليه لعنتي، فتقول الملائكة كلهم: عليه لعنتك ولعنتنا، وتقول السماوات كلها: عليه لعنة الله ولعنتنا ولعنة السماوات السبع ومن فيهن (٣).

وقال الباقر عليه السلام: «الابقاء على العمل أشد من العمل، قيل: وما الإبقاء على العمل، قاله يصل إلى الرجل بصلة، وينفق نفقة لله وحده لاشريك له؛ فتكتب له سرّاً ثم يذكرها، فتمحى فتكتب له علانية، ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء». وعن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

(١) الكافي (ج ٢، ص ٢٢٣).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٩١).

(٣) المصدر المتقدم.

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»^(١) قال الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه أحداً»^(٢).

أقسام الرياء

الرياء إما في العبادات أو في غيرها والأول يعني في العبادات حرام مطلقاً، وصاحبه ممقوت عند الله، وهو يبطل أصل العبادة، ولأن الأعمال بالنيات والمرائي لم يقصد الامتثال لأمر الله، بل قصد إدراك جاه أو مال أو غرض آخر من الأغراض فلا يكون ممثلاً لأمر الله خارجاً عن عبادة التكليف، ثم مع بطلان عمله وعبادته وعدم خروجه عن عهدة التكليف يكون له إثم على حدة لأجل الرياء، كما دلت الآيات والأخبار عليه، فيكون أسوأ حالاً ممن ترك العبادة رأساً، كيف؟ والمرائي بالعبادة جمع بين الاستهزاء بالله والتلبيس والمكر؛ لأنه خيل إلى الناس أنه مطيع لله من أهل الدين وليس كذلك كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: اتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذُرِيَّةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ^(٣).

وأما الرياء بغير العبادات فقد يكون مذموماً، وقد يكون مباحاً، وقد يكون مستحباً، وقد يكون واجباً، إذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وألا يفعل ما يعاب عليه، فلا يليق بذوي المروآت أن يرتكبوا الأمور الخسيسة بأنفسهم، عند معاهدة الناس وإن جاز لهم ذلك في الخلوة، ومن زين نفسه باللباس أو غيره في أعين الناس حذراً من لومهم واستثقالهم أو استقذارهم إياه كان ذلك مباحاً له، إذ الحذر من ألم الذم غير مذموم إلا أن ذلك يختلف باختلاف الأزمنة والبلاد والأشخاص من العباد، فربما

(١) الآية ١١٠ من سورة الكهف.

(٢) وسائل الشيعة (ج ١، ص ٥٢).

(٣) نهج البلاغة (ج ١، ص ٧٨).

كان بعض أقسام الرياء بغير العبادات بالنظر إلى وقت أو شخص أو بلد وغير مذموماً بالنظر [إلى وقت] إلى آخر كما جاء في المثل: إلبس لكل بلاد ما يلائمه... روي أن رسول الله ﷺ أراد يوماً أن يخرج على أصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له: وتفضل ذلك يا رسول الله ﷺ فقال: نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم^(١). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: يتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن هيئة^(٢)، وقال الصادق عليه السلام: الثوب النقي يكبت العدو^(٣). وروي: أنه عليه السلام نظر إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله فلما رآه الرجل استحيى منه، فقال عليه السلام: اشتريته لعيالك وحملته إليهم، أما لأحببت أن أشتري لعياله الشيء ثم أحمله إليهم^(٤) أراد عليه السلام لولا مخافة أن يعيبوه على ذلك لفعل مثل فعله، إلا أنه كان في زمان يعاب عليه بمثله فلم يجز له أن يفعل، ولما لم يكن ذلك ممّا يعاب عليه في زمن أمير المؤمنين عليه السلام كان يرتكبه وكان ذلك منقبة له وتعليماً للناس فظهر ارتكاب بعض الأمور وعدم ارتكاب بعض الأفعال قد يكون رياءً محبوباً وقد يكون رياءً مذموماً.

ألا ترى أن الحسين بن علي عليه السلام يوم عاشوراء عليه الملابس الفاخرة ولذا سلبها منه ومن جملتها التكة التي قطع الجمال يدب طرياً في نيلها والخاتم الذي قطع بجذل ابن سليم أم خنصره لأجله.

فلهفي على تلك الأنامل قطعت ولو أنها اتصلت لكانت أبحراً

(١) وسائل الشيعة (كتاب الصلاة، أبواب أحكام الملابس، الباب ٤).

(٢) الكافي (ج ٦، ص ٤٤٠).

(٣) مكارم الأخلاق (ص ١٠٣).

(٤) التحفة السنية (ص ٥٣).

وقال آخر عن لسان الجوزي:

قفوا ساعة بالنوق لاتركبونها وريضوا لمره بالطف خابت ظنونها
اشم أكفا فطقتها يد العدى فما خيرهم لو أنهم يدفنونها

أيضاً من أقسام الرياء

الرياء إمّا أن يكون مجرّداً عن قصد القربة والثواب بحيث لولا وانفرد صاحبه لترك العمل وهو أشدّ درجات الرياء وأعظمها إثماً. (الثاني) أن يكون قصد الرياء مع القربة والثواب فإن كان قصد القربة والثواب ضعيفاً، بحيث إنّ الرياء يرجّح عليهما بحيث لو لم يكن الرياء لم يبعثه قصد القربة والثواب على العمل ولو كان الرياء خالصاً لبعثه على العمل فهذا يكون قريباً ممّن عليه رياء محضاً.

(الثالث) أن يتساوى الرياء وقصد القربة والثواب بحيث لو كان كلّ واحد خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل [فالحق كونه] أيضاً مفسداً للعمل لما تضمّنته ظواهر الأحاديث كقوله عليه السلام: **إِنَّ أَدْنَى الرِّيَاءِ شُرْكٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ عَمَلًا فِيهِ رِيَاءٌ** مقدار مثقال ذرّة (١).

(الرابع) إن كان قصد القربة والثواب راجحاً على الرياء وأن يكون قصد الرياء وإطلاع الناس مرجحاً ومقوّياً لنشاطه، بحيث لو لم يكن الرياء لم يترك العمل، ولو كان قصد الرياء وحده لما استدام على العمل، (فالعلماء اختلفوا في ذلك) فبعضهم يقول إنّه لا يحبط أصل العمل والثواب بل ينقص من الثواب أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب.

(١) عيون الحكم والمواعظ (ص ١٤١).

وبعضهم يقول عمله فاسد لدخول الرياء فيه. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث علامات للمرائي ينشط إذا رأى الناس ويكسل إذا كان وحده ويحب أن يحمد على كل أموره (١).

(السرور بالإطّلاع على العبادة) من كان قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله فإذا اتفق أطّاع الناس على طاعته لا بأس بالسرور به، بأن يعتقد بأن الله أطّلعهم عليه وأظهر الجميل من حاله، فيستدلّ به على حسن صنع الله به، من حيث أنّ العبد ستر الطاعة والمعصية، والله تعالى بحسن صنعه أبقى معصيته على الستر وأظهر طاعته، فيكون فرحه بجميل نظر الله وفضله له، لا بمدح الناس وقيام المنزلة في قلوبهم، وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ قَبْدُكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (٢) فكأنّه ظهر له بظهور طاعته أنّه عند الله مقبول وفرح به، ومن حيث استدلاله بإظهار الله الجميل وستره القبيح في الدنيا إنّ ذلك يفعل به في الآخرة. وجاء في الدعاء: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» (٣) وقال رسول الله ﷺ: «ما ستر الله على عبده في الدنيا إلّا ستر الله عليه في الآخرة» (٤)، فالأوّل فرح بالقبول في الحال من غير التفات إلى المستقبل والثاني التفات إلى المستقبل. أو يفرح من حيث ظنّه رغبة المطلّعين عليه في الاقتداء به في الطاعات فيتضاعف بذلك أجره، إذ يكون له أجر السر بما قصده أولاً وأجر العلانية فيه بما أظهره آخراً، ومن اقتدى الناس به في الطاعة، فله أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء، أو يستتر من حيث طاعة المطيعين لله في مدحهم وحبهم للمطيع

(١) وسائل الشيعة (ج ١، ص ٥٤).

(٢) الآية ٥٨ من سورة يونس.

(٣) من أدعية الإمام السجاد عليه السلام تجده في الصحيفة السجادية (ص ٥٦٧) ومصباح المتجهد (ص ٧٠).

(٤) المستدرک للحاكم (ج ٤، ص ٣٨٤).

وميل قلوبهم إلى الطاعة، إذ من الناس من يمقت أهل الطاعة ويذمهم ويستهزئ بهم، فهذا النوع يحسن إيمانهم، وهذا أمر مسلم أنّ المؤمن إذا رأى أخاه المؤمن في طاعة يفرح ويمدح أخاه المؤمن، وإن كان ذلك الطائع لم يقصد بطاعته اطلاع أحد عليه، أو يتوقع المدح، والفاسق بالعكس يهزئ بالمؤمن إذا رآه يصلي.

أما ترى لما كان يوم عاشوراء وقتل الأكثر من أصحاب الحسين عليه السلام، قال له أبو تمامة الصيدادي ^(١) وحضر وقت الصلاة: صلّ بنا يا ابن رسول الله لعلنا نلقى الله بأداء فريضة، فقال له الحسين عليه السلام: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين لعمرى هذا أول وقتها، ثم التفت إلى ابن سعد قال له: يا ابن سعد أنسيت شرائع الإسلام ألا تكفّ عن الحرب حتى نصلي وتصلي بأصحابك ونعود إلى ما كنّا عليه، فكأنّه استحي ولم يجبه بشيء، وأجابه الحصين بن تميم ^(٢): صلّ يا حسين إنّ صلاتك لا تقبل، فأجابه حبيب بن مظاهر ^(٣): إن لم تقبل صلاة ابن بنت رسول الله تقبل صلاتك يا ابن الخمار ^(٤).

(١) والصحيح أبو تمامة الصائدي، وهو عمرو بن عبد الله بن كعب، وهو من شهداء الطف، قال عنه الشيخ القمي عليه السلام: كان من فرسان العرب ووجوه الشيعة، وكان بصيراً بالأسلحة، استعان به مسلم بن عقيل (الكنى والألقاب: ج ١، ص ٣٣) وقال السيد الخوئي عليه السلام في معجمه (ج ١٤، ص ٤٩) في حقه: وقد وقع التسليم عليه في زيارتي الناحية المقدسة والرجبية.

(٢) وكان من أشدّ الناس في قتال علي عليه السلام (الكامل: ج ٢، ص ٥٢٤).

(٣) قال الأردبيلي في حقه (بن الاسدي، قتل مع الحسين عليه السلام بكر بلاء وهو من السبعين الرجال الذين نصر والامام عليه السلام ولقوا جبال الحديد، واستقبلوا الرماح بصدورهم والسيوف بوجوههم، وهم يعرض عليهم الأمان والأموال فيأبون ويقولون: لا عذر لنا عند رسول الله ﷺ إن قتل الحسين ومناعين تطرف حتى قتلوا حوله (جامع الرواة: ج ١، ص ١٧٨).

(٤) تاريخ الطبري (ج ٥، ص ٤٣٩) ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (ج ٢، ص ١٦) والدمعة الساكبة (ج ٤، ص ٣٠١).

فقام الحسين يصلّي بأصحابه والسهام تتطاير كالشهاب، فقام سعيد^(١) أمام الحسين كلما جاء سهم للحسين استقبله بمهجته أو سيف تلقاه بيده إلى أن فرغ الحسين ﷺ من صلاته سقط سعيد على وجه الأرض وكان به رمق الحياة، فقال: سيدي هل وفيت بيعتك، قال: نعم وأنت أمامي في الجنة^(٢).

وقفوا يذرون سمر العوالي
عنه والنبل وقفة الأشباح
فوقه بيض الظباب لنحول الـ
سبيض والنبل بالوجوه الصباح
أدركو بالحسين أكبر عتد
فغدوا منى الطفوف أضحى

في قطع الرحم وما يتعلّق به

قطع الرحم وهو إيذاء ذي اللحمه والقربة، أو عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهية والثروة والخيرات الدنيوية مع احتياجهم إليه.

وباعته إمّا العداوة أو البخل، والخسة. فهو من رذائل القوة الغضبية أو الشهوية ولا رب في كونه من أعظم الملكات المفسدة للدنيا والدين. قال الله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٣) قال رسول الله ﷺ: «أبغض الأعمال إلى الله

(١) وهو سعيد بن عبد الله الحنفي، وهو من المستشهدين بين يدي الامام الحسين ﷺ في كربلاء وورد السلام عليه في الزيارة الخارجة من الناحية المقدسة وكذلك في الزيارة الرجبية (معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ٧٧).

(٢) المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة (ص ٣٤٠).

(٣) الآية ٢٧ من سورة الرعد.

الشرك بالله، ثم قطيعة الرحم، ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»^(١). وقال ﷺ: «لا تقطع رحماً»^(٢) وإن قطعتك»^(٣). وقال الله تعالى: «أنا الرحمن، وهذه الرحم»^(٤) شققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته»^(٥). وقال ﷺ: «حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة، فإذا مر الوصول للرحم المؤذي للأمانة نفذ إلى الجنة، وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعهما معه عمل وتكفأ به الصراط في النار»^(٦). وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: «أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء»^(٧). فقام إليه عبد الله بن الكوثر الشكري^(٨)، فقال: يا أمير المؤمنين أو تكون ذنوب تعجل الفناء، فقال: نعم، وملك قطيعة الرحم إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله، وإن أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أنقياء»^(٩)، وقال عليه السلام: «إذا قطعت الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار»^(١٠). وقال الإمام الباقر عليه السلام: «في كتاب علي عليه السلام ثلاث خصال لا يموت صاحبهن حتى يرى وبالهن: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز بها الله وإن أعجل

(١) الكافي (ج ٢، ص ٢٩٠).

(٢) أو لا تقطع رحمك كما في الكافي (ج ٢، ص ٣٤٧).

(٣) جامع أحاديث الشيعة (ج ١٦، ص ٢٥٧).

(٤) المقصود بالرحم هنا المطلوب وصله أهل البيت عليه السلام (المحضر: ص ٢٧٦).

(٥) الجواهر السنية (ص ١٧١).

(٦) الكافي (ج ٢، ص ١٥٢).

(٧) مصباح المنتهجد (ص ٥٧٢).

(٨) كان من رؤوساء الخوارج.

(٩) الدعوات للراوندي (ص ٦١).

(١٠) علل الشرائع (ج ٢، ص ٥٨٤).

الطاعات ثواباً لصلة الرحم، وإن القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتنمي أموالهم ويشرون وإن اليمين الكاذبة وقطع الرحم ليذران الديار بلاق من أهلها وتنقل الرحم، وإن نقل الرحم انقطاع النسل»^(١). وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض عمّاله «مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا»^(٢) وذلك أنّ التجاور يورث التزاحم على الحقوق. وذلك ربّما يورث التحاسد والتباغض وقطيعة الرحم كما هو المشاهد من أهل زماننا وليس الخبر كالمعاينة، وإذا لم يتجاوروا وبعدت ديارهم كان أقرب إلى التحاب.

ومثل القطيعة صلة الرحم وهو تشريك ذوي اللحمة والقربات بما ناله من الجاه وسائر خير الدنيا، وهو أعظم القربات وأفضل الطاعات قال الله سبحانه ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾^(٣) إلى آخر الآية وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٤) وقال رسول الله ﷺ «أوصي الشاهد من أمتي والغائب ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل رحمه. وإن كانت منه على مسيرة سنة فإنّ ذلك من الدين»^(٥). وقال عليه السلام

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام (ج ٢، ص ٦٠) عن الكافي (ج ٢، ص ٣٤٧).

(٢) هذا النص ورد في جامع السعادات (ج ٢، ص ١٩٩) وفي شرح نهج البلاغة (ج ٢٠، ص ٣٢٢) وردهذا النص ينبغي لذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا، وذكر عبد الرحمن البكري في كتاب: من حياة الخليفة عمر (ص ٥٣٩) أن هذا النص كتبه عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، وذلك نقلاً عن ابن عبد ربه الأندلسي.

(٣) الآية ٣٦ من سورة النساء.

(٤) الآية الأولى من سورة النساء.

(٥) الكافي (ج ٢، ص ١٥١).

«أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»^(١) وقال الصادق عليه السلام: «ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم فيقطع الله تعالى ثلاثين سنة ويجعل أجله ثلاث سنين»^(٢).

والمراد بالرحم الذي يحرم قطعه وتجب صلته هو مطلق القريب المعروف بالنسب، وإن بعدت النسبة وجاز بينهم النكاح، والمراد بقطيعته أن يؤذيه بالقول أو الفعل أو يكون شديد الاحتياج إلى مأكول أو ملبوس أو سكنى وهو يقدر على أكثر مما يحتاج إليه الرحم ويمنعه، أو أمكنه أن يدفع عنها ظملاً ولم يفعل، أو هاجره غيظاً وحقداً من دون أن يعود في مرضه أو يزوره عند القدوم من سفره، وأمثال ذلك فإن ذلك كله قطع الرحم وأضدادها صلة الرحم.

ولذا دعى الحسين عليه السلام على ابن سعد حين برز علي الأكبر، فالتفت وقال: قطع الله رحمك يا ابن سعد وسلط عليك من يذبحك على فراشك كما قطعت رحمي^(٣). ويقال لما أراد البراز علي الأكبر^(٤) قالت له أمه ليلى^(٥): بني لي معك حاجة قال ما هي؟

(١) أمالي الصدوق (ص ٧١١) ومسنند أحمد (ج ٣، ص ٤٣٨).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ١٥٢).

(٣) بحار الأنوار (ج ٥، ص ٤٣).

(٤) جواب الامام الحسين عليه السلام وقيل هو الامام زين العابدين / كما في السرائر (ج ١، ص ٦٥٥) وقيل هو

أول قتيل في كربلاء أخو الامام زين العابدين /.

(٥) ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، حضرت في كربلاء وشهدت الحادثة ونصرت الحسين

عليه السلام وقيل هي أم علي الأصغر (شرح أحقاق الحق: ج ٢٧، ص ٤٦٧).

قالت: تمشي بين أطناب^(١) الخيم لأتودّع من النظر إليك.

أكبر روان شده قدّت ببينم تو نوجواني داغت نبينم مادر روانم قدم.
وقل لهما قولاً كريماً

(عقوق الوالدين وهو أشد أنواع قطيعة الرحم)

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفَ وَلَا تُنْهَرُهُمَا﴾ - إلى قوله - ﴿أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢).

عقوق الوالدين وهو أشد أنواع قطيعة الرحم. إذ أخص الأرحام وأمسهما ما كان بالولادة، فيتضاعف تأكيد الحقّ فيهما، وما جرى في قطيعة الرحم فهو يجري في عقوق الوالدين من ذمّ لأنه أشد أنواع القطيعة وأقطعها، وقد وردت فيه آيات منها الآية المتقدمة وأحاديث كثيرة، قال رسول الله ﷺ: «يَا كُمْ وَقُطِيعَةُ الرَّحِمِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ تَوْجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ وَلَا يَجِدُهَا عَاقٌ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ، وَلَا شَيْخُ زَانٍ وَجَارُ إِزَارِهِ خِيَلًا» إنما الكبرياء لله رب العالمين^(٣)، وقال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مَسْخَطًا لِأَبُوهِ، أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى النَّارِ»^(٤)، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنْ أَبِيٌّ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ وَمَعَهُ ابْنُهُ يَمْشِي وَالْإِبْنُ مَتَكَّنٌ عَلَى ذِرَاعِ الْأَبِ، قَالَ: فَمَا كَلَّمَنِي أَبِي مَقْتًا حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا»^(٥) وقال الصادق عليه السلام: «مَنْ نَظَرَ إِلَى أَبِيهِ نَظَرَ مَاقَتْ وَهَمَا

(١) إشارة إلى الخيم المحكمة المشدود.

(٢) الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة الأسراء.

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٤٩).

(٤) كنز العمال (ج ١٦، ص ٤٧٨).

(٥) أصول الكافي (ج ٢، ص ٣٤٨).

ظالمان له لم تقبل له صلاة»^(١) وقال عليه السلام: «لو علم الله شيئاً هو أدنى من أف لنهى عنه وهو أدنى العقوق ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر إليهما»^(٢). وورد في بعض الأخبار القدسية: «بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو أنّ العاقّ لوالديه يعمل بأعمال الأنبياء جميعاً لم أقبلها منه»^(٣).

وروي أيضاً إنّ أوّل ما كتب الله في اللوح المحفوظ: أنا الله لا إله إلا أنا^(٤)، من رضي عنه والداه فأنا منه راض ومن سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط^(٥). وقد ورد عن رسول الله ﷺ كلّ المسلمين يروني يوم القيامة إلا عاقّ الوالدين وشارب الخمر ومن سمع اسمي ولم يصل عليّ^(٦).

ومن نتائج عقوق الوالدين ما جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام: وذلك أنّ شيخاً كبيراً جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ، والشيخ يبكي ويقول يا رسول الله ﷺ ابني هذا قد غذوته صغيراً وضمّيته طفلاً عزيزاً، وأغريته مالي كثيراً حتى اشتدّ أزره وقوى ظهره وكثر ماله، وفنيت قوّتي وذهب مالي عليه وصرت من الضعف إلى ما ترى فلا يواسيني بالقوت الممسك لرمقي، فقال رسول الله ﷺ للشابّ ما تقول، قال: يا رسول الله ﷺ لا فضل معي عن قوتي وقوت عيالي، فقال رسول الله ﷺ: ما تقول يا شيخ، قال: يا رسول الله ﷺ فإنّ له أنابير حنطة وشعير وتمر

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٤٩).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣٤٩).

(٣) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٠٢).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير (ج ٤، ص ٦١٧).

(٥) مستدرك الوسائل (ج ١٥، ص ١٧٦).

(٦) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٠٣).

وزيب وبدر^(١) الدراهم والدنانير وهو غني، فقال رسول الله ﷺ لابن: ما تقول، قال الابن: يا رسول الله ﷺ مالي شيء مما يقول، قال ﷺ: اتق الله يا فتى وأحسن إلى والدك المحسن إليك، يحسن الله إليك، قال: لا شيء لي، قال ﷺ: فنحن نعطيه عنك في هذا الشهر فأعطه أنت فيما بعده، وقال لأسامة اعط الشيخ مائة درهم نفقة شهر لنفسه وعياله ففعل، فلمّا كان رأس الشهر جاء الشيخ والغلام، وقال له الغلام: لا شيء لي، فقال رسول الله ﷺ: لك مال كثير ولكنك تمسي اليوم وأنت فقير وتصير أفقر من أبيك هذا لا شيء لك، فانصرف الشاب، فإذا جيران من أنابيره قد اجتمعوا عليه، يقولون: حوّل هذه الأنابير عنا فجاء إلى أنابيره، فإذا الحنطة والشعير والتمر والزبيب قد نتن جميعه وفسد وهلك، فأخذوه بتحويل ذاك عن جوارهم، فاكترى أجراء بأموال كثيرة فحوّلوا وأخرجوها بعيداً عن المدينة، ثم ذهب ليخرج إليهم الكرى من أكياسه التي فيها دراهمه ودنانيره فإذا طمست ومسخت حجارة، وأخذة الحمالون بالأجرة فباع ما كان له من كسوة وفرش ودار وأعطاهم في الكرى وخرج من ذاك كلّه صفرًا ثم بقي فقيرًا وتبراً لا يهتدي إلى قوت يومه فسقم لذلك جسده وضني، فقال رسول الله ﷺ: أيّها العاقون للآباء والأمّهات اعتبروا واعلموا أنّه كما طمس في الدنيا على أمواله فكذلك جعل بدل ما أعدّ له بالجنّة من الدرجات مصيراً له في النار دركات فهذا مآل عقوق الوالدين^(٢).

ولا يخفى كما إنّ للوالدين حقوق على الولد فكذلك للولد حقوق على الوالدين قال رسول الله ﷺ: «بَرُّوْا آبَانَكُمْ تَبَرِّكُمُ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعَقُّوْا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ

(١) أي الكيس الذي تضع فيه الدراهم.

(٢) بحار الأنوار (ج ١٧، ص ٢٧١).

تعف نساؤكم»^(١)، وقال ﷺ: «يلزم للوالدين من العقوق لولدهما إذا كان الولد صالحاً مؤمناً ما يلزم الولد لهما»^(٢) وفي حديث آخر «رحم الله والدين حملاً ولدهما على برهما، ولعن الله والدين حملاً ولدهما على عقوقهما»^(٣). وقال رسول الله ﷺ: «من حق الولد على والده ثلاثة يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجه إذا بلغ»^(٤).

أقول هذا منتهى أمل الوالد في الولد أن يراه عزيباً يزف إلى عرسه. بل يتمنى كل من الوالدين أن يعيش ابنهما ليكون عوناً وذخراً لهما في سن الكبر بل يتمنيان أن يكون الولد هو الحامل لتعشيهما حتى يواريهما في قبريهما. وأعظم المصيبة عليهما أن يفقدا ولدهما في سن الشباب، وأعظم من هذا عليهما إذا مضى ولم يقض وطراً من الدنيا قبل أن يتزوج هذا إذا قضى حتف أنفه، فكيف بهما لو نظراه قتيلاً ودمه مسيلاً، ساعد الله قلب أبي عبدالله عليه السلام حين وقف نعش ولده شبیه رسول الله ﷺ فرآه مبصعاً بالسيف إرباً إرباً، هناك نادى على الدنيا بعدك العفا يا شبیه المصطفى.

بنی قتلوک القوم لا همت إلینا	عليهم ولا زالوا بخطب مجدد
ونادی علی الأيام من بعدک العفی	ولا زال عیش الدهر حلف التنکد
أبدري جسام شق رأسک أنه	بضرِبته قد شق رأس محمد
بنی کنت أرجو حیث ألقاک ناشئاً	أزفک عزیباً لعرسک فی یدی
وکنت أرانی فی زفافک تنجلي	همومي وریب الدهر جنب مقصدي

(١) الكافي (ج ٥، ص ٥٥٤).

(٢) الكافي (ج ٦، ص ٤٨) والخصال (ص ٥٥).

(٣) من لا يحضره الفقيه (ج ٤، ص ٣٧٢).

(٤) روضة الواعظين (ص ٣٦٩).

(في برّ الوالدين)

في الجوامع عن رسول الله ﷺ قال: رغم أنفه ثلاث مرّات قالوا: من يا رسول الله ﷺ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ولم يدخل الجنة. وعن حذيفة أنه استأذن رسول الله ﷺ في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال: دعه يله غيرك.

قال الصادق عليه السلام: «بينما موسى بن عمران يناجي ربه إذ رأى رجلاً تحت ظل عرش الله فقال يا رب، من هذا الذي أظله عسرك؟ فقال: كان باراً بوالديه ولم يمش النسيمة».

قال رسول الله ﷺ: «رأيت في المنام رجلاً قد أتاه ملك الموت لقبض روحه فجاءه برّ والديه فمنعه منه».

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرأ أعان والده على بره رحم الله امرأ أعان ولده على بره رحم الله جاراً أعان جاره على بره ورحم الله رفيقاً أعان رفيقه على بره إلى آخره».

وقال الصادق عليه السلام: «من أحب أن يخفف عليه سكرات الموت فليكن لقرايته وصولاً وبوالديه باراً فإذا كان كذلك هون الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في الحياة فقر أبداً».

قال رسول الله ﷺ: «يقال للعاق اعمل ما شئت فاني لا أغفر لك ويقال للبار اعمل ما شئت فاني سأغفر لك».

وقال عليه السلام: «من بر والديه زاد الله في عمره».

(١) قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢) ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ (٣)، وقال رسول الله ﷺ: «بَرَّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله» (٤). وقال ﷺ: من أصبح مرضياً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة (٥)، وقال الصادق عليه السلام: إِنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ وقال: أوصني، قال: لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار وعدمت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان والديك فأطعهما وبرهما، حينئذ كانا أو ميتين وإن أمراك أن تخرج من مالك وأهلك فافعل: إِنَّ ذلك من الإيمان، وعن الصادق عليه السلام: جاء رجل وسأل النبي ﷺ عن بَرِّ الوالدين فقال ﷺ: أبرر أمك أبرر أمك أبرر أمك أبرر أباك أبرر أباك أبرر أباك (٦)، وقدّم الأم. وإنَّ الصادق عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ﷺ من أبر؟ قال: أمك، قال: فمن؟ قال: أمك، قال: فمن؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك (٧).

وأما رجل آخر وقال: إني رجل شاب نشيط وأحبَّ الجهاد، ولي والدته تكره ذلك، فقال له النبي ﷺ: ارجع فكن مع والدتك فوالذي بعثني بالحق لأنسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة (٨). قال رسول الله ﷺ فوق كلِّ بر حتى يقتل في

(١) التفسير الصافي (ج ٣، ص ١٨٥).

(٢) الآية ٢٤ من سورة بني إسرائيل.

(٣) الآية ٣٦ من سورة النساء.

(٤) التحفة السنية (ص ٣٢٩) وشرح رسالة الحقوق (ص ٥٧٦).

(٥) مستدرك الوسائل (ج ١٤، ص ١١٦).

(٦) الكافي (ج ١، ص ١٦٢).

(٧) سنن الترمذي (ج ٤، ص ٣٠٩) والكافي (ج ١، ص ١٥٩).

(٨) الكافي (ج ٢، ص ١٦٣).

سبيل الله، وفوق كلّ عقوف عقوف حتى يقتل الرجل أحد أبويه فليس فوقه عقوف^(١)
قال علي بن الحسين عليه السلام: حقّ أمك أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحدًا
وأعطتك ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحدًا ووقتكَ بجميع جوارحها ولم تبال أن تجوع
وتطعمك وتعطش وتسقيك وتعري وتكسوك وتضحى وتظلك وتهجر النوم
لأجلك ووقتكَ الحرّ والبرد لتكون لها فإنّك لا تطيق شكرها إلّا بعون الله وتوفيقه، وأمّا
حقّ أبيك فإن تعلم أنّه أصلك وأنت لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك
اعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوّة إلّا
بالله^(٢).

ومن قضايا البرّ بالوالدين قضية وردت في بعض التواريخ المعتمدة: أنّه كان
رجل يخاف من الموت وكان يحبّ طول البقاء في الدنيا، إلى أن بلغه أنّ البلدة الفلانية
هواها طيّب، وهي كثيرة الفواكه وسكّانها موصوفون بطول العمر وتحول من بلاده إلى
تلك البلاد وسكنها فلمّا أقام فيها ومضت عليه أيّام وتعارف مع أهلها رأى أكثر أهلها
طاعنين في السنّ، وتحقّق فيه ما قيل له: وكذلك عن الماء والهوى وحسن سيرة أهلها
وعدلهم، فأعجبه جميع ذلك أنّه رأى شباب البلد محزونين قد اعتراهم الذبول فبقي
متحيرًا لذلك إلى أن التقى بعض أهل البلد وسأل عن سرّ ذلك فقال له أنّ بيان هذا الحال
لا يتحقّق لك بالقول إلى أن تأتي معي حتى أوفّك على بعض المواضع حتى تعرف سرّ
هذا الذبول الذي تراه بشبان أهل هذه البلاد وإنّهم ليسوا كغيرهم من الشباب في اللهو
والطرب والعيش.

(١) الخصال (ص ٩).

(٢) روضة الواعظين (ص ٣٦٧).

فصاحبه صاحب البلد إلى منزله فلما دخل البيت رآه بيتاً عالياً طيب البناء وفيه من الفرش والظروف الثمينة والنعم الكثيرة ما حير عقله، ثم أدخل إلى حجرة فيها شيخ كبير السنّ ومن حيث ضعف البدن لكبره لا يستطيع الحركة وحوله شيوخ يحادثونه فسأله ذلك الرجل الغريب: من هذا، قال: هذا والدي، وعمره يقارب مائة سنة، ثم أخرجه من تلك الحجرة إلى غيره فرأى سريراً وعليه شخص نائم، وقد جعل له مساند في أطرافه لئلا يقع من السرير إلى الأرض، فلما دنى الغريب من ذلك الشيخ رأى أنّ أشفاره عينيه قد سقطت في عينه من الكبر وذقنه قد وضع على صدره من الكبر وظهره قد تقوّس وقد علا أنينه وصراخه وسعاله، فتقدم صاحب المنزل وسقاه ماءً ثم دنى من السرير وأخرج من تحته طعاماً فأطعمه ثم استخرج الطشت الذي وضع تحت السرير لأجل تغوطه وقد خرق السرير قبالة الطشت فألقى ما فيه من الأقدار ونظّفه وأعادته محلّه، ثم أنام ذلك الشيخ على علله وألحقه فسأله الغريب من هذا؟ قال: هذا جدّي أنتحب أن أريك إياه؟ فقال: وهل لهذا الشيخ والدي؟ قال: بلى أما جدي فعمره مائة وخمسون سنة ومع ذلك أبوه في قيد الحياة، فخرج من تلك الحجرة إلى غيرها ووقف بأزاه طرق في الحجرة وأنزل منه زنبيلاً فنظر فيه شيخاً قد صار من الكبر كالطفل الصغير في المهد وليس له شعور ولا إدراك ولا حركة إلا حركة جزئية فلمّا أحس بالحركة فتح فاه كالطير فأخذ صاحب المنزل يطعمه حريرة قد هيئت له بالملعقة ثم سقاه الماء واستخرج الكسافات التي كانت تحته ونظّف مكانه وبَدّل ثوابه وأعادته إلى محلّه في الزنبيل وعلّقه على الرفّ وغطّى عليه فسأل ذاك الغريب عن سبب التغطي، فقال: أخشى أن يأتي الفار ويأكل أنامله لأنّه ليس له شعور وحركة كاملة، ثم خرج إلى حجرة أخرى، وقد وضع فيها الطعام من أقسام الأطعمة والأشربة، فقال: صاحب

المنزل لصاحبه تفضّل كلّ فلمّا جلس على الخوان^(١) لم يستطع الأكل لما شاهد من تلك الأوضاع المضجرة، فألحّ عليه صاحب المنزل بالأكل فلم يأكل فسأله عن علّة امتناعه عن الأكل فقال: هو ما شاهدته من أحوال هذه الشيوخ، فقال له: هذه علّة حزن وذبول شباب هذه البلدة فلم يكن بيت إلّا وفيه أثنان وثلاثة من هذه الشيوخ أو أكثر، وهذه سيرة السلف مع آبائهم ولهذا وصفوا بطول العمر. وقد ثبت من الأخبار والتجربة إن دعاء الوالد على ولده إنّ بر على ولده لا يرد ويستجاب البتة. ودلّت الأخبار على أنّ من لا يترضى عنه أمّه تشتدّ عليه سكرات الموت وعذاب القبر^(٢)، وكفى للعقوق ذمّاً إنه ورد في الاسرائيليات^(٣) إنه تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: إنّ من برّ والديه وعقني كتبته براً، ومن برّني وعقّ والديه كتبته غاوياً^(٤).

في ظلم العباد

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(٥) وقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٦) وقال الشاعر:

لا تظلمن فإنّ الله مقتدر والظلم آخره ياتيك بالندم

(١) ما يوضع عليه الطعام ليؤكل وهو السفرة بالعمامية.

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٠٣).

(٣) القصص والأخبار الكاذبة التي دخلت في أحاديث المسلمين من أخبار اليهود.

(٤) اوكتب عاقاً كما في جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٠٣).

(٥) الآية ٤٢ من سورة ابراهيم.

(٦) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

تنام عيناك والمظلوم ساهرة عيناہ تدعو وعين الله لم تنم

اعلم أنَّ الظلم قد يراد به ما هو ضدّ العدالة وعلى التعديّ عن الوسط في أيّ شيء كان وهو جامع للردائل بأسرها، وهذا هو الظلم يأتي في الأعمّ وقد يطلق عليه الجور أيضاً. وقد يراد به إيرادان الإضرار والإيذاء بالغير وهو يتناول عن قتله وضربه وشتمه وقذفه وغيبته وأخذ ماله فهراً ونهباً وغصباً وسرقه وغير ذلك من الأقوال والأمثال المؤدية وهذا هو الظلم بالمعنى الأخصّ وهو المراد إذا أطلق في الآيات والأخبار وفي عرف الناس. وباعنه إن كانت العداوة والحسد يكون من ردائل القوة الغضبية، وإن كان الحرص والطمع في المال يكون ردائل القوة الشهوية، ومن أعظم المعاصي وأشدّها عذاباً باتفاق جميع الطوائف، وكفاه دماً أنه تعالى قال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١). وقال رسول الله ﷺ: إنّ أهون الخلق على الله من ولي أمر المسلمين فلم يعدل لهم^(٢). وقال ﷺ: جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من معاصي تسعين سنة^(٣)، وقال ﷺ: اتقوا الظلم فإنّه ظلمات يوم القيامة^(٤)، وقال علي بن الحسين عليه السلام لابنه أبي جعفر عليه السلام حين حضرته الوفاة: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلّا الله^(٥)، وقال عليه السلام: الظلم ثلاثة ظلم يغفره الله تعالى وظلم لا يغفره الله تعالى وظلم لا يدعه الله تعالى فأما الظلم الذي لا يغفره الله عزّ وجلّ فالشرك بالله، وأما الظلم الذي يغفره الله عزّ وجلّ فظلم

(١) الآية ٤٢ من سورة الشورى.

(٢) جامع الأخبار (ص ١٨٠).

(٣) شرح الأزهار (ج ٤، ص ٣٠٨).

(٤) المجموع (ج ٦، ص ٢٤٣) والكافي (ج ٢، ص ٣٣٢).

(٥) تحف العقول (ص ٢٤٦).

الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل، وأما الظلم الذي لا يدعه الله فالظلم بينه وبين العباد^(١).

(وضد الظلم العدل)

ومن قضايا العدل هي قضية سلطان محمود الغزنوي^(٢) وهي أنه أخذه مضجعه منه النوم ثلاثة من اليالي فلم تنم عيناه، فظل يتقلب في فراشه قلقاً أرقاً. فقال لنفسه لا بد أن يكون على بابي مظلوم يتظلم وهو الذي منع النوم من عيني فأمر الشرطة أن يتفهموا عن ذلك فلم يجدوا أحداً فعاد السلطان إلى مضجعه فلم يأت النوم فأمر الشرطة ثانية بالتجسس فلعلهم يجدوا متألماً فلم يجدوا إلى ثلاث مرات، وفي المرة الرابعة قام السلطان بنفسه وأخذ يطوف حول قصره إلى انتهى إلى المسجد ممّا يلي قصره قد بني هناك لصلاة الأمراء وغللمان السلطان، فسمع أنيناً ودعاءً من قلب محترق فدنى فإذا هو شخص ساجد يدعو الله بحرقة قلب فصاح به أيها المظلوم توقف من دعائك فإني قد حرّمت على نفسي النوم هذه الليلة لأجلك ولا تشكوني إلى فاطر السموات والأرضين فإني لم يعتزلي قرار في طلبك عن مظلّمتك.

فقال دخل بيتي ليلاً رجل ظالم وأخرجني مرة من بيعتي وقال من عبالي المحرم فأوصلت نفسي إلى باب السلطان وحيث لم أتصل به شكوت أمري إلى الله تعالى فلمّا سمع السلطان بذلك اشتعل قلبه ناراً من الغضب، وحيث إنّ ذلك الظالم لم يدرك في منزل الرجل تلك السابقة قال له متى جاء ذاك الرجل إلى بيتك فاتركه في بيتك

(١) عيون الحكم والمواعظ (ص ١٠٩).

(٢) المتوفى بين ٤٢١ و ٤٢٢ في ربيع الآخر وهو سلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي مؤسس السلسلة الغزنوية.

وبالسرعة أوصل نفسك إلى ثم أوصي الشرطة والحرس أنه متى جاء هذا الرجل في أي وقت كان في ليل أو نهار وأي يكون في نوم أو صلوه إلي وبعد مجيء ثلاث ليال عاد ذاك الظالم إلى بيت الرجل، فأسرع ذلك المسكين إلى بيت سلطان محمود فبادر السلطان بسرعة وأخذ معه أشياخه من الملازمين له وخاصته وقصد منزل ذاك المظلوم فأول ما وصل أمر أن يطفئ السراج ثم جرد السيف من غمده فضرب عنق ذاك الظالم، ثم طلب السراج ونظر في وجه ذاك المقتول، ثم سجد، فأخذ صاحب المنزل يطنب في الدعاء للسلطان، وسأله عن سبب إطفاء السراج والسجود، فأجابه: إني قد بلغني هذا الأمر ظننت أن هذا الأمر لا يجسر عليه إلا أحد أولادي ولم أظن أحداً غيرهم فاعل هذا، ولذا قصدت سياسته بنفسي وأول الغير لا يتجاسر على قتل ولدي ويعتذر، ولذا أطفئت السراج لئلا يكون بعض أولادي وتمنعني الرقة وسبب السجود هو أنني نظرت المقتول غير أولادي فسجدت شكراً حيث إن أحد أولادي لم يقتل، ولم يكن ارتكب هذا العمل الشنيع.

التخلص قضية موت طفلة الحسين في الشام القضية إلى آخر.

في الظلم

﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨﴾ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ

سَوَاطِعُ عَذَابٍ «١٣» إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ مُرْصِدٌ (١)

قال الإمام الصادق عليه السلام: المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة (٢)، وقال عليه السلام: ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلى الله (٣). فقال عليه السلام: من أكل مال أخيه ظلماً ولم يرده إليه أكل جذوة من النار يوم القيامة (٤). وقال عليه السلام: إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين أن ائت هذا الجبار فقل له: إني لم أستعملك على سفك الدماء، واتخاذ الأموال وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين فأني لم أدع ظلامتهم ولو كانوا كفاراً (٥)، وقال عليه السلام: إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم (٦)، ثم قال عليه السلام: من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به، أما إنه يحصد ابن آدم ما يزرع وليس يحصد أحد من المر حلواً ولا من الحلومراً (٧)، وقال عليه السلام: من ظلم سلط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو عقب عقبه (٨)، قال: فإن الله تعالى يقول: (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) (٩) وجاء في الحديث من خاف على عقب عقبه فليتنق الله.

(١) الآيات ١ - ١٤ من سورة الفجر.

(٢) عقاب الاعمال (ص ٢٦١).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٣١).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٣٣٣).

(٥) الكافي (ج ٢، ص ٣٣٣).

(٦) أو من دنيا: ثواب الأعمال (ص ٢٧٢).

(٧) الكافي (ج ٢، ص ٣٣٤).

(٨) الكافي (ج ٢، ص ٣٣٢).

(٩) الآية ٩ من سورة النساء.

والظاهر إنّ مؤاخذه الأولاد بظلم آبائهم إنّما هو في الأولاد الذين كانوا راضين بفعل آبائهم أو وصل إليهم أثر ظلمهم أي انتقل إليهم بعض أموال المظلومين. وقال بعض العلماء: الوجه في ذلك أنّ الدنيا دار مكافات وانتقام وإن كان بعض ذاك ممّا يؤخّر للأخرة، وفائدة ذلك أمّا بالنسبة إلى الظالم فإنه يردعه عن الظلم إذا سمع ذلك وأمّا بالنسبة إلى المظلوم فإنّه يستبشر بفعل الانتقام في الدنيا مع نيّله ثواب الظلم الواقع عليه في الآخرة.

وكثيراً ما يقع الانتقام من الظالم في دار الدنيا كأمر بما في المجلس السابق وإليك قرينة ذلك القضية: وذلك ما جاء من عدالة السلطان ملك شاه السلجوقي وهو أنّه كان يصطاد على نهر من الأنهر، وبعد ذلك مضى للاستراحة ساعةً، فجاء رجل من غلمانه المخصوصين فرأى بقرةً ترعى إلى جانب النهر فذبحها، واشتوى بعض لحمها، وكانت لعجوز ذات أيتام أربعة وكانت تعيشهم بلبن تلك البقرة، فلما رأت العجوز ذلك اشتعل قلبها وجداً وحسرة فأخذت مقنعتها على رأسها وجلست على قنطرة في طريق السلطان، فلما جاء السلطان قامت في وجهه، وقالت: يا ابن البيك أرسلنا إن لم تنتصف لي في القنطرة فأبني أشكوك على قنطرة الصراط وأنظّم منك فاختر لنفسك أي القنطرتين شئت. فداخلت السلطان الهيبة وارتعد ونزل عن مركوبه وقال: لا طاقة لي على قنطرة الصراط قولي أي ظلم صدر عليك، فحكّت له القصّة فتأثّر السلطان من ذلك، أولاً أمر بسياسة ذلك الغلام والظاهر أنّه أمر بقتله، ثمّ أمر للعجوز عوض تلك البقرة سبعين بقرة وبرواية مائتي بقرة من بقره الخاصّة، فلما مات ملك شاه جاءت تلك العجوز وجلست على قبره، وقالت يا ربّ كنت فقيرة فأغناني واليوم هو فقير فأغنه فراه بعض الصلحاء في المنام، فقال له: ما فعل الله بك، فقال: لولا دعاء العجوز لكنت أعذب بعذاب لو قسّم على جميع أهل الأرض أصابهم ذلك العذاب.

هذه امرأة من سائر الناس قامت أمام السلطان وتظلمت واستوفقت السلطان بل رجلته عن فرسه وارتعد من قولها فلم يبرح حتى انتقم لها وعوضها أضعافاً مضاعفة حتى أغناها من الفقر، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت تلك الخطبة الطويلة (١).
وتقول: ايها بني قيلة اغتصبتم ثراث أبي وانتم بمرأى مني. ومجمع تلبسكم الدعوة وتشملكم الجبن الخبرة وأنتم ذوو العدد والعدة والأداة والقوة وعندكم السلاح (٢).
والجنة توافيكم الدعوة فلا تجيبون وتأتيكم الصرخة فلا تغيبون (٣) إلى أن تكفأت إلى أمير المؤمنين بمقلة عبرى وكبد حرى وقالت له: يا ابن أبي طالب اشملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزلي نحلة أبي وبلغه ابني، لقد أجهد في خصامي وفي كلامي حتى حبسني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها وغضبت الجماعة دوني طرفها فلا دافع ولا مانع (٤).

(في البخل والشح)

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (٥)
وقال ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٦)، ومن الأخلاق

(١) المعروفة بالخطبة الفدكية.

(٢) دلائل الإمامة (ص ١٢٠).

(٣) وهذا مقطع آخر في الاحتجاج (ج ١، ص ١٤٠).

(٤) الاحتجاج (ج ١، ص ١٤٥).

(٥) الآية ٢٩ من سورة الإسراء.

(٦) الآية ٦٧ من سورة الفرقان.

المذمومة البخل، وهو الإمساك حيث ينبغي البذل، كما أنَّ الإسراف هو البذل حيث ينبغي الإمساك وكلاهما مذمومان، والمحمود هو الوسط وهو الجود والسخاء إذ لم يأمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقيله ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تسبسطها كل البسط.

فالجود وسط بين الاقتار والإسراف وبين البسط والقبض، وهو تقدير البذل والإمساك بقدر الواجب اللائق، ولا يكفي في تحقيق الجود والسخاء أن يفعل ذلك بالجوارح ما لم يكن قلبه طيباً غير منازع له فيه، فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه نازعة فهو متسخ وليس بسخي، بل ينبغي ألا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب أو ما ينبغي صرفه إليه. الكرم منه طبعي ومنه اكتسابي. أمّا الاكتسابي فما حصل بالمجالسة والمعاشرة للكرماء وهو التطيع. وأمّا الطبعي فهو الذاتي وهو كرم آل محمد ﷺ وبعض أفراد من البشر، مثل حاتم الطائي^(١) الذي طار صيته بالكرم وربما عرّض نفسه للقتل في سبيل الكرم، وقد حدث التاريخ عنه بقضايا، ومن عجائب ما حدّث عنه خبره: أنّه لما طار بيته بالكرم وجاء وحيد عصره بالسخا وصار محبوب القلوب محمود السجايا فحصل أفراد حسدوا حاتم على هذا الصيت، ولم يعلموا أنّ ذلك لم يحصل له إلا بالبذل والإيثار، وحيث أنّهم تقتصر من مسابقتة، أشاعوا عليه الأخبار الكاذبة ليلوثوا أذياله ويسقطوا محبّته من قلوب الناس، ولم يستطيعوا فزادهم ذلك غيظاً وحسداً، فأجمع دأبهم أن يزهقوا نفسه، ويزيلوه من صفة الوجود وكان أحد رؤساء العرب أشدّ الجميع حسداً لحاتم، دعى رجلاً من عشيرته وقال له سمعت أنّ في قبيلة طي رجل اسمه حاتم قد اشتهر

(١) الأملئ (ج ١، ص ٢٥).

صيته بالكرم وهو ليس كذلك فامض إلى قبيلته واسأل عنه واثني برأسه، حتى أنعم عليك بأنعام كثيرة، وإن قصرت في السعي سوف أعاقبك على ذلك، فمضى ذلك الرجل، يسأل عن قبيلة طي إلى أن وصل ليلاً، وكان متعباً وعليه غبار السفر ولم يدر أين يمضي وعند من يأوي وأين يقضي ليلته وممن يسأل البلوغ إلى غايته وكيف الوصول إليها وصار حائراً في أمره ينظر يميناً وشمالاً يريد دليلاً إلى أن وصل إلى شجرة فما مضيت إلا هنيئة إذا قد أقبل عليه رجل في ظلمة الليل فقام قائماً فلمّا دنى ذاك الرجل سلّم على هذا القادم وحيّاه وقال يفهم منك نزولك هنا بفناء القبيلة ليلاً أنك غريب، وعادتنا نحن أهل القبيلة إذا ورد علينا ضيف نكرمّه ونعزّه على أنفسنا، فإن لم يكن لك محلّ للنزول وأحببت النزول علينا هلمّ معي إلى منزلي وأقم مهما أحببت واطلب ما شئت وستكون أقرّ من العينين. فلمّا نظر ذاك الغريب إلى هذا الترحيب والإحسان صار ممنوناً وكان يتمنى ذلك من الله. فأجابه إلى ذلك ولكن قال له من أنت وما محلّك من أهل هذه القبيلة أرى منك كرمًا زائداً فأجابه أنا من أفراد هذه القبيلة وهذه الخصلة موجودة في جميع أهل هذه القبيلة ولم نر هذا الأمر فضيلة لنا فوق العادة بل نرى الإحسان وظيفه لنا ولسنا نمنّ على أحد بالإحسان، ولا نتباهى بذلك بل شاء الله لنا ذلك، فأجابه الضيف لا أستطيع شكرك ولكن لي حاجة في مجيئي هنا، فقطع كلامه وقال مهما تكن حاجتك إن كانت في اختياري وإمكاني فأنا أساعدك عليها ولا أستقر حتى أنجزها لك وأنت الآن متعب وارد من سفر وليس هذا وقت الحاجة، فتم هذه الليلة واحسب بيتي بيتك بل بيتي منزل لك وللقادمين عليّ من الاخوان، فلمّا وصلوا إلى المنزل قدّم الضيف في دخول المنزل وأنزله في أحسن حجرة وأنفحها أثاناً وجعلها في اختياره مع ما يلزم من وسائل الراحة، وهبأ له عشاءً نفيساً وقدّمه إليه وقدّم له أحسن فراش فلمّا أصبح جاء المضيف وسلّم على الضيف ومع كلّ ذلك الإكرام

اعتذر للضيف بالتقصير، فلمّا رأى الضيف هذا الإكرام تخلّله الخجل، ولم يستطع إظهار غايته المقصودة لأنّه جاء إلى قتل رجل من أهل هذه القبيلة، فكيف يظهر حاجه إلى رجل من أهل هذه القبيلة ولعلّه يواجه خطراً عظيماً، فمضى اليوم الأول ولم يظهر حاجته وكذلك اليوم الثاني والثالث والمضيّف يوماً فيوم يزيد في إكرام الضيف، ولم يظهر منه ملل وكسل للضيف، ولمّا كان اليوم الرابع أخذ الضيف يفكر في الإكرام تارة وتارة يفكر في حاجته، وإذا تركها وقع في التهلكة فدعى صاحب المنزل وتخلّله الخجل من جانب والخوف من جانب آخر، فقال بصوت ضعيف قد آن وقت إنجاز حاجتي، وأنا أطلب منك المساعدة هل تسعفني، فأجابه المضيّف: أنا قد أوعدتك بقضائها من أوّل ليلة مهما استطعت، فقال الضيف: حاجتي ليست عادية بل صعبة مشكلة لا أعلم هل تقدر عليها أم لا، فقال: مهما كانت فأنا حاضر لإنجازها من غير منّي منك عليك. بل أراها وظيفة أخلاقية، فقال الضيف: مع هذا الإحسان أتجاسر وأبدي حاجتي مهما كانت خطيرة وأرجو من كرمك أن تساعدني هل وجد في قبيلتكم من اسمه حاتم، فقال: نعم ما تريد منه؟ قال: بلغني أنه أسخى الناس هل هو كما بلغني، فقال: نعم الناس يقولون كذلك ولعلّ الناس قد بالغوا في وصفه، لأنّه لا يرى هذا من نفسه إلا أنه يرى ذلك ممن وظيفته وليس ذلك أمر فوق العادة يستحقّ عليه هذا الإطراء والشكر بل هو أمر وجداني وجد في كلّ إنسان إلى آخر كلامه.

فقال الضيف: نعم هذا نظر صاحبي في حاتم ويسر لي أنك وافقتنا في العقيدة في حاتم على أن حاتم رجل عادي ليس على شهرته.

فأجابه المضيّف، أنا لا أخالفك حيث إن ذلك خلاف شرط الضيافة إلا أنّي أقول لك من باب المباحثة أنّ هؤلاء الذين يحسدون حاتم على هذه الشهرة هلاًّ يمكنهم أن يعملوا هذا العمل الذي يفعل حاتم حتى تكون لهم الشهرة ويفوقوا على حاتم وينقاد

لهم حاتم، أليس هذه الطريقة أحسن، وهل يتصورون أن حاتم جاء من بطن أمه بهذا الكرم، أو أنهم يتصورون أن هذا مقام قد وظعوا له حاتم ولعل حاتم بفطرته وصفاء نيته سلك هذا المسلك في التفات إلى ما يعلم فأجاب الضيف نعم أتصور أن كذلك حيث أنك صادق وأنا المصدقك أصدقك غير أن سيدي قد بعثني في أمر، وقد وعدتني على المساعدة وأنا أطلب ذلك. قال المضيف: وما ذاك؟ حتى أنجزه لك، قال الضيف: غاية سيدي هي غايتي وليس إلا أن تساعدني على قتل حاتم هذا الذي ضاق منه صدر سيدي وأصحابه وأخذ رأسه إلى قبيلتي خلاصة. الأمر أنه نام المضيف وتناول سيفاً كان معلقاً هناك وطرحه أمام الضيف فلما نظر ذلك الضيف خاف خوفاً شديداً ورآه قد تغير لونه فظن أنه يقتله حيث طلب منه قتل رجل من قبيلته فبينما هو في اضطرابه ولم يدر ما يعمل وقد انسلت منه قوة الدفاع عن نفسه واعتزته الوحشة وإذا بالمضيف سل السيف من غمده ولزمه باليدين باحترام وأدب وتهوده ووضع أمام الضيف ومدّ عنقه وجلس أمام الضيف وبعد بضع دقائق قال يا أخا العرب ما انتظارك ولما لا تأخذ مرادك فأجابه بلسان ألكن ما غايتك أنا أريد رأس حاتم وأنت تمد رقبتك أمامي فأجابه أنا حاتم لا غيري.

في البخل والشح

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) وقال: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ أَلَهُمْ

(١) الآية ٣٧ من سورة النساء.

بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ .

البخل من ثمرات حب الدنيا وهو من خبائث الصفات ومن رذائل الأخلاق ولذا ورد في ذمهما ما يرد من الآيات والأخبار.

قال رسول الله ﷺ: إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم (٢) .

وقال ﷺ لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة.

وقال ﷺ: البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل وأدوى الداء البخل (٣) .

وقال ﷺ: الموبقات ثلاث شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (٤) .

وقال ﷺ: إن الله يبغض الشيخ الزاني والبخيل المئان والمعييل المختال (٥) ،

وقال ﷺ: الشح والإيمان لا يجتمعان في واحد (٦) . وقال ﷺ: خصلتان لا تجتمعان

في مؤمن البخل وسوء الخلق (٧) ، وقال ﷺ: لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا

جباناً (٨) . وروي أنه ﷺ: كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول

(١) الآية ١٨٠ من سورة آل عمران.

(٢) مستدرک سفينة البحار (ج ٥، ص ٣٧٤) والنص هكذا: «إياكم والشح، فإنه دعا للذين من قبلكم حتى سفكوا دماءهم، ودعاهم حتى قطعوا أرحامهم، ودعاهم حتى انتهكوا واستحلوا محارمهم».

(٣) العهود المحمدية (ص ٨٢٩).

(٤) الخصال (ج ١، ص ٤٢).

(٥) ليس في المصادر بهذا النص وإنما بذلك المضمون في تحف العقول (ص ٤٢) وغيره.

(٦) روضة الواعظين (٣٨٣).

(٧) معدن الجواهر (ص ٢٦).

(٨) كنز العمال (ج ٣، ص ٤٥٣).

بحرمة هذا البيت إلا غفرت ذنبي، قال رسول الله ﷺ: وما ذنبك صفه لي، قال: هو أعظم من أن أصفه لك، قال: ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون؟ قال: ذنبي يا رسول الله، قال ﷺ: ويحك ذنبك أعظم أم الجبال؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله ﷺ، قال ﷺ: ويحك فذنبك أعظم أم البحار؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال ﷺ: فذنبك أعظم أم السماوات؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله. قال ﷺ: ذنبك أعظم أم العرش؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال ﷺ: ذنبك أعظم أم الله؟ قال: بل الله أعظم وأعلى وأجل، قال: ويحك فصف لي ذنبك، قال: يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل يأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار، قال ﷺ: إليك عني لا تحرقني بئارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام وصليت ألفي عام وبكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لثيم لأكبك الله في النار. ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾^(١) وقال ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: سيأتي على الناس زمن عضوض بعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمن بذلك^(٤)، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْقُفْلَ بَيْنَكُمْ﴾^(٥)، وروي أنه ما من صباح إلا وقد وكل الله تعالى ملكين يناديان اللهم اجعل لكل ممسك تلفاً ولكل منفق خلفاً^(٦). والأخبار في ذم

(١) الآية ٣٨ من سورة محمد.

(٢) الآية ٩ من سورة الحشر.

(٣) الإصابة (ج ٦، ص ٤٤٤).

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام (ج ١، ص ٥٠).

(٥) الآية ٢٣٧ من سورة البقرة.

(٦) أمالي الصدوق (ص ١٠٢).

البخل أكثر من أن تحصي مع أنه يتضمن المفاسد الدنيوية والأخروية، فما يحكم به الوجدان ولا يحتاج إلى دليل وبرهان، حتى أنّ النظر إلى البخيل يقسي القلب وكان له صفاء سريرة يكذب قلبه ويظلم من ملاقاته وقد قيل أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه. ومن المكافات على العمل نقلاً عن بحار الأنوار وأواخر الجزء الخامس منه عن أبي حمزة الثمالي^(١): أنه كان فيما مضى من الزمان رجل من الأنبياء، وكان ذا مال ينفق منه على الضعفاء والمساكين والمحتاجين، فلمّا توفي قامت زوجته بذلك الإنفاق على ما كان ينفق زوجها وفي مدة قليلة نفذت تلك الأموال، وكان قد ترك ذاك الرجل الصالح طفلاً، فلمّا كبر كان كلّما يمرّ بأحد يترحم على أبيه ويدعو له أنه كان صالحاً، فجاء إلى أمّه وقال: ما كان يصنع والدي، أرى كلّما أمرّ بأحد يترحم على أبي ويدعولي، قالت: كان أبوك صالحاً وكان ذا مال ينفقه في سبيل الله على المحتاجين فلمّا توفي قمت أنا بتلك الوظيفة فنفدت تلك الأموال في مدّة قليلة، فقال: يا أمّاه إن كان ان سبب ذلك إن أبي كان يعمل للثواب وأنت عملت أمراً غير مشروع، قالت: لِمَ؟ قال: إن أبي كان ينفق من ماله وأنت أنفقت من غير مالك، فقالت: صدقت يا بني ولكنّي ما ظننت أنّك تؤاخذني بذلك، فقال لها: قد جعلتك في حلّ من ذلك، ولكن هل بقي من ذلك المال شيء أ جعله رأس مال لي، وأسترزق الله من فضله، عسى أن يوسّع الله حالي، فقالت: عندي مائة درهم، فقال: إذا بارك الله للإنسان يبارك وإن كان ماله قليلاً فأخذ المائة درهم وخرج في طلب الرزق، فوصل رجل حسن المنظر يلوح منه آثار الصلاح، وكان ميّناً مطروحاً في الطريق، فقال ذلك الشاب في نفسه: أيّ تجارة أحسن من أن آخذ هذ

(١) هو ثابت بن دينار (١٥٠ - ٧٦٧) من رجال الحديث الثقة، وورد في حقه من المعصومين عليه السلام انه

لقمان عصره وله كتب فيها: تفسير القرآن، وكاب الزهد، والنوادر، وغيرها.

الرجل الصالح وأغسله وأكفنه وأدفنه، فأنفق في جهازه ثمانين درهماً، فبقي منه عشرون درهماً، فمضى في طلب الرزق إلى أن وصل إلى رجل، فقال له: إلى أين تمضي يا عبدالله؟ قال: الشاب في طلب الرزق، فقال له: كم معك من الدراهم؟ قال: عشرون درهم، فقال له: وما عسى أن تبلغ منفعة عشرين درهم؟ فقال الشاب: إذا شاء الله أن يرزق فهو يرزق من القليل كثيراً، قال: صدقت ولكن لو أرشدتك إلى أمر هل تشركني فيما تربح على أن كلّمّا تربح لي النصف من ذلك، قال: نعم، فقال له: إنك ستصل في طريقك هذا إلى بيت يدعونك أهله الضيافة فكن ضيفهم، فإذا جلست في البيت سيأتيك الخادم بالطعام وسترى من الخادم قطعاً أسوداً، فقل له: بعني هذا القط وسيمنع عليك، فآلح عليه وسيتضجر، ويقول لك: أبيعك عشرين درهم فبادر وادفع إليه العشرين درهم، واشتر منه القط واذبحه واشور رأسه، وخذ مع القط، وتوجه إلى البلدة الفلانية، فإنّ ملكهم قد كفّ بصره، وقل: أنا أعالج السلطان ولا تخف من جماعة مقتولين، ستراهم في تلك البلدة قد صلبهم الملك؛ لأنهم عجزوا عن علاجه، فلا تخف من مشاهدتهم، وقل: أنا أعالج السلطان، وكلّمّا تطلب منه سيعطيك، وفي اليوم الأول أكحل عينه بمرود واحد من معّ ذلك القط، وسيظهر الأثر من يومه، فلو قال زدني ميلاً آخر لا تفعل، وفي اليوم الثاني أيضاً مروداً واحداً، وكذلك اليوم الثالث، فمضى ذلك الشاب إلى تلك البلدة وتضيّف واشترى القطّ بعشرين درهماً، ومضى إلى تلك البلدة، وأظهر المعالجة للسلطان، فأدخله عليه، فكحلّه في اليوم الأول، بمرود واحد من معّ القطّ فظهر الأثر، وفي اليوم الثاني ظهر النور قليلاً، وفي اليوم الثالث أبصر، فقال السلطان للشاب: لقد أصبح لك عليّ حقّ كثير لأنك رددت عليّ سلطنتي، فما أرى لك جزاءً إلا أن أزوّجك ابنتي وتكون صهري فقال الشاب: لي أم لا أستطيع مفارقتها فقال السلطان: تزوّج ابنتي وقم عندي مهما شئت، وإذا أردت الرجوع خذ ابنتي معك، ثمّ

عقد له السلطان على ابنته فمكث عنده سنة كاملة في نهاية العزة والاحترام، فلما عزم على الرجوع أصحابه السلطان من كل شيء من الخيل والجمال والبقر والغنم والظروف والأمتعة والذهب شيئاً كثيراً، فأخذ زوجته وتوجّه راجعاً إلى وطنه، إلى أن بلغ إلى الموضع الذي رأى فيه الرجل الذي أرشده فإذا هو جالس، فلما رآه الرجل، قال: لم لا وفيت بعهدك، فقال: اسمحني فيما مضى والآن أفاصمك ما معي فقسّم ما معه قسمتين وخيّر الرجل أن يأخذ أيّ قيمة شاء، فقال الرجل: المرأة من جملة الريح فأنا شريكك فيها، فقال الشاب: صدقت خذ جميع الأموال واترك لي الزوجة، فقال الرجل: لا أقبل المال وأريد حصّتي من المرأة فاستعدّ الشاب لإنجاز ذلك، ولعلّه أراد فراقها فلما رأى الرجل ذلك، قال: المال والمرأة لك وأنا ملك أرسلني الله إليك لأجازيك بعملك مع ذلك الرجل الميّت الذي رأيته في طريقك فهذا الجزاء لتجهيزه ذلك الرجل الصالح حيث هاجت غيرته لما نظره مطروحاً في الطريق لم يجهّز، وبذلك جُلّ ماله وتجهيزه أقول أما حصل أحد للحسين عليه السلام يجهّزه ويواريه عن رمضاء كربلاء.

في السخاء والجود

ضدّ البخل السخاء وقد عرفت معناه. وهو من ثمرة الزهد كما أنّ البخل من ثمرة حبّ الدنيا، فينبغي لكلّ سالك لطريق الآخرة أن يكون حاله القناعة، إن لم يكن له مال، والسخاء واصطناع المعروف إن كان له مال. ولا ريب في كون الجود والسخاء من شرائط الصفات ومعالي الأخلاق وهو أهل من أصول النجاة وأشهر أوصاف النبيين وأعرف أخلاق المرسلين، وما ورد في مدحه خارج عن حدّ الإحصاء، قال رسول

الله ﷻ: إن السخاء والإيمان في الجنة^(١)، وقال ﷻ: قال الله سبحانه إن هذا دين أرتضيته لنفسي ولا يصلحه إلا السخاء ومن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم^(٢)، وقال ﷻ: إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار^(٣). وقال ﷻ: تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر^(٤).

وقال ﷻ: «طعام الجواد دواء» وطعام البخيل داء.

وقال ﷻ: خلقتان يحبهما الله وهما حسن الخلق والسخاء^(٥)، وقال ﷻ: الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير، وإن الله تعالى يباهي بطاعم الطعام الملائكة^(٦). وقال ﷻ: إن الله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن تخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها إلى غيره^(٧)، وقال ﷻ: إن الله عز وجل جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى البلدة الجدة فيحييها ويحيي بها أهلها^(٨). وقال ﷻ: السخي محبوب في السماوات ومحبيب في الأرض، خلق من طينة عذبة، وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر، والبخيل مبغض في السماوات مبغض في

(١) مجموعة ورام (ج ١، ص ١٧٠).

(٢) مجمع الزوائد (ج ٨، ص ٢٠).

(٣) الكافي (ج ٤، ص ٤٠).

(٤) ميزان الحكمة (ج ٢، ص ١٢٧٨).

(٥) جاء هذا النص في جامع السعادات (ج ٢، ص ١١٣) أما في بقية المصادر: الشجاعة والسخاء (شرح

نهج البلاغة: ج ٣، ص ٢٨٨) أو السخاء والسماحة (الجامع الصغير: ج ١، ص ٦٠٥).

(٦) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٤٢٧) وتنبيه الخواطر (ج ١، ص ١٧١).

(٧) بحار الأنوار (ج ٧٥، ص ٧٩).

(٨) كتاب الزهد (ص ٣٢).

الأرض، خلق من طينة سبخة وخلق ماء عينيه من العوسج^(١).

فالسخي هو الذي يؤدي واجب الشرع وواجب المروءة والعادة جميعاً، فإن منع واحداً منها فهو بخيل، وإن منع واجب الشرع فهو أبخل، والواجب بذله شرعاً مضبوط معين من الزكاة والخمس والإنفاق على أهله وعياله على قدر احتياجهم، فمن أدى ذلك فقد أدى الواجب الشرعي، ويستحقّ منهم السخاء شرعاً إذا كان أداءه من طيبة نفس من دون أن يشق عليه، إذا لوشق عليه كان بخيلاً بالطبع وسخياً بلا تكلف. وأمّا ما يجب مروءة فهو ترك المضايقة في بذل ما يستقبح المضايقة فيه عرفاً وهو يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص.

ثم إن من يؤدي الواجب ويحفظ العادة والمروءة، ولكن له مال كثير قد جمعه لا يصرفه إلى المحتاجين ولا ينفقه في العدل، فإنّ المستحبّة ليكون أوعده على نوائب الزمان، فهذا الشخص وإن لم يكن بخيلاً عند عوامّ الخلق، ولكنه بخيل عند أهل الفطنة والكياسة؛ إذ التبري عن البخل والاتّصاف بصفات الجود والسخاء، لا يتحقّق عندهم ما لم يبذل زيادة على قدر واجب الشرع وواجب المروءة والعادة اللاتقة به لطلب الفضيلة والثواب، وينل الدرجات في الآخرة، وتختلف لهذه الزيادة باختلاف مقدار ماله، وباختلاف حاجة المحتاجين إليه وصلاحتهم وورعهم، فاتّصافه بالجود بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير، وتختلف درجات ذلك فاصطناع المعروف أمر وراء ما توجبه العادة والمروءة، وهو الجود بشرط أن يكون عن طيبة من النفس ولا يكون لأجل غرض من خدمة أو مدح وثناء؛ إذ من يبذل المال بعوض المدح والثناء أو غيره فليس بجواد، بل هو يتّاع يشتري المدح بماله؛ لكون المدح ألذّ عنده من المال.

(١) الكافي (ج ٤، ص ٣٩) والعوسج هو الشوك.

قال رسول الله ﷺ: لا تزال أمتي بخير ما تحابوا وأدوا الأمانة واجتنبوا الحرام وأقروا الضيف وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين^(١).

[وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: سئل النبي ﷺ: [سئل يا نبي الله أفي المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم على المسلم أن يطعم الجائع إذا سأله ويكسو العاري إذا سأله، قيل: إنه يخاف أن يكون كاذباً، قال: أفلا يخاف صدقه^(٢). قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بقوم خيراً أهدى لهم هدية، قالوا: ما تلك الهدية قال الضيف ينزل برزقه ويرتحل بذنوب أهل البيت^(٣)] [وقال ﷺ: كل بيت لا يدخل فيه ضيف لا تدخله الملائكة^(٤)] [وعنه ﷺ]: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه^(٥).

واليكم نبذة من كرم رسول الله ﷺ:

لما جيء بسبايا طي إلى المدينة، وأدخل السبي على النبي ﷺ دخلت سفانة بنت حاتم الطائي^(٦)، فعجب الحاضرون من حسنها وجمالها، فلما تكلمت نسوا حسنها وجمالها، لعذوبة منطقتها، قالت: أي محمد مات الوالد وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي الأعداء وأحياء العرب؛ فأني ابنة سيد قوم، وإن أبي كان يحب مكارم أخلاق وكان يطعم الجائع ويفك الفاني ويكسو العاري وما أتاه طالب حاجة إلا وردّه بها. فقال النبي ﷺ: يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً لو كان أبوك

(١) مسند زيد بن علي (ص ٤٥).

(٢) جامع الأخبار (ص ١٥٨).

(٣) مستدرک الوسائل (ج ١٦، ص ٢٥٨).

(٤) جامع الأخبار (ص ١٥٨).

(٥) المحلى (ج ٩، ص ١٧٤).

(٦) معنى السفانة اللؤلؤة، وهي البنت التي يكنى بها أبيها وهي أخت عدي أحد أصحاب الأمير عليه السلام.

مسلماً لترحمنا عليه، ثم قال النبي ﷺ: أطلقوها كرامة لأبيها^(١)، قالت أنا ومن معي، قال النبي ﷺ: أطلقوا من معها كرامة لها، ثم قال ﷺ: ارحموا ثلاثاً وحقاً لهم أن يرحموا عزيزاً ذلّ من بعد عزّه وغنياً افتقر من بعد غناه وعالمأ ضاع ما بين الجهال. وقال [يزيد] لأُمّ كلثوم^(٢): يا أُمّ كلثوم خذي هذه الأموال عوض ما أصابكم، فقالت: ما أغلظ جلدة وجهك يا يزيد تقتل أخي الحسين وتعوضنا عنه مالا^(٣)..... ومن البذل للشهرة والمدح بذل يزيد لعنه الله وذلك حين صبّت الأموال على نطاع.....

ثمّ قالت: سفانة: يا رسول الله أتأذن لي بالدعاء لك، قال: نعم، فقال: اسمعوا دعوى ما تقول، فقالت: أصاب الله بيدك موافقه، ولا جعل لك إلى لثيم حاجة، ولا سلب نعمة من كريم قوم إلاّ جعلك سبباً لردّها، فقال النبي ﷺ: آمين، ثمّ أمر النبي ﷺ لها بإبل وغنم سدّت ما بين الجبلين، فعجبت من ذلك، وقالت: يا رسول الله ﷺ هذا عطاء من لا يخاف الفقر، فقال: هكذا أدبني ربّي، ثمّ قالت: أتأذن لي بالذهاب إلى منازلتي، قال النبي ﷺ: لا، أنت في ضيافتي إلى أن يأتي من بني عمّك من تثقين به، فمكثت في ضيافة النبي ﷺ إلى أن أقبلت ذات يوم، وقالت: يا رسول الله ﷺ أقبل من بني عمّي من أثق به، فأمر النبي ﷺ أن يهيئوا لها هودجاً جعل غشائه خرّاً مبطناً، وسيّرها النبي ﷺ مع بني عمومته، وكانت طول طريقها كلّما رفعت رأسها رأت السيف

(١) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٤٠٠).

(٢) بنت أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام ويقال لها (أم كلثوم الصغرى) ولها مواقف كثيرة في حر كثر بلاء (مثير الأحرار ص ٦٨) وقال البعض (الشيخ حرزالمشهداني: مقتل أمري المؤمنين) أنام كلثوم هي زينب عليها السلام.

(٣) بحار الأنوار (ج ٤٥، ص ١٩٧).

مسلولة في حراستها^(١).

وزينب بنت علي لما سارت إلى الشام كلما أخرجت رأسها من المحمل رأت رأس أخيها الحسين ورؤوس اخوتها على أطراف الرماح، وتنظر يمينا وشمالاً لا ترى إلا قاتل أخوتها وبني أخوتها مثل شمر وزجر وخولاً وأمثالهم وهي تنادي بلسان الحال:

أقْلَبَ طرْفِي لا حَمِيّ ولا حَمِي	سوى هفوات السوط فوق عاتقي
أعْسَبُ ولا ذاك الحسام بمنّضي	أمامي ولا ذاك اللواء بخافقي
فاين نزار في متون عتاقها	تري في السبا قد جرح الحبل عاتقي
أصبحت والعدو وأصبح يدعو	اسحبي اليوم للسبا أذيالاً
ذهب المحامون عنك فقومي	والبسبي بعد عزك الإذلالا
صوّتي باسم من أردت فإنا	قد أبعدناهم جميعاً قتالاً

في موضوع حديث الغدير

لَمَّا أتمَّ الرسول ﷺ حَجَّه في حَجَّة الوداع، وعرف الناس ما يحتاجون إليه، وأعلمهم: أنه أقام لهم سنة إبراهيم عليه السلام، وأزال جميع ما أحدثه المشركون، وردَّ الدين إلى حالته الأولى، ثم دخل مكة وأقام بها يوماً واحداً، فهبط عليه الأمين جبرئيل بأول سورة العنكبوت، فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَزَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ

(١) تفاصيل هذه الحادثة في المصادر التالية: شجرة طوبى (ج ٢، ص ٤٠٠) وتاريخ مدينة دمشق (ج ٦٩، ص ٢٠٤) والاصابة (ج ٨، ص ١٨٠) وأعيان الشيعة (ج ١، ص ٢٨٧) وغيرها.

فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^(١). فقال ﷺ: يا أخي جبرئيل ما هذا الفتنه؟ فقال: يا محمد، إنَّ العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول: إني ما أرسلت نبياً قبلك إلا أمرته عند انقضاء أجله أن يستخلف على أُمته من بعده من يقوم مقامه، فالمطيعون ويحيي لهم سنته وأحكامه، الله فيما يأمرهم به رسول الله هم الصادقون، والمخالفون على أمره هم الكاذبون، وقد دنا يا محمد مصيرك الى ربك وحينه، وهو يأمرك أن تنصب لأمتك من بعدك علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً، فهو الخليفة القائم برعيتك، وأمتك، إن أطاعوه وإن عصوه، وسيفعلون ذلك فهي الفتنة التي ذكرت لك، وإنَّ الله عزوجل يأمرك أن تعلمه جميع ما علمك، وتستحفظه جميع ما حفظك واستودعك، فإنه الأمين المؤتمن يا محمد إني اخترتك من عبادي نبياً، واخترتك لك وصياً^(٢).

الحث على التعجيل في الإعطاء

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

ينبغي للمعطي المنفق عند ظهور داعية الخير من باطنه أن يغتنم الصورة ويسارع إلى الامتثال تعجيلاً لإدخال السرور في قلوب الفقراء. وحذراً من عوائق الزمان المانعة من الخيرات. وعلماً إنَّ في التأخير آفات. وتنبيهاً بأنَّ انبعاث داعية الخير لمن ملك، وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع

(١) الآيات ١ - ٣ من سورة العنكبوت.

(٢) بحار الأنوار (ج ٢٨، ص ٩٥ - ٩٦).

(٣) الآية ٢٦١ من سورة البقرة.

الرحمن فما أسرع تقبّله. والشيطان بعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر، وله لمة عقيب لمة الملك وصونا للفقراء عن الاضطراب إلى السؤال. إذ ورد أنّ الإعطاء مع السؤال مكافآت لوجهة البذل وثمن لما أخذ منه وليس بمعروف.

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمرثمر البغيغة، وكان الرجل ممن ترجى نوافله، ويؤمل نائله ورمزه، وكان لا يأل علياً عليه السلام ولا غيره شيئاً. فقال رجل لأمر المؤمنين عليه السلام: والله ما سألك فلان شيئاً! لقد كان يجزيه من الجهة أوساق وسق واحد.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «لاكثر الله في المؤمنين ضريك. أعطي أنا، وتبخل أنت! الله أنت! إذا لم أعط الذي يرجوني إلا من بعد المسألة، ثم أعطيه بعد المسألة فلم أعطه إلا عن ما أخبرت منه، وذلك إني عرضته أن يبذل في وجهه الذي يعفوه في التراب لربي وربّه عزّ وجل عند تقيّده له وطلب حوائجه إليه فمن فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنّه موضع أصلته ومعروفه فلم يصدّق في دعائه حيث يتمنى له الجنّة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله» (١).

الإيثار أعلى درجات الجود والسخاء

الإيثار أعلى درجات الجود والسخاء، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه، قال الله تعالى في الثناء على أهل الإيثار: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٢) وقال رسول الله ﷺ: أيما امرؤ يشتبه شهوة فردّ شهوته وأثر على نفسه غفر له (٣).

(١) الوافي (ج ٦، ص ٢٨٦).

(٢) الآية ٩ من سورة الحشر.

(٣) كنز العمال (ج ١٥، ص ٧٨٧).

ثم إن بذل الأموال وانفاقها المترتب على صفة الجود والسخاء، يتناول أموراً بعضها واجب وبعضها مندوب، وقد ورد في فضيلة كل منها بخصوصه أخبار، وإلى بعض ما لها من الآداب والدقائق الباطنة، أما الأمور الواجبة فأولها الزكاة والآيات والأخبار الواردة في ذم تاركها ومدح فاعلها كثيرة. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْنَزُونَ أَلْهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١) ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج الزكاة كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، وأجمع عليه المفسرون، وقال رسول الله ﷺ: إذا منعت الزكاة منعت الأرزاق^(٢) بركاتها^(٣). وقال الباقر عليه السلام: إن الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة قال: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٤)، فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلم يقم الصلاة^(٥)، وقال الصادق عليه السلام: ما من ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر، (المرر القاع الأملس)^(٦) مجمع البحرين) وسلط عليه شجاعاً أقرع يريد به وهو يحيد عنه، فإذا رأى أنه لا يتخلص منه أمكنه من يده فقمضهما كما يقضم الفجل، ثم يصير طوقاً في عنقه، وذلك قول الله تعالى ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٧) (٨).

(١) الآية ٣٤ من سورة التوبة.

(٢) في مصدر: منعت الأرض.

(٣) الكافي (ج ٣، ص ٥٠٥).

(٤) الآية ٤٣ من سورة البقرة.

(٥) من لا يحضره الفقيه (ج ٢، ص ١٠).

(٦) أو المكان المستوي (لسان العرب: ج ٥، لغة قرر).

(٧) الآية ١٨ من سورة آل عمران.

(٨) الكافي (ج ٢، ص ٥٠٦).

وقال ﷺ: ما فرض الله تعالى على هذه الأمة شيئاً أشدّ من الزكاة وفيها لهلك^(١) عامتهم^(٢). وقال ﷺ: من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى ﴿رَبِّ أَرْزِقُونِ * لَقَدْ آتَيْنَا لَاحِقًا فَإِنَّمَا تَرَكْتُمْ﴾^(٣). وقال ﷺ: إِنَّمَا وَضَعَت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء، ولو إنّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً، ولا استغنى بما فرض الله له، وإنّ الناس ما افتقروا ولا جاعوا ولا عروا إلاّ بذنوب الأغنياء، وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممّن منع حقّ الله من ماله، وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق إنّه ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلاّ بترك الزكاة، وما صيد صيد في برّ ولا بحر إلاّ بتركه التسبيح في ذلك اليوم، وإنّ أحبّ الناس إلى الله أسخاهم كفاً، وأسخى الناس من أدّى زكاة ماله، ولم يبخل على المؤمنين بما فرض الله لهم في ماله^(٥). وقال ﷺ: إنّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنّما هو شيء ظاهر حقّن بها دمه وبقي بها مسلماً ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة^(٦).

(السّر في وجوب الزكاة وفضيلة سائر الانفاقات)

السّر في وجوب الزكاة بل فضيلة سائر الإنفاقات ثلاثة أمور:

(الأول) إن التوحيد العام ألاّ يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد، إذ

(١) أو نهيت كما في ذخيرة المعاد (ج ١، ص ١٨٤).

(٢) دعائم الاسلام (ج ١، ص ٢٤٧).

(٣) الآيتان ٩٩ و ١٠٠ من سورة المؤمنون.

(٤) تهذيب الأحكام (ج ٤، ص ١١١).

(٥) من لا يحضره الفقيه (ج ٢، ص ٧).

(٦) جامع أحاديث الشيعة (ج ٨، ص ٣٢).

المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى، وإنما تمتحن درجة الحبّ به فارقة سائر المحاب، والأموال مجبولة للناس لأنها آلة تمتعهم بالدنيا، ولأجلها يأنسون بهذا العالم، ويخافون من الموت، ويتوحّشون منه، مع أنّ فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا في صدق دعواهم الحبّ التامّ لله تعالى، بمفارقتهم عن بعض محابّهم أعني المال، ولذلك قال الله سبحانه **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ﴾** (١).

ولفهم هذا السرّ في بذل الأموال انقسم الناس بحبّ درجاتهم في التوحيد والمحبة ثلاثة أقسام (قسم) صدقوا التوحيد ووفوا بعهده، ولم يجعلوا قلوبهم إلّا محلّاً لحبّ واحد، فنزلوا عن جميع أموالهم ولم يذخروا شيئاً من الدرهم والدينار وغيرها من أنواع المال، ولم يتعرّضوا لواجب الزكاة عليهم، حتى قيل: إنّه ذنبهم كما يجب من الزكاة في ما في درهم فقال: إمّا على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن يجب علينا بذل الجميع. وسئل الصادق عليه السلام: في كم تجب الزكاة في المال؟ قال: أمّا الزكاة الظاهرة فهي في كلّ ألف خمسة وعشرون، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك (٢).

(وقسم) درجتهم دون هذا، وهم الذين أمسكوا أموالهم ولكنهم راقبوا مواقيت الحاجات، ومراسم الخيرات ويكون قصدهما من الإمساك على قدر الحاجة دون التنعّم، وصرف الفاضل عن قدر الحاجة إلى وجوه البرّ، وهؤلاء لا يقتصرون على إعطاء مجرّد ما يجب عليهم من الزكاة والخمس، بل يؤدّون جميع أنواع البرّ

(١) الآية ١١١ من سورة التوبة.

(٢) جامع أحاديث الشيعة (ج ٨، ص ٣٧٩).

والمعروف أو أكثرها.

(وقسم) اقتصروا على أداء الواجب فلا يزيدون عليه، ولا ينقصون منه، وهو أدون الدرجات وأقلّ المراتب وهو درجة العوام الراغبين في المال لجهلهم بحقيقته وفائدته وضعف حبّهم الآخرة.

(الأمر الثاني) من أسرار وجوب الزكاة وسائر الإنفاقات تطهير النفس من رذيلة البخل، فإنه من المهلكات كما تقدّم، وإنّما تزول هذه الرذيلة ببذل المال مرّة بعد أخرى، حتى يصير ذلك اعتياداً، وعلى هذا فالإنفاق يطهّر صاحبه من خبث البخل المهلك، وإنّما طهارته بقدر بذله ويقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى.

(الأمر الثالث) شكر النعمة، فإنّ الله سبحانه على عبده نعمة في نفسه ونعمة في ماله. فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن. والعبادات المالية شكر لنعمة المال. وما أقبح بالفتى المسلم أن ينظر إلى فقير مسلم، وقد ضيّق الرزق عليه وأحوج إليه ثمّ لا تسمح نفسه بأن يؤدّي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال واحتياج غيره إليه بإعطاء عشر أو ربع عشر من ماله.

وأعلى درجات الجود والسخاء الإيثار، وسئل الصادق عليه السلام: أي الصدقة أفضل قال عليه السلام: جهد المقلّ^(١)، أما سمعت قول الله تعالى ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢)، وإيثار علي عليه السلام غيره في جميع أوقات عمره مشهور، وفي الكتب

(١) جهد المقل أي قدر ما يحتمله حال قليل المال، كما في المجلس (ج ٨، ص ١٤)، وورد هذا الخبر عن

الرسول ﷺ كما في الأصول الستة عشر (ص ٧٧).

(٢) الآية ٩ من سورة الحشر.

مسطور^(١)، ولقد أثر حياة رسول الله ﷺ على حياته ليلة المبيت^(٢)، فباهى الله به الملائكة وأنزل فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٣). ولقد كان الخواص من شيعته والمقتدون به في سنته وسيرته يجتهدون في المحافظة على هذه الفضيلة مهما أمكن، وقد حاز هذه الفضيلة وورثها منه ولده قمر العشيرة أبو الفضل العباس عليه السلام حيث واسى أخاه ببذل نفسه، وكما جاء في زيارته نعم الأخ المواسي لأخيه وقال الأزري.

وأخ كريم لم يخنه بمشهد	حيث السرات كباها أقدامها
تالله لا أنسى أين فاطم إذ جلا	عنه العجاجة ظلامها
وهوى عليه ملاما هنالك قائلاً	اليوم بان من اليمين حسامها
اليوم سار عن الكتيبة كتبها	اليوم بان عن الهداة إمامها
اليوم آل إلى التفزق جمعنا	اليوم حلّ عن نظارها
اليوم نامت أعين بك لم تنم	وتستهدت أخرى فعزّ منامها
كي زده تيغ كين بر سر تو	كرده صد پاره اين پيكر تو
اي امان از دل خواهر تو	اي برادر امان از جدائی
خيز و بنگر كه ياور ندارم	جز تو غمخوار ديگر ندارم

(١) وحديث المائدة شاهد على ذلك كما في المناقب الخوارزمي (ص ١٨٨) وأسباب النزول (ص ٣٣١) والمناقب لابن المغازلي (ص ٢٧٢) وشواهد التنزيل (ج ٢، ص ٣٠٣) وكفاية الطالب (ص ٢٠١) وينايع المودة (ص ٩٣) وهذا في الطعام والمال.

(٢) عندما أراد النبي ﷺ الهجرة إلى المدينة بات الأمير عليه السلام على فراشه فادأب به نفسه، في (راجع: مستدرك الحاكم (ج ٣، ص ٤) ومسنّد أحمد (ج ١، ص ٣٤٨) ومجمع الزوائد (ج ٩، ص ١١٩) وأسد الغابة (ج ٤، ص ٢٥) وفضائل الخمسة (ج ٢، ص ٣٤٥) وغيرها.

(٣) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

من که دیگر برادر ندارم ای برادر امان از جدایی
 گشته پر خون چرا چشمهایت گشته صد باره قدر سایت
 ای برادر چه شد دستهایت ای برادر امان از جدایی

هذا المجلس تبع لما قيل خمس صفحات

في فضيلة اعلان الصدقة الواجبة

الصدقة الواجبة أعني الزكاة اعلانها أفضل من إسرارها إن كان في إظهارها
 ترغيب للناس في الاقتفاء، وأمن من تطرّف الرياء، ولم يكن الفقير بحيث يستحي من
 أخذها علانية، قال الصادق عليه السلام: كلما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره وكلما
 كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه.

ولو أن رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه كان حسناً جميلاً^(١). وقال في قوله
 تعالى ﴿وَأِنْ تُخْفَوْهَا وَتُوْتُوْهَا الْفَقْرَاءَ فَهَؤُاْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^(٢)، وهي ما سوى الزكاة، فإنّ الزكاة
 علانية خير، فلو دخل في نفسه الرياء مع الإظهار، أو كان الفقير يستحي من أخذها
 علانية كان السرّ أفضل. (أمّا الأول) فظاهر، وأمّا (الثاني) فلما روي أنّه قيل لأبي جعفر
 الباقر عليه السلام: الرجل من أصحابنا يستحي من أن يأخذ من الزكاة فأعطيه من الزكاة ولا
 أسمي له أنّها من الزكاة، فقال عليه السلام: اعطه ولا تسم له ولا تذلل المؤمن^(٣). وبالجمله
 الإعلان كما يتصور منه فائدة الترويج يتطرق إليه محذور الرياء والمن والأذى، وذلك
 يختلف بأحوال الأشخاص، فبالنظر إلى بعض الأحوال والأشخاص يكون الإعلان

(١) الكافي (ج ٣، ص ٥٠١).

(٢) الآية ٢٧١ من سورة البقرة.

(٣) تهذيب الأحكام (ج ٤، ص ١٠٣).

أفضل، وبالنظر إلى بعض آخر يكون الاسرار أفضل، فلا بد لكل منفق أن يلاحظ حاله ووقته ويقابل الفائدة بالمحذور ويختار ما هو أفضل الأمور ومن عرف الفوائد والفوائد ولم ينظر بعين الشهوة اتّضح له ما هو الأولى والأليق.

وأما الدواء النافع في دفع الرياء فبأن تفكّر في مضرّة الرياء وما يفوت بسببه من صلاح القلب، وما يحرم عنده في الحال من التوفيق، وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى، وما يتعرّض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر، حيث ينادي على رؤوس الأشهاد والعباد: يا فاجر، يا غادر، يا مرائي، أما استحييت إذا شترت بطاعة الله غرض الدنيا، راقبت قلوب العباد، واستهزئت بطاعة الله تعالى، وتحبّبت إلى العباد بالتبّع إلى الله تعالى، وتزيّنت لهم بالشين عند الله تعالى، وتقرّبت إليهم بالبعد عن الله تعالى، وتحمدت إليهم بالتذمّم عند الله تعالى، وطلبت رضاهم بالتعرّض لسخط الله تعالى، أما كان أحد أهون عليك من الله تعالى، فمهما تفكّر العبد في هذا الخزي، وقابل ما يحصل له من العباد، والتزيين لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة، وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أنّ العمل الواحد ربّما يترجّح به ميزان حسناته لو خلص، فإذا فسد بالرياء حوّل إلى كفة السيئات فيترجّح به، بعد أن كان مرجوحاً ويهوي به إلى النار، فلو لم يكن في الرياء إلّا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره، وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو المرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيين والصديقين، وقد حطّ عنهم بسبب الرياء إلى صفّ التعال من مراتب الأولياء، إن لم يستوجب النار والطرود عن الملك الجبار، هذا مع ما يتعرّض له في الدنيا من تشتّت البال بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإنّ رضا الناس غاية لا تدرك فكُلّما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعض. وأما الطمع لما في أيديهم فبأن يعلم أنّ الله مسخّر للقلوب بالمنع والإعطاء وإنّ

الخلق مضطرون إليه ولا رازق إلا الله سبحانه، ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة والمقت والإهانة وإن وصل إلى المراد، ولم يخل من المنّة والمهانة، ومن اعتمد على الله تعالى كفاه الله همّه الدنيا والآخرة، فكيف يترك ما عند الله لرجاء كاذب أو وهم فاسد وقد يصيب وقد يخطئ، وإذا أصاب فلا تنفي لذّته بألم منته ومذلته مع أنّ المرائي يظهر الله الخلق على باطنه وخبث نفسه وفساد نيّته فيمقتونه. روي أنّ رجلاً من بني إسرائيل قال: والله لأعبدنّ الله عبادة أذكرّ بها، فكان أوّل داخل في المسجد وآخر خارج منه قائماً يصليّ وصائماً لا يفطر ويجلس إلى خلق الذكر، فمكث بذلك مدّة طويلة فكان لا يمرّ بقوم إلا قالوا: فعل الله بهذا المرائي وصنع فأقبل على نفسه، وقال: أراني في غير شيء لأجعلنّ عملي كلّ الله فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك إلا أنّه تغيّرت نيّته إلى الخير وكان ذلك الرجل يمرّ بعدّة من الناس فيقلون رحم الله فلاناً الآن أقبل على الخير^(١). ثمّ هبّ أنّهم أحبّوك وأكرموك وخفي عليهم حالك مع أنّ الله مطلع على خبث سريرتك وفساد نيّتك فأبي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم، ومن أهل النار وأي شرّ لك في ذمّ الناس وأنت عند الله ممدوح من أهل الجنّة، ومن أحضرني قلبه الجنّة ونعيمها المؤبّد والمنازل الرفيعة عند الله استحقّر ما يتعلّق بالخلق أيّام الحياة مع ما فيه من الكدورات فإن لم يكتف بهذا فليتأمل في ثلاثة أشياء.

(أحدها) لو قيل لك إنّ ههنا رجل معه جواهر نفيسة تساوي مائة ألف دينار، وهو محتاج إلى ثمنها بل إلى بيعها عاجلاً وإلى أضعافها ثمناً فحضر من يشتري منه متاعه بأضعاف ثمنه مع حاجته إلى أضعاف ثمنه فأبى بيعه بذلك، وباعه بفلس واحد ليس ذلك يكون خسراناً عظيماً وعبياً فضيعاً ودليلاً بيّناً على دنائّة الهمة وقصور العلم

والفهم وضعف الرأي وقلة العقل، بل على السفه المحض، وهذا بعينه حال المرائي فإنّ ما يناله العبد بعمله من مدحه وحطام الدنيا بالنسبة إلى رضا ربّ العالمين وشكره وثواب الآخرة أقلّ من فلس في جنب ألف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها وأكثر، وهذا هو الخسران المبين فإن كان ولا بدّ لك من هذه المهمة الخسيسة فاقصد أنت الآخرة وهو سبحانه يعطيك الدارين، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَلَا يُعْطِي الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا»^(١).

(ثانيها) إنّ المخلوق الذي تعمل لأجله وتطلب رضاه لو علم أنّك تعمل لأجله لأبغضك ولاستهان بك مضافاً إلى مقت الله وبغضه وما عمله الله يوجب رضاء الفريقين، فكيف يعمل العامل لأجل من لو علم بأنّه يطلب رضاه لسخط عليه وأهانته. **(ثالثها)** من حصل له سعي يكتسب به رضا أعظم ملك من ملوك الدنيا، فطلب به رضاء كنّاس خسيس، فطلب سخط ذلك الملك ورضا الكنّاس، فيكون هذا دليلاً على رداة الرأي وسوء المنظر ويقال له: ما حاجتك إلى الكنّاس مع امكانك رضاء الملك وهذا هو الدواء العلمي.

وهذه الحالة تنطبق على ابن سغد حين دعاه الحسين عليه السلام إلى نصرته فأوعده أن يعطيه البغية، فأبى إلا ملك الري، ورضا يزيد، وليته اكتفى بحرب الحسين عليه السلام ولم يمثّل به بل نادى: يا خيل الله اركبي، ورَضِي صدر الحسين عليه السلام وأبشري بالجنة إلى آخر^(٢).

(١) مكارم الأخلاق (ص ٢٦٥).

(٢) المحاسن (ج ١، ص ٣).

هذا المجلس في العجب بالعمل

تعريف العجب: فاعلم أنَّ العجب سرور المرء بعمله وهذا استعظام العمل الصالح واستكباره والإبتهاج به فهو من المهلكات، قال النبي ﷺ: «ثلاث من المهلكات، شخ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء^(١)» موهنو محبط للعمل.

وقال ﷺ: «لولا الذنب للمؤمن خير من العجب ما خلَّى الله عزَّ وجل بين يدي عبده المؤمن وبين ذنب أبداً»^(٢). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سيئة تسوك خير من حسنة تعجبك» أي تورثك عجباً^(٣). وعن النبي ﷺ: «أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بشر المذنبين وأنذر الصديقين قال: كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال الله تعالى: يا داود، بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصديقين أن لا يتعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد يتعجب بالحسنات إلا هلك»^(٤). وعنه عليه السلام: «قال، قال الله تعالى: أنا أعلم بما يصلح به أمر عبادي، وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاذه ولذيذ وساده فيجتهد لي الليالي فيتعب نفسه في عبادتي، فأضره بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له وإبقاءً عليه، فينأفقه في عبادتي ١٦٨ ساعة ماقت نفسه زارياً عليها، ولو أخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله من ذلك العجب بأعماله فيصيره العجب إلى الفتنة، فتأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله، ورضاه عن نفسه عند حد التقصير حتى يظن أنه قد فاق العابدين، وجاز في عبادته حد

(١) المحاسن (ج ١، ص ٣).

(٢) عدة الداعي (ص ٢٢١).

(٣) عيون الحكم والمواعظ (ص ٢٨٦).

(٤) مشكاة الأنوار (ص ٥٣٩).

التقصير، فيتباعد مني عند ذلك وهو يظن أنه يتقرب إلي»^(١). وروى شيخنا الكليني (طاب ثراه) بإسناده إلى الباقر والصادق عليهما السلام، قال: دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق، وذلك إنه يدخل العابد المسجد مدل بعبادته فيذل بها فيكون فكرته في ذلك، ويكون فكرة الفاسق في الندم على نفسه ويستغفر الله تعالى مما صنع من الذنوب^(٢). وروي: إن الشيطان أقبل إلى موسى عليه السلام وعليه برنس فيه ألوان قال موسى عليه السلام: ما هذا قال أختطف به قلوب بني آدم. قال: فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه، فاحذر ك ثلاثة: لا تخل بامرأة فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه حتى أفتته بها، ولا تعاهد الله عهداً فأني أمنعك عن الوفاء به، ولا تخرجن صدقة إلا أَمْضَيْتَها فإنه ما أخرج رجل صدقة ولم يمضها إلا كنت صاحبها أحول بينه وبين الوفاء بها، ثم تولى وهو يقول: يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم^(٣).

وأما العلاج فيفكر في الأسباب التي قوي بها على العبادة، وأورثته العجب من القدرة والعلم والصحة والنعم، فإنه كله من الله تعالى ولولاه لم يقدر على طاعته. وروي عن الصادق عليه السلام: «إن عابداً كان في الأعصار السابقة، يعبد الله تعالى في كهف جبل صائماً نهاره، قائماً ليله، وكان قد انبت الله تعالى له شجرة رمان على باب الكهف، فكان يأكل منها كل ليلة رمانة واحدة ويدخر منها لشأنه، فبقي يعبد الله تعالى خمسمائة عام تقريباً، فإذا كان يوم القيامة أمر الله سبحانه بإحضار ذلك العابد، فيقول لملائكة الرحمة إني قد عفوت عنه فأدخلوه الجنة بفضلتي. فيقول العابد: يا رب إني قد عبدتك كثيراً

(١) كتاب التمهيد (ص ٥٧).

(٢) علل الشرائع (ج ٢، ص ٣٥٤).

(٣) أمالي المفيد (ص ١٥٦).

وأريد أن أدخل الجنة بعبادتي. فيقول الله سبحانه: أراد منا العدل يا ملائكتي، زِنُوا عبادته مع ما أنعمت عليه في الدنيا فتوضع أعماله كلها في كفة من الميزان، فتوضع في الكفة الأخرى رمانة واحدة من ذلك الرمان، فترجح الرمانة الواحدة على كل ذلك العمل، فيبقى العابد محيراً، فيقول: يا ربّ التمس منك الفضل، فيدخله الجنة. فهذا قيمة عبادة خمسمائة سنة لمّا عامله بالعدل. هذا مع أن التوفيق للقيام بوظائف العبودية ليس إلّا منه تعالى كما أشير إليه في خبر داود عليه السلام حين أوحى الله تعالى إليه: أن اشكرني حقّ شكري. فقال: يا ربّ كيف أشكرك حقّ شكرك والشكر نعمة تستحقّ عليه شكراً؟ فقال: يا داود، إذا عرفت ذلك منّي فقد شكرتني^(١). فالحاصل لا قيمة للأعمال في قبال نعمه تبارك وتعالى فلا يعتمد الإنسان على عمله بل على فضل ربّه ورحمته، ولا يستكثر عمله بالغاً ما بلغ، فإنّه لا شيء في جنب نعم الباري المتابعة على عباده.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ولم يكن يوم القيامة عمل ذي قيمة إلّا الدمعة الجارية على الحسين عليه السلام، وذلك لما أخبر النبي ﷺ فاطمة عليها السلام بقتل الحسين عليه السلام وسبي عياله، فقالت فاطمة عليها السلام: أنا أكفل النساء والأيتام وأجهّزه وأكفّنه. فقال ﷺ: «يا فاطمة هذا يصدر من بعدي وبعدي وبعد أبيه وأخيه. قالت ﷺ: «من يغسله ويكفّنه ويصلي عليه ويدفنه» قال ﷺ: لا يرى من هذا شيء إلّا أنّه يدفن بعد مدّة بعد أن يبقى جسده على الثرى تصهره الشمس ورأسه على القنا، فنادت واولداه واحسرتاه عليك يا أبا عبد الله، فبينما هم كذلك وإذا بجبرئيل الأمين قد نزل من السماء، فقال: السلام عليك يا محمد، العلي الأعلى يقرّوك

السلام، ويقول لك: سكّت.

طرف من شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام

في الخصال والأمالى بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وصلى الفجر، ثم قال ﷺ: «معاشر الناس أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد آلوا باللات والعزى ليقتلوني وقد كذبوا ورب الكعبة قال: فأحجم الناس، وما تكلم أحد. فقال ﷺ: ما أحسب علي بن أبي طالب عليه السلام فيكم فقام إليه عامر بن قتادة^(١) فقال: إنه وعك في هذه الليلة ولم يخرج يصلي معك، فتأذن لي أن أخبره؟ فقال النبي ﷺ: «شأنك»، فمضى إليه فأخبره، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام كأنه نشط من عقال وعليه أزار قد عقد طرفيه في رقبته، فقال: يا رسول الله ما هذا الخبر؟ قال: هذا رسول ربي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا إلي لقتلي، وقد كذبوا ورب الكعبة. فقال علي عليه السلام: يا رسول الله ﷺ أنا لهم سرية وحدي هو ذا ليس علي ثيابي فقال رسول الله ﷺ: بل هذه ثيابي وهذا درعي وهذا سيفي فدرّعه وعمّمه وقلّده وأركبه فرسه، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام، فمكث ثلاثة أيام لا يأتيه جبرئيل بخبره ولا خبير من الأرض، وأقبلت فاطمة بالحسن والحسين عليهما السلام على وركبها، تقول: أوشك أن يؤتم هذين الغلامين فأسيل النبي ﷺ عينيه يبكي، ثم قال ﷺ: «معاشر الناس من يأتياني بخبر علي عليه السلام أبشره بالجنة»، وافترق الناس في الطلب العظيم ما رواه النبي ﷺ وخرج العواتق، فأقبل عامر بن قتادة يبشّر بعلي عليه السلام وهبط جبرئيل على النبي ﷺ فأخبره بما كان فيه، وأقبل علي أمير المؤمنين عليه السلام ومعه أسراف فليس وثلاثة أبعر وثلاثة

(١) من أصحاب الرسول ﷺ (مستدركات علم رجال الحديث: ج ٤، ص ٣٢١).

أفراس، فقال النبي ﷺ: «تحب أن أخبرك بما كنت فيه يا أبا الحسن»، فقال المنافقون هو منذ ساعة قد أخذه المخاض وهو الساعة يريد أن يحدثه، فقال النبي ﷺ: «بل تحدث أنت يا أبا الحسن، لتكون شهيداً على القوم»، قال عليّ: «نعم يا رسول الله ﷺ»، لما صرت في الوادي رأيت لهؤلاء ركباً فنادوني من أنت، فقلت: أنا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ، فقالوا: ما نعرف الله من رسول سواء علينا وقفنا عليك أو على محمد وشذ علي هذا المقتول ودار بيني وبينه ضربات وهبت ريح صفراء سمعت صوتك فيها يا رسول الله ﷺ وأنت تقول قلبت لك الدرع عن فخذ فاضرب فخذ فضربته ووكزته وقطعت رأسه ورميت به، وقال لي هذان الرجلان بلغنا أن محمداً رفيق شفيق رحيم فاحملنا إليه ولا تعجل علينا وصاحبنا كان يعد بألف فارس» فقال النبي ﷺ: «يا علي، أما الصوت الأول الذي صك مسامعك فصور جبرئيل، وأما الآخر فصور ميكائيل، قدم إلي أحد الرجلين» فقدّمه فقال ﷺ: قل لا إله إلا الله واشهد أنني رسول الله قال الحفني بصاحبي، قال: يا علي أخره واضرب عنقه قم، قال: قدّم الآخر، فقال: قل لا إله إلا الله واشهد أنني رسول الله، فقال: لنقل جبل أبي قبيس أحب إلي من أن أقول هذه الكلمة، قال يا علي أخره واضرب عنقه. فأخره وقام أمير المؤمنين ليضرب عنقه فهبط جبرئيل عليّ على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام، ويقول: لا تقتله فإنه حسن الخلق، سخي في قومه. فقال النبي ﷺ: «يا علي، أمسك فإن هذا رسول ربي عز وجل يخبرني أنه حسن الخلق سخي في قومه» فقال المشرك تحت السيف: هذا رسول الله يخبرك، قال: نعم، قال: والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قط، ولا قطبت وجهي في الرحب، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: هذا ممن جرّه حسن خلقه

وسخاؤه إلى جنّات النعيم (١).

ومن شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام في المناقب في حديث عمّار لما أرسل النبي ﷺ علياً عليه السلام إلى مدينة عمّان، في قتال الجلندي بن كركر (٢)، وجرى بينهما حرب عظيم، وضرب وجيع، ودعا الجلندي بغلام يقال له: الكندي، وقال له: أنت خرجت إلى صاحب الغمامة السوداء، والبغلة الشهباء، فتأخذه أسيراً، أو تطرحه مجدّلاً عفيراً، أزوجك ابنتي التي لم أنعم لأولاد الملوك بزواجها، فركب الكندي الفيل الأبيض، وكان مع الجلندي ثلاثون فيلاً، وحمل بالأفيلة والعسكر على أمير المؤمنين عليه السلام، فلما نظر الإمام علي عليه السلام إليه نزل عن بغلته، ثم كشف عن رأسه، فأشرقت الفلاة طولاً وعرضاً، ثم ركب ودنا من الأفيلة، وجعل يكلمها بكلام لا يفهمه الآدميون، وإذا بتسعة وعشرين فيلاً قد ذاتت رؤوسها وحملت على عسكر المشركين، وجعلت تضرب فيهم يميناً وشمالاً حتى أوصلتهم إلى باب عمّان، ثم رجعت وهي تتكلم بكلام يسمعه الناس: يا علي كلنا نعرف محمداً، ونؤمن برّب محمد إلا هذا الفيل الأبيض فإنه لا يعرف محمداً ولا آل محمد، فزعق الإمام زعقته المعروفة عند الغضب المشهورة، فارتعد الفيل ووقف، فضربه الإمام عليه السلام بذي الفقار ضربة رمى رأسه عن بدنه، فوقع الفيل إلى الأرض كالجبل العظيم، وأخذ الكندي من ظهره، فأخبر جبرئيل عليه السلام النبي ﷺ بذلك، فارتقى على السور، فنادى: يا أبا الحسن هبه لي فهو أسيرك، فأطلق علي عليه السلام سبيل الكندي، فقال: يا أبا الحسن ما حملك على اطلاقي؟! قال: ويلك مد نظرك. فمدّ عينيه، فكشف الله عن بصره، فنظر إلى النبي ﷺ على سور

(١) الخصال (ص ٩٤).

(٢) أو كركرة، قيل: هو صاحب الفيل وملك الحبشة (العدد القوية: ص ٢٢٠).

المدينة وصحابته، فقال: من هذا يا أبا الحسن؟! فقال: سيدنا رسول الله ﷺ. فقال: كم بيننا وبين وبينه يا علي؟ فقال: مسيرة أربعين يوماً. فقال: يا أبا الحسن إن ربكم رب عظيم، ونبىكم نبي كريم، مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ. وقتل علي عليه السلام الجلندي، وغرق في البحر منهم خلق كثير، وقتل منهم كذلك، وأسلم الباقر، وسلم الحصن إلى الكندي، وزوجه بابنة الجلندي، وأقعد عندهم قوماً من المسلمين يعلمونهم الفرائض^(١).

(١) مناقب ابن شهر آشوب (ج ٢، ص ٣١١)، وجاء في هامش هذا الحديث بمدينة المعاجز (ج ١، ص ٢٨٤): إن هذا الحديث مرسل، وما وجد في فتح عمان ما يؤيده في كتب التاريخ والبلدان والمغازي والمكاتب والسير، فالموجود في مكاتيب الرسول وكتب البلدان إن الذي أرسله رسول الله ﷺ عمرو بن العاص بن الوائل الأبتري ابن الأبتري شاعري رسول الله ﷺ أو يزيد بن ثابت، وأنه أسلم أهلهم من دون خيل ولا ركاب، وإنه كان عليه حينذاك عبيد وجيفر ابنا الجلندي، وكان الجلندي قد مات قبل ذلك.

الفصل الثاني

المفردات الأخلاقية

والعبر القدسية

المجلس الأول

في الكفر والشرك وأقسامه

إعلم أنّ الكفر في اللغة هو الستر، ومنه قيل لليل كافر لأنه يستر ما أظهره نور النهار، وقيل للكافر كافراً لأنه ستر ما أنعم الله تعالى به عليه من المعارف الالهية والأنوار الربانية، والتّعم الجليّة، والخفيّة، ويقال: شمس كَفَرَتْها غمام؛ أي شمس سترتها غمام.

وأما في اصطلاح فقهاءنا (رضوان الله عليهم) فالكافر: من جحد ما علم من دين الاسلام ضرورة، كمن أنكر الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك، وأما من أنكر ما علم من دين الشيعة بالضرورة لا من دين الاسلام، كتقديم أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة والفضيلة فهو ليس بمؤمن، لكنّه لا يخرج عن الاسلام الذي عليه المناكحات والطّهارة واحقان الدماء والأموال.

وأما الكفر في اصطلاح أهل البيت عليه السلام فالكفر يطلق على أمور:
 روى الكليني^(١) طاب ثراه عن الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: أخبرني

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٨٩).

عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل، قال: «الكفر في كتاب الله عز وجل على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله به، وكفر البراءة، وكفر النعم.

فأما «الوجه الأول» من كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول لا رب ولاجنة ولا نار وهو قول صنفين من الزنادقة (لعنهم الله) يقال لهم: الدهرية، وهم الذين يقولون وما يهلكنا إلا الدهر^(١)، وهو دين اختاروه لأنفسهم واستحسنوه من غير تثبيت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ظَنًّا وَمَاهُمْ بِمُسْتَقِينَ﴾.

وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة فهو أن يجحد الجاحد وهو أن يعلم أنه حق، قد استقر عنده، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(٢) فلعنة الله على الكافرين فهذا تفسير وجهي الجحود.

والوجه الثالث من الكفر: كفر النعم، وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام:

﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾^(٣)، وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٥).

(١) الآية ٢٤ من سورة الجاثية.

(٢) الآية ٨٩ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٤٠ من سورة النمل.

(٤) الآية ٧ من سورة ابراهيم.

(٥) الآية ١٥٢ من سورة البقرة.

والوجه الرابع من الكفر: ترك ما أمر الله تعالى، وهو قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ^(١)، فكفرهم بترك ما أمر الله به، ونسبهم الى الايمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده قال: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (٢).

والخامس من وجوه الكفر: البراءة، وذلك قوله تعالى يحكي قول ابراهيم عليه السلام: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ (٣) يعني تبرأنا منكم، وقال تعالى يذكر ابليس وتبرئته من أوليائه من الإنس يوم القيامة: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ (٤). وقال: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ (٥) يعني يبرء بعضكم من بعض.

إذا عرفت هذا ظهر لك معنى الكفر الواقع في الأخبار على فعل بعض المحرمات وترك بعض الواجبات، مثل ماورد من أن تارك الحج كافر، وتارك الصلاة كافر، ومرتكب الغيبة كافر، وتارك الزكاة كافر، إلى غير ذلك، فالكفر يأتي على معانٍ

(١) الآية ٨٤ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٨٥ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٤ من سورة الممتحنة.

(٤) الآية ٢٢ من سورة ابراهيم.

(٥) الآية ٢٥ من سورة العنكبوت.

متعددة فمن جملتها، قيل لثارك الصلاة: كافر، كما رواه الصدوق عن سعد بن صدقة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: ما بال الزاني لا تسميه كافراً، وتارك الصلاة تسميه كافراً، وما الحجة في ذلك؟! فقال عليه السلام: «لأن الزاني وما أشبهه إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلا استخفافاً بها، وذلك إنك لاتجد الزاني يأتي المرأة إلا وهو مستلذ لا تباينه إياها قاصداً إليها، وكل من ترك الصلاة قاصداً لتركها فليس يكون قصده لتركها اللذة، فإذا انتفت اللذة وقع الاستخفاف وإذا وقع الاستخفاف وقع الكفر. وليس المراد بالكفر^(١) هنا المعنى الذي تترتب عليه الأحكام كالنجاسة. بل كما جاء في الأحاديث إن الإيمان درجات والكفر درجات^(٢)، وهذا الكفر ليس آخر مراتب الكفر، بل المراد أحد درجات الكفر الأولية التي دخل بها بسبب ترك هذا الواجب، فأما إذا ترك الصلاة مستحلاً لتركها والزاني زنى مستحلاً للزنا لافرق بين الزاني وتارك الصلاة، وترتب عليهما حكم الكفر من النجاسة وغيره وحكم الكفر يترتب على العلم بالحرمة واستحلال المحرم.

ولهذا قال مولانا أبو عبد الله عليه السلام في خطبته لأهل الكوفة: «أما بعد فانسبوني وانظروا من أنا ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاینوها، فانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألسنت ابن بنت نبيكم»^(٣).

إن يقتلوك فلاعن فقد معرفة الشمس معروفة بالعين والأثر
قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها كالحمد لم تغن عنها سائر السور

(١) من لا يحضره الفقيه (ج ١، ص ١٣٢).

(٢) وقد روى ثقة الاسلام الكليني أحاديث درجات الإيمان والكفر في باب مستقل من كتاب الإيمان والكفر في كتابه (الكافي).

(٣) مشير الأحزان (ص ٣٧) وإعلام الوري (ج ١، ص ٤٥٨).

ما أنصفتك الظبي ياشمس دارتها إذ قابلتك بوجه غير مستتر^(١)
 قل للمقادير قد أبدعت حادثة غريبة الشكل ماكانت ولم تكن
 أمثل شمر أذل الله جبهته يلقى الحسين بذاك الملتقى الخشن^(٢)

المجلس الثاني

في الشرك وأقسامه

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَزِجُوًا لِّقَاءِ رَبِّهِ فَلْيُفْعَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وأما الشرك فهو على ثلاثة أقسام:

شرك جلي، وشرك خفي، وشرك أخفى.

أما الشرك الجلي: فهو الذي ذهب إليه أهل الأوثان وعباد الأصنام، والشمس والقمر، أو شيء من المخلوقات، حيث عبدوها، وسموها آلهة، وقالوا في العلة التي من أجلها ردوا كلام نبينا ﷺ في الأمر بالتوحيد: اجعل الآلة إلهاً واحداً ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^(٣)، ثم قالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾^(٤). فهم لم ينكروا الصانع لكن لا يوحّدوه.

وجاء في الحديث: «من صنّى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد

(١) وهي للأزري الكبير كما في ديوانه (ص ٣٠٠).

(٢) وهي أيضاً للشيخ كاظم الأزري: ديوان الأزري الكبير (ص ٤٣٣).

(٣) الآية ٥ من سورة ص.

(٤) الآية ٣ من سورة زمر.

عبد الله، وإن كان عن غير الله فقد عبد ذاك»^(١)، [و] كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢) قال عليه السلام: «والله ما صلوا لهم، ولا صاموا، ولا دعوهم إلى هذا لما قتلوا منهم، لكنهم أحلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فقبلوا أقوالهم»^(٣) فمن ثم قال: ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤).

وأما أوّل من وضع الأصنام وعبادتها، فروي أنّ أولاد أوصياء إدريس عليه السلام قد كان أهل زمانهم يحبّونهم حبّاً شديداً، فلما ماتوا شقّ ذلك على قومهم فجاءهم إبليس (لعنه الله)، فقال: اتخذ لكم أصناماً على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله تعالى، فأعدّ لهم أصناماً على أمثالهم، فكانوا يعبدون الله عزّ وجلّ وينظرون إلى تلك الأصنام فلما جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عزّ وجلّ حتّى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم، فأتى الشيطان إليهم، وقال لهم: إنّ آبائكم كانوا يعبدون هذه الأصنام فعبدوها من دون الله عزّ وجلّ^(٥)، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَذَرْنَّ وَدَاً وَلَا سَوْاعاً﴾.

وأما عبادة الثيران، فقد قال الصادق عليه السلام: «إنّ قابيل لما رأى النار قبلت قربان، هابيل، قال له إبليس (لعنه الله): إنّ هابيل كان يعبد تلك النار. فقال قابيل: لا أعبد تلك النار التي عبدها هابيل، ولكن أعبد ناراً أخرى وأقرب قرباناً لها، فتقبل قرباني، فبنى بيوت النار فقرّب لها الثيران، ولم يكن له علم برّبّه عزّ وجلّ، ولم يرث منه ولده إلّا

(١) الكافي (ج ٦، ص ٤٣٤).

(٢) الآية ٣١ من سورة التوبة.

(٣) المحاسن للبرقي (ج ١، ص ٢٤٦).

(٤) الآية ٦٤ من سورة آل عمران أو الآية ٣١ من سورة التوبة.

(٥) علل الشرائع (ج ١، ص ٣).

عبادة النيران^(١).

وأما **الشرك الخفي**، فمن جملة أفراده الرياء، وذلك أنَّ المرائي أشرك غير الله معه في عبادته، فهذا هو معنى الشرك بعينه، بل هو أخس منه، وذلك أنَّ أهل عبادة الأصنام قد عبدوا أموراً موجودة، وأعياناً حاضرة أمامهم، وأما المرائي في حال الرياء فقد عبد أموراً موهومة، تخيلها في قوّته الوهميّة، وهو أنّه إذا أطال الصلاة في حضور فلان فربّما أثنى عليه، وربّما وصله إحسانه، وفي غالب الأوقات أنّه لا يحصل به ممّا يتخيّله فلا يبقى له إلّا تعب القوة المتخيّلة، والقوّة الوهميّة، فإذا أهل عبادة الاصنام أعلم منه وأفهم.

وأيضاً فإنَّ أهل الاصنام قد أتوا إلى ملّة ودين وجدوا عليه آباؤهم قد استحسنوه من قبلهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم حتّى أنهم كانوا يعجبون من خلاف الاشرار كما سمعت من قوله تعالى: ﴿أَجْعَلِ آلِهَةً إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^(٢)، فهم يتعجبون ممّا كيف نعبد إلهاً واحداً ونترك الآلهة المتعدّدة، وبالجملة فهم يعبدون ما ثبت عندهم استحقاقه للعبادة أخذاً من أسلافهم.

والمرائي قد نشأ على فطرة التوحيد وسمع من آبائه أنّه لا يجوز أن يشرك مع الله غيره في العبادة، وفهم هذا المعنى، واعتقده، واعتقد حرمة، ومع هذا أقبل بكلّه وصرف إليه مجامع قلبه، فأهل عبادة الاصنام جهال والمرائي أجهل منهم: حيث أنهم عبدوا ما استحسنوه والمرائي عبد ما استقبّحه، وأيضاً فإنَّ أهل الأصنام إنّما عبد كل جماعة منهم صنماً واحداً كما روي: إنّ كان في أعصار الجاهليّة لكل قبيلة صنماً

(١) علل الشرائع (ج ١، ص ٣).

(٢) الآية ٥ من سورة ص.

يعبدونه، وكانت معلقةً في الكعبة، مثل ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسراً^(١)، فهم يحبّون ذلك الصنم ويعظّمونه ولا يعظّمون صنماً غيره، والمراثي في يومه الواحد بل ساعته الواحدة يعبد جماعات متكتّرة، وذلك إنّ كل واحد توهم في جانبه جلب نفع أو دفع ضرر، أو ثناء أو توقيف عكف على اشراكه مع الله تعالى في العبادة، ككثير عزة^(٢)، يعشق كلّ جميلة يراها، أو يسمع بها، حتّى عاب الشعراء وأهل العشق عليه ذلك فقالوا:

اكثيّر ما هذا التقلّب في الهوى

وبالجملة: فإن أهل الأصنام في عبادتها أوثق من المراثي وأثبت قدماً فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ثم إنّ أهل الأصنام إنّما عبدوا آلهة لم يستحوا من إظهار عبادتها، بل يفرحون بإظهارها؛ والمراثي لو قيل له أشركت في عبادة ربك زيداً أو عمراً حلف وأقسم وبرء نفسه ممّا ينسب إليه، فهو يعبد من لا يحبّ الإنتساب إليه، وهم يعبدون من يحبّون الإنتساب إليه ويتمدّحون بالإنتساب إليه، وقد عرف أهل الإسلام أنّ عبّاد الأصنام إنّما يعبدونها لأنّها هي النافعة الضارة بل لأنّها تقرّبهم الى الله سبحانه الذي هو النافع الحقيقي، والمراثي قد عبد غير الله سبحانه بزعمه أنّه النافع المعطي.

(١) جاء في هامش المغني لابن قدامة (ج ٢، ص ٣٨٨) إن هذه أسماء رجال صالحين اتخذوا الناس لهم صوراً بعد موتهم ليتذكروا بها فيقتدى بهم، فلما ذهب العلم زين لهم الشيطان عبادة صورهم وتمثيلهم بتعظيمها والتمسح بها والتقريب إليها.

(٢) شاعر مشهور من بني مليح بن عمرو ومنزاعه، وعزة هي اسم امرأة من معشوقاته فعرف بها، وكان كيسانياً ومات على هذا المعتقد توفي سنة ١٠٥ للهجرة بالمدينة وله ديوان شعر مطبوع في سنة ١٩٢٨

■ [نموذج الشرك في حادثة كربلاء]:

ومن الشرك إطاعة من لم يفرض الله طاعته مثل إطاعة أهل الكوفة ليزيد، وابن زياد، في حرب الحسين عليه السلام، وجاء في الحديث: «لا طاعة لمخلوق في سخط الخالق»^(١)، فهم أطاعوا يزيد وأسخطوا الخالق.

■ [شعر في هذا المعنى]:

سَمَّوْا نَفوسَهُم بِالْمُسْلِمِينَ وَهُمْ

لَمْ يَعْبُدُوا اللَّهَ بَلْ أَهْوَاءَهُمْ عَبَدُوا

تَجَمَّعَتْ عَصَبَةٌ^(٢) مِنْهُمْ يَضِيقُ بِهَا

رَحَبُ^(٣) الْفَضَا وَلَهَا وَامْتَالِهَا عَذْرُ^(٤)

(١) جاء في لواعج الأشجان (ص ١٠٤) أن النص هكذا: «لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق».

(٢) أو: عدة منهم.

(٣) أو: صدر الفضا.

(٤) أو: أمثالها مدد، وهي أبيات للشاعر العالم السيد رضا الهندي رحمته الله: راجع ديوانه (ص ٤٥).

المجلس الثالث

في الشرك الأخفى

وأما الشرك الأَخْفَى فهو أمور:

منها: أنَّ تَغْيِيرَ شَيْئاً بِالْإِعْتِقَادِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ وَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَحَلِّهِ وَمَقَرِّهِ، فَمَنْ أَتَى يَغْيِيرَ شَيْئاً، وَإِنْ كَانَ حَقِيقاً كَانَ مُشْرِكاً، وَهَذَا مَعْنَى مَا رَوَاهُ بُرَيْدُ الْعَجَلِي، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتَهُ عَنْ أَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ مُشْرِكاً؟ قَالَ: فَقَالَ عليه السلام: «مَنْ قَالَ لِلنَّوَةِ إِنَّهَا حَصَاةٌ وَلِلْحَصَاةِ إِنَّهَا نَوَاةٌ ثُمَّ دَانَ بِهِ»^(١).

وَقَدْ دَخَلَ أَبُو حَنِيفَةَ^(٢) وَأَصْرَابُهُ مِنْ فَقَهَائِهِمْ تَحْتَ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الشَّرْكِ، عَلَى مَا عَرَفْتَ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ عَلِيٌّ كَذَا، وَأَنَا أَقُولُ كَذَا. لَكِنْ هَذَا مِنْ أَفْرَادِ الشَّرْكِ الْجَلِيِّ، لِأَنَّهُ لَمَّا خَفِيَ قَوْلُهُ وَحَالَهُ عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ أَدْرَجْنَاهُ فِي الشَّرْكِ الْأَخْفَى وَالْخَفِيِّ. وَيَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الشَّرْكِ أَيْضاً: مَنْ كَذَبَ مُتَعَمِّداً فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، مِثْلَ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَمُحَدِّثِهِمْ، الَّذِينَ أَكْثَرُوا الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، فَهُمْ مُشْرِكُونَ أَيْضاً.

وَكَذَا مِنْ كَذِبِ مَنْ عُلَمَاءُ الشَّيْعَةِ فِي الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ، وَتَكَلَّمَ بِلَا وَقُوفٍ وَلَا تَنْتَبَتْ، وَأَمَّا تَوْهَمُهُ تَوْهَمًا أَوْ تَعَمُّدُهُ، لِثَلَا يُقَالُ: أَنَّهُ جَاهِلٌ، وَكَذَا مِنْ أَفْتَى النَّاسِ

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٩٧).

(٢) كَانَ مِنْ أُنْمَةِ الْخِلَافِ، عَاشَ مَا بَيْنَ ٨٥-١٥٠ هِجْرَةَ وَاسْمُهُ نَعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ الْكُوفِيُّ، وَصَارَ لَهُ مَذْهَبٌ يُعْرَفُ بِاسْمِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ تَتَلَمَّذَ عَلَى يَدِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام وَقَالَ مَقُولُهُ الْمَشْهُورَةُ: (لَوْلَا السَّنَتَانِ لَهْلَكَ النَّعْمَانُ) [التحفة الاثني عشرية للألوسي: ص ٨].

وليس هو بأهل الفتوى، فإنه والحال هذا قد نهى من الخوض في الفتوى، فإذا أفتى فقد أشرك من حيث لا يشعر، ومن هنا صار الشرك دقيقاً جداً.

ومنها: الطاعة، فإنك قد علمت أنّ الذي يجب طاعته مثل حجج الله (عليهم السلام) فمن أطاع غير من فرض الله طاعته فقد صار مشركاً، لأنه أشرك مع الله من لم يأمر بطاعته. قال الصادق عليه السلام: في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١) قال عليه السلام: «يطيع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك»^(٢)، وقد دخل تحت هذا الفرد من الاشراك سائر مخالفينا من العامة وغيرهم، وذلك لأنهم ألزموا أنفسهم طاعة الطواغيت والجوابيت ومن أمر الله أن يكفر به، فقد صاروا شركاء الله حيث أوجبوا ما لم يوجب، وأشركوا فيه أيضاً من جهة: أنّ من أوجب طاعته لم يوجبوها هم. ومن هنا روى عميرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته عليه السلام يقول: «مُرَّ النَّاسُ بِمَعْرِفَتِنَا وَالرَّادَةُ إِلَيْنَا وَالتَّسْلِيمُ لَنَا»^(٣) ثم قال: «وَأَنْ صَامُوا وَصَلُّوا وَشَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَجَعَلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنْ لَا يَرُدُّوا إِلَيْنَا كَانُوا بِذَلِكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٤).

ومنها: المعارضة والانكار على الحكمة الإلهية، كما يصدر من عوام الناس كثيراً، أمّا باللسان أو بالقلب، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لَوْ أَنَّ قَوْماً عُبِدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَحَجَّجُوا الْبَيْتَ وَصَامُوا شَهْرَ رَمَضَانَ ثُمَّ قَالُوا شَيْءٌ صَنَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ صَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَلَا أَصْنَعُ خِلَافَ الَّذِي صَنَعَ، أَوْ وَجَدُوا ذَلِكَ فِي

(١) الآية ١٠٦ من سورة يوسف.

(٢) موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام (ج ٥، ص ٣٢٤).

(٣) بصائر الدرجات (ص ٥٤٦).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٣٩٨).

قلوبهم لكانوا بذلك مشركين»^(١)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾^(٢).

وحينئذٍ فما يقوله جهال الناس وعوامهم لو أنَّ الله أغنانني لكان هو الأحسن، أو لو أنَّ الله فعل يزيد كذا وكذا لكان هو الأصلح، ونحو ذلك من العبارات المشتملة بظاهرها على الاعتراض من باب الشرك وأحد أنواعه.

ومنها: الاشرار معه في المحبة، فإنَّ أسباب المحبة كما سيأتي (انشاء الله تعالى) كلُّها راجعة إليه، فيجب أن يكون هو المحبوب لا غير، ولا يكون في القلب غيره، وهو بيته ومنزله، كما جاء في الحديث القدسي، من قوله تعالى: «لَمْ تَسْعِنِي سَمَانِي وَلَا أَرْضِي وَلَا عَرْشِي وَلَا كُرْسِيَّ، فَأَتَمَّا وَسَعِنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ»، فلا يكون في هذا البيت إلَّا هو ومن انتسب إليه، وهو من أمر يودادهم مثل الأئمة الطَّاهرين (عليهم السلام)، والعلماء، وأولاد الرجل، وأقاربه، ممَّن أمر الله سبحانه بعطفهم والميل إليهم، فمحبة هؤلاء راجعة إلى حبه سبحانه، كما جاء في الحديث، أمَّا إذا تجاوز القدر المأمور صار شركاً.

■ [القيم من البيت العلوي]:

وجاء في الخبر «إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام، ذات يوم أجلس زينب ابنته على فخذه وطفلاً آخر على فخذه الآخر، وهو يقبلها، فقالت زينب: أبتاه أتحبنا؟ قال عليه السلام: نعم

(١) المحاسن (ج ١، ص ٢٧١).

(٢) الآية ٦٨ من سورة النساء.

يابنتاه قالت: أبتاه إنَّ المحبَّة خاصة لله تبارك وتعالى، وأمَّا إلينا فهي الشفقة. فقبلها أمير المؤمنين عليه السلام ^(١)، وهذا من علم زينب وكمالها، وقد شهد لها الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «عمَّة زينب؛ أنت بفضل الله عالمة غير معلَّمة وذلك حين مرَّوا بهنَّ على مصارع القتلى، وهمت أن تلقى بنفسها من على ظهر الناقة، هناك قال لها الامام عليه السلام: «عمَّة أنت بفضل الله عالمة غير معلَّمة، إذا ألقيتي بنفسك من على الناقة فمن يركبك، وأنا على هذه الحالة، ودعي أخاك وأنت على ظهر الناقة» ^(٢).

فنادت بلسان حالها:

احجاب صوني في أمان الله، عز علي، مسرنا، وجسمك مودع، ودعتك الكافي
وقد سدن عليّ مذهب الآن مابك اصنع همت لتقضي من توديعه وطراً ^(٣).

■ [شعر في الرثاء]:

ربكن حسرى ومدت زينب نظراً رأت أخاها على البوغاء منعفرا
حتى إذا طوح العادي بهم وسرى همت لتقضي من توديعه وطرا
وقد أبى سوط شمر أن تودعه
حننت وأنت وقد أجرت مدامعها عليه والوجد قد أحنى أظالعها
والشمرت عن جسمه بالسوط دافعها فقادفته ولكن رأسه معها
وغاب عنها ولكن قلبها معه

(١) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٣٩٢).

(٢) الاحتجاج (ج ٢، ص ٣١).

(٣) جاء هذا الشطر في ديوان السيد رضا الهندي (ص ٥٠).

المجلس الرابع

في التكبر والفخر

قال الله تعالى في سورة الصافات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَكُمْ لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١).

إعلم وفكك الله تعالى أن الغرض الذاتي من خلق الإنسان إنما هو الإطاعة والقيام بوظائف العبودية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

وليس المثل إلا كمولى يشتري عبداً، فإنه ليس العلة في شرائه إلا أن يأتي بمراسم العبودية ولو ازيمها، وحينئذ ارتقاؤه في درجات الكمال إنما يكون بارتقائه في درجات العبودية، سواء كان نبياً أو غيره، ومن هنا فضّلت مرتبة العبودية على النبوة ومرتبة الرسالة، قال تعالى مخبراً عن غاية قرب نبيه وتما التوبة باسمه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾^(٣)، ولم يقل في هذا المقام (أسرى) برسوله، مع أنها الحالة التي امتاز بها عن سائر الأمة.

ووجه ذلك أن العبودية نسبة بين العبد ومولاه، والرسالة نسبة بين النبي وأُمَّته، وهي كونه رسولاً إليهم، ولاريب في أشرفيته فالنسبة الأولى لمكان طرفيها ولأنها النسبة المقصودة بالذات، وأما الرسالة وماشابهها فهي نسبة عرضية لاذاتية، ومن ثمة كانت الأولى هي المقدمة في الوجودين، فإنه عز وجل لم يرسله إلى الأمة إلا بعد

(١) الآيات ٣٥ - ٣٧ من سورة الصافات.

(٢) الآية ٥١ من سورة الذاريات.

(٣) الآية الأولى من سورة الاسراء.

أربعين سنة؛ وهي مدة سيره في تحصيل كمال العبودية، فإنه ترقى فيها حتى أخبر عنه، بقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١)، ولما كمل في تلك الدرجة، هبط منها إلى درجة سافلة وهي الرسالة، فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾^(٢).

ففي قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ إشارة إلى هذا الانزال المعنوي، وهو من درجة إلى درجة، وليس المراد الإنزال الحسي، لأنه لم يكن في السماء حتى أنزل إلى الأرض، بل كان بين ظهرائهم، وما كان أشق لها الإنزال عليه؛ لأنه كان في الدرجة الأولى يحاكي جناب القدس عالم الملكوت، وقد صار في الثانية متكلماً مع أجلاف قريش وجهاً وجهالهم الذين يقولون: ﴿أَجْعَلِ آلِهَةً إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾؛ فإنهم كانوا يعبدون ثلاثمائة وستين صنماً، ولما نزل إليهم أمرهم بالتوحيد فأظهروا هذا التعجب من قوله، وقد حصل له ﷺ من ردّهم عليه مقالته، تعب عظيم وألم جسيم، وتعب القلب أشدّ من ضرب السيوف، لأنّ من ربّي أربعين سنة في حجر جبرئيل عليه السلام، وكان المعلم له ربّ الملكوت، فأدّبه بأدابه، وأطلعه على مراتب جبروته، ثم تنزل من هذا كلّه حتى أمر بمعاشرة أجلاف العرب وأهل ترك الأدب مع فرط روحانيته ولطافة قدسيته، كان هذا عليه أثقل من الجبال الرواسي لولا أمره سبحانه له بمثله، كما قالت الصديقة عليها السلام: «ابتنعه الله إتماماً لأمره وعزيمة على إمضاء حكمه».. إلى آخر^(٣).

فهذه المقدمة من باب التمهيد والاشعار بالتواضع، وإذا تحققت هذا فاعلم: أنّ الناس كلّهم؛ بل كلّ أصناف المخلوقات متساوون في العبودية لأنّ مولاهم واحد، فهم من قبيل سلطان عنده أنواع من العبيد فليس للأبيض أن يفتخر على الأسود في

(١) الآية ٩ من سورة النجم.

(٢) الآية ١١ من سورة الطلاق.

(٣) الاحتجاج (ج ١، ص ١٣٣).

أصل العبودية.

ومن هنا جاء في الحديث: إِنَّ الله سبحانه أوحى إلى موسى ﷺ إذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيراً منه، فجعل موسى لا يعترض أحداً إلاّ وهو لا يجسر أن يقول: أنا خير منه، فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتّى مرّ بكلب أجرب، فقال: أصحب هذا. فجعل في عنقه حبلاً، ثمّ مرّ به، فلما كان في بعض الطريق شمر الجبل وأرسله، فلمّا جاء إلى مناجاة الربّ سبحانه، قال: يا موسى؛ أين ما أمرتك؟ قال ﷺ: يارب لم أجده. فقال تعالى: وعزّتي وجلالي لو جئتني بأحد لمحوتك من ديوان النبوة^(١).

فهذا الحديث، وماروي في معناه، منزّل على ما ذكرناه من باب الخضوع لله والتساوي في العبوديّة، وإلاّ فلا خلاف في أنّ كلّ نبيّ بعث في زمان فهو أفضل وأشرف من أهل زمانه، وكذا النّاس يتفاوتون في الفضل والشرف على قدر خدمتهم مولاهم، فيكون هذا الشرف عارضياً، ومع هذا فلا ينبغي للعبد أن يفخر على غيره به، وينبغي أن يكلّ الفخر والمدح إلى الله مولاه، بأن يكون هو الذي يباهي به ويظهر شرفه، وفي الديوان المنسوب لأمير المؤمنين ﷺ:

أَبُوهُمْ آدَمَ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
مَسْتودَعَاتِ وَالْأَحْسَابُ آبَاءُ
يَفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينَ وَالْمَاءُ
فَإِنْ نَسَبْتَنَا جُودَ وَعِلْيَاءُ
عَلَى الْهَدْيِ لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ

النّاس من جهة التمثال أكفاء
[وإنما أمّهات النّاس أوعية
فإن يكن لهم في أصلهم شرف
[وإن أتيت بفخر من ذوي نسب
ما الفضل إلّا لأهل العلم إنهم

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء^(١)

نعم إذا أراد الانسان بيان أحواله إذا كانت مجهولة لغرض من الأغراض الشرعية، كذكر العلماء مدائحهم ومعاني مناقبهم في كل فنون، وذلك لتستفيد الناس منهم، من هذا جاء في الحديث، قوله ﷺ: «أنا خير الخلق ولا فخر، وأنا أفصح العرب ولا فخر»^(٢)، ومقصوده من ذلك بيان شيء من شأنه عند جهال الناس لا الفخر، ولهذا بالغ في نفيه بـ (لا) الجنسية، والكبر والفخر ليسا من مساوئ الأخلاق بل من أشرف الصفات والحالات، وهما من صفات الإكرام له سبحانه وتعالى ومما اختصَّ به، فلا يجوز لأحد أن ينازعه في أخصَّ صفاته.

قال أبو جعفر عليه السلام: «العز رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شيئاً منه أكبه الله في جهنم»^(٣) وفي الحديث القدسي: «العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني أدخله ناري ولا أبالي»^(٤)، فهما بالنسبة إلينا صفات ذمّ، لأنهما ثوبان مغصوبان قد لبسناهما، والثوب المغصوب يحرم استعماله.

■ [من تاريخ مظلومية أهل البيت عليه السلام]:

أقول: وكذلك الخلافة مخصصة بأمر المؤمنين عليه السلام وأولاده الاحد عشر وقد

(١) وهي أول أبيات الديوان المنسوب له عليه السلام والذي جمعه بعض الأصحاب على ما قال شيخ الباحثين العلامة آغا بزرگ الطهراني رحمه الله في كتابه الذريعة (ج ٩، ق ١، ص ١٠٢) وقد طبع أول مرة في بولاق أول شهر الصيام سنة ١٢٠١ للهجرة.

(٢) المجموع للنووي (ج ١٨، ص ٢٢٧).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٩).

(٤) في المصادر: فمن نازعني فيها عذبت (مجمع الزوائد: ج ١، ص ٩٩).

أخذوها غصباً، كما قال بعض الأدباء:

غصب الخلافة والوصي حليها
وزنى بها والبعل منها حاضر

وقال السيد جعفر الحلي رحمته الله:

رياسة الدين لنا فُضِّلَتْ
إن يلبسوا اليوم عاريةً
أزعمنا غيِّب عنا فما
ياوقعة الطف ولم ننسها
مثل بنات الوحي بين العدا
لا تمسك باليمنى حشاها وأن
أبرادها والناس عنها قصار
ففي غد سوف يُردّ المعار
أسرع أن يبدو فيحمي الدمار
ما أظلم الليل وضاء النهار
يطاف فيهن يمين يسار
أعوزها الستر عدّ اليسار

□ [وقيل شعراً]:

أتنسى وهل ينسى وقوف نسائك

لدى ابن زياد إذا أمار حجابها

وعمتك الحوراء أتى توجهت

رأت نائبات الدهر تفرع بابها

أتستطيع صبراً أن يقال: أمية

أجالت على صدر الحسين عرابها

أتستطيع صبراً أن يقال: نساؤكم

سبين وابنتي شال العدو نقابها

المجلس الخامس

في الفخر والكبر أيضاً

قال رسول الله ﷺ: «أبناء آدم كأسنان المشط لا يفضل بعضهم بعضاً»^(١)،
 نقلاً عن كتاب الاختصاص^(٢): إن سلمان الفارسي (رض) دخل يوماً مجلس
 النبي ﷺ، فقام له جميع الأصحاب تعظيماً له، وأجلسوه في صدر المجلس، فدخل
 بعد ذلك عمر، فرأى سلمان في صدر المجلس قد تصدر جميع الأصحاب، فقال: من
 هذا العجمي المتصدر على العرب؟! ثم إن النبي ﷺ صعد المنبر، فقال ﷺ: «جميع
 الناس من لدن آدم إلى الآن مثل أسنان المشط متساوون، وليس لعربي على عجمي
 فضل، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى. سلمان بحر لا ساحل له أو لا ينفذه وكنز
 لا ينفذه سلمان منا أهل البيت»^(٣).

ويكون هذا إشارة إلى أصل العبودية، أي المساواة في العبودية، ويجوز أن
 يكون هذا الحديث منزلاً على إرادة المؤمنين والمسلمين، كما قال ﷺ: «ماترك
 الايمان لذي شرف شرفاً؛ فإنهم كانوا يتكبرون ويفخرون في أعصار الجاهلية، حتى
 بلغ بهم الحال إلى أن الرجل العظيم منهم إذا كانت له بنت انتظر بها حتى إذا بلغت مبالغ

(١) لم أجده بهذا النص ولكنه كثير في المصادر بهذا المضمون مها الملاحم والفتن لابن طاووس
 (ص ٣٥٣).

(٢) قال السيد اعجاز حسين في كشف الحجب والأستار (ص ٣٠): هو كتاب جامع لفنون الأحاديث
 والآثار ومحاسن الخطابات والأخبار في مدح الصحابة وفضائلهم وأقدار العلماء ومراتبهم وفقهم،
 ألفه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المتوفى سنة ٤١٣ للهجرة.

(٣) مستدرک الوسائل (ج ١٢، ص ٨٩).

النساء، زينها وحلاها بأنواع الحلبي والحلل وأخذها إلى المقابر، وحفر لها قبراً ودفنها فيه، وهي في عالم الحياة، وذلك لأنه ليس لها كفؤ بزعمه حتى يزوجه من، فنفي سبحانه وتعالى هذه المقالة عليهم بقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (١).

وقد حكى الثاني فيما روي عنه، أنه قال: أدركتني الرقة على ابنة لي في أعصار الجاهلية، وذلك إني أمرت بأن يحفر لها قبر لأدفنها فيه، فلمّا أتيت بها إلى القبر، وكان الحفّار يخرج التراب من القبر، فتناولت منه التراب فعلق بعض التراب بلحيتي، فأخذت البنت تنفضه منها فرفقت لها، ثم دفنتها وهي حيّة.

فلما جاء الإسلام أبطل تلك الأمور وعطلها، حتى أنه ﷺ صعد المنبر يوماً، وذكر ما كانوا به يتفاخرون ويتكبرون، فقال ﷺ: «أنّه موضوع تحت قلبي الى يوم القيامة» (٢) ولم ينزل من المنبر حتى زوج بنت صفية بنت عبدالمطلب من المقداد (٣)، مع أنّه كان أفقر الناس حالاً وأقلهم مالاً.

وقد ساوى بينهم أيضاً في أعزّ الأمور وأنفسها، وهو أمر الدماء، فقال ﷺ: «المسلمون أخوة، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، فإذا كان دم السلطان ودم الكناس على حدّ سواء، ويقتل هذا فأتى للسلطان والفخر والتكبر على الكناس» (٤).

فإذا فكّر الانسان في مبادي أحواله وأواخرها، ذلّت عنده نفسه ولم يدخلها في

(١) الآيتان ٨ و ٩ من سورة التكوير.

(٢) بحار الأنوار (ج ٢١، ص ١٣٢).

(٣) وقيل: إنه زوج ابنة عمه ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب (مستدرک الوسائل: ج ١٤، ص ١٨٦).

(٤) تهذيب الأحكام (ج ٤، ص ١٣١).

ميدان الفخر والكبر ... قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «ابن آدم أتى لك والفخر فإن أولك جيفة، وآخرك جيفة، وفي الدنيا حامل جيفة»^(١).

ولينظر إلى هذه الجيفة، وأحوالها فإنها ليست كجيف الحيوانات.

أما الجيفة الأولى، وهي المني، فقد غلظ الشارع نجاستها، حتى فهم من بعض العلماء تغليظه أن تطهير الثياب والأبدان منها يحتاج إلى الغسل مرتين، كما ورد في إزالة البول أيضاً، وأنها تخرج من طريقين نجسين بالبول، فيكون حاله ضمّ نجاسة إلى نجاسة.

وأما **الجيفة الثانية**، وهي ميتته، فإنها أخسّ من ميتة الحيوان، وذلك إن كلّ من مسّ ميتة الحيوان، لم يوجب الشارع عليه غسلًا، وأما إذا مسّ جلد الميت فقد أوجب عليه الغسل، مبالغة في ميتته وفي اجتناب الناس له، حتى يعتبر الأحياء برؤية الأموات، وقد ألقى أيضاً على الميت من الريح المنتنة ما لم يلقه على ميتة شيء من الحيوانات. وأما حملة الجيفة في حال الحياة، فهي أظهر من أن يُذكر، فبطنه وعاءٌ للآذار، ولعل أن تطرئ على الإنسان حالات يكون أخسّ من الحيوان، فقد حكى سبحانه عن جماعة قصّروا في القيام بوظائف العبودية، فقال: **(وَأَن هُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَل سَبِيلًا)**^(٢). وذلك أنّ الأنعام تهرب من الضار لها، وتقبل على من قصد إيصال النفع إليها، بخلاف الإنسان فإنه يهرب ممّن يريد نفعه، وهو الذي ربّاه صغيراً ورزقه كبيراً، ويقبل على من أراد ضرّه وهم شياطين الإنس والجنّ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(٣) والإنسان يهرب ممّن يدعو إلى دار السلام ويقبل على من يدعو

(١) كشف الخفاء (ج ١، ص ٣١) وتاريخ الاسلام (ج ٨، ص ٢١٧).

(٢) الآية ٤٤ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ٢٥ من سورة يونس.

الى طبقات النيران.

وفي الحديث: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ إِذَا دَخَلُوهَا دَخَلَهَا الشَّيْطَانُ مَعَهُمْ، فَيُوضَعُ لَهُ مِنْبَرٌ مِنْ نَارٍ، وَيَلْبَسُ ثِيَاباً مِنْ نَارٍ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾»^(١)، فيرقى فوق المنبر، ثم يأخذ في السخرية والاستهزاء على من تحت منبره فتضج أهل النار بلعنه وسبته، فيقول: هم أنصتوا لكلامي. فيقول: أيها الجهال؛ إن الله تعالى أرسل مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي يدعونكم إلى تلك الجنة العالية فلم تقبلوا قولهم، وأنا دعوتكم وحدي الى هذه النار الشديدة العذاب فأطعتموني، فلاتلوموني ولوموا أنفسكم»^(٢).

إنّ الأنعام تعرف بيت صاحبها، فتغدوا عليه وتروح، وتسرح وتجي، والانسان يهرب عن بيت مولاه وهو المسجد والبيت والكعبة، فالحيوان حاله أحسن من الانسان، ثم إنّ الأنعام قامت بوظائف ما خلقت له، فإن الثور خلق للحرث، والفرس للركوب، ونحو ذلك، ولم يحصل منها تقصير في هذه الغايات، والانسان خلق للعبادة ولم يأت بشيء منها، فالحيوان أهدى من الانسان، ولو تفكّر المفاخر والمتكبر لرأى أول من سبقه بهذه الخصلة القبيحة هو الشيطان اللعين، حيث أبى عن السجود، بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٣)؛ فإنّه نظر إلى جوهر النار يطلب جهة العلوّ والطين يطلب جهة السفل فيكون أشرف من الطين، وقد غلط في هذا، فإنّ النّار وإن ارتفع سناها في الهوى وشبّت لكنّه لحظة واحدة ثم لا يحصل منها بعد الآلزام الذي لا ينتفع به، وأمّا التراب فهو وإن كان موضوعاً تحت الأقدام لكنّه بسبب هذا

(١) الآية ١٩ من سورة الحج.

(٢) فتح القدير (ج ٣، ص ١٠٥).

(٣) الآية ١٢ منسورة الأعراف والآية ٧٦ من سورة ص.

التواضع قد صار مادةً لأنواع الورد والريحان والثمار وكل خير، فهو إذاً أشرف من النار وأنفع منها.

■ [عبرة من كربلاء]:

أقول: والتراب صار مدفنًا للأنبياء والأولياء وتضمّن أجسادهم، انظر إلى شرافة أرض كربلاء، بلغ من رفعتها: أنها ترفع يوم القيامة وتجعل روضةً من رياض الجنة، حيث أنها تضمّنت جسد الحسين عليه السلام ^(١)، وأما في الدنيا فإنها مركز الزائرين من جميع الأقطار وترى الملوك خضعاً على أعتاب حضرته، وكفى في فضل زيارته أن أيام الزيارة لا تحسب من أعمار زائريه، فيرجع كما ولدته أمّه مع ما ينال من الأجر في زيارته.

وقد قال لسان حاله:

فيا شيعتي لا تتركوا قصد تربتي فأتايتها من أفضل القربات
ومهما شربتم بارد الماء فاذكروا ونأتي عطشاناً بشط فرات
وصبّوا عليّ الدمع في كلّ موضع فإني قتيل الدمع والعبرات
لقبر سليل فاطمة أتينا وسبعاً في جوانبه سعيينا يا صاح استمع واصغ
إذا شئت النجات فزر حسيناً

فكم للزائرين نفيض علماً رويناه عن المختار

حتماً غداً في العشر لا تلقون اثماً

(١) كما في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «موضع قبر الحسين عليه السلام منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة» كما في ثواب الأعمال (ص ٩٤) وغيره من الأخبار في غيره من المصادر.

فإن النار ليس تمس جسماً

عليه غـبار زوار الحسين^(١)

المجلس السادس

في الكبر والفخر أيضاً

روي أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام، فقال: أتدري لم رزقتك النبوة؟ فقال: يا رب أنت أعلم به مني. فقال: تذكر اليوم الذي كنت ترعى الغنم بالموضع الفلاني، فعدت شاة فعدوت خلفها فمّا لحقتها، لم تضربها، وقلت: أتعبتني وأتعبت نفسك. فحين رأيت منك تلك الشفقة على ذلك الحيوان رزقتك النبوة.

وبالجملة فليس الفخر والشرف إلا لمن شرفته الطاعة، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: ليس الشرف إلا من شرفته طاعتي. وأوحى الله إلى موسى بن عمران قال: يا موسى ستة أشياء في ستة مواضع، والناس يطلبونها في ستة مواضع فلم يجدوها أبداً، إني وضعت الراحة في الجنة، والناس يطلبونها في الدنيا، [وإني وضعت العلم في الجوع والناس يطلبونه في الشبع، [وإني وضعت العز في قيام الليل والناس يطلبونه في أبواب السلاطين، [وإني وضعت الدرجة في التواضع والناس يطلبونه في التكبر، [وإني وضعت اجابة الدعاء في لقمة الحلال والناس يطلبونها في القيل والقال، [وإني وضعت الغنى في القناعة والناس يطلبونه في كثرة العروض ولم يجدوها أبداً^(٢).

وفي الحديث القدسي أيضاً: إنّ الناس يطلبون أشياء في أشياء فلا يجدونها إلا

(١) يأتي تفصيل هذا الشعر وحادثته.

(٢) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٣٨٤).

في مواضعها، يطلبون العلم في الوطن فلا يجدونه لأني وضعته في الغربة، ويطلبون الغنى في جمع المال فلا يجدونه لأني وضعته في القناعة، ويطلبون العزَّ بخدمة السلطان فلا يجدونه لأني وضعته بخدمتي^(١). ومن هذا قال سبحانه: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ **عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾^(٢) ولم يقل إِنْ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ، إشارة إلى أَنَّ الفخر والشرف إنما ينبغي أن يكون هو الذي يفعله بالإنسان وينشر مدائحه، ويرقيه فوق درجات المعالي، من غير أن يكون الإنسان هو المتولي لذلك، وناهيك بالتكبر ذمّاً بعد الناس عن صاحبه، فهو لا يحبّهم وهم لا يحبّونه، وذمّه على ألسنة الناس، وإنَّ الله تعالى يبتليه في أغلب الأوقات بالذلّ والهوان، فإنَّ الصادقين عليهم السلام أي الائمة عليهم السلام قد مثّلوا الدنيا ببيت سقفه مخفوض، فالداخل إليه لا بدّ له أن يطأ رأسه عند الدخول، ومن رفع رأسه في تلك الحالة شجّه السقف وأخرج دمه ودمى بعمامته من فوق رأسه وفضحه بين الأقران الذين كان يريد أن يترفع عليهم.

تواضع ترتفع لو كنت نزلاً فكم وضع التكبر من رفيع

وجاء عن الصادق عليه السلام، قال لبعض تلاميذه يوماً: «أَيُّ شَيْءٍ تَعَلَّمْتَ مِنِّي» فقال: يامولاي؛ ثمان مسائل. قال عليه السلام: «قَضَاهَا عَلَيَّ لِأَعْرِفَهَا» قال:

الأولى: رأيت كلّ محبوب يفارق محبوبه عند الموت فصرت همّي إلى ما لا يفارقني وهو فعل الخير قال عليه السلام: «أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ».

الثانية: رأيت قوماً يفخرون بالحسب وآخرين بالمال والولد، وإذا ذاك لافخر ورأيت الفخر في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ **عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾^(٣)، فاجتهدت أن أكون

(١) تقدم المصدر.

(٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

عند الله كريماً. قال ﷺ: «أحسننت والله».

الثالثة: قال: رأيت الناس في لهوهم وطربهم؛ وسمعت قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١)، فاجتهدت في صرف الهوى عن نفسي، حتى استقرت على طاعة الله تعالى، فقال ﷺ: «أحسننت والله».

الرابعة: قال: رأيت كل من وجد شيئاً يكرم عنده اجتهد في حفظه، وسمعت قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٢)، فأحببت المضاعفة وأرى حفظ مما يكون عنده، فكُلَّمَا وجدت شيئاً يكرم عندي وجَّهت به إليه ليكون ذخراً لي إلى وقت حاجتي إليه. قال ﷺ: «أحسننت والله».

الخامسة: قال: رأيت حسد الناس بعضهم لبعض، وسمعت قوله تعالى: ﴿تَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رِبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣)، فلما عرفت أنَّ رحمة الله خير مما يجمعون ما حسدت أحداً ولا تأسفت على ما فاتني. قال ﷺ: «أحسننت».

السادسة: قال: رأيت الناس يعاندون بعضهم بعضاً في دار الدنيا، وسمعت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٤)، فاشتغلت بعداوة الشيطان عن عداوة غيره. قال ﷺ: «أحسننت».

السابعة: قال: رأيت كدح الناس واجتهادهم في طلب الرزق، [و]سمعت قوله

(١) الآيتان ٤٠ و ٤١ من سورة النازعات.

(٢) الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٢ من سورة الزخرف.

(٤) الآية ٦ من سورة فاطر.

تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ • مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ • إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(١)، فعلمت أن وعده حق، وقوله صدق فسكنت إلى قوله دونهم، ورضيت بقوله، واشتغلت بماله عليّ عمّا لي عنده. قال ﷺ: «أحسنتم والله».

الثامنة: قال: رأيت قوماً يتكلمون على أبدانهم، وقوماً على خلق مثلهم، وسمعت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً • وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٢)، فأتكلت على الله، وزال اتكالي عن غيره. قال له ﷺ: «والله إن التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب مشحونة بهذه المسائل»^(٣).

■ [عبرة من كربلاء]:

وأعظم أسباب التكبر هو الغنى، وجمع الأموال، وإقبال الدنيا، والرياسة الدنيوية، أما ترى يزيد الطليق ابن الطليق كيف طغى وتجبر، وأذى به الحال أن اوقف حجة الله زين العابدين ﷺ، وعماته، وأخواته، بين يديه وهو جالس على سرير مملكته وعليه التاج.

(١) الآيات ٥٦ - ٥٨ من سورة الذاريات.

(٢) الآيتان ٢ و ٣ من سورة الطلاق.

(٣) تنبيه الخواطر (ج ١، ص ٣٠٣).

□ [شعر في هذا المعنى]:

عجبت ومن في الدهر سرح طرفه
وفكر فيه لم يزل يتعجب
يزيد الخنا في دسسته متقلب
ويمسي حسين في الثرى يتقلب
ويحمل منه الرأس في الرمح جهرة
وفي التاج رأس ابن الدعية يعصب
أبا حسن تفضي وتلتذ بالكرى
وبالكف أمست تستر الوجه زينب
أبا الحسن ترضى صفاياك في السبا
ونسوة حرب في المقاصير تحجب

المجلس السابع

أيضاً في الفخر والتكبر

أعظم أسباب التكبر هو الغنى وجمع المال، وروي: أنَّ أول من سكَّ الدرهم والدينار نمرود^(١) (لعنه الله)^(٢)، فأول درهم ودينار سكَّهما الصايغ أخذهما الشيطان ووضعهما على عينيه، وقال: أنال ما أريد من الناس بهذين فكان كما قال، ومن

(١) نمرود بن كنعان المعاصر لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وهو من الجبابرة.

(٢) العقد المنير (ص ٣١) وعلل الشرائع (ج ٢، ص ٥٩٦).

هنا قال الله تعالى ^(١): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْغِضُ الشَّيْخَ الزَّانِي وَالْفَقِيرَ الْمَتَكَبِّرَ» ^(٢)، وذلك لعدم وجود الداء فيهما وهو الشهوة والمال.

وفي بعض التواريخ سئل المفضل ^(٣) بن يحيى البرمكي: عن سبب التكبر الذي كان يفعله مع الناس، ومن أين أخذه؟! فقال: أخذته من فلان، وهو رجل من أقارب الخليفة، وذلك أَنَّ الخليفة جعلني عاملاً على قم وتوابعها، وكان لي من يكرهني عند الخليفة، فقالوا له: ينبغي أن تأخذ منه خراج هذه السنة قبل أن يمضي إلى قم، فأتنتي غلمان الخليفة، والخراج كان مالاً جزيلاً، فقال لي أبي: امض إلى فلان، وقل له: أبي يقرأ عليك السلام، ويقول لك: القصة كذا وكذا، فإن حصل شيء تعرضه حتى تأتي بالخراج، فمضيت إليه، ووجدته جالساً وحده، متكياً على محجر، فسلمت عليه، ولم ينظر إليّ، فتقدّمت إلى المجثى إليه، فقلت له: ما قال لي أبي، فلم يكلمني، فخرجت ولم أحك ما جرى لأبي، فلما كان قد مضى ساعة وإذا بالجمال محمّلة بتلك الأموال معها غلمانها، وإذا هي تفي بالخراج وفوقه، فأوصلناه إلى خزانة الخليفة، فلما جمعت الخراج، وأتيت بها إلى بغداد احملت الجمال تلك الأموال وتقدمتها، فرأيت جالساً على تلك الهيئة، فلما رأى الجمال، قال: ما هذه الاجمال؟! قلت: هذه الأموال التي استقرضها أبي منك!! فقال: إني كنت خزاناً لأبيك، خذ أموالك فامض، فلم يكلمني غير هذه الكلمة فأتيت بالأموال فأعجبني تكبره لأنه مشفوع بالكرم ^(٤).

أمّا حال المتكبر في الآخرة فهو شنيع فضيع، قال عليه السلام: «يحشر المتكبر يوم

(١) قال عليه السلام.

(٢) الفقير المختال (المصدر): تحف العقول: ص ٤٢.

(٣) أو: الفضل الذي سجن الامام الكاظم عليه السلام في بيته كما في جل المصادر (أما لي الصدوق: ص ١٤٩).

(٤) وفيات الأعيان (ج ٤، ص ٢٨) وكتاب الفتوح (ج ٨، ص ٣٨٢).

القيامة بصورة الذر [أو النمل] تطأهم الخلائق بأرجلهم حتى يفرغ الله من الحساب، فهذا الهوان بإزاء ماراموا في الدنيا من الفخر والكبر ولم يحصلوه»^(١).

■ [معنى الكبر والحقيقة]:

بقي الكلام في معنى الكبر وفي حقيقته:

فقد روى شيخنا الكليني، في الصحيح إلى محمد بن مسلم، عن أحدهما، قال عليه السلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر». قال: فاسترجعت فقال عليه السلام: «مالك تسترجع» قلت: لما سمعت منك فقال عليه السلام: «ليس حيث تذهب إنما هو الجحود»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «الكبر أن تُغصص الناس وتسفّه الحق»^(٣) وقال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الكبر غمصُ الخلق، وسفّه الحق» قال: قلت: وما غمص الخلق، وسفّه الحق؟ قال ﷺ: «يجهل الحق، ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله تعالى رده»^(٤).

وعن عمرو ابن يزيد، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنني أكل الطعام الطيب، وأشتم الريح الطيبة، وأركب الدابة الفارهة، وبتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبر، فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: «إنما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق» قال عمرو: فقلت: أما الحق لا أجهله، والغمص لا أدري ما هو؟

(١) كما في هامش: نور الأفهام (ص ٣٤٩).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣١٠).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣١٠).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٣١٠).

فقال عليه السلام: «من حقر الناس وتخبّر عليهم فذاك الجبار» (١).

الغمص بالعين المعجمة والصاد المهملة هو: تحقير الناس.

أقول: دلت هذه الأخبار على أنّ الكبر المتوعد عليه هو تحقير الناس وعدم قبول الحق فيدخل في هذا أمور:

● **الأول:** مايقع في المناظرة بين أرباب العلم، فإنّ الغالب من أحوالهم أنّه يريد كلّ واحد إفحام خصمه ليرتفع عليه في المجالس، وإذا ظهر له أنّ كلام خصمه حقّ ردّه، ولم يقبل منه لثلا يظهر للناس أنّه أفلج، فمثل هذه المناظرة تدخل في تعريف هذا المتكبر، لأنّه ردّ الحقّ بعد ماظهر له أنّه حقّ، وأيضاً قد حقر قائله حيث زعم الناس أنّ هذا الرجل المبطل هو المحقّ وذلك المحقّ هو المبطل، ومن هنا كان المولى الصالح عبدالله التستري رحمته الله (٢) إذا سئل النقي الورع المولى الشيخ أحمد الاردبيلي رحمته الله (٣) عن مسألة وتكلّم فيها سكت الأردبيلي في أثناء الكلام، وقال: حتّى أراجع الكتب، ثمّ أخذ بيد التستري ويخرجان من النجف الأشرف إلى خارج البلدة، فإذا تفردا، قال المولى الاردبيلي: هات يا أخي تلك المسألة. فيتكلّم فيها ويحقّقها الأردبيلي على مايريد التستري، فيسأله، يقول: يا أخي هذا التحقيق لم لا تكلّم به هناك لما سألتك، فيقول له: إنّ كلامنا كان بين الناس ولعل فيه تنافس وطلب الظفر منك أو منّي والآن لا أحد معنا إلّا

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣١١).

(٢) المتوفى سنة ٢١ للهجرة وقد وردت ترجمته في روضات الجنات (ج ١، ص ٨٢)، وكان من أزهّد

الناس في عهد المقدس الأردبيلي (أعيان الشيعة: ج ٩، ص ١٩٦) الذي كان استاذّه.

(٣) المتوفى سنة ٩٩٣ للهجرة، اشتهر بالتحقيق والقدسية فأطلق عليه عنوان المحقق تارة والمقدس

أخرى وقال عنه الشيخ يوسف البحراني رحمته الله: كان عالماً عاملاً محققاً زاهداً ورعاً له كرامات

ومقامات.. أوجد مدرسة خاصة امتازت بالتحقيق والتشكيك، وله مؤلفات وكانت له حرمة ومنزلة

لدى سلاطين الصفوية (الموسوعة الفقهية الميسرة: ج ١، ص ٥٦٦).

الله سبحانه.

كلّ هذا فراراً من الفخر والتكبر والتنافس.

■ [عبرة من كربلاء]:

وأكثر ما يكون التكبر والتجبر في الأمراء ألا ترى ابن زياد لعنه الله حين دخلت عليه العقيلة زينب في مجلسه، وانحازت ناحية وقد حفّ بها خدمها وإماؤها ولاشك أنه عرفها، ولكن أراد التكبر والتجبر عليها، فقال: من هذه التي انحازت ناحية؟ فقيل له: هذه زينب ابنة علي. فالتفت إليها قائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟! قالت: مارأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن يكون الفلج يومئذ ثكلتك أمك يابن مرجانة إلى آخر ماجرى^(١).

فغار الإمام زين العابدين عليه السلام على عمته زينب، فقال لابن زياد: إلى كم تهتك عمتي زينب بين من يعرفها وبين من لا يعرفها؟! فقال: من هذا المتكلم؟! فقيل: علي بن الحسين. فقال: أليس الله قد قتل علي بن الحسين. قال: كان لي أخ وقتله القوم. قال: بل قتله الله. قال الامام: الله يتوفّى الأنفس حين موتها^(٢). فقال: ألك جرأة على رد جوابي، يا غلمان خذوه واضربوا عنقه الى آخر^(٣)...

(١) بحار الأنوار (ج ٤٥، ص ١١٦) عوالم العلوم (الامام الحسين عليه السلام، ص ٣٨٣)، وكتاب الفتوح (ج ٥، ص ١٢٢).

(٢) الآية ٤٢ من سورة الزمر.

(٣) كشف الغمة (ج ٢، ص ٢٧٨).

المجلس الثامن

أيضاً في الفخر والكبر

● **الأمر الثاني** من أمور الفخر والكبر في التواضعات: بأن يقوم لبعض الناس على وجه التعظيم، ولا يقوم للبعض الآخر على وجه التحقير، بأن يخطر بباله أن هذا لا يستهل التعظيم والقيام له، أمّا لو كان بعض الناس يتوقّع التعظيم، والآخر لا يتوقع التعظيم ولا يطلبه من ذلك الرجل، بل ربّما شقّ عليه تواضعه له، فالظاهر إنّ ترك التواضع له لا يعدّ من باب التكبر والفخر، وكذا في باب السّلام والتحيات، فإنّ كثيراً من الناس إذا تلاقوا مع إخوانهم لا يبدؤنهم بالسّلام عمدًا وقصدًا، أو يحقّرونهم، ويبخلون عليهم بالسّلام، ويطلبون أن يكون المبتدي بالسّلام هو ذاك الرجل الذي حقّره، مع قول النبي ﷺ: «يا علي كل من لقيتَه فسَلِّمْ عليه»^(١) وقوله ﷺ: «من المنجيات من عذاب الله تعالى إفشاء السلام»^(٢) وقوله ﷺ: «إنّ البخيل من بخل بالسّلام»^(٣).

وماورد في ثواب المسلّم أكثر من ثواب الرادّ للسّلام مع أنّ الأول مستحب والثاني واجب، وهذا مستثنى من القاعدة الكلّية من أنّ ثواب الواجب أكثر من المستحب.

وقد تعارف في بعض البلدان أنّ يسلم زيد مثلاً على عمرو ابتداءً، فلو ترك عمر الابتداء بالتسليم نظراً إلى الرّسوم المتعارفة لا من جهة التحقير، فالظاهر لا بأس به، نعم

(١) بحار الأنوار (ج ٧٢، ص ٣١).

(٢) وسائل الشيعة (ج ١٦، ص ٣٣٠).

(٣) معاني الأخبار (ج ٢٤٦).

قد فوّت نفسه مزيد الثّواب، والعلة في توقّر ثواب المسلّم على المجيب أنّ المسلّم هو المسبّب في تحصيل الثّواب للمجيب، فمن هنا زاد عليه.

● **الأمر الثالث:** في الجلوس في المجالس، والتصدر فيها، وتحقير الفقير بحيث لا يرضى الغنيّ بجلوسه في قربه، كما روي عن الصادق عليه السلام قال: «جاء رجل موسر إلى رسول الله ﷺ، نقي الثوب، فجلس إلى رسول الله ﷺ، فجاء رجل معسر درن^(١) الثوب، فجلس إلى جنب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له رسول الله ﷺ: خفت أن يمتك من فقره شيء؟ فقال: لا، قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ لا، قال: فخفت أن يوسخ ثيابك؟ قال: لا، قال: فما حملك على ما صنعت؟! فقال: يا رسول الله إن لي قريناً يزني لي كلّ قبيح ويقبح لي كلّ حسن، وقد جعلت له نصف مالي. فقال رسول الله ﷺ للمعسر: أتعبل؟ قال: لا. فقال له الرجل: ولم؟! قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك»^(٢) فهذا نوع من أنواع العجب وأفراده.

● **الأمر الرابع:** في المحاورات والمكالمات، فإن كثيراً من الناس من يعبر عن نفسه بالعبارات الموجبة للتعظيم والتكبر، كأن يقول أنا أمرت وأنا نهيت إلى غير ذلك من العبارات الظاهرة في الفخر والتعظيم.

وقد روي أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فدقّ عليه الباب، فقال ﷺ: «من بالباب؟» فقال: أنا. فغضب من قوله أنا، فخرج وهو يقول: من القائل أنا وهي لا تطلق إلا بالله الذي، يقول: أنا الجبار، وأنا القهار، وأنا الخالق، ثم قال ﷺ: إن في رأس كلّ واحد من الناس سلسلتين، فواحدة في رأسه إلى العرش، وطرفها في يد ملك جالس هناك،

(١) وسخ الثياب.

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٢٦٣) ودرن الثوب أي صاحب ثوب متعبد.

والأخرى تنتهي إلى تحت الأرض، وطرفها في يد ملك هناك أيضاً، فإذا تواضع لله تعالى، قال الله سبحانه للملك الذي في العرش: قد تواضع فلان فارفعه بين الناس حتى تكون مرتبته إلى العرش، وإذا تكبر قال الله سبحانه للملك الآخر: اخفضه بين الناس وأهبط درجته حتى تنتهي درجته إلى ماتحت الثرى»^(١).

● **الأمر الخامس:** في تبختره في المشي، إمّا بأن يضرب الأرض برجله كأنه يريد أن يخرقها، أو يمشي الهويناً متبختراً متخيلاً في المشي، جازاً عنقه، وربما قلب عمامته فوق وجهه كما يفعل المتكبرون، كأنه يريد أن يبلغ السماء، حتى أنّ الأرض تخاطبه، وتقول: يا متكبر تمشي على وجهي بهذه الطريقة، فأنا أقتاضى منك إذا وصلت إلى بطني إذا مت، فإذا مات قالت له الأرض هذا الكلام أيضاً، ثم تضغطه ضغطة شديدة حتى يخرج مخّ رأسه من تحت أظافر رجله.

■ [عبرة من كربلاء]:

خلاصة التكبر هو: تحقير الناس وعدم قبوله للحقّ وتكذيب قائله، ألا ترى أنّ الرجل الشامي لمّا قال ليزيد (لعنه الله): هب لي هذه الجارية من هذه الغنيمة تكون خادمة لي، يريد فاطمة بنت الحسين.

تقول فاطمة: فظننت أنّ ذلك جائزاً في مذهبيهم، فلذت بعمتي زينب، وقلت: عمنا أيتمت على صغر سنّي وأستخدم؟! قالت: كلا. فالتفت إلى ذلك الشامي، وقالت له: إن بنات الأنبياء لا يكونون. خدماً للأدعياء، ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك. فقال يزيد (لعنه الله) لزينب: إياي تستقبلين بهذا الكلام، ذلك لي لو شئت

لفعلت. قالت له: كلاً إلا أن تخرج عن ديننا وتدين بغير ديننا. فقال لها: إنما أخرج من الدين، فقالت: بدين جدّي وأبي وأخي اهتديت إن كنت مسلماً. فقال لها: كذبت يا عدوة الله. فقالت: أنت أمير تقهرنا بسلطانك^(١).

■ [شعر]:

وقال لسان حالها:

لا والد لي ولا عمة ألؤذ به
أخي ذبيح ورحلي قد أبيع وبني
ولا أخ لي يبغي أرجوه ذو رحمي
ضاق الفسيح وأطفالي بغير حمي^(٢)
فأجابها بلسان الحال:

ذهب المانعون عنك فقومي
أنت مهتوكة على كل حال
واخلعي العز والبسي الاذلالا
فأنعى بعد عزك الاذلالا
كم ترجين وثبةً من رجال
لك كانوا لا يرهبون الرجالا

* * *

[وقيل شعراً بالفارسية]:

أي خواهر شاه تشنه کامان
کشتیم زکین برادرت را
عباس وعلى اکبرت را
بی عزت وقدر واعتبارات
دیدي که فلک نمود خوارت
دیدي که تورا اسیر کردیم

(١) الاحتجاج (ج ٢، ص ٣٧).

(٢) شجرة طوبى (ج ١، ص ١٣٠).

المجلس التاسع

في الكذب

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿فَأَعْتَبْهُمْ يَفْقَاهَا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٢). قال رسول الله ﷺ: «إيناكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار»^(٣)، وقال ﷺ: ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة^(٤)، ولا ينظر إليهم: المنان بعطيته، والمنفق سلعته بالأيمان الفاجرة، والمسبل اعذاره». وقال ﷺ: «ما حلف حالف بالله فادخل في فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكته سوداء في قلبه إلى يوم القيامة».

وقال ﷺ: «المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش، فيلعنه حملة العرش، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زينة أهونها كمن زنى مع أمه»^(٥).

[و] سئل رسول الله ﷺ: «يكون المؤمن جباناً؟» قال: نعم. قيل: ويكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: ويكون كذاباً؟ قال: لا»^(٦).

(١) الآية ١٠٥ من سورة النحل.

(٢) الآية ٧٧ من سورة التوبة.

(٣) أمالي الصدوق (ص ٥٠٥).

(٤) من لا يحضره الفقيه (ج ٤، ص ١٣).

(٥) بحار الأنوار (ج ٦٩، ص ٢٦٣).

(٦) روضة الواعظين (ص ٤٦٨).

وقال عليه السلام: «الكذب ينقص الرزق»^(١). وقال عليه السلام: «ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك به القوم، ويل له، ويل له، ويل له». وقال عليه السلام: «إن للشيطان كحلًا ولعوقًا وسعوطًا فأما لعوقه فالكذب، وأما سعوطه فالغضب، وأما كحله فالنوم»^(٢). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يجد العبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده»^(٣). وقال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله عز وجل جعل للشّر أبقالا، وجعل مفاتيح تلك الأبقال الشراب، والكذب شر من الشراب»^(٤).

وأشدّ الكذب إثماً ومعصيةً، الكذب على الله ورسوله والأئمة (عليهم السلام)، وكفاه دماً أنه يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة على الأقوى، قال الصادق عليه السلام: «إن الكذبة لتفطر الصائم»^(٥) قال الراوي: وأيّنا لا يكون ذلك منه؟! قال عليه السلام: «ليس حيث ذهبت إنّما الكذب على الله تعالى وعلى رسوله وعلى الأئمة عليهم السلام»^(٦) وقال عليه السلام: «الكذب على الله ورسوله وعلى الأوصياء عليهم السلام من الكبائر»^(٧)، وذكر عنده عليه السلام الحائك وكونه ملعوناً فقال: إنّما ذاك الذي يحوك الكذب على الله ورسوله^(٨).

وقد جعل الكذب أشدّ من شرب الخمر، مع ما ترتّب على شارب الخمر من

(١) الترغيب والترهيب (ج ٣، ص ٥٩٦).

(٢) كنز العمال (ج ١، ص ٢٤٥).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٢٥٥).

(٤) ثواب الأعمال (ص ٢٤٤).

(٥) الكافي (ج ٢، ص ٣٤٠).

(٦) الكافي (ج ٢، ص ٢٥٤).

(٧) المحاسن (ج ١، ص ١١٨).

(٨) الكافي (ج ٢، ص ٣٤٠).

العقاب، مع أَنَّ شارب الخمر قرن بعايد الوثن، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾^(١)، وقال ﷺ: «شارب
الخمير ، ومن يأت سكراناً بات عروساً للشيطان»^(٢)، وقال ﷺ: «من
مات سكراناً عاين ملك الموت سكراناً، ودخل القبر سكراناً، ووقف بين يدي الله
سكراناً، فيقول الله تعالى: ما لك؟! فيقول: سكراناً. فيقول الله تعالى: أبهذا أمرتك!!
اذهبوا به إلى السكران. فيذهب به إلى جبل في وسط جهنم، فيه عين تجري مدّة،
ودماء، ولا يكون طعامه ولا شرابه إلّا عنه». إلى غير هذا مما ورد في عقاب شارب
الخمير.

والكذاب شرّ منه، وذلك إن المفاسد المترتبة على الكذب أزيد من مفسد
الشّراب، لأنّ الكذبة الواحدة ينشأ منها إهراق الدماء بغير حقّ ونهب الأموال، ولأنّ
الكذب في الغالب وروده في حقّ الناس، والشراب في حقّ الله، لأنه من باب ظلم العبد
نفسه، وهو حقّ لله وهو بالعفو أولى، والكذب ظلم للناس، ثم إنه يسلب الإيمان
ويمنعه من الاستقرار في القلب، والشّراب إنّما يمنع من قبول الصلاة أربعين يوماً،
لمكان نقائه في الجوف هذه المدّة، ولأنّ الكاذب قد لا يصدق في القول فتختلّ أموره
بل أمور غيره، لأنّه يحتاج إليه في الشهادات والاقراءات والوكالات والمعاملات.
وقال ﷺ: «ينبغي للرجل المسلم أن يتجنّب مؤاخة الكذاب فإنّه يكذب حيث يجي
بالصدق فلا يصدق»^(٣)، وأمّا شارب الخمر فتوبته إذا احتجج إليه في هذه الأمور أن
يقول: أستغفر الله ويظهر التّدامة، والكذاب لو قال هذا لم يصدق ويحصل الرّيب

(١) الآية ٩٠ من سورة المائدة.

(٢) فقه الرضا ﷺ (ص ٢٧٩) وبحار الأنوار (ج ٧٦، ص ١٤٨).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٤١).

لحاكم الشرع عند أداء الشهادة ونحوها، وشهادة المرتاب لا تقبل شرعاً.
ولأنّ الغالب على أهل الشراب الخجالة والحياء من الناس، لعلمهم بقبح ذنبهم،
والكذب عند نفسه ليس خجلاً ولا له حياء من الناس. والكذب على الله ورسوله أشدّ
وأعظم.

□ [عبرة من التاريخ]:

ألا ترى الأول حيث كذب على رسول الله ﷺ في حشدٍ من المهاجرين
والأنصار في مسجد رسول الله ﷺ، ولم يستح، ولم يخجل، وذلك حين أتت
الصديقة، وخطبت تلك الخطبة الرنانة المشتملة على الحجج والبراهين القاطعة،
تطالب بفدك، كيف أجابها بذلك الحديث المفترى، بقوله: إني أشهد الله ورسوله وكفى
به شهيداً أني سمعت رسول الله، يقول: نحن معاشر الانبياء لانورث ذهاباً ولا فضة ولا
داراً ولا عقاراً الى آخر كلامه^(١)، والعجب كيف قبلوا منه هذا الافتراء الواضح ولم
ينصروا تلك الصديقة المعصومة عليها السلام، وما أحسن ما قال ابن الجوزي:

ما المسلمون بأمة لمحمدٍ	كلاً ولكن شيعة لعتيق
جاءتهم الزهراء تطالب ارثها	فتقاعدوا عنها بكل طريق
وتسارعوا لقتال آل محمد	لما أتتهم إبنة الصديق
فقيامهم مع هذه وقعودهم	مع هذه يغني عن التحقيق ^(٢)

ثم انكفئت وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليها، ويتطلع طوعها له، فلمّا

(١) رواه العامة وهو حديث موضوع لا أصل له (الموطأ: ج ٢، ص ٩٩٣).

(٢) الصراط المستقيم (ج ٣، ص ١٦٢).

استقرت بها الدار، قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا ابن أبي طالب الى آخر».

فكأنني بلسان حالها تخاطب أمير المؤمنين عليه السلام:

ترضه يصنديد الحرب حقي يغصبوني

فوق الغصب ظلعي يكسرونه ويلطموني

بس ما سمعها انعابته الليث الجدي الكرار

لاح الغضب ما بين عينه وجرد البتار

كلها وتربت والدج بس اطلع امن الدار

لجلج لصفيفها ولا اترك بالارض ديار

لاجن بعد ما تسمعين اسم النبي المختار

والا اصبري يم الحسن واستخلفي الجبار

صدت الزينب فاطمة وقالت دقومي ابساع

طلعي لبوچ امفرعه حسرى بليا اقناع

بس شاف زينب طالعها وامفرعه للراسل

حيدر سكن غيظه وظل ايصعد الأنفاس

بس شاف زينب حاسره بيده لوى اعليه

وايشوفها بعد الخدر والصون سلبوها

ياريت حاضر كربلا وعينه تصد ليها

واتيسرت واعلى المتن بالسوط ضربوها

المجلس العاشر

في الكذب أيضاً

اعلم أنّ الكذب على قسمين جلبيّ وخفيّ، فأما الجلبيّ: فهو أقسام: أولها الكذب على الله ورسوله والأئمة وهذا يقع على وجوه:

الوجه الأول: أن يقول: قال الله كذا، وقال الرسول كذا، وقال الامام كذا فيكذب عليهم في حكم شرعيّ وغيره، وهذا يقع من علماء السوء ولقد كذب على النبي ﷺ في حياته وبعد موته، حتى وضعوا من الأكاذيب أدياناً مختلفة.

ولبت شعري ما كان دين النبي ﷺ أهو دين أبي حنيفة أم الشافعي أم المالكي أم الحنبلي.

ولا يقدرون أن يقولوا أنّ دينه كان واحداً منها نعم يمكن أن يقولوا دين أبي حنيفة نقيض دين النبي ﷺ؛ لأنه كان يجلس في مسجد الكوفة، ويقول في فتواه: قال عليّ وأنا أقول، ودين علي هو دين النبي ﷺ بلاريب، وهذا الوجه من الكذب يقع من كلّ أحد حتّى من المؤمنين والشيعة.

الوجه الثاني: ما اعتاده الناس في المحاورات من قولهم: الله يعلم والرسول والامام أنّي ما فعلت ذلك الشيء أو فعلته وهو كذب، ومن هذا روي: أنّ الرجل إذا قال الله يعلم وهو كاذب، يقول الله سبحانه لملائكته: ياملائكتي انظروا الى عبدي لم يجد أحداً أعجز منّي يحيل هذه الكذبة عليه حتّى أحالها على علمي، فأنا أفعل به كذا وكذا من الهوان والعذاب.

الوجه الثالث: أن يكذب، ثمّ يروج كذبه بالهلف بالله أو النبيّ أو الإمام، وهذا

يقال له الكذب بالله، وهو الذي يذر الدّيار بلاقع^(١) من أهلها، وهو حالقة الدين يعني يخلق الدّين ويمحوه كما يمحو الموس الشعر. وفي الرواية: «**لا تحلف بالله لا صادقاً ولا كاذباً**»^(٢). نعم روي في حديث آخر: إنّ الدعوى إذا كانت ثلاثين درهماً واحتاجت الدعوى إلى اليمين، فله الخيار في الحلف وإن كانت أقل فلا يحلف. والثلاثة الوجوه الأولى أي الكذب على الله والرسول والأئمة عليهم السلام هي التي تضرّ بالوضوء والصّوم.

القسم الثاني: من الكذب الجليّ، هو الكذب على الناس لغرض من الأغراض الدنيويّة، بل قد لا يكون لغرض كمن اعتاده، فكأنّه طبع عليه، وهذا الذي ورد فيه: أنّه ينقض الدّين والمرّة، ويذهب ببهاء الوجه، ولعذاب الآخرة أشدّ نكالاً لو كانوا يعلمون.

القسم الثالث: هو الكذب الجائز المشروع، وهو الذي يترتّب عليه غرض شرعي أخرويّ كإصلاح ذات البين بل لا يسمّى كذباً. قال الصادق عليه السلام: «**الكلام ثلاثة: صدق، وكذب، وإصلاح بين الناس**» قيل له: جعلت فداك، ما الإصلاح بين الناس؟! قال: «**تسمع من الزّجل كلاماً يبلغه، وتخبت نفسه، فتلقاه فتقول: سمعت من فلان قال: فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه**»^(٣).

وكذا الكذب على الزّوجة جائز إذا وعدّها ولم يف لها، روى الكليني (رحمه الله تعالى ونور ضريحه) عن عيسى بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**كلّ كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً إلا الكذب في ثلاث، رجل كايد في حربه فهو موضوع عنه،**

(١) الأرض القفر التي لا شيء بها.

(٢) تحف العقول (ص ١٤).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٤١).

ورجل أصلح بين الإثنين يلقي هذا غير ما يلقي به هذا، يريد بذلك إصلاح ما بينهما،
ورجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم^(١).

■ (الطيفة):

قال الجزائري (نور الله مرقده): قال لي يوماً واحداً من مشائخي المجتهدين،
وكان كثير المطاوعة والمزاح: يا بني، ينبغي لصاحب الزوجة أن يكون فخذ وجفن عينه
منه في ألم شديد، وذلك أنه إذا أراد الخروج من المنزل، قالت له زوجته: هات لنا الشيء
الفلاني، فيضع يديه على عينيه للوعدة، فإذا رجع إلى المنزل، ولم يأت معه بشيء،
قالت له: أين الشيء الفلاني؟! فعند ذلك يضرب يده على فخذه، ويقول: إني نسيت
ولم أذكر، فيكون هذان العضوان منه في الألم دائماً.

● **القسم الثاني:** من الكذب، وهو الكذب الخفي، كما تقدم في أول التقسيم،
وتحقيقه يحتاج إلى تمهيد مقدّمة، وهي:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ شأنه قد كلف العباد في عالم الأرواح وعالم الأشباح، وقبلوا
تكاليفه وسيما هذا العالم، فإنهم ذاكرون له، ويدعون في ذلك النسيان، كما قال ابن
عباس: سميت إنساناً، لأنك ناس، وهو نسيانه لما جرى في عالم الأرواح، ومن جملة
التكاليف هو التصديق لما جاء به النبي ﷺ، وأعظمها الأوامر والنواهي، ومن دخل
تحت قلم التكليف فقد أقرّ ظاهراً بالتزام الشرايع ولوازمها من الأحكام، فالصادق في
هذا الإقرار من بقي على حالة واحدة ولم يتلوّث بمخالفة الأوامر والنواهي، ومن
تلوّث فيها وارتكب ما يخالف اعترافه الأول فقد كذّب نفسه في ذلك الاعتراف، وفي

قوله: أتوب إلى الله، فإنَّ (أتوب) معناه أرجع إليه عمّا فعلته، فمن قال هذه الكلمة في هذا اليوم، وارتكب شيئاً من التّواهي في غدٍ فقد كذب، وهذا الكذب أفتح من غيره، حيث أنّه كذب مع الله وملائكته الكاتبين وأنبيائه المقربين وعباده الصالحين.

ومن هذا جاء في الحديث: أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وطلب منه أنفع الأعمال، فقال له رسول الله ﷺ: «أصدق ولا تكذب، واعمل من المعاصي ما شئت» فاستعجب الرّجل من هذا القول وقبله، فلما رجع، قال: إنَّ النبي ﷺ لم ينهني إلّا عن الكذب فأنا آتي فلاتة، وكانت امرأة جميلة فلما مضى لبيتها ليزني بها تفكّر في نفسه، وقال: إذا خرجت من عندها ولقيني أحد، وسألني: أين كنت وما كنت تعمل؟! فإن صدقت في القول صار أمري عظيماً، وإن كذبت فقد تُهيت عنه، فرجع إلى منزله ثمّ طلب أن يفعل ذنباً آخر، وفكر مثل هذا، فأقلع عن جميع المعاصي.

ومن الكذب الخفيّ مانواجه به ربّنا والمطلّع على سرائرنا وضمايرنا كلّ يوم، وأقلّه عشر مرّات، وذلك إنّنا نقف بين يديه، ونقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) أي لا نعبد سواك ولا نستعين إلّا بك والعبادة هي الطاعة والانقياد.

فانظر وتفكّر، وقل: كيف أصدق في هذا المقال وأنا أطيع غيره ممّن نهاني عن طاعتهم والانقياد إليهم، ومن جملتهم عدوّه وعدوك الشيطان الرجيم، فالمصرّ منّا على إطاعة الشيطان وهم الأكثر خصوصاً حال الصلاة، كيف يكون صادقاً في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومن جملة معبوديك نفسك الأمانة بالقبايح التي لا تنقصر عن الشيطان، وهواك المردّي، ومن جملة معبوديك من أهل الدنيا: السلطان والحاكم، يعني الجائر، والعبادة كما قدّمنا هي الطاعة، وطاعة الناس لخلفاء الجور عبادة لهم، كما قال الأزري:

(١) الآية الخامسة من سورة الفاتحة.

كذبت أمهاتكم بادعائها
ان يؤتى تيم على آل طه^(١)

تدعون الإسلام إفكاً وزوراً
أي شيء عبدتم إذ عبدتم

□ [من التاريخ]:

وكطاعة حميد بن قحطبة^(٢) للرشيذ الذي سأله في المرحلة الثالثة، فقال: كيف طاعتك للأمير؟ قال: بالمال، والنفس، والدين. فقتل في ليلة واحد ستين علويّاً، وما كفى الرشيذ هذا حتى قال: قتل ألف نفس من ولد علي وفاطمة، ولم أفعل شيئاً وسيدهم موسى بن جعفر موجود^(٣).

منهم أخلوا ربوعه
واجتمعها فضيعه
حشاشته نقيعه
آثره عزّه وأبا خضوعه
تقب الوري سوقا طلوعه^(٥)

ماذب أهل البيت حتى
تركوهم شتى مصارعهم^(٤)
وهكابد للسمّ قد سقيت
ومضرج بالسيف
ومغيب كالبدر تر

(١) الأزرية (ص ١٤٣).

(٢) كان من الأمراء الطواغيت، تولى إمرة مصر والجزيرة ووجه نغزو أرمينية وخراسان، (الاعلام: ج ٢، ص ٥٨٣) وهو ملعون خبيث.

(٣) مستدركات علم رجال الحديث (ج ٣، ص ٢٨٨).

(٤) أب مصائبهم كما في نسخة أخرى.

(٥) ديوان السيد حيدر الحلبي (ج ١، ص ٣٧).

المجلس الحادي عشر

في الكذب الخفي

قال الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُنَّ أَتْنِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(١).

ولقد أحسن ابن عباس حيث قال في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُنَّ أَتْنِينَ﴾ إنه نهاك تعالى عن اثنين، وأنت اتخذت آلاف فما أقل حياك، ومن معبوديك أيضاً القصاص عليك، كما قال ﷺ: «من استمع إلى قائل فقد عبده فان كان يحدث عن الله فقد عبد الله، وإن كان يحدث عن الشيطان فقد عبد الشيطان»^(٢).

والمراد بتحديثه عن الشيطان، نقله الحكايات الكاذبة، أو هجاء المؤمنين، أو غيبتهم، أو نحو ذلك، ومن هذا الباب ما تعارف في هذه الأعصار نقل حكايات أهل القصص التي وضعوها كقصّة رستم وعنتر وحمزة وأشباهاها.

فالسامع لها عابد للشيطان، ولعلك تظن أن العبادة إنما هي الصلاة وأضرابها فقط، وهذا ظنٌ غلط، فإنك قد سمعت قوله تعالى في شأن أهل الكتابين يعني اليهود والنصارى - ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٣).

قال ﷺ: «والله ما صلّوا لهم، ولا صاموا لهم، فلو دعوهم اليهم لما قبلوا، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً، فقبلوا أقوالهم» فمن ثم قال تعالى: (إنهم أربابهم)^(٤).

(١) الآية ٥١ من سورة النحل.

(٢) الاعتقادات في دين الامامية (ص ١٠٩).

(٣) الآية ٣١ من سورة التوبة.

(٤) المحاسن (ج ١، ص ٢٤٦).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ آتَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(١). فقد جعل سبحانه إرادة النفس وأمنياتها الباطلة آلهة، فأنت أيها المصلي إذا كانت لك كل هؤلاء الآلهة والمعبودين، كيف لم تجرباً على مواجهة كل واحد منها بالكذب، وما تجرأت إلا على جنباه تعالى، قال: لا أعبد إلا أنت ولا أطيع أحداً سواك، فإنك ظننت أن هذا أعجز من جميع آهلتك حتى خصصته بالكذب عليه دون باقي آلهتك، ويجوز أن يكون الوجه فيه أنك قصرت عبادتك الصادقة عليه، وذلك أنها وإن كانت آلهة متعددة إلا أنها ترجع إلى أصل واحد، أو إله واحد حتى القصاص الذي يقص عليك الأباطيل.

والأصل في هذه القصص الباطلة، ما قد روي أن النبي ﷺ لما أتى بالقرآن معجزة وفيه القصص الماضية والاخبارات، قال كفار قريش: إننا نقدر على مثل هذا، وكان جماعة منهم يخرجون في التجارات إلى كل بلاد العجم، فسمعوهم يحكون عن عنتر وأمثاله فكتبوا تلك القصص وعربوها وأتوا بها إلى مكة؛ ليعارض بها قصص القرآن، فنزل قوله تعالى ذاماً لهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢)، فقد كانوا يبذلون الأموال لمن ينقل لهم قصة من تلك القصص الكاذبة، ليفتنوا الناس عن متابعة النبي ﷺ، بأن هذا القرآن ليس باعجاز للمقدرة على الإتيان بمثله وأتى لهم مثله.

وأما قولك و﴿إِنَّاكَ تَسْتَعِين﴾ على طريق الحصر، فأنت أكذب فيه من الأول، لأنك إذا رجعت إلى وجدانك وحالاتك ترى إنك تستعين بغيره في كل أمورك، وتجعله سبحانه آخر من تستعين به، فإنك إن جبهت من عند المخلوقين وآيست من

(١) الآية ٤٣ من سورة الفرقان.

(٢) الآية ٦ من سورة لقمان.

الاستعانة بهم بعد ما التمسيتها، رجعت وقلت الحكم لله، نستعين بالله، وهذا أحد معاني قول مولانا زين العابدين عليه السلام في دعاء الصحيفة: «اللهم يامنتهى طلب الحاجات» (١).

ولو استعنت به أولاً لكفأك مهماتك، ولم يحوجك إلى أمثالك، ولو تأملت في هذا الكذب الخفي لوجدته أضرباً بحوالك من ذلك الكذب الجلي، وذلك إن هذا يمنعك من قبول الطاعات، ومن التأهل للقيام على بساط المناجاة ويورثك الحسرة والندامة، ويوردك المهالك يوم القيامة، ولو أنصفت من نفسك لعلمت أنك لو واجهت واحداً من الناس، وقلت له: أنا لا أتردد إلا إلى بيتك ولا إلى صديق سواك، مع علمك بأنه يعلم بأنك تتردد إلى كل أحد أكثر من تردّدك إلى بيته، ولك أصدقاء كثيرون سواه، لكنك عند نفسك خجلاً من هذا الكذب الذي واجهت به صديقك، وتستحي أن تواجهه به مرة أخرى بعد مضيّ زمان طويل، وأنت هاهنا إذا كان أول النهار قلت ﴿إِيَّاكَ تَسْتَعِين﴾ ما مضى من النهار إلا أقلّه حتّى جاء وقت الظهر فقمّت أيضاً بين يديه، وقلت ﴿إِيَّاكَ تَسْتَعِين﴾ وأنت قبل ذلك القول، وبين هذين القولين رجعت في مهماتك إلى غيره واستعنت بعاجز مثلك، وما علمت إنّ أمورك كلّها بيده سبحانه يمضيها على حسب إرادته ومشيتته، ومن استعنت بهم عباد مسخّرون بتوفيقه تعالى، لقضاء حوائجك، ليس حالهم إلا كحال قلم الكريم الذي يكتب لك به النّوال والعطاء، فشرعت تمدح القلم وتستعين به، وتركت الاستعانة بذلك الرّجل الكريم، ما هذا صدر إلا من جهل وقلة تأمل وقصر نظر في عميقات الأمور.

وفي الحديث القدسي: إنّ الرّجل إذا أعجلته الحاجة فخفّف من صلاته لتداركها، قال الله سبحانه وتعالى: انظروا ياملأكتي إلى عبدي كيف خفّف من صلاته

ليتدارك حاجته، أبطُنْ أَنْ قضاء حوائجه بيده، وإِنَّمَا قضاء حوائج إليّ.

وقد أوحى الله يادنيا اخدمني من خدمني وأتعبني من خدمك^(١).

وفي الحديث: إِنَّ السارق كُلَّ السارق من سرق من صلاته، وذلك بتخفيفها وحذف شيء من واجباتها^(٢). وقد دخل رسول الله ﷺ المسجد فرأى رجلاً يصلي ويستعجل في صلاته فقال: «نقر كنقر الغراب لئن مات هذا الرجل ليموتنَّ على غير سنّتي»^(٣).

ونفكر أيضاً إذا طلبك رجل من إخوانك لقضاء حاجة من الحاجات، فقبلت التماسه فأسرعت في الإتيان بها على الوجه الذي أرادها منك، ثم في أثنائها خطر على بالك إن لي بعض الحاجات، فشرعت في تمام تلك الحاجة على غير الوجه الذي أراه منك، وهو بمرأى منك ومسمع، أما كان ذلك الصديق يغضب منك ويعتب عليك، ويقول لك: يا أخي هذه اللحظة ما كنّا نستحقّها منك، ولو رجعت إلينا أغراضك وحوائجك لكنّا نقضيهما لك أحسن من قضائك أنت لها، فقد فوّت حاجتك وحاجتنا، فأنت أغضبت صديقك وعطلت حاجتك ما هذا إلا سفه وقلة رشد.

■ [عبرة من كربلاء]:

فالصلاة لها أركان وطمأنينة، وبالسرعة والعجلة تذهب الأركان والطمأنينة، فينبغي للعبد إذا وقف بين يدي مولاه الجليل أن يكون مطمئناً خاشعاً، فاللزام على كلّ مؤمن الاقتداء بمولاه أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ورد عنه: إذا أصابته السهام في الحرب

(١) مسند الشهاب (ج ٢، ص ٣٢٥).

(٢) دعائم الاسلام (ج ١، ص ١٣٥).

(٣) الكافي (ج ٣، ص ٢٦٨).

لا تخرج من جسمه إلا إذا دخل في الصلاة؛ لأنه في تلك الساعة مقبل على الله بكلتيه، لا يشعر بشيء ولا اهتمامه إلا بصلاته، يقف بين العسكر ويصلي، ولما افتتده أصحابه وخفي صوته عليهم حمل الحسن والحسين (عليهما السلام)، وكسر اثني عشر ألف جفن سيف، وافتحموا المعركة، وإذا بأمر المؤمنين ﷺ واقف يصلي بين العسكر فلما فرغ قيل له في ذلك، فقال ﷺ: «انما نقاتلهم على هذه الصلاة» (١).

ولكن لما خفي صوت الحسين ﷺ يوم عاشوراء من الذي مضى يكشف خبره للعيال، نعم فاجأتهم سهيل الجواد:

وولّى مهرة ينعاها حزناً	بمقلة تاكل وحشى كنيب
فكم من تاكل تهوي عليه	لصبغ الوجه بالقاني الصيب
ونادبة تعنف فيه شمرأ	وشمر عكن حدّ القضيّب
ونادت زينب منها بصوت	يصدّع جانب الصخر الصليب
أخي يا ساحباً فوق الثريا	ذيول على نقبات الجيوب
فمن للارملات ولليتامى	كسوباً بعد فقدان الكسوب
أخي لم لا يفارقني اصطباري	وممّ وكيف لا يعلو نحبي
ورأسك فوق رأس الرمح عالٍ	تجاذبه الشمال إلى الجنوب

[وقيل:]

سرت بدنوك في من خوار و زارم پشت ناقة عريان سوارم

نمی گوئی چرا قذت خمید است نمی گوئی چرا مویت سفید است
مرا مرگ جوانان پیر کرد است

المجلس الثاني عشر

في الغرور وتعريفه

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٢).

الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطمع عن شبهة وخدعة الشيطان، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور. ولما كان أكثر الناس ظانين بأنفسهم خيراً ومعتقدين بصحة ما هم عليه من الأعمال والأفعال وخيريته مع أنهم مخطؤون فيه، فهم مغرورون.

مثلاً من يأخذ المال الحرام وينفقه في مصارف الخير كبناء المساجد والمدارس والقناطر والرباطات وغيرها، يظن أن هذا خير له وسعادة، مع أنه محض الغرور، حيث خدعه الشيطان وأراه ما هو شرُّ له خيراً، وكذا الواعظ الذي غرضه الجاه والقبول من موعظته، يظن أنه في طاعة الله، مع إنه في معصيته بغرور الشيطان وخدعته.

الغرور الغفلة منبع كل هلكة وأم كل شقاوة، ولذا ورد فيه الذم الشديد في الآيات

والأخبار.

قال رسول الله ﷺ: «حبذا نوم الأكياس^(١) وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين»^(٢). وقال الصادق عليه السلام: «المغرور في الدنيا مسكين، وفي الآخرة مغبون لأنّه باع الأفضل بالأدنى»^(٣).

ولا تعجب من نفسك فيما اغتررت بمالك وصحة جسدك أن لعلك تبقى. وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم، وربما اغتررت بجمالك.. ومنيتك وأصابتك ما مولك وهواك، وظننت أنك صادق ومصيب، وربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك في العبادة، ولعلّ الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك، وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفاً فالله يريد الإخلاص، وربما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل عن مضمرات ما في غيب الله تعالى. وربما توهمت أنك تدعو الله وأنت تدعو سواه. وربما حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريد لهم لنفسك أن يميلوا إليك. وربما زعمت نفسك وأنت تمدحها على الحقيقة.

[و]اعلم أن فرق المغرورين كثيرة، وجهات غرورهم ودرجاته مختلفة، وما من طائفة في العالم إلا ويوجد فيهم فرق من المغرورين. إلا أنّ بعض الفرق كلّهم مغرورون كالكفار والعصاة والفساق. وإن كان معظم كلّ طائفة أرباب الغرور.

● **الطائفة الأولى** من المغرورين، وهم الكفار، وهم مغرورون بأسرهم، وهم مابين من غرته الحياة الدنيا وبين من غره الشيطان بالله، فباعث غرورهم قياسان نظمها الشيطان في قلوبهم، (أولهما) إنّ الدنيا نقد والآخرة نسية، والنقد خير من النسية،

(١) وهم الذين اشتغلت قلوبهم بالحق وتزينت بالمعارف.

(٢) نهج البلاغة (ج ٤، ص ٣٥).

(٣) مصباح الشريعة (ص ١٤٢).

و(ثانيهما) إِنَّ لَذَات الدنیا بقينية ولذَات الآخرة مشكوك فيها، واليقيني خير من المشكوك فيه.

وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس، حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١)، وعلاج هذا الغرور بعد تحصيل اليقين بوجود الواجب تعالى وبحقبة النبي ﷺ، وهو في غاية السهولة لوضوح الطرق والأدلة إما أن يتبع مقتضى إيمانه ويصدق الله تعالى في قوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٣).. وما عند الله خير وأبقى، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٤)، و﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٥).

وإما أن يعرف بالبرهان فساد القياسين، حتى يزول عن نفسه ما تأديا إليه من الغرور، وطريق معرفة الفساد في (القياس الأول) أن يتأمل في أن كون الدنيا نقداً والآخرة نسبة صحيح، إلا أن كون كل نقد خيراً من النسبة غير صحيح، بل محلّ التلبس إذ المسلم خيرية النقد على النسبة إن كان مثلها في المقدار والمنفعة والمقصود والبقاء، وأما إذا كان أقل من ذلك وأدون فالنسبة خير، ألا ترى هذا المغرور إذا حذر الطبيب من لذائذ الأطعمة يتركها في الحال خوفاً من ألم المزمّن في الاستقبال، ويبدل درهماً في الحال ليأخذ درهمين نسبة، ويتعب في الأسفار ويركب البحر في الحال لأجل الراحة والريح نسبة، وقس عليه جميع أعمال الناس، وصنائعهم في الدنيا من الزراعة

(١) الآية ١٢ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ٩٦ من سورة النحل.

(٣) الآية ١٧ من سورة الأعلى.

(٤) الآية ١٨٥ من سورة آل عمران.

(٥) الآية ٣٣ من سورة لقمان.

والتجارة والمعاملات، فإنهم يبذلون فيها المال نقدًا ليصلوا إلى أكثر منه نسيئةً، فإن كان عشرة في ثاني الحال خيراً من واحد في الحال، فانسب لذة الدنيا من حيث الشدة والمدة والعدة إلى لذة الآخرة من هذه الحيثيات؛ فإن من عرف حقيقة الدنيا والآخرة يعلم أنه ليس للدنيا قدر محسوس بالنسبة إلى الآخرة، على أن لذة الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنقصات، ولذات الآخرة صافية من المكدرات.

■ [عبارة من كربلاء]:

نعم هذا من المسلم أن من ارتاح إلى نعيم الآخرة زهد نعيم الدنيا، بل سخط نفسه بفراق الدنيا شوقاً إلى نعيم الآخرة، وهذا لا يكون إلا في أهل البصائر كحبيب بن مظاهر، حين واجهه علي بن الحسين الأكبر عليه السلام قائلاً: يا عم، أما ترى الأعداء أحاطت بنا من كل جانب ومكان، الله الله في هؤلاء النسوة إذا جهنَّ الليل وهنَّ بلا حمي. قال حبيب: وما الذي تريد يا بن سيدنا؟! قال: تشير على والذي بالرجوع فلو إننا نقوم بالدفاع عنه لما بالينا بالموت.

فأطرق حبيب ثم رفع رأسه فقال: لأجل أبيك طلقنا حلالتنا، وأعرضنا عن زهرة دنيانا، أما عمك حبيب فقد ذهب عنه النعيم الفاني، أما تحب أن يرحل إلى النعيم الباقي، فما أشوقني أن أكون أول قتيل بين أيديكم، ولا أرى هاشمياً مخضباً بدمه. فقال له علي الأكبر: يا عم، أنا أعلم إنك ليث وغاها، وقطب رحاها، وإنما استعملت معك هذا الكلام لأواجه به عمتي زينب، لأنها قالت لي: إنَّ الموت مبرّ مطعمه، وإنَّ أباك خطب في قومه بالانصراف، أخشى أن يغتنموا رخصة الأذن إلا تنقض لعمرك حبيب، لأنه موئل رأيهم لترى ما عنده. ما قصرُوا:

نصروا أحياءً وعند مماتهم أوصى بنصرته الشفيق شفيقاً^(١)

المجلس الثالث عشر

أيضاً في الغرور

● **الطائفة الثانية** من المغرورين: هم العصاة والفساق من المؤمنين، وسبب غرورهم وغفلتهم إما بعض بواعث غرور الكافرين كما تقدّم في المجلس السابق، أو ظنّهم إنّ الله كريم ورحمته واسعة ونعمته شاملة، وأين معاصي العباد في جنب بحار رحمته، ويقولون إنّنا موحدون ومؤمنون فكيف يعذبنا مع التوحيد والإيمان ويقرّرون ظنّهم بما ورد في فضيلة الرجاء.

وربّما اغترّ بعضهم بصلاح آبائهم وعلوّ رتبته، كإغترار بعض العلويين بنسبهم مع مخالفتهم سيرة آبائهم الطاهرين في الخوف وفي الورع، وعلاج هذا الغرور: أن يعرف الفرق بين الرجاء الممدوح والتمنّي المذموم، ويعلم أنّ غروره ليس رجاء ممدوحاً بل هو تمنّ مذموم، كما قال رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه وهواها وتمنّى على الله»^(٢)، فإنّ الرجاء لا ينفكّ عن العمل إذ من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه، وكما إنّ الذي يرجو في الدنيا ولدأً وهو لم ينكح أو نكح ولم يجمع أو جامع ولم ينزل فهو مغرور أحمق، كذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يترك المعاصي أو تركها ولم يعمل صالحاً فهو مغرور جاهل، كيف وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٢٨٠).

(٢) الأُمالي للطوسي (ص ٥٣٠).

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ﴿١﴾ يعني أنَّ الرجاء يلحق بهم دون غيرهم، وذلك لأنَّ ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال. كما قال تعالى: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٣)، أفترى إنَّ من استوَجِر على إصلاح أوَانٍ، وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريماً يفي بوعدِهِ وشرطه، بل كان بحيث يزيِد على ما شرطه، فجزاء الأجير وكسْر الأواني وأفسدها جميعاً، ثم جلس ينتظر الأجرة زِعماً منه أنَّ المستأجر كريم، أفبِراء العقلاء في انتظاره راجياً أو مغروراً متمنياً، وبالجملَة سبب هذا الغرور الجهل بين الرجاء والعزّة فليعالجه بما ذكر هنا وفيما سبق.

ثم إنَّ المغرور يعلو رتبة آبائه ظاناً أنَّ الله تعالى يحبُّ آبائه، ومن أحبَّ إنساناً أحبَّ أولاده أشدَّ حمقاً من المغرور بالله؛ لأنَّ الله سبحانه يحبُّ المطيع ويبغض العاصي من غير ملاحظة لأبائهما، فكما إنَّه لا يبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحبُّ الولد العاصي بحبِّه للأب المطيع، وليس يمكن أن يسري من الأب الى الابن شيء من الحبِّ والبغض والمعصية والتّقوى، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، فمن زعم أنَّه ينجو بتقوى أبيه كان كمن زعم أنَّه يشبع بأكل أبيه، أو يصير عالماً بعلم أبيه، أو يصل إلى الكعبة بمشي أبيه، فهيهات هيهات، إنَّ التقوى فرض عيني على كلِّ أحد، ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾ (٤)، وعند الجزاء ﴿يَفُورُ الْغَرَاءُ

(١) الآية ٢١٨ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٧ من سورة السجدة.

(٣) الآية ٣٩ من سورة النجم.

(٤) الآية ٣٣ من سورة لقمان.

مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ^(١) ، ولا ينفع أحد أحدًا إلا على سبيل الشفاعة بعد تحقّق شرائطها. ثمّ العصاة المغرورون إما ليس لهم طاعات فتمنيتهم المغفرة غاية الجهل كما مرّ، أولهم طاعات ولكن معاصيهم أكثر وهم عالمون بأكثريّة المعاصي، ومع ذلك يتوقعون المغفرة وترجيح حسناتهم على سيئاتهم، وهو أيضاً غاية الجهل، إنّ مثله مثل من وضع عشرة دراهم في كفّة ميزان وفي الكفّة الأخرى ألفاً أو ألفين وتوقّع أن تميل الكفّة الثقيلة بالخفيفة.

ومن الذين معاصيهم أكثر من يظنّ أنّ طاعته أكثر من معاصيه، لأنّه لا يحاسب نفسه ولا يتفقّد معاصيه، وإذا عمل طاعةً حفظها واعتدّ بها، كالذي يحجّ طول عمره حجةً ويبنّي مسجداً، ثمّ لا يكون شيء من عباداته على النحو المطلوب، ولا يتجنّب من أخذ أموال المسلمين، فينسى ذلك كلّّه ويكون حجه وما بناه من المسجد في ذكره، ويقول: كيف يعدّ بني الله وقد حججت وبنيت مسجداً، وكالذي يسبح الله كلّ يوم مائة مرة ثمّ يفتاب المسلمين، ويمزّق أعراضهم، ويتكلّم بما لا يرضي الله طول نهاره، من غير حصر وعدد، ويكون نظره إلى عدد سبخته مع غفلته عن هذا بأنّه طول نهاره الذي لو كتب لكان مثل تسبيحه مائة مرة، وقد كتبه الكرام الكاتبون، فهو يتأمّل دائماً في فضيلة التسبيحات ولا يلتفت إلى ما ورد في عقوبة الكذّابين والمغتائبين والنّمامين والفحّاشين، ولو كان كتبه أعماله يطلبون منه أجره الزائد من هذا بأنّه على تسبيحاته لكان عند ذلك يسعى في كلّ لسانه عن آفاته وموازنتها بتسبيحاته حتى لا يكون لها زيادة ليؤخذ منه أجره نسخ الزائد، فيا عجباً لمن يحاسب نفسه ويحتاط أن يفوته مقدار قيراط ولا يحتاط خوفاً من فوت العليين ومجاورة رب العالمين.

(١) كما في الآيات ٣٤ - ٣٦ من سورة عبس.

■ [عبرة من كربلاء]:

أقول: إنّما يحتاط عن فوات عليّين ومجاورة ربّ العالمين من أيقن بالمعاد والجنّة والنّار، ومن أنكر الجنّة والنار كيف يحتاط عن فوات الجنّة مثل عمر بن سعد (لعنه الله) حيث أنكر وجود الجنّة والنار والثواب والعقاب بقوله:

يقولون إنّ الله خالق جنّة ونار وتعذيب وغلّ يدين
فإن صدقوا مما يقولون إنني أتوب إلى الرحمن من سنتين
فإن كذبوا فزنا بدنيا هنيئة^(١) وملك عظيم^(٢) دائم الحجلين^(٣)

ولو لم تكن عقيدته هكذا، لم يقدم على حرب الحسين عليه السلام، وقيادة عسكر ابن زياد (لعنه الله)، وهو أول رام رمى عسكر الحسين عليه السلام، وضع سهماً في كبد قوسه ورمى به نحو الحسين عليه السلام، وقال: أشهدوا لي عند الأمير أنّي أول رام رمى الحسين عليه السلام تقريباً لابن زياد، ولهذا لما خرجت العقيلة زينب عليها السلام من المخيم قاصدة لمصرع الحسين عليه السلام، فالتفتت إلى ابن سعد، قائلة: يابن سعد، أيقتل الحسين وأنت تنظر؟! فجعلت دمعه تجري على خديّه وأعرض عنها بوجهه^(٤)، ولذا قال الكعبي:

نادت فقطعت القلوب بصوتها^(٥) لكنما انتظم البيان فريدا
إنسان عيني يا حسين أخّي يا أملي وعقد جماني المنفودا

(١) في بعض المصادر: بدينا عظيمة (الكليني والكافي: ص ١٣٤).

(٢) في بعض المصادر: وملك عقيم (الكليني والكافي: ص ١٣٤).

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف (ص ١٩٣).

(٤) مثير الأحزان (ص ٤١).

(٥) أو يشجوها.

عوّدتني من قبل ذاك صدودا
حاشاك إنك ما برحت ودوداً^(١)

ما لي دعوتك لاتجيب ولم تكن
المحنة شغلتك عنا أم

المجلس الرابع عشر

في حبّ الدنيا وأنها رأس كل خطيئة

الدنيا التي قيل فيها: حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة^(٢). هي الحالة التي تبعّدك عن جناب مولاك، وإن كانت بالصلاة وسائر الطاعات فإنّها إذا وقعت لا على وجه الإخلاص كانت رياء يقصد بها التقرب إلى المخلوقين، فيكون من أفراد الدنيا وإنّ المال وإن كثر إذا قصد به التوسعة على الإخوان كان من أهمّ المطالب الأخروية، وكذلك الجاه والاعتبار، فإنه قد يطلب لقضاء حوائج المؤمنين الذي عرفت إنّ قضاء حاجة منها أفضل من عشر طوافات بالبيت، مع أداء ثواب كلّ طواف يكتب له ستّة آلاف حسنة، ويمحى عنه ستّة آلاف سيئة، ويرفع له ستّة آلاف درجة، وليس من ذنب يصدر من ابن آدم إلّا كان منتهاً إلى حبّ الدنيا ومسبباً عنه.

روى الكليني (طاب ثراه)، عن محمد بن مسلم بن عبيدالله، قال: سأل علي بن الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل عند الله تعالى؟ قال عليه السلام: «ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة الرسول ﷺ أفضل من بغض الدنيا»، وإنّ لذلك شعباً كثيراً وللمعاصي، شعباً كثيرة، فأوّل ما عصي الله تعالى به الكبير، كمعصية إبليس (لعنه الله) حين ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، ثم الحرص وهي معصية آدم وحواء، حين قال الله

(١) المجالس الفاخرة (ص ٢٢٩).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ١٣١).

(٣) الآية ٣٤ من سورة البقرة.

تعالى ﴿فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، فأخذوا ما لا حاجة لهما إليه، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة، وذلك إن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة له.

ثم الحسد وهي معصية ابن آدم (وهو قابيل) حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك: حب النساء، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا آن، دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة^(٢). وبالجملة فهي سبب كل المعاصي. قال الصادق عليه السلام: «إن الشيطان يدبر ابن آدم في كل شيء، فإذا أعياه جثم له عند المال، فإذا برقبته». هكذا في الأنوار النعمانية، ولعل الصواب حتى إذا أخذ برقبته^(٣).

وأما جمع المال بقصد التوسعة على العيال والاخوان، وإن كان هذا كما عرفت ليس من أمور الدنيا، إلا أن الأولى أن يقتصر على هذه النية، ففي الحديث: إن المؤمن إذا قال إن آتاني الله مالاً لأفعل كذا وكذا من أمور الخير، أعطاه الله ثواب ما نواه، وإن لم يعطه المال لفعله، وأما إذا وجد بالسعي وحصل ذلك المال، فهو فيه على الأخطار منها، إن المال الكثير قلما يجتمع من حلال. كما قال الصادق عليه السلام: «ما اجتمعت عشرة آلاف درهم من حلال قط»^(٤)، ومنها: إنه عند اجتماعها كثيراً ما يعرض له إهمال الحقوق

(١) الآية ٣٥ من سورة البقرة.

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣١٧).

(٣) الآية ٣٤ من سورة البقرة.

(٤) لم نجد الخبر بهذا النص والذي يماثله عنه عليه السلام: «أتي على الناس زمان ليس فيه شيء أعز من أخ أنيس وكسب درهم حلال» مستدرک سفينة البحار (ج ٤، ص ٣١٢).

الواجبة بها، كما قال الصادق عليه السلام: «لا تتعزّضوا لجمع الأموال فإنه كلما كثرت الأموال كثرت الحقوق واخراج الحقوق عسر جداً». لما روي عنه عليه السلام: «إن درهم الصدقة يفك بين لحيّتي (أو لعل له حيي) سبع مائة شيطان»^(١) كلهم يعصّون بأضراسهم، ومن ذا الذي يكون له قوّة الايمان ما يقابل إلا القليل.

وروي أنّ رجلاً عابداً كان جالساً مع العباد فقراً أحدهم هذا الحديث، فقال ذلك العابد: إنّ هذه الساعة أمضي إلى منزلي، وأنصدّق بصدقة، وأرى كيف الشياطين تمنعني، فخرج مبادراً إلى المنزل، فدخله وأتى إلى حنطة ويسط عباءة فأخذ بها حنطة يتصدق بها، فرأته زوجته، فقالت له: أين تريد بهذه الحنطة؟ فقال: نحن في هذه السنة المجدبة، لعلك تريد أن تهلك أولادك جوعاً، فسوّلت له الأباطيل حتى ندم ورمى بالحنطة، وأتى إلى أصحابه، فقالوا: لعلك تصدقت بشيء، ولعلّ الشياطين لم يحضروك. فقال لهم: إنّ الشياطين لم يحضروني، ولكن كانت أمهم حاضرة فقامت مقامهم في المنع، يعني به زوجته.

ولذا جاء عنه عليه السلام شاوروه وخالقوه^(٢).

■ [عبارة من كربلاء]:

ولكن يوجد في النساء نوار قد ترجح آرائهن على كثير من الرجال عكس هذه المرأة بخلت بمقدار يسير للصدقة، ولعلّ منهن من آثرت الآخرة على الدنيا ووطّنت نفسها على الترمّل من الزوج، وعلى الجوع والعري، كما جاء عن زوجة حبيب بن

(١) من لا يحضره الفقيه (ج ٢، ص ٦٦).

(٢) مستدرک الوسائل (كتاب الحج) عوالي اللئالي (ج ١، ص ٢٨٩).

مظاهر، حين أراد حبيب امتحانها في نصر الحسين عليه السلام، فقال لها: أخاف عليك أن تترملي بعدي فقالت: دعني أكل التراب ولا تترك نصرة الحسين عليه السلام.

المجلس الخامس عشر

في حب الدنيا وذمها

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا»^(١). [و] قال أمير المؤمنين عليه السلام و [قد] سمع رجلاً يذم الدنيا: «أيها الذام الدنيا المنخدع بأباطيلها، المغتر بفرورها، بم تنمها أنت المرحوم عليها، أم هي المجرمة عليك...» إلى أن قال عليه السلام: «الدنيا دار صدق امر صدقها، ودار عافية لمن وهم عنها، ودار غنى لمن ترد منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أولياء الله ومصلى ملائكة الله ومحيط وحي الله ومنجي أولياء الله»^(٢).

فالدنيا المذمومة عبارة عن حظ عاجل لا يكون من أعمال الآخرة ولا وسيلة إليها، وما هو إلا التلذذ بالمعاصي، والتنعم بالمباحات الزائدة، على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل، وأما قدر الضرورة من الرزق فتحصيله من الأعمال الصالحة كما نطق به الأخبار، قال رسول الله ﷺ: «العبادة سبعون جزءاً، أفضلها طلب الحلال»^(٣) وقال عليه السلام: «ملعون من ألقى كفه على غيره»^(٤). وقال السجاد عليه السلام: الدنيا

(١) خصائص الانمة عليه السلام للشريف الرضي (ص ٩٦).

(٢) نهج البلاغة (ج ٤، ص ٣٢).

(٣) تهذيب الأحكام (ج ٦، ص ٣٢٤).

(٤) من لا يحضره الفقيه (ج ٢، ص ٦٨).

دنياً ان دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة»^(١). وقال الباقر عليه السلام: «من طلب الدنيا استعفاً عن الناس وسعياً على أهله وتغلفاً على جاره لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر»^(٢). وقال الصادق عليه السلام: «الكاذب على عياله كالمجاهد في سبيل الله»^(٣)، وقال عليه السلام: «ليس منا من تولد دنياه لآخرته وآخرته لدنياه»^(٤). وقال له عليه السلام رجل: إننا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها، فقال عليه السلام: «تحب أن تصنع بها» ماذا قال: أعود بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدق وأحج وأعتمر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة»^(٥). وقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الدنيا فنعم المطية للمؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر، وإذا قال العبد لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربته»^(٦).

وأما ذمه عليه السلام لها، يعني أمير المؤمنين عليه السلام، وإنه طلقها ثلاث مرّات ولم يرجع فيها، فهو مشهور وفي الكتب مسطور، وحين إذ فالمراد من الدنيا المذمومة: فنقول قد غلط أكثر الناس في المراد من الدنيا، فقيل: هو الدّهر، وقيل: هو الأسباب، وقيل: غير ذلك، وهذا كله ظاهر البطلان، أمّا الدّهر والأَيّام والليالي فقد عرفت إنّه عليه السلام نهى عن ذمّ الدنيا وسبّها، وإنّ من سبّها كان آثم مع أنّها مخلوقة من مخلوقات الله تعالى، خلقها الله تعالى لانتفاعنا بها.

(١) الكافي (ج ٢، ص ١٣١).

(٢) الكافي (ج ٥، ص ٧٨).

(٣) فقه الرضا عليه السلام (ص ٢٠٨).

(٤) وسائل الشيعة (ج ١٧، ص ٧٦).

(٥) الكافي (ج ٥، ص ٧٢).

(٦) وسائل الشيعة (ج ٧، ص ٥٠٩).

وأما الأموال فقد روي في الأخبار: «نعم المال الصالح، والولد الصالح، للعبد الصالح، ولأن بالاموال ينال ثواب الصدقات، وإعانة المحتاج، وإغاثة الملهوف»^(١) وكل مقام من المقامات.

وأما الجاه والاعتبار، فلأن منه قضاء حوائج الإخوان، وقد مر ثوابها في المجلس السابق،

وأما المنازل والدور فكذلك أيضاً للاحتياج لها في الدنيا في بقاء نوع الانسان، فالحاصل إن الدنيا غير هذا كله، وهي: الحالة التي تبعد الإنسان من ربه، وإن كانت هي الصلاة وكما أن الآخرة هي الحالة التي يتقرب بها الإنسان من ربه، وإن كانت العسيسة (العسس: هو حارس البلد عن اللصوص وغيرها) وذلك إننا نقول شاهدنا من واطب على الصلاة والأذكار من الصوفية وغيرهم، ولم يكن لهم نية إلا إقبال الناس عليهم وتوجههم إليهم، فهذه الصلاة هي الدنيا.

وأما كون الأمور الدنيوية في الظاهر وفي الباطن أخروية، يقول الجزائري رحمه الله^(٢) في الأنوار النعمانية: فقد بلغني إن جماعة من المؤمنين من أهل العراق قصدوا الشام بقصد مطالبهم، فسكنوا في بعض خاناتها، فخرجوا في سحر تلك الليلة إلى الحمام والمسجد، فأخذهم غلمان العسس وقيدوهم وأتوا بهم إليه، واتفق في تلك الأوقات كثرة اللصوص في تلك البلدة، فلما أوقفوهم بين يديه، وقالوا: إن هؤلاء لصوص، وكان ذلك الرجل عظيم الهيكل، عليه لباس الروم، فلما وقع بصره إلى المؤمنين، سألهم عن بلادهم وأحوالهم، فقالوا له: إننا من أهل العراق، فعرفهم إنهم

(١) بحار الأنوار (ج ٦٩، ص ٦٠).

(٢) السيد نعمة الله الجزائري (١٠٥٠ هـ - ١١١٢ هـ) من أعلام الطائفة الأفاضل، المحققين، وله مؤلفات كثيرة نفيسة أكثرها في شرح الأحاديث المروية عن المعصومين عليه السلام.

من الشيعة، فقال هؤلاء لصوص من الرافضة، فحلف أن يفعل بهم أنواع السياسات فأخذتهم غلمانهم، وأمر أن يحبسوا بمنزله حتى يجيء هو ويقتلهم، فأتوا بهم وحبسوهم، فلما كان قرب الصباح أقبل العسس إلى منزله، وهم قد تيقنوا القتل، فلما وصل إلى بيته وتفرق عنه جلاوزته، غلقوا بابه، فخرج بعض خدامه بثياب بيض وفرش له مصلى، فإذا فيه سجدة وسبحة وقرآن وصحيفة، فصلى بتضرع واستكانة وبكاء، فلما استتمّ تعقيبه أمر بإحضار المؤمنين، فقال لهم: أيها المؤمنون، أنا مثلكم شيعي ولي غلات الأملاك ما يفضل عن مؤنتي وليس لي احتياج إلى هذا المنصب، ومع هذا في كل سنة أعطي السلطان مبلغاً جزيلاً حتى يعطوني هذا المحل، وليس هذا إلا للخوف على أمثالكم من الشيعة حتى لا ينال الضرب أحداً منكم، كل عسس تقدمني إذا ظفر بالشيعة أنزل بهم أنواع البلاء، وقد شاهدنا مثله في اصفهان، فهؤلاء قد حصلوا الجنة بكونهم أعساسة.

وأمثال هذا كثير وقضايا علي بن يقطين^(١) مشهورة: كم فك أشخاصاً من الشيعة، وكم أغنى أناساً، وكان واقفاً لأوامر الائمة الطاهرين عليهم السلام ممثلاً لأوامرهم، وكفاك قصته المشهورة مع ابراهيم الجمال، وذلك حين استأذن على الصادق عليه السلام، فأبى أن يأذن له حتى يرضى ابراهيم الجمال، الى أن مضى الى الكوفة وطرق الباب عليه، فقال: من هذا؟ فقال: علي بن يقطين. فقال: ما يريد مني علي بن يقطين، وهو وزير وأنا جمال. إلى أن أذن له، فأخبره بما أمره الإمام، فقال له علي بن يقطين: أريدك أن تدوس وجهي، فاستعظم ابراهيم الجمال الأمر. فقال: افعل. فداس وجهه بنعله، فقال له:

(١) كوفي، بغدادي، ثقة جليل، له منزلة عظيمة عند الامام الكاظم عليه السلام ومكانة لدى الطائفة الشيعية، ولد سنة ١٢٤ للهجرة بالكوفة، وتوفي ببغداد سنة ١٨٢ للهجرة (رجال الكشي: ص ٤٣١).

أَرْضَيْتِ، فَقَالَ: نَعَمْ فَهَذَا إِبْرَاهِيمُ الْجَمَالِ اسْتَعْظَمَ هَذَا الْحَالُ أَنْ يَدُوسَ وَجْهَ وَزِيرٍ.
 قُلْ لِلْمُقَادِيرِ قَدْ أَبْدَعْتَ حَادِثَةً بَدِيعَةً ^(١) الشَّكْلَ مَا كَانَتْ وَلَمْ تَكُنْ
 أَمْثَلُ شَمْرِ أَذَلَّ اللَّهُ جِسْمَهُ يَلْقَى الْحُسَيْنَ بِذَاكَ الْمَلْتَقَى الْخَشَنِيِّ ^(٢)

* * *

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَلَا عَنِّ فَقَدْ مَعْرِفَةٌ فَالشَّمْسُ مَعْرُوفَةٌ بِالْعَيْنِ وَالْأَثَرُ ^(٣)
 مَا أَنْصَفْتَكَ الظُّبَا يَا بَدْرَ هَالَتِهَا إِذْ قَابَلْتَكِ بِوَجْهِ غَيْرِ مُسْتَتَرٍ ^(٤)
 كَأَنَّ بَيْضَ الْمَوَاضِي حِينَ تَنْهَبُهُ نَارٌ تَحْكُمُ فِي جِسْمٍ مِنَ النُّورِ
 تَهَابَهُ الْوَحْشُ إِذْ تَدْنُوا لِمَصْرَعِهِ وَقَدْ أَقَامَ ثَلَاثًا غَيْرَ مَقْبُورٍ ^(٥)

المجلس السادس عشر

أَيْضاً فِي حُبِّ الدُّنْيَا

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «يَا كَمِيلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ
 تَحْرُسُ الْمَالَ» ^(٦). وَقَالَ عليه السلام: «يَا كَمِيلُ هَلْكَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ
 مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ» ^(٧).
 رُبَّمَا تَسَبَّبَ الْإِنْسَانُ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ إِلَى هَلَاكِ نَفْسِهِ، ابْتِدَاءً مِنْ حِينَ ظَفَرَهُ بِالْمَالِ،

(١) في المصدر: غريبة الشكل.

(٢) ديوان الأزرعي الكبير (ص ٤٣٢).

(٣) المصدر المتقدم (ص ٣٠٠).

(٤) المصدر المتقدم (ص ٢٢٩).

(٥) وهي أبيات للرضي عليه السلام تجدها في مناقب آل أبي طالب (ج ٣، ص ٢٥٩).

(٦) مغني المحتاج (ج ١، ص ٨) ونهج البلاغة (ج ٤، ص ٣٦).

(٧) المعيار والموازنة (ص ٨٠) وشرح نهج البلاغة (ج ١٨، ص ٣٥٠).

كما روي: أَنَّ المسيح ﷺ خرج يوماً إلى البرية ومعه ثلاثة من أصحابه، فلَمَّا توسَّعوا في البرية رأوا لبنة من ذهب، مطروحة في الطريق، فقال عيسى ﷺ: هذا الذي أهلك من كان قبلكم، إياكم ومحبة هذا، فمضوا عنها، فما مضى إلا ساعة حتى قال واحد منهم: ياروح الله إئذن لي في الرجوع إلى البلد. فإني أجد الألم، فأذن له، فأتى إلى تلك اللبنة ليأخذها، فجلس عندها فقال الثاني: ياروح الله إئذن لي في الرجوع، فرجع، فكذلك الثالث، فاجتمعوا عند تلك اللبنة ليأخذوها، فاتفقوا على أخذها، فقالوا: نحن جياع فليمض واحد منّا إلى البلد ليشترى لنا طعاماً، حتى ندخل البلد، فمضى واحد فأتى إلى السوق واشترى طعاماً، فقال في نفسه: إني أجعل فوقه سمّاً فيأكلاه ويموتان، فتبقى تلك اللبنة الذهب لي وحدي، فوضع في الطعام سمّاً، وأمّا الآخرون فتعاقدا على أن يقتلاه ويأخذوا اللبنة، فلما جاء بالطعام بادرا إليه، وقتلاه وجلسا يأكلان الطعام، فما أكلا إلا قليلاً حتّى ماتا، فصاروا كلّهم أمواتاً حول تلك اللبنة، فلما رجع عيسى ﷺ مرّ على تلك اللبنة، فرأى أصحابه أمواتاً، فعلم أنّ اللبنة هي التي قتلتهم، فدعى الله سبحانه فأحياهم لأجله، فقال: أما قلت لكم إنّ هذا الذي أهلك من كان قبلكم فتركوا اللبنة ومضوا^(١).

وحكي أنّ رجلاً عارفاً سافر وحده ومعه كيس من الدراهم، فلَمَّا توسع في البرية توهم من حمل تلك الدراهم وخاف على نفسه القتل، وأخذ الكيس فأخفاه فمشى على فراغ بال، واطمئنان خاطر، وقد كان رجل يمشي في ذلك الطريق على أثره فوجد ذلك الكيس، فرفعه وحمله، فلحق بذلك العارف، فسأله، وقال: يا أخي أهذا الطريق آمن أم لا؟ فقال له العارف: إن كان الذي رميته أنا رفعتة أنت فهو غير آمن، وإن

كان تركته فالطريق آمن.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «لَا تَخْلُفَنَّ وَرَائِكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّكَ تَخْلُفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: إما رجل عمل فيه بطاعة الله فُسِّعَ بما شقيت به، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقيت [خ ل فشقي بما جمعت له] فكنت عوناً على معصيته، وليس أحد [من] هذين هذا من حقيقاً أن تؤثره على نفسك، ولا أن تحمل له على ظهرك فارجُ لمن مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله»^(١).

وربما حصل من جمع الأموال الندامتان، أمّا ندامة الدنيا فبخروجه من تلك الأموال ومفارقتها لها عند الموت، وكذلك في حال الحياة أيضاً، فإنَّ صاحب المال تعبان القلب من وجوه كثيرة، منها: خوف اللصوص والأعداء، وأمّا الندامة الأخروية، فقال عليه السلام: «ويل لمن رأى حسناته في ميزان غيره وذلك، إنّه يتعب باله في جمع المال ولا ينفقه في سبيل الله فيأتي بعده من يتصدّق به، ويصل المؤمنين فيكون ثوابه يوم القيامة في ميزانه (أي المتصدّق) فينظر إليه من جمع المال وينظر إلى دراهمه في ميزان غيره، فبالها عظمى وشقاوة كبرى، وإن أنفقها الوارث في غير حقّها عوقب عليها وكان لذلك الذي جمعها ولم ينفقها فيما أمر به حظاً وافر من عذابه.

ذكر الجزائري (عليه الرحمة) في الأنوار^(٢): وقد كان في زماننا رجل غير صالح (ولعل لفظة غير زائدة من الناسخ والصحيح رجل صالح كما يدلّ فعله عليه) وكان يخدم سلطان الهند (خرّم شاه)، وكان له مداخل من الأموال في كلّ سنة من أربعمائة ألف دينار، وكان ينفقها في سبيل الله، فسمع السلطان بذلك فطلبه يوماً، وقال

(١) نهج البلاغة (ج ٤، ص ٩٧).

(٢) كتاب الأنوار النعمانية.

له: يا فلان ينبغي للإنسان أن يكون له حظٌّ من حبِّ المال، وأنا سمعت بأنك ما تحبُّ المال. فقال ذلك الرَّجل: أيُّها الانسان، والله إنِّي لحريص على حبِّ المال، وما أحد من خواصِّك أحرص منِّي، وذلك أنِّي أريد أن آخذ كلَّ أموالِي معي، ولا أبقي منها شيئاً، والنَّاس يريدون يبقونها بعدهم، فأني حريص أحرص منِّي. فقال: صدقت.

■ [عبرة من كربلاء]:

ومن هذا كلة والخوف منه مآل الأولياء إلى إرادة الفقر، وإن نالوا من الدنيا شيئاً أنفقوه في سبيل الله، بل يبذلون أرواحهم في سبيل الله، أما ترى سيد الشهداء عليه السلام كيف بذل نفسه النفيسة، وأولاده وأخوته، وأنصاره لإقامة دين الله، دين جدِّه محمد ﷺ كما قيل عن لسان حاله:

إن كان دين محمد لم يستقم	إلا بقتلي ياسيوف خذيبي ^(١)
أديت ميثاقاً علي مؤكداً	من سالف وعليك أن ترضيبي
فرضاي غفران الذنوب لشيعة	أوعدها الحسنی وأنت ضميني
فلهم بذلت النفس حتى أنني	فوق الثرى نكست عن ميموني
ذبحوا رضيعي نصب عيني ظامياً	وبذبهم إياه قد فجعوني ^(٢)

(١) هذا البيت جاء في الأخبار والطوال (ص ٢٢٠).

(٢) القائل الشيخ محسن أبو الحب عليه السلام.

المجلس السابع عشر

في حبّ الدّنيا أيضاً

قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كتبه: «إنّ مثل الدنيا كمثل الحية، ما ألين مشها وفي جوفها السمّ النّاقع، يحذرهما العاقل، ويهوى إليها الصّبي الجاهل»^(١). وقد قيل:

هي الدنيا تقول لمن عليها حذار حذار من بطشي وقتلي^(٢)
فلا يغرنكم حسن ابتسامي فقولني مضحك والفعل مبكي^(٣)

وذلك أنّ الصّبي إنّما ينظر إلى ظاهرها، وفي ظاهرها من النّقوش والخطوط، فيهوى إليها الصّبي بل الحية خير من الدنيا، وذلك أنّها وإن كان في جوفها السمّ النّاقع الضّحار، لكن يخرج منها خرزة سوداء تنفع للسمع الحيّات، وذلك أنّها توضع على موضع اللدغة فتجذب السمّ وتقلعه من البدن، فهي نافعة من هذه الجهة، مع أنّها إنّما تضرّ من آذاها.

كما حكى عن بعض الثّقات: أنّه كان عندهم حيّة في البيت، وكان عندها فراخ، قال: فأردنا أن ننظر إليها يوماً، فلمّا خرجت بادرنا إلى فراخها فوضعناها تحت قدر وخرجنا من البيت، فلمّا أتت إلى فراخها فلم ترها عمدت إلى البيت وجالته على الفراخ، فلمّا آيست منها، أتت إلى لبن في البيت فدخلت فيه وشربت منه وقاءته حتّى صار أصفر من السمّ، وخرجت من البيت، فعمدنا إلى فراخها، فوضعناها في موضعها

(١) الكافي (ج ٢، ص ١٣٦).

(٢) أو: وقتكي.

(٣) شجرة طوبى (ج ١، ص ١٣٧) وقيل هو لأبي الفرج السامري (معاهد التنصيص: ج ٤، ص ٢٤١).

فأتت مرةً أخرى، فلما رأتها أتت إلى ذلك اللّبن ودخلت فيه وخرجت منه، فوضعت نفسها على التراب ودخلت اللّبن، وهكذا حتى صار ذلك اللّبن مثل لون التراب، ومضت عنه حتّى لا نشربه. وأمّا الدنيا فإنّها تلسع كلّ أحد.

وروى الصدوق^(١) (نور الله ضريحه): قد شبّه بعض الحكماء حال الإنسان واغتراره بالدنيا، وغفلته عن الموت، ومابعده من الأهوال، وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممزوجة بالكدورات، بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل، وفي أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجّه إليه، منتظر بسقوطه فاتح فاه لالتقامه، وفي أعلى ذلك البئر جردان أبيض وأسود لايزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ولايفتران عن قرضه أنّاً من الآتات، وذلك الشخص مع أنّه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض ذلك الحبل أنّاً فأنّاً قد أقبل على قليل عسل قد طُخّ به جدار ذاك البئر، وامتنج بترابه، واجتمعت عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطمه، منهمك فيه ملتدّ بما أصاب منه، مخاصم لتلك الزنابير عليه، قد صرف باله بأجمعه إلى ذلك غير ملتفت إلى ما فوقه وإلى ما تحته^(٢).

فالبئر هو الدنيا، والحبل هو العمر، والثعبان الفاتح فاه هو الموت، والجردان اللّيل والنهار القارضان للعمر، والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممزوجة بالكدورات والآلام، والزنابير هم أبناء الدّنيا المتزاحمون عليها.

فالعاقل من فكّر في عواقب الدنيا، وذلك كما جاء في الخبر، إنه سُئل الصادق عليه السلام عما يروي الناس: تفكّر ساعة خير من قيام ليلة، يقول السائل، قلت: كيف

(١) من أعظم أعلام الامامية ومن الثقات المحدثين.

(٢) نقله الشيخ النمازي عليه السلام في مستدرک سفينة البحار (ج ٨، ص ٧) عن كتاب الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة.

يفكر؟ قال ﷺ: «يمرّ بالخرابة أو بالدار فيقول: أين ساكنوك أين بانوك مالك لا تتكلمين»^(١). وقال الرضا ﷺ: «ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم إنّ العبادة التفكر في أمر الله عزّ وجلّ»^(٢)؛ وذلك إنّ بالتفكر يقصر الأمل، فإذا قصر الأمل كثر العمل، وأقوى أسباب حبّ الدنيا والميل إليها إنّما يجيء من جهة طول الأمل، فإنّ الأمل يزيد على العمر بكثير وأمّا من قصر أمله في الدنيا لا تغره.

وروي: أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يزور قبر فاطمة عليها السلام في كل يوم، فأقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى، وأنشأ:

ما لي مررت على القبور مسلماً قبر الحبيب فلم يردّ جوابي
فيا قبر مالك لا تجيب منادياً أنسيت بعدي خلة الأحباب

فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه:

قال الحبيب: فكيف لي بجوابكم وأنا رهين خبادل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أترابي
فعلیکم مني السلام تقطعت مني ومنكم خلة الأحباب^(٣)

روي أنّ عيسى عليه السلام صعد جبلاً، فرأى شخصاً يعبد الله في الشمس، فقال: لم لا تستظل؟! فقال: يا نبيّ الله، إنّي سمعت من الأنبياء أنّي لا أعيش أكثر من سبعمئة سنة، فلم أجد من عقلي أن اشتغل بالبناء. فقال عيسى عليه السلام: أخبرك بما يعجبك منه؟ قال: فماذا؟! قال: يكون في آخر الزمان قوم لا ينتهي عمر أحدهم إلى أكثر من مائة سنة، وهم يبنون الدور والقصور ويتخذون الحداث والبساتين، ويأملون أمل عمر ألف سنة. قال

(١) المحاسن (ج ١، ص ٢٦).

(٢) فقه الرضا عليه السلام (ص ٣٨٠).

(٣) نور الأبصار (ص ٤٧).

الشيخ: فوالله إني لو أدركت زمانهم لجعلت عمري في سجدة واحدة. ثم قال لعيسى عليه السلام: ادخل هذا الكهف حتى ترى عجباً. فدخل، فرأى سريراً من حجر وعليه مِيت، وعلى رأسه لوح من حجر، مكتوب عليه: أنا فلان الملك، الذي عمّرت ألف سنة وبنيت ألف مدينة، وتزوجت بألف بكر، وهزمت عليه بألف عسكر، ثم كان هذا مصيري. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (١).

ولعل بعض الأفراد يحملهم الأمل على الغرور والغفلة، ويظنون أنهم لا يفارقون الدنيا إلا بعد الشيخوخة، فكأنّ الموت خاصّ بالشيخوخة، ولو أمتعنا النظر لوجدنا الشيخوخة أقلّ كلّ المجتمعات في كلّ أقطار العالم، وما هو إلا أن أكثر الفقد في الأطفال والشبان والكهول، والذي يصل إلى الشيخوخة أقل، ولذا ترى الشيخوخة أقل.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

فإن كنت تريد البرهان الساطع، هلّمّ معي إلى أرض كربلاء وسرّح طرفك في أصحاب الحسين عليه السلام، تجد معظمهم شباناً وكهولاً، نعم كان الشيخ فيهم: حبيب بن مظاهر الأسدي، الذي قُتل بان الانكسار في وجه الحسين عليه السلام، لكن الذي هدّ ركن الحسين عليه السلام فقد أبي الفضل عليه السلام.

المجلس الثامن عشر

في حبِّ الدُّنيا أيضاً

قال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونة، وملعون ما فيها، إلا ما كان لله منها»^(١).
ومرّ ﷺ على مزبلة فوقف عليها، وقال: «هلموا إلى الدنيا» وأخذ خرقاً قد بليت على
تلك المزبلة وعظماً قد نخرت، فقال: «هذه الدنيا»^(٢). وقال ﷺ: «الدنيا دار من لا
دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادي من لا علم له،
وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما قيل له صف لنا الدُّنيا: «وما أصف لكم من دار من
صح فيها سقم، ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، في
حلالها الحساب وفي حرامها العقاب»^(٤).

وقال عليه السلام في بعض مواضعه: «ارفض الدنيا فإن حبّها يعمي، ويصمّ، ويبكم،
ويذلّ الرقاب، فتدرك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً وبعد غده فإنما هلك من كان
قبلك باقامتهم على الأماني والتسويفه حتّى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون، فنقلوا
على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة، وقد أسلمهم الأولاد والأهلون، فانقطع إلى
الله بقلبٍ منيب، من رَفَضَ الدنيا وعَزَمَ فيه انكسار ولا انخزال»^(٥).

(١) أمالي الطوسي (ص ٥٣١).

(٢) تنبيه الخواطر (ج ١، ص ١٢٨).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ١٢٩).

(٤) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢١).

(٥) مصباح البلاغة (ج ٤، ص ١٤٢).

وقد شبّه بعض العرفاء الدّنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيمها، وغفلتهم عن الآخرة وحسراتهم العظيمة بعد الموت من فقدهم نعيم الجنّة، بسبب انغمارهم في خسائس الدنيا يقوم ركبو السفينة فانتهت بهم إلى جزيرة، فأمرهم الملاح بالخروج من السفينة لقضاء الحاجة، وحذّره الملاح في مقام فيها، وخوّفهم مرور السّفينة واستعجالها، فتركوا في نواحي الجزيرة، ففضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة، فأصدف الملاح خالياً، فأخذ أوسع الأماكن وأوقفها بمراده، وبعضهم توقف في الجزيرة واشتغل بالنظر إلى أزهارها وأنوارها وأشجارها وأحجارها ونغمات طيورها، ثمّ تنبّه لخطر فوات السفينة فرجع إليها، فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً فاستقرّ فيه. وبعضهم بعد التنبيه لخطر مرور السفينة لما تعلّق قلبه ببعض أحجار الجزيرة وأنهارها وثمارها لم تسمح نفسه بإهمالها، فاستصحب منها جملةً، ورجع إلى السفينة، فلم يجد فيها إلا مكاناً ضيقاً لا يسعه إلاّ بالتكلّف والمشقّة، وليس فيها مكان لوضع ما حمله فصار ذلك ثقلاً عليه ووبالاً، فندم على أخذها، ولم يقدر على رميها، فحملها في السفينة على عنقه متأسفاً على أخذها، وبعضهم اشتغل بمشاهدة الجزيرة بحيث لم ينتبه أولاً من خطر مرور السفينة، ومن نداء الملاح حتّى امتلأت السفينة، فتنبّه أخيراً ورجع إليها مثقلاً بما حمله من أحجار الجزيرة وحشائشها، ولما وصل إلى شاطئ البحر سارت السفينة أو لم يجد فيها موضعاً أصلاً، فبقي على شاطئ البحر، وبعضهم لكثرت الاشتغال بمشاهدة الجزيرة وما فيها نسوا السفينة بالمرّة ولم يبلغهم النداء أصلاً لكثرة انغمارهم في أكل الثمار وشرب المياه. والتنسم بالأنوار والأزهار، والتفرّج بين الأشجار، فسارت السفينة وبقوا في الجزيرة من دون تنبّههم بخطر مرورها، فتركوا فيها. فبعضهم نهشته العقارب والحيات، وبعضهم افترسته السباع، وبعضهم مات في الأوحال، وبعضهم هلك من النّدامة والحسرة والغصّة.

وأما من بقي على شاطئ البحر فمات جوعاً، وأما من وصل المركب مثقلاً بما أخذه فشغله الحزن لحزن بحفظها، والحزن من فورها، وقد ضيق عليه مكانه، فلم يلبث أن ذبلت ما أخذه من الأزهار، وعفنت الثمار، وكمدت ألوان الأحجار، فظهر نتن رائحتها، فتأذى من نتن رائحتها، ولم يقدر على إلقائها في البحر لصيرورتها جزءاً من بدنه، وقد أثر فيه ما أكل منها ولم ينته إلى الوطن إلا بعد إحاطة الأمراض والأسقام عليه لأجل ما لم ينفك عنه من النتن، فبلغ إليه سقيماً مدنفاً، فبقي على سقمه أبداً أو مات بعد مدة.

وأما من رجع إلى السفينة بعد ضيق المكان، فما فاته إلا سعة المحلّ، فتأذى بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح، ومن رجع إلى السفينة أولاً ووجد المكان الأوسع فلم يتأذى من شيء أصلاً ووصل إلى الوطن سالماً، فهذا مثال أصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم وطنهم الحقيقي وغفلتهم عن عاقبة أمرهم. وما أقبح بالعافل البصير أن يغتر بأحجار الأرض وهشيم التبت مع مفارقتها عند الموت وصيرورته كلاً ووبالاً عليه.

فالعافل من لا تغرّه الدنيا إن أصاب من مالها شيئاً أنفق في وجوهه المشروعة. وجاء في الحديث: «نعم المال الصالح، والولد الصالح للعبد الصالح. أما المال الصالح ما أنفق في سبيل الله وأما الولد الصالح فهو عون لأبيه في حياته وبعد وفاته، أما في حياته فهو مطيع لأمره»^(١). وجاء في الحديث: «لو أمرك أبوك أن تخرج من جميع مالك افعل فهو من البرّ، فالولد الصالح المطيع لأبيه نعم العون»^(٢).

(١) تنبيه الخواطر (ج ١، ص ١٥٨).

(٢) البداية والنهاية (ج ٨، ص ٩٣).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

فلم يسمع بعد الأئمة المعصومين عليهم السلام ابن مطيع لأبيه كعلي بن الحسين الأكبر، حين قدّمه للموت، كما جاء في أنّه أول قتيل من الهاشميين، ولما هم أن يمضي للميدان، قال لسان حال ليلي:

اكبر روان شوقدّت ببينم.. الى آخر ^(١).

المجلس التاسع عشر

في ذمّ المال

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ^(٢). وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «حبّ المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل» ^(٤). وقال ﷺ: «ما ذئبان ضاريان أرسلتا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حبّ المال والجاه في دين الرّجل المسلم» ^(٥). وقال ﷺ: «يقول الله عزّ وجلّ: يابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدّقت فأمضيت، أو أكلت فأفانيت، أو لبست

(١) تقدم ترجمة هذا الشعر الفارسي في الباب الأول.

(٢) الآية ٩ من سورة المنافقون.

(٣) الآية ٢٨ من سورة الأنفال.

(٤) تنبيه الخواطر (ج ١، ص ١٥٥) وإحياء علوم الدين (ج ٣، ص ٢٠٠).

(٥) سنن الدارمي (ج ٧، ص ٣٠٤).

فأبليت»^(١). وقال ﷺ: «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها، وماله بين يديه كلّمَا يُكفّاء به الصراط، قال له ماله: امض وقد أدّيت حقّ الله فيّ، ثمّ يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كفّيه كلّمَا يُكفّاء به الصراط، قال له: ويلك إلّا أدّيت حقّ الله فيّ، فما يزال كذلك حتّى يدعو بالثبور والويل»^(٢). وقال ﷺ: «إنّ الدينار والدرهم أهلكما من كان قبلكم وهما يهلكاكم»^(٣). وقال ﷺ: «لكلّ أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم»^(٤).

وقال ﷺ: «يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالاً من حرام وأنفق في حرام فيقال: إذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفق في حرام، فيقال: إذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل جمع مالاً من حرام وأنفق في حلال فيقال: إذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفق في حلال فيقال له: قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء ممّا فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها، وفزّطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها، فيقول: لا يا ربّ، كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيّع شيئاً ممّا فرضت، فيقال: لعلك اختلت في هذا المال بشيء من مركب أو ثوب باهيت فيه، فيقول: لا يا ربّ، لم اختل، لم أباه في شيء. فيقال: لعلك منعت حقّ أحد أمرتك أن تعطيه من ذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فيقول: لا يا ربّ، لم أضيّع حقّ أحدٍ أمرتني أن أعطيه، فيجيء أولئك فيخاصمونهم، فيقولون: يا ربّ أعطيتهم وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا،

(١) المبسوط للرخسي (ج ٢، ص ١٨٦).

(٢) تاريخ مدينة دمشق (ج ٤٧، ص ١٥٣).

(٣) الخصال (ص ٤٣).

(٤) المحجة البيضاء (ج ٧، ص ٣٢٨) وميزان الحكمة (ج ٤، ص ٢٩٨٣).

فإن كان قد أعطاهم وما ضيَّع مع ذلك شيئاً من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال له: قف الآن هات شكر نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة فلا يزال يسأل»^(١).

فليت شعري يا أخي إنَّ الرجل الذي فعل في الحلال، وأدَّى الفرائض بحدوده، وقام بالحقوق كلّها، إذا حوسب بهذه المحاسبة، فكيف يكون حال من غرق في فتن الدُّنيا وتخاليلها وشبهاتها وشهواتها وزينتها، فيألفها من مصيبة ما أفضعها، ورزّة ما أجلفها، وحسرة ما أعظمها، لاندري ما تفعل بنا الدنيا غداً في الموقف عند يدي الجبار. ولخوف هذا الخطر قال بعض الصحابة: ما سرّني أن اكتسب كلّ يوم ألف دينار من حلال وأنفقتها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة، قالوا له: ولم ذلك رحمك الله؟! قال: لأنّي غني عن مقامي يوم القيامة. فيقول الله: عبدي من أين اكتسبت؟! وفي أي شيء أنفقت؟! فينبغي لكلّ مؤمن تقي أن لا يتلبس بالدنيا، فيرضى بالكفاف وإن كان معه فضل فليقدّمه لنفسه، إذ لو بقي بعده لكان له مفسد وآفات^(٢).

روي أنّه قال رجل لرسول الله ﷺ: ما لي لا أحبّ الموت؟! فقال ﷺ: «هل معك من مال» قال: نعم، يا رسول الله ﷺ. قال ﷺ: «قدّم مالك أمامك فإنّ قلب المؤمن مع ماله إن قلّته أحبّ أن يلحقه، وإن خلفه أحبّ أن يستخلف معه»^(٣).

ووضع أمير المؤمنين عليه السلام درهماً على كفّه، ثم قال: «أما إنك ما لم تخرج عني لم

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ٣٧).

(٢) قريب منه في كتاب المجروحين (ج ٢، ص ١٧٥).

(٣) بحار الأنوار (ج ٦، ص ١٢٧).

تنفعني»^(١).

وروي أن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس، ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما، وقال: من أحبكما فهو عبدي حقاً.

وقال عيسى عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم^(٢). وقال بعض الأكابر: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرين بمثلها: للعبد في ماله عند موته. قيل: وما هما؟! قال: يؤخذ منه كله ويُستل عنه كله، لأنه يصير لوارث من بعده وتبعاته تبقى عليه^(٣).

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أخلاء ابن آدم ثلاثة، واحد يتبعه إلى قبض روحه وهو ماله، وواحد يتبعه إلى قبره وهو أهله، وواحد يتبعه إلى محشره وهو عمله»^(٤).

■ [الإعتبار من كربلاء:]

حبذا من يكون له أهل وأولاد يبادرون في تجهيزه، وقد جاء في الحديث: كرامة الميت تعجيل تجهيزه. وقد جاء في الحديث: لا تنتظروا بموتاكم الصباح إن ماتوا ليلاً إلا أهل المزايا كالعلماء وما شاكلهم، وذلك لاجتماع الناس لتشبيعهم من باب التعظيم لا من باب الإهانة إلا سيد الشهداء عليه السلام:

ما إن بقيت من الهوان على الشرى ملقى ثلاثاً في ربأ ووهاد

(١) مكاشفة القلوب (ص ١١٧).

(٢) المحجة البيضاء (ج ٧، ص ٣٢٨) وميزان الحكمة (ج ٤، ص ٢٩٨٣).

(٣) جامع السعادات (ج ٢، ص ٣٨).

(٤) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٣٥٦).

لكن لكي تقضي عليك صلاتها زمر الملائك فوق سبع شداد^(١)

المجلس المشرون

في التمييز بين الدنيا المذمومة والممدوحة

قد تبين فيما مضى من المجالس، أنَّ الدنيا على قسمين: ممدوحة ومذمومة. وبيان ذلك: أنَّ الوصول إلى أعلى مراتب السعادة، والفوز بالقرب إلى حضرة خالق البريات جلّ وعلا، لا يحصل إلاّ بصفاء القلب، وحبّ الله، والأنس به. ولا يحصل صفاء القلب إلاّ بمنع النفس من الشهوات الدنيوية والعبادة والاطاعة، وحبّ الله لا يحصل إلاّ بالمعرفة، والمعرفة لا تحصل إلاّ بدوام الفكر، والأنس لا يحصل إلاّ بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه.

وهذه الثلاث الخصال هي التي تكون سبب نجاة الانسان وفوزه بالسعادة بعد الموت، وهي الباقيات الصالحات. ولا شك أنَّ من سعى في تحصيل هذه الصفات الثلاث فهو السالك طريق الآخرة، ومن المحقّق أنَّ تحصيلها يحتاج إلى صحة البدن، وصحة البدن موقوف على الغذاء الذي به قيام حياة البدن واللباس والمسكن، وكلّ واحد من هذه يحتاج إلى أسباب. فمن أخذ من الدنيا بهذا المقدار لتحصيل الآخرة لا يعدّ من أهل الدنيا بل يصدق في حقه الدنيا مزرعة الآخرة، وإن أخذ هذا المقدار (أي مقدار اللازم) باسم التنعم وحظّ النفس صار من أبناء الدنيا والزّاعبين في حظوظها. إلاّ أنَّ التنعم في الدنيا ينقسم إلى قسمين: قسم منه يوصل الانسان إلى العذاب، ولكن يكون باعثاً لطول الحساب وانحطاط الدرجات وهو المباح، فالبصير يعلم أنَّ

طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضاً عذاب، فمن نوقش في الحساب عُدَّ، ولذا قال رسول الله ﷺ: «في حلالها حساب وفي حرامها عقاب»^(١)، بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة، وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحفظ خسيصة لا بقاء لها أيضاً عذاباً، ويرشدك إلى ذلك حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك إلى السعادة الدنيوية كيف ينقطع قلبك عليها حسرات، مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لاصفاء لها، فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الأذهان والدهور دون غايتها، وكل من يتنعم في الدنيا ولو بسماع صوت طائر أو بالنظر إلى الخضرة أو بشربة ماء بارد فهو ينقص من حظّه في الآخرة، فالدنيا قليلها وكثيرها، حلالها وحرامها ملعونة، إلا ما أعان على تقوى الله، فإن ذلك القدر ليس من الدنيا، وكل من كان له معرفة أقوى وأتم كان حذر من نعيم الدنيا أشد وأعظم.

ولذا زوى الله الدنيا على نبيّنا ﷺ، وكان يطوي أياماً، وكان يشدّ الحجر على بطنه من الجوع^(٢). وهكذا أمير المؤمنين عليه السلام وهو قائل: «وأيّ الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروض نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إن قدرت عليه مطعوماً، وتقع بالملح مادوماً»، مع أنّ الدنيا كلّها كانت تحت يده ما عدى الشام^(٣). ولذا قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة

(١) هذا النص ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما في نهج البلاغة (ج ١، ص ١٣٠).

(٢) مناقب الامام أمير المؤمنين عليه السلام (ج ١، ص ٥٨).

(٣) نهج البلاغة (ج ٣، ص ٧٤).

ماء»^(١).

❏ [الاعتبار من كربلاء]:

ولذا قالت العقيلة زينب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام في خطبتها ليزيد: أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وأفاق السماء وأصبحنا نساك كالأسارى أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك حين رأيت الدنيا لك مستوثقة، والأمور متسقة، وحين صفى لك ملكنا وسلطاننا، مهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَخْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ خَيْرَ لَاتُفْسِحُ لَهُمُ الثَّمَلِي لَّهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢). أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائك واماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتك ستورهن وابديت وجوههن^(٣).

أبا حسن تفضي وتلتذ بالكرى وبالكف أمست تستر الوجه زينب
أبا حسن، ترضى صفاياك في السبا ونسوة حرب في المقاصد تحتجب
وتلوي للين الفرش جنباً وهذه بناتك للشامات تهدى وتجلب

المجلس الحادى والعشرين

في الكسب

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

قد تبين أن الديانة لا تستقيم إلا بحفظ الصحة، وحفظ الصحة لا يستقيم إلا

(١) كتاب التمهيد (ص ٤٨).

(٢) الآية ١٧٨ من سورة آل عمران.

(٣) اللهوف من قتلى الطفوف (ص ١٠٦).

بالغذاء والملبس والمسكن، وهذا لا يستقيم إلا بالكسب. فعلى هذا لا بدّ للمؤمن من مكسب، بل اللازم لكلّ مؤمن أن يكون له مكسب طيّب يحصل منه ما يحتاج إليه من الرزق وغيره من المخارج المحمودّة، وقد صرح بذلك في أخبار كثير، منها قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام أنّك نعم العبد، لولا أنّك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الحديد أن لن لعبدي داود، فألان الله له الحديد، وكان يعمل كلّ يوم درعاً فبييعها بألف درهم، فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال»^(١). وقال الصادق عليه السلام: «من أحبنا أهل البيت فليأخذ من الفقر جلباباً وتجفافاً والجلباب: كناية عن الستر مملى فقره، والتجفاف: كناية عن كسب طيب يدفع فقره»^(٢).

وقيل له في رجل قال: لأقعدنّ في بيتي، لأصلنّ ولأعبدنّ ربّي، فأما رزقي فسيأتي، قال أبو عبد الله عليه السلام: «هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم»^(٣).

وهذا أي ملكة تحصيل المال الحلال من المكاسب الطيبة وصرفها في المخارج المحمودّة هو الحرّيّة بأحد المعنيين إذ للحرّيّة اطلاقان: (أحدهما) ذلك، أي الكسب الحلال وهو الحرّيّة بالمعنى الأخص.

(وثانيهما): التخلّص من أسر الهوى وعبوديّة القوّة الشهويّة، وهو الحرّيّة بالمعنى الأعمّ، المرادفة للعقّة، وضدّه الرقيّة بالمعنى الأعمّ الذي هو طاعة قوة الشهوة ومتابعة الهوى، وضدّ الأول، أعني الرقية بالمعنى الأخصّ هو افتقاره إلى الناس فيما

(١) تهذيب الأحكام (ج ٥، ص ٣٢٦).

(٢) نهج البلاغة (ج ٤، ص ٢٦).

(٣) الكافي (ج ٥، ص ٧٨).

يحتاج إليه من الرزق، واللقاء نظره إلى أيديهم، وحوالة رزقه على أموالهم، أما على وجه محرّم كالغصب والنهب والسرقة وأنواع الخيانات، أو هو غير محرّم كأخذ وجوه الصدقات وأوساخ الناس، بل مطلق الأخذ منهم إذا جعل يده يداً سفلى ويدهم يداً عليا، ولا ريب في كون الرقية بهذا المعنى مذمومة إذ الوجه (الأول) محرّم في الشريعة وموجب للهلاك الأبدى، والوجه (الثاني) وإن لم يكن محرّماً إذا كان فقيراً مستحقاً إلا أنه لا يجابه التوقّع من الناس، وكونه نظره إليهم يقتضي المذلة والانكسار والتخضع للناس والرقية والعبودية لهم، وهذا يرفع الوثوق بالله والاعتماد والتوكّل عليه، وينجرّ ذلك إلى سلب التوكّل على الله بالكلية وترجيح المخلوق على الخالق، وهذا ينافي مقتضى الايمان والمعرفة الواقعية بالله سبحانه. وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «امرن على من شئت تكن أميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره واستغن عن من شئت تكن نظيره» (١).

فالحاصل أنّ التكبّب مع الامكان خير للإنسان، وقد حثّ عليه الأحاديث مثل: قول النبي ﷺ: «ملعون من ألقى كَلَهَ» (٢) «على الناس» (٣).

وأصاب أنصارياً حاجة، فأخبر رسول الله ﷺ، فقال: إئتني بما في منزلك ولا تحتقر شيئاً، فأتاه بجليس (وهو ما يلقى على الدابة) وقدح، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتريهما» فقال رجل: هما بدرهمين. فقال ﷺ: «هما لك ابتع بأحدهما طعاماً لأمهلك، وابتع بالآخر فاساً» فأتاه الفاس، فقال ﷺ: «من عنده نصاب لهذا الفاس» فقال أحدهم: عندي. فأخذه رسول الله ﷺ فأثبتته بيده، فقال: «اذهب واحتطب

(١) الخصال (ص ٤٢).

(٢) أي ثقله.

(٣) تحف العقول (ص ٣٧).

ولاحقرون شوكتاً ولا رطباً ولا يابساً» ففعل ذلك خمسة عشر يوماً، فأثابه وقد حسنت حاله، فقال ﷺ: «هذا خير من تجي يوم القيامة وفي وجهك كدوح الصلقة»^(١).

وحيث أن قسماً من الناس غفلوا عن الاشتغال في أول الصبا، أو منعهم مانع واستمروا على غفلتهم وبطالتهم حتى نشؤوا بلا شغل واكتساب، فاضطروا إلى الأخذ مما يسعى فيه غيرهم، ولذا حدثت حرفتان خبيثتان هي: اللصوصية والكدية، وهي الاستعطاء، ولكل واحد منهما أنواع غير محصورة لا تخفى على المتأمل، فاللص والسائل كل على الجامعة البشرية إلا إذا كان الإنسان عاجزاً كالأعمى، وكبير السن، وأمثالهما، ألا تسمع لقول الصادق عليه السلام: «لا تكسلوا في طلب معاشكم فإن آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها»^(٢). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مشهور أنه كان يعمل بالمسحات»^(٣) حتى ورد أنه أعتق ألف مملوك من كد يده وهو (عليه السلام) القائل:

أحب إلي من ممن الرجال
أقول العار في ذل السؤال^(٤)

لنقل الصخر من قلل الجبال
إذا ما قيل لي في الكسب عاز

■ [من تاريخ كربلاء]:

فالسؤال ذل ولو عن الطريق فيما للأشراف، وعلى الأخص آل بيت

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٣، ص ٢٨٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه (ج ٣، ص ١٥٧).

(٣) الكافي (ج ٥، ص ٧٤) وقد أفرد العلامة السيد هاشم البحراني رحمه الله باباً في حلية الأبرار للأخبار في وصف هذا الباب وهو الباب التاسع والعشرون، وهو العمل باليد والكد على العيال.

(٤) المسبوط للسرخسي (ج ٣٠، ص ٢٧٢) ونهج السعادة (ج ٨، ص ٢٩٩).

الرسول ﷺ، ولم يُسمع أحدٌ من أهل البيت عليه السلام سأل مخلوقاً حاجة، إلا سجد الساجدين عليه مرة واحدة، وذلك في أسْرَينِي أُمِيَّة، حين قال: يسهل أمْعك ثوب زائد. قال: نعم. قال عليه السلام: «عليَّ به واقسمه نصفين، وحرك الجامعة، وضعه تحتها فإنها أكلت رقبتي». يقول سهل: فحرّكت الجامعة، فانبعث الدم كالميزاب.

لقد كان الوفاد تسأل من يدي واليوم أسئل من يدي وفاد
كانت جميع الناس توجب طاعتي واليوم طوعي تحت ذل قيادي

المجلس الثاني والعشرين

الجمع بين ذمّ المال ومدحه

إعلم أنّه كما ورد ذمّ المال في الآيات والأخبار، ورد مدحه فيهما أيضاً، وقد سماه الله خيراً في مواضع، فقال: ﴿إِنْ تَرَكْ خَيْرًا لِّوَصِيَّتِهِ لِلَّذِينَ وَالِ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١). وقال في مقام الامتنان: ﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبَيِّنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (٢).

وقال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» (٣)، وكلّ ماجاء في ثواب الصدقة والضيافة والسخاء والحج وغير ذلك مما لا يمكن الوصول إليه إلاّ بالمال فهو ثناء عليه.

ووجه الجمع بين الظواهر المادحة والذامة، هو: أنّ المال قد يكون وسيلة إلى مقصود صحيح وهو السعادة الأخروية، إذ الوسائل إليها في الدنيا ثلاث، وهي:

(١) الآية ١٨٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٢ من سورة نوح.

(٣) التحفة السنية (ص ٥٩).

الفضائل النفسية، والفضائل البدنية، والفضائل الخارجية، التي عمدتها المال، وقد يكون وسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي: المقاصد الصادة عن السعادة الأخروية، والحياة الأبدية، والصادة عن سبيل العلم والعمل، فهو إذاً محمول ومذموم بالإضافة إلى المقصودين، فالظواهر الذامة محمولة على كونه وسيلةً إلى مقاصد فاسدة، والمادحة على صورة كونه وسيلة إلى مقاصد صحيحة.

ولمّا كانت الطبايع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله، وكان المال سهلاً لها وآلة إليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية، فاستعاذ طوائف الأنبياء والأولياء من شرّه، حتّى قال نبيّنا ﷺ: «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً»^(١) وقال ﷺ: «اللهم أحييني مسكيناً وأمّتي مسكيناً»^(٢).

غوائل المال وفوائده

ظهر ممّا ذكر: أنّ المال مثل حيّة فيها سمّ وترياق، فغوائله سمّه وفوائده ترياقه، فمن عرفهما أمكنه أن يحترز من شدة ويستدرّ منه.

ولبيان ذلك نقول: إنّ غوائله إمّا دنيويّة أو دينيّة، والدنيوية هي ما يقاسيه أرباب الأموال من: الخوف، والحزن، والهمّ، والغمّ، وتفرّق الخاطر، وسوء العيش، والتعب في كسب الأموال، وحفظها، ودفع الحساد، وكيد الظالمين، وغير ذلك. (والدينية) ثلاثة أنواع:

● **(أولها):** أداؤه إلى المعصية، إذ المال من الوسائل إلى المعاصي نوع من القدرة

(١) تفسير الثعالبي (ج ١، ص ٥٣١).

(٢) المبسوط (ج ١، ص ٢٤٦).

المحرّكة لداعيها، فإذا استشعرها الإنسان من نفسه انبعثت الداعية واقتحم فى المعاصي وارتكب أنواع الفجور، ومهما كان آيساً من القدرة لم يتحرّك داعيه إليها، إذ العجز قد يحول بين المرء وبين المعصية، ومن العصمة أن لا يقدر، وأمّا مع القدرة إن اقتحم ما يشتهي هلك وإن صبر وقع فى شدّة، إذ الصبر مع القدرة شد، وفتنة السراء من فتنة الضراء أعظم.

● (وثانيها): أداؤه إلى التّنعّم فى المباحات، فإنّ الغالب أن صاحب المال يتنعم بالدنيا يمرن عليه نفسه، فيصير التّنعّم محبوباً عنده مألوفاً، بحيث لا يصير عنه ويجرّ البعض منه إلى البعض، وإذا اشتدّ إلفه به، وصار أداة له ربّما لم يقدر عليه من الحلال، فيقتحم فى الشبهات ويخوض فى المحرمات: من الخيانة، والظلم، والغصب، والرياء، والكذب، والنفاق، والمداهنة، وسائر الأخلاق المهلكة، والأشغال الرديّة لينتظم أمر دنياه ويتيسّر له تنعمه، وما أقلّ لصاحب الثروة والمال ألا يصير التّنعّم مألوفاً له، إذ متى يقدر أن يقنع بخبز الشعير، ولبس الخشن، وترك لذىذ الأطعمة بأسرها، فإنّ ذلك شأن نادر من أولي النفوس القويّة، كسليمان بن داود عليه السلام وأمثاله.

● (ثالثها): وهو الذي لا ينفك عنه أحد من أرباب الأموال، وهو أنّه يلهيه اصلاح ماله وحفظه عن ذكر الله تعالى، وكلّ ما يشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ووبال، ولذا قال روح الله عليه السلام: فى المال ثلاث آفات: أن يأخذ من غير حلّه. فقيل: إن أخذه من حلّه قال: يضعه فى غير حقّه، فقيل: إن وضعه فى حقّه، فقال: يشغله اصلاحه عن الله ^(١).

وهو الدّاء العضال إذ أصل العبادة وروحها وحقيقتها هو الذكر والفكر فى جلال

الله تعالى، وذلك يستدعي قلباً فارغاً.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ألا ترى سيّد الشهداء رُوحِي له الفداء كيف ترك الدنيا وزينتها، وبذل ماله وحلاله، وأولاده في سبيل الله، ألا تراه كيف ناجى ربّه وهو على رمضاء كربلاء، قائلاً:

تركت الخلق طرّاً في هواكا وأيتمت العيال لكى أراكا
ولو قطعّني في الحبّ إرباً لما مال الفؤاد الى سواكا^(١)

الجلس الثالث والعشرين

في فوائد المال الدينية والدنيوية

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

أما فوائد المال فهي أيضاً دنيوية ودينية.

● (أما الدنيوية): فهو: ما يتعلق بالحفظ العاجلة من الخلاص من ذلّ السؤال، وحقارة الفقر، والوصول إلى العزّ والمجد بين الخلق، وكثرة الإخوان والاصدقاء والاعوان، وحصول الوقار والكرامة في القلوب.

أما (الدينية) فتلاثة أنواع: (أولها) أن ينفقه على نفسه في عبادة كالحج والجهاد، أو فيما يقوّي على العبادة كالمطعم والملبس. [و] (ثانيها): أن يصرفه على أشخاص عيّنة كالصدقة، والمروءة، ووقاية العرض، واجرة الاستخدام. وأما الصدقة بأنواعها فلا يحصى ثوابها.

(١) تاريخ مدينة دمشق (ج ٦، ص ٣٠٦).

وأما المروءة ونعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة أو هدية أو إعانة، وما يجري مجراها، ممّا يكتسب به الاخوان والأصدقاء، ويجلب به صفة الجود والسخاء، إذ لا يتصف بالجود إلاّ من يصطنع المعروف، ويسلك سبيل الفتوة والمروءة، فلا ريب في كونه ممّا يعظم ثوابه، فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا، والضيافات، وإطعام الطعام، من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها.

وأما وقاية العرض ونعني به بذل المال لدفع ثلب السفهاء، وهجو الشعراء، وقطع ألسنة الفحّاشين والمغتربين، ومنع شرّ الظالمين، وأمثال ذلك، فهو أيضاً من الفوائد الدينية، قال رسول الله ﷺ: «ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة» (١).

أما أجره الاستخدام فلا ريب في اعانته على أمور الدين، إذ الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة، ولو تولاهم بنفسه ضاعت أوقاته، وتعدّر عليه سلوك سبيل الآخرة، بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين، ومن لا مال له يحتاج أن يتولّى بنفسه جميع الأعمال التي يحتاج إليها في الدنيا، حتّى نسخ الكتاب الذي يفتقر إليه، وكلّمّا يتصوّر أن يقوم به الغير؛ فتضييع الوقت فيه خسران وندامة.

و(ثالثها): أن يصرفه إلى غير معيّن يحصل به خير عام، وهى الخيرات الجارية من: بناء المساجد، والمدارس، والقناطر، والرباطات، ونصب الخشبات في الطرق، واجراء القنوات، ونسخ المصاحف، والكتب العلمية، وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات المؤبّدة الدائرة بعد الموت، المستجلبة ببركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية (٢).

(١) معجم المحاسن والمساوئ (ص ٣٧٥).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٤١).

وأما الامور المنجية من غوائل المال

□ [قال العلامة النراقي رحمته الله]:

من أراد النجاة من غوائل المال فليحافظ على أمور:

● **(الأول):** أن يعرف مقصود المال، وباعث خلقه، وعلة الاحتياج إليه، حتى لا يكتسب ولا يحفظ إلا قدر حاجته.

● **(الثاني):** أن يراعي جهة دخله، فيجتنب الحرام، والمشتبه، والجهات المكروهة القادحة في المروءة والحرية، كالهدايا المثوبة بالرشوة، والسؤال الذي فيه الانكسار والذلة.

● **(الثالث):** أن يراعي جهة الخرج، ويقتصد في الانفاق غير مبذّر ومقتّر، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١). وقال النبي ﷺ: «ما عال من اقتصد»^(٢). ثم للاقتصاد في المطعم والملبس والمسكن درجات ثلاث: أدنى، وأوسط، وأعلى، وربما كان الميل إلى الأولى أحرى وأولى ليدخل في زمرة المخفّين يوم القيامة.

● **(الرابع):** أن يضع ما اكتسبه من حلّه في حقّه ولا يضعه في غير حقّه، فإنّ الإثم في الأخذ من غير حلّه والوضع في غير حقّه سواء.

● **(الخامس):** أن يصلح نيته في الأخذ والترك والانفاق والامساك، فيأخذ ما يأخذ استعانة به على ما خلق لأجله، ويترك ما يترك زهداً فيه واحتقاراً له واجتناباً عن

(١) الآية ٦٧ من سورة الفرقان.

(٢) وقد ورد هذا النص عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما في النهج (الحكمة

وزره وثقله، فإذا فعل ذلك لم يضره وجوده.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد ولو ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد»^(١).

فينبغي لكل مؤمن أن يكون باعث جميع أفعاله التقرب إلى الله تعالى لبصير الجميع عباده، فمن أخذ من المال ما يحتاج إليه في طريق الدين، وبذل ما فضل منه على اخوانه المؤمنين، فهو الذي أخذ من حبة المال تزيادها وأتقى سمها فلا تضره كثرة المال، إلا أنه لا يتأتى ذلك إلا لمن كثر علمه واستحكمت في الدين قدمه، والعامي إذ يتشبه به في كثرة المال فشأنه شأن الصبي الذي يرى المعزّم الحاذق يأخذ بالحبة ويتصرف بها ليأخذ تزيادها، فيقتدي به ويأخذها مستحسنًا صورتها وشكلها ومستلياً جلدتها فتقتله في الحال، إلا أن قتيل الحبة يدري أنه قتيل وقليل المال قد لا يعرف ذلك، وكما يمتنع أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلال الجبال وأطراف البحار، والطرق المشوكة، فيمتنع أن يتشبه العامي الجاهل بالعالم الكامل في الاستكثار من المال. إذ من غوائل المال المضرة بالديانة أداؤه إلى المعصية لأنه من وسائل المعاصي، فكم من متمول أهلك نفسه بالمال لتفحمه في المعاصي^(٢). وما أحسن ما قال الدمستاني في لاميته^(٣):

(١) فيض القدر (ج ٣، ص ٥٤٦). وعنه عليه السلام في مسند أحمد (ج ١، ص ٤٤٧).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٤٢ - ٤٣).

(٣) الشيخ حسن الدمستاني من أفاضل الفقهاء البحرينيين ومدقق ماهر في علمي الرجال والحديث كما أنه مقدرة على الشعر والأدب، وكان زاهداً عابداً تقياً نقياً ورعاً مخلصاً في محبة أهل البيت عليهم السلام، وكان على ما هو عليه من العلم والفضل يعمل بيده ويشغل لمعيشته وله مؤلفات كثيرة.

■ [شعر للدستاني]:

يا منفق العمر في عصيان خالقه
 افق فإنك من خمر الهوى ثمل
 تعصيه لا أنت في عصيانه وجل
 من العقاب ولا من منه خجل
 أنفاس نفسك أثمان الجنان فهل
 تشتري بهما لهباً في الحشر يشتعل
 تشح بالمال حرصاً وهو منتقل
 وأنت عنه برغم منك تنتقل
 ما عذر من بلغ العشرين إن هجعت
 عيانه أو عاقه عن طاعة كسل
 إن كنت منتهجاً منهاج رب حجى
 فقم بجنح دجى لله تنتقل
 ألا ترى أولياء الله كيف هجرت
 طيب الكرى في الدياجي منهم المقل
 يدعون ربهم في فك عنقهم
 من رق ذنبهم والدمع ينهمل
 [وقال] ولا يسيل لهم دمع على بشر
 إلا على معشر في كربلا قتلوا

[وقال] ذاقوا الحتوف باكناف الطفوف على
 رغم الأنوف ولم تبرد لهم غل
 أفدي الحسين صريعاً لا ضريح له
 إلا صرير نصول فيه تنتصل^(١)
 سألت ربع الندى والدمع ينهمل
 عن معشر هاهنا عهدي بهم نزلوا
 أين استقلّوا عن الأوطان وانتقلوا
 بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا
 وخلفوا في سويد القلب نيرانا
 يا عاذلي اقطعوا ما عندكم وابكوا
 على من بقلبي حبّهم طبعوا
 بانوا وعن ناظري طيب الكرى منعوا
 نذر عليّ لئِن عادوا وأن رجعوا
 لأزرعن طريق الطفّ ريحانا

(١) هذه الأبيات ذكرها الأمين في أعيان الشيعة (ج ٥، ص ٢٦١).

المجلس الرابع والعشرون

فى الزهد

[قال العلامة النراقى رحمه الله:]

الزهد ضد حب الدنيا والرغبة إليها، وهو: أن لا يريد الدنيا بقلبه، ويتركها بجوارحه إلا بقدر ضرورة بدنه، وبعبارة أخرى هو: الاعراض عن متاع الدنيا وطبائنها من الأموال والمناصب وسائر ما يزول بالموت، ويتقرر آخر: هو الرغبة عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة، وعن غير الله عدولاً إلى الله، وهو الدرجة العليا، ومن رغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس، ولم يحب إلا الله فهو الزاهد المطلق، ومن رغب عن حظوظ الدنيا خوفاً من النار وطمعاً فى نعيم الجنة من الحور والقصور والفواكه والأنهار فهو أيضاً زاهداً، ولكنه دون الأول، ومن ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض، كالأذى يترك المال دون الجاه، أو يترك التوسع فى الأكل دون التجميل فى زينة لا يستحق اسم الزهد مطلقاً.

وبما ذكر يظهر أن الزهد إنما يتحقق إذا تمكّن من نيل الدنيا وتركها، وكان باعث الترك هو حقارة المرغوب عنه وخساسته، أعني (الدنيا)، إضافةً إلى المرغوب إليه وهو: الله عز وجل والدار الآخرة، فلو كان الترك لعدم قدرته عليها أو لغرض غير الله تعالى وغير الدار الآخرة من الذكر واستمالة القلوب، أو الاشتهار بالفتوة والسخاء، أو الاستثقال لما فى حفظ المال من المشقة والعناء، وأمثال ذلك لم يكن من الزهد أصلاً. أعلم أن للزهد اعتبارات تتحقّق له بكل اعتبار درجات.

● (الأولى) اعتبار نفسه، أى من حيث ترك الدنيا وبهذا الاعتبار له

درجات ثلاث:

(الأولى): أن يزهد في الدنيا مع ميله إليها وحبه لها بأن يكف نفسه عنها بالمجاهدة والمشقة وهذا هو التزهد.

(الثانية): أن يترك الدنيا طوعاً وسهولة من دون ميل إليها لاستحقاقه إيّاها بالاضافة إلى مايطمع فيه من لذات الآخرة، وهذا كالأذى يترك درهماً لأجل درهمين معاوضة فإنّه لايشق عليه وإن كان يحتاج إلى قليل انتظار، ومثله ربما أعجب بنفسه وزهده لاحتمال أن يظنّ أنّه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه.

(الثالثة): وهي أعلى درجات الزهد، أن يترك الدنيا طوعاً وشوقاً ولا يرى أنّه ترك شيئاً، إذ عرف أن الدنيا لاشيء، فيكون كمن ترك خنفساء وأخذ ياقوتة صافية حمراء، فلا يرى ذلك معاوضةً ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً، وسبب هذا الترك كمال المعرفة، فإنّ العارف على يقين بأنّ الدنيا بالاضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خنفساء بالنظر إلى ياقوتة، ومثل هذا الزاهد في أمن من خطر الالتفات إلى الدنيا، كما أن تارك الخنفساء بالياقوتة في أمن من طلب الاقالة في البيع.

وقد ذكر أرباب القلوب من أهل المعرفة إنّ مثل تارك الدنيا بالآخرة مثل من منعه من باب الملك كلب يكون ببابه، فألقى إليه لقمة خبز نالها من موائد الملك فشغله بنفسه، ودخل الباب، ونال غاية القرب من الملك، حتّى نفّذ أمره في جميع مملكته، فترى أنّه يرى لنفسه عوضاً عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلب في مقابلة مايناله مع كون هذه اللقمة أيضاً من الملك. فإنّ الشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول، مع أنّ الباب مفتوح والحجاب مرفوع، والدنيا كلقمة خبز إن أكلها فلذّتها في حال المضغ تنقضي على القرب بالابتلاع، ثم يبقى ثقله في المعدة، ثمّ ينتهي إلى الناس والقدر، ويحتاج إلى اخراجه، فمن تركها لينال عزّ الملك كيف التفت إليها.

ولاريب في نسبة الدنيا لكلّ شخص أعني مايسلم له منها وإن عمّر ألف سنة

بالإضافة إلى نعم الآخرة، أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا، إذ لانسبة للمتناهي إلى غير المتناهي والدنيا متناهية، ولو كانت تتماهى ألف ألف سنة صافية من كل كدر لكان نسبة لها إلى الأبد، فكيف ومدة العمر قصيرة ولذاتها مكدرة غير صافية فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد.

جاء في الحديث القدسي: «عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه» (١) (٢).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

قال الحسين بن علي عليه السلام، وذلك حين نزل أرض كربلاء [و] جلس يصلح سيفه، ويقول:

يا دهر أף لك من خليل	كم لك بالاشراق والاصيل
من طالب وصاحب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك سبيلي	ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنما الأمر إلى الجليل (٣)

في المنتخب: ولم يزل يكرر هذه الأبيات حتى سمعت اخته زينب، فخرجت تجرّ ذيلها حتى انتهت إليه، وقالت: يا أخي، وفرّة عيني، ليت الموت أعدمني، يا خليفة الماضين، وثمال الباقيين، هذا كلام من أيقن بالموت، وانكلاه، اليوم مات جدّي محمد المصطفى، وأبي علي المرتضى، وأمّي فاطمة الزهراء، وأخي الحسن الرضا. قال: يا

(١) أمالي الصدوق (ص ٣٠٤).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٤٣ - ٤٥).

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٧٥) ومناقب آل أبي طالب (ج ٣، ص ٢٤٩).

أخذه لا يذهبن بحلمك الشيطان، تعزّي بعزاء الله فإنّ أهل السماء والأرض يموتون، وكلّ شيء هالك إلاّ وجهه، أبي خير منّي، وأخي خير منّي، ولكلّ مسلم برسول الله أسوة حسنة. فقالت: تقتل وأنا انظر إليك، فردّت غصّتها وتغرّغت عيناها بالدموع، فقالت: يا أخاه، ردّنا إلى حرّم جدّنا. فقال ﷺ: «لو ترك القطن لغفى ونام». فقالت: والله يا أخي لا فرحت بعدك أبداً. ثمّ لطمت على وجهها، وأهوت إلى جيبها فشقّته، وخرّت مغشيّة عليها^(١).

إذاً ما حالها حين نظرت إليه على رمضاء كربلاء؟!.

ومذ رأت زينب جسم الحسين على

البوغا صبيغاً بدم النحر واللمم

عاري اللباس قطيع الرأس متخمد

الانفاس في جندل كالجمر مضطرم

القت ردى الصبر وانهارت هناك على

جسم الكفيل كطود خر منهدم

(١) مقاتل الطالبين (ص ٧٥) ولواعج الاشجان (ص ١٠٣).

المجلس الخامس والمشرون

في الزهد أيضاً

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

(الثاني من اعتبارات الزهد): اعتبار المرغوب عنه، أعني ما يترك، وبهذا الاعتبار له خمس درجات:

(الأولى): أن يترك المحرمات وهو الزهد في الحرام، ويسمى زهد فرض.
(الثانية): أن يترك المشتبهات أيضاً، وهو الزهد في الشبهة، ويسمى زهد سلامة.
(الثالثة): أن يزهّد في الزائد عن قدر الحاجة من الحلال أيضاً، ولا يزهّد في التمتع بالقدر الضروري من المطعم والملبس والمسكن وآثاته والمنكح وما هو وسيلة إليها من المال والجاه، وإلى هذه الدرجات كلاً أو بعضاً أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «كونوا على قبول العمل اشدّ عنايةً منكم على العمل، الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كلّ نعمة والورع عن كلّ ما حرم الله عزّ وجلّ»^(١).

وقال مولانا الصادق عليه السلام بقوله: «إنّ الزهد في الدنيا ليس اضعاء المال وتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا ألا تكون بما في يدك أوثق بما في يد الله عزّ وجلّ»^(٢). وهذا وما بعده هو الزهد الحلال، ويسمى زهد ثقل ويسمى زهد، فضل، كما قال الحسن بن علي عليه السلام: «أنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما تكفيك، فإن كان حلالاً كنتها قد نهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت كما أخذت من الميتة

(١) الخصال: (ص ١٤).

(٢) تهذيب الأحكام (ج ٦، ص ٣٢٧).

وإن كان العتاب فالعتاب يسير».

(الرابعة): أن يترك جميع ما للنفس فيه تمتع، ويزهد فيه، ولو في قدر الضرورة، لا بمعنى ترك هذا القدر بالمرّة، إذ ذلك متعذّر بل تركه من حيث التمتع وإن ارتكبه اضطراراً من قبل أكل الميتة مع الإكراه له باطناً، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر بالرياسة والمال والجاه وغيرها، وإلى هذه الدرجة أشار الصادق عليه السلام بقوله: «**الزاهد في الدنيا الذي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه**»^(١) وإليها يرجع قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «الزهد كلّ بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾»^(٢) فمن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه»^(٣)، وقوله عليه السلام: «**الزهد في الدنيا ثلاثة أحرف: زاء وهاء ودال** أما الزاء فترك الزينة، وأما الهاء فترك الهوى، وأما الدال فترك الدنيا»^(٤).

(الخامسة): أن يترك جميع ما سوى الله تعالى ويزهد فيه حتى في بدنه ونفسه أيضاً، بحيث ما كان يصحبه ويرتكبه في الدنيا إلجاءً وإكراهاً من دون التذاذ وتمتّع به، وإلى هذه الدرجة أشار مولانا الصادق عليه السلام بقوله: «الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار، وهو تركك كلّ شيء يشغلك عن الله من غير تأسّف على فوتها ولا اعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمّدة عليها، ولا عوض لها، بل يرى فوتها راحة

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام (ج ٢، ص ٢٧٩).

(٢) الآية ٢٣ من سورة الحديد.

(٣) بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٥٢).

(٤) معارج اليقين (ص ٢٩٧).

وكونها آفة» إلى آخر الحديث (١).

ثم الالتفات إلى بعض ما سوى الله، والأشتغال به ضرورة كضروي الأكل واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم، وأمثال ذلك لا ينافي هذه المرتبة من الزهد، إذ معنى الانصراف من الدنيا إلى الله تعالى أنما هو: الإقبال بكل القلب إليه تعالى ذكراً وفكراً، وهذا لا يتصور بدون البقاء، ولا بقاء إلا بضرورات المعيشة، فمتى اقتصر من الدنيا عليها قصداً لدفع المهلكات عن البدن والاستعانة بالبدن على العبادة وسائر ما يقربه إلى الله لم يكن مشتغلاً بغير الله، إذ ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه، فالمشتغل بعلف الدابة في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج، ولكن ينبغي أن يكون في طريق الله مثل الدابة في طريق الحج، فكما أن قصدك من تهيئة ما تحتاج إليه دأبتك دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك دون تنعمها، فكذلك ينبغي أن يكون قصدك من الأكل والشرب واللباس والسكنى صيانة بدنك عما يهلك من الجوع والعطش والحرّ والبرد فتقتصر على قدر الضرورة، وتقصد به التقوية على طاعة الله دون التلذذ والتنعم، وذلك لا ينافي الزهد بل هو شرطه، ثم ترتب التلذذ على ذلك لا يضرك إذ لم يكن مقصوداً لك بالذات، فإنّ الإنسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الأسحار وصوت الطيور، وهذا لا يضرك بعبادته إذ لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحة، على أنه لذة في الأكل والشرب واللباس، وإنما تندفع به آلام الجوع والعطش والحرّ والبرد (٢).

ولاشك [إن] هذه الأربعة آلام، أعني: الجوع والعطش، والحرّ والبرد، وطلب

(١) مصباح الشريعة (ص ١٣٧).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٥٢).

المطعم والمشرب، والملبس، هو دفع الضرر عنها، وكل عارف لا يطلب ذلك إلا لدفع الضرر.

□ [الاعتبار من كربلاء]:

لهذا لما أذن الحسين عليه السلام للعباس عليه السلام للبراز وهمز جواده نحو القوم حتى توسط الميدان، قال: يا ابن سعد، هذا الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله ﷺ يقول: أنكم قتلتم أصحابه وإخوته وبني عمه، وبقي فريداً مع أولاده وعياله، وهم عطاشى قد أحرق الظما قلوبهم فاسقوهم شربة من الماء... إلى آخر كلامه. فلما أوصل العباس عليه السلام إليهم الكلام فمنهم من سكت ولم يرد جواباً، ومنهم من جلس يبكي، فخرج الشمر (لعنه الله) وشيث بن ربعي (لعنه الله)، فجاءا نحو العباس، [وقالا]: قل لأخيك، لو كان كل وجه الأرض ماء، وهو في أيدينا ما أسقيناكم منه شربة واحدة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد ^(١).

صموا عن النبأ العظيم كما عموا
فالسيف ينثر والمثقف ينظم
وبصدر سعدته الفرات المفعم
والله يقضي ما يشاء ويحكم
للشاربين به يذاف العلقم

عرف المواعظ لاتفيد بمعشر
فانصاع يخطب بالجماجم والكلأ
أوتشتكي العطش الفواطم عنده
لولا القضا لمحى الوجود بسيفه
فهوى بجنب العلقمي وليته

(١) تظلم الزهراء عليها السلام (ص ١١٨).

المجلس السادس والعشرين

في الفقر ومراتبه

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

القدر السالم من الذمّ، والخطر من الغنى، هو: الغنى الحاصل من الحلال مع بذل ما يفضل عن أقل مراتبه في المصارف اللائقة، ومساواة وجوده وعدمه عند صاحبه، سالم من الآفات الاخطار، وغير ذلك من أقسامه لا يخلو عن آفة وخطر. وضدّ الغنى (الفقر) وهو: فقد ما يحتاج إليه، ولا يسمى فقد ما لا حاجة إليه فقراً، فإن عمّم ما يحتاج إليه ولم يخصّ المال لكان كلّ موجود ممكن محتاجاً، لاحتياجه إلى دوام الوجود وغيره من الحاجات المستفادة من الله سبحانه، وانحصر الغنى بواحد واجب لذاته ومفيد لغيره من الموجودات، أعني الله سبحانه فهو الغني المطلق وسائر الأشياء الموجودة فقراء محتاجون، وقد أشير إلى هذا الحصر في الكتاب الإلهي بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^(١)، وإن خصّ الفقر بالمال لم يكن كلّ الناس فقراء، بل من فقد المال الذي هو محتاج إليه كان فقيراً بالإضافة إليه والفقر الذي بهذا المعنى هو الذي نريد بيانه هنا^(٢).

(١) الآية ٣٨ من سورة محمد.

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٦٠).

اختلاف أحوال الفقراء

[وقال العلامة النراقي رحمته الله]:

الفقير إما أن يكون راغباً في المال محبباً له، بحيث لو وجد إليه سبيلاً لطلبه ولو بالتعب والمشقة، وإثماً يترك طلبه لعجزه منه، ويسمى هذا فقيراً حريصاً، أو يكون وجود المال أحب إليه من عدمه، ولكن لم يبلغ حبه له حداً يبعثه على طلبه، بل إن أتاه بغير طلب أخذه وفرح به، وإن افتقر إلى سعي في طلبه لم يشتغل به يسمى هذا فقيراً قانعاً، أو يكون بحيث لا يحبّه ولا يرغب فيه، ويكره وجوده ويتأذى به، ولو أتاه هرب منه مبغضاً له محترزاً عن شرّه، ويسمى هذا فقيراً زاهداً، فإعراضه عنه وعدم سعيه في محافظته وضبطه لو وجده، إن كان لخوف العقاب فهو الخائفين، وإن كان لشوق الثواب فهو فقر الرّاجين، وإن كان لعدم التفاته اللازم لأقباله على الله تعالى بشرائره من دون غرض دنيوي أو أخروي فهو فقر العارفين، ويكون بحيث لا يحبّه حبّاً يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهةً يتأذى بها ويذهب فيه، بل يستوي عنده وجوده وعدمه، فلا يفرح بحصة ولا يتأذى بفقده، بل كان راضياً بالحالتين على السواء، وغنيّاً عن دخوله وبقائه، وخروجه من يده من غير خوف من الاحتياج إذا فقد كالحرص والقانع، ولا حذراً من شرّه واضراراً إذا وجد كالزاهد، فمثله لو كانت أموال الدنيا بأسرها في يده لم تضرّه إذ هو يرى الأموال في خزانة الله لا في يد نفسه، فلا تفريق بين أن تكون في يده أو يد غيره، فيكون بحيث يستوي عنده المال والهوى المخلوق في الجوّ، فكما إن كثرة الهواء في جواره لا يؤذيه ولا قلبه مشغولاً بالفرار عنه ولا يبغضه، بل يستنشق منه بقدر الضرورة ولا يخل به على أحد، فكذلك كثرة المال لا يؤذيه ولا يشغل قلبه، ويرى نفسه وغيره فيه على السواء في المالكية.

ومثله ينبغي أن يُسمّى (مستغنياً راضياً) لاستغنائه عنه وجوداً وعدمًا، ورضائه بالحالتين من دون تفاوت، ومرتبته فوق الزاهد، إذ غاية الزهد كمال الأبرار، وصاحب هذا المرتبة من المقربين فالزهد في حقّه نقصان، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين. والسرّ فيه أنّ الزاهد كاره للدنيا فهو مشغول بالدنيا كما أنّ الراغب فيها مشغول بها، والشغل بما سوى الله حجاب من الله سواء كان بالحبّ أو البغض، فكلّ ما سوى الله كالرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق، كما أنّ التفات قلب العاشق إلى الرقيب وبغضه وكراهة حضوره نقص في العشق، فكذلك التفات قلب العبد إلى غير الله تعالى وبغضه وكراهته نقصان في الحبّ والأنس، كما إنّ التفاته بالحبّ نقص فيهما، أي في الحبّ والأنس، إذ كما لا يجتمع في قلب واحد حبان في حالة واحدة فكذلك لا يجتمع فيه حبّ وبغض في حالة واحدة، فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبّها وإن كان الثاني أسوأ حالاً من الآخر، إذ المشغول بحبّها غافل في غفلته سالك في طريق البعد، والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب، فيحتمل تبديل غفلته بالمشهور بالكمال المرتقب له، إذ بغض الدنيا مظنة توصّل العبد إلى الله (١).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

فهذه درجة المقربين عند الله، فقد شغلهم حبّ الله عمّن سواه، فهؤلاء الذين يحبّهم الله الحبّ البالغ. كما ورد في الحديث من طريق أهل البيت عليهم السلام: إنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً ابتلاه، وإذا أحبّه الحبّ البالغ افتناه، قيل: وما افتناه؟ قال: لم يترك له أهلاً ولا

مالاً^(١). وهذه الحالة تنطبق على أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، حيث بقي وحيداً فريداً من الأولاد والايخوان والأنصار، ولسان حاله يقول:

رضيت وحقك كل الرضا إذا كان يرضيك أن أقتلا^(٢)

المجلس السابع والعشرون

في مدح الفقر

قال مولانا الباقر عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى منادياً ينادي بين يديه أين الفقراء فيقوم عنق من الناس كثير، فيقول: عبادي، فيقولون: لبيك ربنا. فيقول: إني لم أفقركم لهوانٍ بكم علي ولكن اخترتكم لمثل هذا اليوم، تصفحوا وجوه الناس فمن صنع إليكم معروفاً لم يصنعه إلا في فكافوه عني بالجنة»^(٣).

وقال الكاظم عليه السلام: «إن الله عز وجل يقول: أتني لم أغن الغني لكرامة به علي ولم أفقر الفقير لهوان به علي وهو مما ابتليت به الأغنياء ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة»^(٤) (وقال الصادق عليه السلام: «لولا إلحاح المؤمنين على الله في طلب الرزق لنقلهم من الحال التي هم فيها إلى حال أضيّق منها»^(٥)). وقال عليه السلام: «ليس لمصاص شيعةنا (يعني خلّص شيعةنا) في دولة الباطل إلا القوت شرقوا إن شتم أو غربوا لن ترزقوا إلا

(١) كتاب التمهيد (ص ٥٦) وكنز العمال (ج ٣، ص ٣٣٤).

(٢) جواهر المطالب (ج ٢، ص ٣٠٧).

(٣) ثواب الأعمال (ص ١٨٣).

(٤) كتاب التمهيد (ص ٤٧).

(٥) الكافي (ج ٢، ص ٢٦١).

القوت»^(١).

وقال عليه السلام: «ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيراً ولا كافر إلا غنياً حتى جاء إبراهيم عليه السلام، فقال ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾»^(٢)، فصير الله في هؤلاء أموالاً وحاجة وفي هؤلاء أموالاً وحاجة»^(٣). وقال عليه السلام: «إن فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، ثم قال: سأضرب لك مثل ذلك: إنما مثل ذلك مثل سفينتين مُر بهما على عاشر (أي عشار)^(٤) فنظر في أحدهما فلم يره فيها شيئاً فقال أسربوها (أي ارحسوها)، ونظر في الأخرى فإذا هي موقورة (أي محملة) فقال أحبسوها»^(٥). وفي بعض الأخبار قُسر الخريف بألف عام والعام ألف سنة، وعلى هذا فيكون المراد من أربعين خريفاً أربعين ألف عام.

ومما يدل على فضيلة الفقر إذا كان مع الرضا أو القناعة أو الصبر والصدق أو الستر، قوله عليه السلام: «يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم»^(٦).

وقوله عليه السلام: «إِنَّ أَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْفَقِيرَ الْقَانِعَ بِرِزْقِهِ الرَّاضِيَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى»^(٧). وقوله عليه السلام: «لَا أَحَدَ أَفْضَلَ مِنَ الْفَقِيرِ إِذَا كَانَ رَاضِياً»^(٨) وقوله عليه السلام: «يقول

(١) الكافي (ج ٢، ص ٢٦١).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٢٦٢).

(٣) الآية ٨٥ من سورة يونس.

(٤) الذي يتولى الشيء ويطلق أكثره على صاحب الجبابة.

(٥) الكافي (ج ٢، ص ٢٦٠).

(٦) ميزان الحكمة (ج ٣، ص ٤٥٠).

(٧) طبقات الشافعية (ج ٦، ص ٣٦٨).

(٨) جامع السعادات (ج ٢، ص ٦٧).

الله تعالى يوم القيامة: أين صفوتي من خلقي، فتقول الملائكة: من هم ياربنا، فيقول: فقراء المسلمين القانعين بعطائي، الراضين بقدري، أدخلوهم الجنة. فيدخلونها يأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون»^(١). وقال ﷺ: «ما من أحد غني ولا فقير إلا وّد يوم القيامة أنّه كان أوتي قوتاً في الدنيا»^(٢). وقوله ﷺ: «من جاع أو احتاج فكتمه عن الناس وأفشاه إلى الله تعالى كان حقّاً على الله أن يرزقه رزق السنة من الحلال»^(٣). وقال رسول الله ﷺ لأُمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، إنّ الله جعل الفقر أمانةً عند خلقه فمن ستره أعطاه الله تعالى مثل أجر الصائم القائم، ومن أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله، أما إنّه ما قتله بسيف ولا رمح لكنّه قتله بما نكاه من قلبه...»^(٤).

ثم لا ريب في أنّ كلّ من لم يجد القوت من التعفّف، وستر احتياجه هذا، وصبر ورضي يكون داخلاً تحت هذه الأخبار، وثبتت له الفضيلة التي وردت فيها، ولا ريب أنّ هذه صفة لا توجد في ألف ألف واحد، وأمّا الفقير الحريص الذي يظهر فقره ويجزع معه، فظاهر بعض الأخبار وإن تناوله إلا أنّ الظاهر خروجه منها، كما أورد إليه بعض الأخبار المذكورة، وإن كان أحسن حالاً من الغني الذي مثله في الحرص. ولا شك أنّ الفقر مع التعفّف والرضا بما قسم الله تعالى أفضل من الغنى مع الحرص والامساك، لأنّ الحرص مع الامساك مهلك للسائل والمسئول معاً، أمّا المسئول فكما جاء في الحديث: إن صدق السائل هلك المسئول وأمّا بالنسبة إلى السائل فكما تقدّم

(١) المصدر المتقدم.

(٢) تذكرة الموضوعات (ص ١٧٥) الفتن.

(٣) مستدرك الوسائل (ج ٧، ص ٢٢٥).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٢٦٠).

في الحديث النبوي ﷺ: ومن أفشاه (أي فقره) الى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله.

وهذا بديهي إذا وقف سائل وسأل حاجةً من مستطيع وردّه فقد قتله، وقتل الود أعظم من قتل السيف، فإذا كان طالب الحاجة شريفاً وليس من أهل السؤال ولكن ألجأته ضرورة الحال، وللضرورة أحكام، أن سأل حاجةً من لثيم ويردّ حاجته بل يخالف ويعمل عكس ذلك، كيف يكون حال السائل.

■ [القضية من كربلاء]:

وذلك مسألة، أم كلثوم ابنة أمير المؤمنين عليه السلام من شمر ابن ذي الجوشن كما ذكره السيد ابن طاووس، قال: وسار برأس الحسين عليه السلام ونسائه والأسارى من رجاله، فلمّا قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من شمر (لعه الله)، فقالت له: لي إليك حاجة. فقال: ما حاجتك؟ فقالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة، وتقدّم إليهم أن يخرجوا بهذه الرؤوس من بين المحامل وينحوها عنها، فقد خزيننا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحالة. فأمر في جواب سؤالها أن تجعل الرؤوس على الرّماح في أوساط المحامل، بغياً منه وكفراً، وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة، حتى أتى بهم باب دمشق، فأوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي^(١).

وما الدهر حتّى العيد إلّا ماتم وهل ترك العاشور للناس من عيد
وما العيش بعد السبط إلّا منقّص عليّ ولو أوتيت ملك ابن داود

(١) اللهوف (ص ٢١٠) ومثير الأحزان (ص ٩٧) وتسليّة المجالس (ج ٢، ص ٢٨١)، وبحار الأنوار (ج ٥، ص ١٢٧)، والعوالم (ج ١٧، ص ٤٢٧).

أيفرح قلبٌ والفواطم حشر يسار بها أسرى على قتب^(١) القود
أنضحك والمحمول رأس ابن أحمد وتهتز بشراً والسبايا بخائبه

المجلس الثامن والعشرون

في الموازنة بين الفقر والغنى

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

لاريب في أنّ الفقر مع الصبر والقناعة وقصد الفراغ أفضل من الغنى مع الحرص والامساك، كما لاريب أنّ الغنى مع الانفاق وقصد الاستعانة على العبادة أفضل من الفقر مع الحرص الجزع، وإنما وقع الشك في الترجيح بين الفقر والغنى في مواضع.
(الاول):

في الترجيح بين الفقر مع الصبر والقناعة، والغنى مع الانفاق وقصد الاستعانة على العبادة، فقال قوم: إنّ الأول أفضل، لما روي أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أي الناس خير» فقالوا: موسر من المال يعطي حق الله من نفسه وماله. فقال ﷺ: «نعم الرجل هذا، وليس به المراد» قالوا: فمن خير الناس يا رسول الله؟! فقال ﷺ: «فقيير يعطي جهده»^(٢).

وماروي: إنّ الفقراء بعثوا رسولاً إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني رسول الفقراء إليك. فقال ﷺ: «مرحباً بك ومن جئت من عندهم، جئت من عند قوم أحبهم». فقال: قالوا: إنّ الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا تقدر عليه، ويعتمرون ولا تقدر عليه،

(١) وهي البرذعة الصغيرة على قدر سنام البعير وهي مهينة غير كريمة.

(٢) الجامع الصغير (ج ١، ص ٦٢٣).

وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم. فقال النبي ﷺ: «بلغ عني الفقراء، إن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال: أما (الأولى) فإن في الجنة غرفاً ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير، [و] (الثانية): يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام، (والثالثة): إذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير، وإن أنفق فيها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البر كلها». فرجع اليهم فقالوا رضينا^(١).

وقال آخرون: الثاني أفضل، لأن الغنى من صفات الربوبية والفقر من لوازم العبودية، ووصف الحق أفضل من وصف العبد.

وأجيب عنه: بأن غنى الواجب سبحانه ليس بالأسباب والأعراض، وغنى العبد بهما، إذ هو غني بوجود المال ومفتقر إلى بقائه، فأنتي يكون الغنى الذي يتصف العبد به من أوصاف الربوبية، نعم الغنى بمعنى الاستغناء من وجود المال وعدمه جميعاً بأن يستوي كلاهما عنده يشبه أوصاف الحق، إلا أنك قد عرفت أنه نوع من الفقر، وبأن التكبر من أوصاف الربوبية، فينبغي أن يكون أفضل من التواضع، مع أن الأمر ليس كذلك، بل الحق إن الأفضل للعبد إنما هو صفات العبودية كالخوف والرجاء، وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها، ولذا قال الله سبحانه: «والعظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما قصمته». وعلى هذا فالفقر أفضل من الغنى.

[انتهى كلام العلاقة النراقي]:

[ثم قال]:

والحق إنّ الأفضل من الفقر والغنى ما لا يشغل العبد عن الله، فإن كان الفقر يشغله فالغنى أولى به وإن كان الغنى يشغله عن الله فالفقر أولى به، وذلك لأن الغنى ليس محذوراً بعينه، بل لكونه عائقاً عن الوصول الى الله، والفقر ليس مطلوباً لذاته بل لعدم كونه عائقاً عن الله، وليس مانعية الأول وعدم مانعية الثاني كلياً، إذ ربّ فقير يشغله الفقر عن المقصد، وكم من غني لا يصرفه الغنى عنه، إذ الشاغل ليس إلّا حبّ الدنيا، لمضاداته حبّ الله تعالى، والمحّبّ للشيء مشغول به، سواء كان في وصاله أو في فراقه. فإذا فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال وجوداً وعدماً، فإن تساويا فيه تساوت درجتهم. وإن تفاوتتا فيه فأيهما أقلّ تعلقاً درجته أعلى وأفضل بل مع وجود تعلق لهما وتساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجة من المال أفضل من فقده، إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة والطاعة. ومع عدم تعلق قلبهما أصلاً بحيث يستوي عندهما وجود المال وعدمه، وكان المال عندهما كهواء الجوّ وماء البحر، وبالجملّة حصلت لهما المرتبة الأخيرة من الفقر أعني الاستغناء والرّضى - كان الواجد أفضل من الفاقّد، لاستوائيهما في عدم الالتفات إليه، ومزيّة الواجد باستفادة أدعية الفقراء والمساكين.

ثم الحكم بانقطاع القلب رأساً عن المال وجوداً وعدماً إنّما يتصوّر في الشاذ النادر الذي لا يسمح الدهر بمثله إلّا بعد أزمنة متطاولة، وقلوب جلّ الناس غير خالية عن حبّ المال والتعلّق به^(١).

(١) انتهى كلام العلامة النراقي في جامع السعادات (ج ٢، ص ٦٨).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ألا ترى أنَّ الحسين بن علي عليه السلام كم دعا أناساً لنصرته، بعضهم في طريقه إلى كربلاء، وبعضهم من أهل البصرة، فبعضهم اعتذر بالتجارة، وبعضهم بالعيال إلا القليل النادر الذين أعرضوا عن الدنيا بالكلية.

■ [شعر في هذا المعنى]:

باعوا على الله أرواحاً مقدسة وما رضوا غير دار الجلد أثماناً
وجدوا الردى من دون آل محمد عذباً وبعدهم الحياة عذاباً
ودعاهم داعية القضاء وكلهم نذب إذا الداعي دعاه أجابا
فهووا على حرّ الصعيد وإنما ضموا هناك الحزر الأترابا^(١)

الجلس التاسع والعشرون

ما ينبغي للفقير

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ينبغي للفقير ألا يكون كارهاً للفقير من حيث إنه فعل الله ومن حيث أنه فقير، بل يكون راضياً به طالباً له فرحاً به لعلمه بغوائل الغنى، وأن يكون متوكلاً في باطنه على الله، واثقاً به في إيتان قدر ضرورته، ويكون قانعاً به كارهاً للزيادة عليه، منقطع الطمع

(١) رياض المدح والثناء (ص ٩٤) وهي مقطع من قصيدة للمرحوم السيد رضا الهندي رحمته الله في الصفة الاتجاب وتوجد في ديوانه (ص ٤٢).

عن الخلق، غير ملتفت إلى ما في أيديهم، وغير حريص على اكتساب المال كيف كان، وأن يكون صابراً شاكراً على فقره.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَقُوبَاتُ الْفَقْرِ، وَثُوبَاتُ الْفَقْرِ، فَمِنْ عِلَامَاتِ الْفَقْرِ إِذَا كَانَ مَثُوبَةً أَنْ يَحْسَنَ عَلَيْهِ خُلُقُهُ، وَيَطِيعَ بِهِ رَبَّهُ، وَلَا يَشْكُو حَالَهُ، يَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى فَقْرِهِ وَمِنْ عِلَامَاتِهِ إِذَا كَانَ عَقُوبَةً أَنْ يَسُوءَ بِهِ خُلُقَهُ، وَيَعْصِي رَبَّهُ بِتَرْكِ طَاعَتِهِ، وَيَكْثُرُ الشَّكَايَةُ، وَيَسْخَطُ الْقَضَاءُ»^(١).

وهذا يدل على أنَّ كلَّ فقير ليس مثاباً على فقره، بل من يرضى بفقره، ويفرح به، ويقنع بالكفاف، ويقصّر الأمل، وإن لم يرض به وتشوّف إلى الكثرة وطول الأمل، وفاته عزّ القناعة، وتدنس بذلّ الحرص والطَّمع، وجزّه الحرص والطَّمع إلى مساوي الأخلاق، وارتكاب المنكرات الخارقة للمروّات، حبط أجره وكان آثماً قلبه.

وينبغي أن يظهر التعفّف، ويستر الفقر، ويستر أنّه يستر، وألاً يخالط الأغنياء، ولا يرغب في مجالستهم، ولا يتواضع لهم لأجل غناهم بل يتكبر عليهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعِ الْغَنِيِّ لِلْفَقِيرِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ وَأَحْسَنَ مِنْهُ تِيهِ الْفَقِيرِ عَلَى الْغَنِيِّ ثِقَةً بِاللَّهِ»^(٢).

وأن لا يسكت من ذكر الحقّ مداهنَةً للأغنياء، وطمعاً بما في أيديهم، ولا يفترّ بسبب فقره عن عبادة الله، ويبدل قليل ما يفضل عنه، فإنّ ذلك جهد المقلّ، وفضله أكثر من أموال كثيرة يبذلها الغنيّ، قال رسول الله ﷺ: «دَرَاهِمُ مِنَ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ». قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟! قال ﷺ: «أَخْرَجَ رَجُلٌ مِنْ عَرَضِ

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ٧٢).

(٢) المناقب للخوارزمي (ص ٣٧٣) وتاريخ بغداد (ج ١٢، ص ٣٨١).

ماله مائة ألف دينار يتصدق بها، وأخرج رجل درهماً من درهمين لا يملك غيرهما طيبةً به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائة ألف دينار»^(١).

وينبغي أن لا يدخر أزيد من قدر الحاجة، فإن لم يدخر أكثر من قوت يومه وليلته فهو من الصديقين، وإن لم يدخر أكثر من قوت أربعين يوم كان من المتقين، وإن لم يدخر أكثر من قوت سنة - وهو الفضل المشترك بين الفقر والغني - كان من الصالحين، ولو زاد عليه خرج من زمرة الفقراء^(٢).

■ وظيفة الفقراء:

ما يعطى الفقير بغير سؤاله: إن كان (حراماً أو شبهة) وجب عليه ردّه والاجتناب عنه، وإن كان (حلالاً)، فإن كان (هديةً) استحَب قبوله تأسيساً برسول الله ﷺ إن لم تكن فيه منّة، ولو كانت به منّة فالأولى تركه.

وإن كان (صدقةً أو زكاةً) أو غير ذلك، مما يكون للثواب المحض فينبغي أن ينظر في استحقاقه لذلك، فإن كان من أهله قبله والآردّه، وإن كان المعطي أعطاه لوصف يعلمه فيه كعلم أو ورع أو كونه علوياً، ولو لم يكن له هذا الاختصاص لنفر منه، ولما تقرب إلى الله بإعطائه، ولم يكن له باطناً كذلك فأخذه حرام، وإن لم يكن هديةً ولا صدقة بل أعطاه للثَّهرة والرياء والسَّمة فينبغي أن يرد عليه ولا يقبله، وإلّا كان معيناً له على غرضه الفاسد، والإعانة على الإثم إثم^(٣).

ثم لا يجوز للمؤمن السؤال من غير حاجة اضطر إليها.

(١) التحفة السنية (ص ٥٩) وفيض القدير (ج ٤، ص ١٢٢).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٧١ - ٧٣).

(٣) جامع السعادات (ج ٢، ص ٧٣).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

والاحتياج قد لا يكون للمال من حيث الفقر والفاقة، بل لعلّ تضطر الانسان الحال إلى السؤال في غير المال بل لاتمام الحجة، مثل سؤال مولانا أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) من أهل الكوفة حين بقي وحيداً فريداً، وبرز إلى القوم فقال (عليه السلام): «أخيركم في ثلاث: (الأولى): أن تتركوني أن أرجع إلى حرم جدّي» فقال ابن سعد: ليس إلى ذلك من سبيل. فقال (عليه السلام): «(الثانية) أن تسقوني شربةً من ماء فقد تفتّت كبدي من الظّما»، فقال: وليس إلى الثانية من سبيل.

أَيَقْتُلْ ظِمَانًا حَسِينَ بِكَرْبِلَا	وَفِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَنْامِلِهِ بَحْرٌ
وَوَالِدُهُ السَّاقِي عَلَى الْحَوْضِ فِي غَدٍ	وَفَاطِمَةُ مَاءِ الْبَحَارِ لَهَا مَهْرٌ
بَعْدَ لَمَائِكَ يَا فِرَاتَ فَمَرٍّ لَا	تَحْلُو فَايْنَكُ لَا هَنِيءَ وَلَا مَرِي
ايسوغ لي منك الشرب وعنك قد	صَدَّ الْحَسِينَ سَلِيلَ سَاقِي الْكُوثر

* * *

كسي نگفت حسین غریب مهمان است

كسي نگفت كه تشنه لب مسلمان است

كسی نگفت به زینب كه ای دل افسرده

سر تو باد سلامت برادرت مرده

المجلس الثامن

أيضاً في وظائف الفقراء

قال العلامة النراقي رحمته الله:

[فضل موارد قبول العطاء وردّها]:

ما يُعطى الفقير إن كان محتاجاً إليه ولم يكن أزيد من حاجته فالأفضل له الأخذ
إذا سلم من الآفات المذكورة في المجلس السابق، قال رسول الله ﷺ: «ما المعطي من
سعة بأعظم أجراً من الأخذ إذا كان محتاجاً»^(١)، وقال ﷺ: «من أتاه شيء من هذا
المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه فلا يردّه»^(٢).

وإن كان زائداً على قدر حاجته فليرد الزائد إن كان طالباً طريق الآخرة، إذ الزيادة
على قدر الحاجة إنما يأتيك ابتلاء وفتنة، لينظر الله إليك ماذا تفعل فيه، وقدر الحاجة
يأتيك وفقاً بك، فأنت في أخذ قدر الحاجة مثاب، وفيما زاد عليه إمّا عاص أو متعزّض
لالحساب، قال رسول الله ﷺ: «لا حقّ لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب
يواري عورته، وبیت يسكنه، فما زاد فهو حساب»^(٣)، فلا ينبغي لطالب السعادة أن
يأخذ الأزيد من قدر الحاجة، إذ النفس إذا رُخصت في نقض العزم والعهد ألّفت به،
ورددّها بعد الألف والعادة مشكل.

والحاصل أنّ أخذ قدر الحاجة راجح لكونه ممّا لا بدّ منه، وإيجابه ثواب
المعطي، ولذلك لمّا أمر موسى بن عمران عليه السلام بأن يفطر عند بني اسرائيل، قال: إلهي ما

(١) ميزان الحكمة (ج ٣، ص ٢٤٥١).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٧٣).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير (ج ٣، ص ٤١١).

بالي فَرَقْتَ رزقي على أيدي بني اسرائيل يغدّيني هذا يوماً ويعشيني هذا ليلة، فأوحى الله إليه: «هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطّالين من عبادي ليؤجروا فيهم) فلا ينبغي أن يرى المعطي إلّا من حيث إنّهُ مسخّرٌ مأجور.

وأما أخذ الزّيادة على قدر الحاجة فليس ممّا ينبغي، نعم من كان حاله التّكفل بأمور الفقراء والإنفاق عليهم، لما في طبعه من البذل والسّخاء، والرفق والعطاء، فيجوز له أخذ الزّيادة ليبذلها على المستحقّين، ولكن يلزم أن يبادر إلى الصرف إليهم ولا ينبغي أن يدخر، إذ في إمساكه ولو في يوم واحد وليلة واحدة فتنة واختبار، فربّما مالت نفسه إلى الامساك وبصير وبالأّ عليها، وقد نقل أنّ جماعةً تصدّوا لخدمة الفقراء والتكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الأّارة بإعانة الشيطان فاتخذوها وسيلة إلى التّوسع في المال، والتّنعّم في المطعم والمشرب، وانجّر أمرهم إلى الهلاك^(١).

فصل

لا يجوز السّؤال من غير حاجة

ينبغي للمؤمن ألاّ يسأل النّاس من غير حاجة اضطرّ إليها، بل يستعف عن السّؤال ما استطاع، لأنّه فقر معجّل، وحساب طويل يوم القيامة، والأصل فيه التّحريم لتضمّنه الشكوى من الله، وإذلال السّائل نفسه عند غير الله، وإيذاء المسؤول غالباً، إذ ربّما لم تسمح نفسه بالبذل عن طيب القلب، وبعد السّؤال ألجأه الحياء أو الرّياء إليه، ومعلوم أن الاعطاء استحياء أو رياءً لثلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم إيّاه إلى البخل لا يكون له حلّة شرعاً.

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ٧٣ - ٧٤).

ولتضمّنه هذه المفاسد ورد في الشريعة المنع منه. قال رسول الله ﷺ: «مسألة الناس من الفواحش»^(١) وقال ﷺ: «من سأل عن ظهر غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم، ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم»^(٢). وقال ﷺ: «ما من عبد فتح على نفسه باباً من مسألة إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر». وقال ﷺ: «إن المسألة لا تحل إلا لفقر مدقع أو غرم مقلع»^(٣).

وروي: أنه جاءت فخذ من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فردّ عليهم السلام، فقالوا: يا رسول الله ﷺ، إنّ لنا إليك حاجة فقال ﷺ: «هاتوا حاجتكم». فقالوا: إنّها حاجة عظيمة. فقال ﷺ: «هاتوها ما هي». قالوا: تضمن لنا على ربك الجنة. فنكس ﷺ رأسه، ثم نكت الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: «أفعل ذلك بكم على أن لا تسألوا أحداً شيئاً»، فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه، فيكره أن يقول لإنسان ناولينه فراراً من المسألة وينزل فيأخذه ويكون على المائدة ويكون بعض الجلوساء أقرب إلى الماء منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب»^(٤) انتهى^(٥).

(١) تذكرة الموضوعات (ص ٦٢).

(٢) بدائع الصنائع (ج ٢، ص ٤٩).

(٣) بحار الأنوار (ج ٩٣، ص ١٥٦).

(٤) الكافي (ج ٤، ص ٢١).

(٥) جامع السعادات (ج ٢، ص ٧٤ - ٧٥).

■ [أخلاق أمير المؤمنين عليه السلام]:

وهذه سيرة أولياء الله، بل يتبرعون بإعانة الغير في الأمور الشاقة كتبرع أمير المؤمنين عليه السلام في حمل القرية عن تلك المرأة أمّ الايتام، ولما كان اليوم الثاني حمل زنبيلاً مملوءاً من الدقيق واللحم والتمر على كتفه، فقال له بعض أصحابه: أعطني أحمل عنك هذا. فقال عليه السلام: «من يحمل عني وزري يوم القيامة» ثم أتى إلى باب تلك المرأة إلى آخر (١).

■ [أخلاق أبناء علي عليه السلام]:

وقد اقتدى به أولاده في حمل الصدقات في الجراب ليلاً إلى بيوت الفقراء، ومنهم أبو عبدالله الحسين عليه السلام حتى أثر ذلك الجراب في عاتقه، وذلك لما قتل ووقف عليه ابن سعد (لعنه الله) فرأى على ظهره أثراً، فقال: سبحان الله ما كان الحسين يولي الدبر إلى أن دعى بابنه زين العابدين عليه السلام فسأله، فقال: هذا أثر الجراب الذي كان يحمل على عاتقه ليلاً إلى بيوت الفقراء.

فقد راح من يحنو عليكم ويعطف

ألا قل لأبناء السبيل الا اقنطوا

استدر حالك واحتفظ للزاد

با ضيف بيت الجود أقفر ربه

من عاكف فيه ولا من بادي

قد كان كعبة الغم واليوم لا

(١) الأنوار العلوية (ص ١١٧).

ومن المنسوب للرباب^(١)

إِنَّ الَّذِي كَانَ نُوراً يَسْتَضَاءُ بِهِ بِكَرْبَلَاءَ قَتِيلًا غَيْرَ مَدْفُونٍ
سَبَطَ النَّبِيُّ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً عَنَّا وَجَنِّتْ خَسِرَانَ الْمَوَازِينِ
قَدْ كُنْتُ لِي جِبِلًّا صَعْبًا أَلُوذُ بِهِ وَكُنْتُ تَصْحِينًا بِالزَّحْمِ وَالذِّينِ
مِنَ اللَّيْتَامِيِّ وَمِنَ اللَّسَائِلِينَ وَمِنَ يَاقِي وَيَأُوي إِلَيْهِ كُلُّ مُسْكِينٍ
وَاللَّهُ لَا ابْتِغْيَ صَهْرًا بِصَهْرِكُمْ حَتَّى أَوْسَدَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالطِّينِ^(٢)

المجلس الحادي والثلاثون

في التَّهَاون والمداهنة في

الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر

من الأخلاق المذمومة المهلكة التَّهَاون والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

وهو ناشئ إمَّا من ضعف النَّفْسِ وصغرها، أو من الطَّمَعِ المالي مِمَّنْ يسامحه، فيكون من رذائل القُوَّةِ الغَضَبِيَّةِ من جانب التَّفْرِيطِ، أو من رذائل القُوَّةِ الشَّهْوِيَّةِ من جانب الإفراط، وهو من المهلكات التي يعمُّ فسادها وضرها، ويسري إلى معظم النَّاسِ أثرها وشَرُّها^(٣). ولذا قالت الصَّديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها: «وَالْأَمْرُ

(١) الرباب بنت امرئ القيس بن عدي.

(٢) الجوهرة في نسب الامام علي وآله عليهم السلام (ص ٤٧) والوافي بالوفيات (ج ١٤، ص ٥٣).

(٣) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٧٩).

بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة.

[ثم قال العلامة النراقي رحمته الله]:

كيف ولو طوي بساط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اضمحلت الديانة، وتعطلت النبوة، وعمت الضرة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، وضاعت أحكام الدين، واندرست آثار شريعة رب العالمين، وهلك العباد، وخربت البلاد. ولذا ترى وتسمع أنّ في كلّ عصر نهض بإقامة هذه السنة بعض المؤيدين، من غير أن تأخذهم في الله لومة لائم، من أقوياء العلماء المتكلفين لعلمها ولقائها، ومن سعداء الأمراء الساعين في إجرائها وإمضائها، رغب الناس إلى ضروب الطاعات والخيرات، وفتحت عليهم بركات الأرض والسموات، وفي كلّ قرن لم يقم بإحيائها عالم عامل ولا سلطان عادل، استشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد واسترسل الناس في اتباع الشهوات والهوى، وانمحت أعلام الهداية والتقوى.

ولذا ترى عصرنا - لما اندرس من هذا القطب الأعظم عمله وعلمه، وانمحت بالكلية حقيقته واسمه، وعزّ على بساط الأرض دين يحرس الشريعة، واستولت على قلوب مDAHنة الخليفة، أنّ الناس في ببداء الضلالة حيارى وفي أيدي جنود الأبالسة أسارى، ولم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن الشرع إلا رسمه.

لأجل ذلك ورد الذم الشديد في الآيات والأخبار على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمداهنة فيهما، قال الله سبحانه: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَالْكَذِبَ لَئِنْ لَمْ يَنْهَوْا النَّاسَ عَنْ ذَلِكَ لَغُلَبَ النَّاسُ فَذُرُونَهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

وقال رسول الله ﷺ: «ما من قوم عملوا بالمعاصي، وفيهم من يقدر أن ينكر

عليهم فلم يفعل، إلا يوشك أن يعفهم الله بعداب من عنده»^(١).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له»، فقيل له: وما المؤمن الذي لا دين له؟! قال ﷺ: «الذي لا ينهي عن المنكر»^(٢). وقيل له ﷺ: أنهلك القرية وفيها الصالحون؟! قال ﷺ: «نعم». قيل: وبم يا رسول الله؟ قال ﷺ: «بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله»^(٣) وقال ﷺ: «لتأمرن المعروف وتنهعن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»^(٤).

وقال ﷺ: «إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة، حتى يظهر المنكر بين أظهركم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونها»^(٥).

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه في بعض خطبه: «إنما هلك من كان قبلكم، حيث عملوا بالمعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك، وإنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك، نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر» إلى آخر الخطبة^(٦).

وقال عليه: «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه، فهو ميت بين الأحياء»^(٧) وقال عليه: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقى أهل المعاصي بوجوه

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨٠).

(٢) المحاسن للبرقي (ج ١، ص ١٩٦).

(٣) مجمع الزوائد (ج ٧، ص ٢٦٨).

(٤) الكافي (ج ٥، ص ٥٦).

(٥) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨٠).

(٦) كتاب الزهد (ص ١٠٥).

(٧) جامع أحاديث الشيعة (ج ١٤، ص ٣٩٧).

مكفّهرة»^(١). وقال الباقر عليه السلام: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى شعيب النّبي عليه السلام: إني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم. فقال عليه السلام: يا رب، هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا الغضبي»^(٢).

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَغْلِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً وَلَمْ يَنْكُرْ مَنكُراً قُلُوبُ، فَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ»^(٣).^(٤)

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ولم يوجد رجل أنكر المنكر بيده ولسانه وقلبه كأبي عبد الله الحسين عليه السلام، ويشهد له ولده الحجّة المنتظر (عجل الله فرجه وسهل مخرجه) في زيارة الناحية: «أشهد أنّك أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروفه ونهيت عن المنكر والعدوان»^(٥). إلى أن قال عليه السلام: «قد عجبت من صبرك ملائكة السموات، وأحرقوا بك من كلّ الجهات، وأنخنوك بالجراح، وحالوا بينك وبين الأرواح، ولم يبق لك ناصر، وأنت محتسب صابر، تذبّ عن نسوتك وأولادك حتّى نكسوك عن جوادك فهويت

(١) وسائل الشيعة (ج ١١، ص ٤١٣).

(٢) تهذيب الأحكام (ج ٦، ص ١٨١).

(٣) نهج البلاغة (ج ٢، ص ١٧٩ - ١٨١).

(٤) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٧٩ - ١٨١).

(٥) المزار للمشهدي (ص ٥٠١).

إلى الأرض جريحاً، تطؤوك الخيول بحوافرها»^(١).

ولصدره تطأ الخيول وطالما بسريره جبريل بات^(٢) موكلاً
وترض منه الاعوجية أضلعاً سَرَ الآله بطيها مستور
والوحش تأتي له ليلاً مسلمةً والقوم تجري نهاراً فوقه الزمكا^(٣)

المجلس الثاني والثلاثون

أيضاً في:

ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للمداينة فيه

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

قال مولانا الصادق عليه السلام لقوم من أصحابه: «حق لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم، وكيف لا يحق لي ذلك وأنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه، ولا تهجرونه، ولا تؤذونه حتى يتركه»^(٤). وفي بعض الأخبار النبوية: «إن أمتي إذا تهاونوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بحرب من الله»^(٥)، وقد وردت أخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر إذا لم يمكنه دفعه والنهي عنه، ولو حضر نزلت عليه اللعنة.

وعلى هذا لا يجوز دخول مجالس الظلمة والفسقة، [ولا حضور المشاهد التي

(١) المزار للمشهدي (ص ٥٠٤).

(٢) أو: كان موكلاً.

(٣) الغدير (ج ٦، ص ٣٨٨).

(٤) تهذيب الأحكام (ج ٦، ص ١٨١).

(٥) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨١).

يشاهد فيها المنكر ولا يقدر على تغييره، إذ لا يجوز مشاهدة المنكر] من غير حاجة، اعتذاراً بأنه عاجز. ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة، حذراً من مشاهدة المنكر في الأسواق والمجامع والأعياد، مع عجزهم عن التغيير.

ثم إذا كان الأمر في المداينة في الأمر المعروف والنهي عن المنكر بهذه المثابة، فيعلم أن الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف كيف حاله. قال رسول الله ﷺ: «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟». فقبل له ﷺ: أو يكون ذلك يا رسول الله ﷺ؟! قال ﷺ: «نعم، وشراً من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف». فقبل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟! قال ﷺ: «نعم، وشراً من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»^(١)، وفي رواية: «وعند ذلك يبتلي الناس بفتنة يصير الحليم فيها حيران»^(٢).

ومن تأمل في الأخبار والآثار، واطلع على التواريخ والتسير وقصص الأمم السالفة والقرون الماضية، وما حدث لهم من العقوبات، وضمَّ إلى ذلك التجربة والمشاهدة في عصره، من ابتلاء الناس ببعض البلايا السماوية والأرضية، يعلم أن كل عقوبة سماوية وأرضية، من الطاعون والوباء، والقحط والغلاء، وحبس المياه والأمطار، وتسلب الظالمين والأشرار، ووقوع القتل والغارات، وحدوث الصواعق والزلازل، وأمثال ذلك، يكون مسبوقاً بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس^(٣).

(١) مشكاة الأنوار (ص ٤٩).

(٢) المستدرک (ج ٢، ص ٣٦٠).

(٣) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨١ - ١٨٢).

■ [آثار منكر الزنا]:

ولا شك إذا ترك الأمر بالمعروف كثرت المعاصي، فحينئذ يعاقبهم الله بتلك البلايا. روي عن مولانا الصادق عليه السلام، قال: «إذا فشت أربعة ظهرت أربعة، إذا فشى الزنا ظهر الزلازل، (وفي خبر آخر كثرت موت الفجأة)، وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء، وإذا خفرت النمة نصر المشركون على المسلمين»^(١) وخفر الذمة نقض العهد.

وروي: أن الأرض التي يُزنى عليها تضحج إلى الله شاكية، وجاء في الحديث: «ما عجت الأرض كمعيجها من ثلاثة، من دم حرام سفكه عليها، ومن اغتسال من زناً عليها، ومن النوم عليها قبل طوع الشمس»^(٢). بل روي: أن سبب الرباء هو الزنا، وذلك أن الأرض لا تقبل غسالة الزاني، فيصير ذلك الماء بخاراً، فيرتفع إلى السماء فلا تقبله السماء أيضاً، فينزل، فيقع على جنسه على الآبار والعيون والغدران والأنهار والبحار، فيتكثف الهوى عند مرور البخار عليه مرتين بشمومها وسمومها، وتتكثف المياه أيضاً، وأشد ما يحتاج إليه الإنسان في استقامة الأمزجة، ويخافون منه في انحراف الأمزجة هو الهواء، ثم الماء، فيتنفسون في ذلك الهواء المسموم، ويشربون من ذلك الماء فتحصل المواد الفاسدة، وأمزجتهم، فتنزل وتظهر في بعض الأعصار، ولذا يكثر وقوعه على الأطفال الضعيفة الأمزجة والغرباء الغير المعتادة لهواء تلك الأرض.

روي أنه (أي الزنا) سبب الطاعون، وذلك إن الزنا إذا كثر في الأرض سلط الله

(١) من لا يحضره الفقيه (ج ١، ص ٣٣٢).

(٢) من لا يحضره الفقيه (ج ٤، ص ١٣).

على أهلها جنوداً من الجنّ يحاربونهم، ويطعنونهم بحراهم يجردونهم ويرعونهم بالتشكيل والتخيّل في أعينهم، فتارة يتمثلون سورة الكلاب والذئاب وغير ذلك، وفي الروايات: أنّ يوشعاً عليه السلام نادى بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام من التيه إلى بلدة الجبابرة وحاصرها طلب أهلها أن يدعو يعلم على يوشع كما دعى على موسى عليه السلام، فقال: لهم: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(١) ولكن أخرجوا إليهم الزواني والفواحش، ففعلوا، واختلط الرجال والنساء، وكثر الزنا في جنود يوشع، فوقع فيهم الطّاعون، فهلك خلق كثير، فأمر يوشع عسا (وهو الحرس ليلاً)، فطعن رجلاً على امرأة، حتّى نفذ الرّمح في ظهر الرجل، وخرج من ظهر المرأة، ورفعهما على سنان الرّمح، فنصب الرّمح في وسط المعسكر، وهما على السنان، فأمر منادياً بنادي في المعسكر: ألا من زنا بعد اليوم فإنّي أصنع به ما صنعت بهذين. فانقطع فعل الزنا، وارتفع الطّاعون. وعنه عليه السلام، قال: «إِذَا كَمُ وَالزَّوْنَةُ فَإِنَّ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ»^(٢) : نقصان العقل ونقصان الدين، والرزق، والعمر» إلى آخر^(٣).

■ [من كربلاء في التخلّص الحسيني]:

ولذا نقل: أنّه لما قُطع ذلك الباغي الاسرائيلي رأس يحيى بن زكريا ووضعه في

(١) الآية ١٤ من سورة الرعد.

(٢) ما وجدناه في مصادر الفريقين انه فيه أربع أوست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة.

(٣) راجع: الخصال (ص ٣٢٠) وعلل الشرائع (ج ٢، ص ٤٨٠) وروضة الواعظين (ص ٤٦٢) ومجمع

الزوائد (ج ٦، ص ٢٥٤) والمعجم الأوسط (ج ٧، ص ١٣٨) وتخريج الأحاديث والآثار (ج ٢،

ص ١٧٤) والجامع الصغير (ج ١، ص ٤٥١) وكنز العمال (ج ٥، ص ٣١٦) وفيض القدير (ج ٣، ص ١٦٨)

وفتح القدير (ج ٢، ص ٦٧) وغيرها.

طشت من الذهب بين يديه فنطق رأس يحيى عليه السلام، قائلاً: أيها الملك لا تزني فإن عمر الزاني قصير. فتعجب ذلك الباغي منه، فأمر بالرأس أن يرفع من بين يديه، ورأس الحسين بن علي (عليهما السلام) قد تكلم في موارد كثيرة، منها: في مجلس ابن زياد حين هرب اللعين من القصر، لما رأى النار، فقال: أين تهرب فإن عجزت عنك في الدنيا فهي في الآخرة مثواك، وأخرى على ذروة الرمح قائلاً: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ (١) إلى آخر (٢).

وتارة: في دير الراهب، حين قال له الراهب: كَلَمْتَنِي بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ!! فتكلم الرأس، وقال: «ما تريد مني؟». قال: من أنت؟ فقال عليه السلام: «أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء أنا المقتول بكر بلاء أنا الغريب العطشان بين الملا» (٣).

■ [شعر في الرأس الشريف]:

لهفي لرأسك وهو يحمل (٤) مشرقاً كالبدور بين الذابل المياد
يتلو الكتاب وما سمعت لواعظٍ اتخذ القنا بدلاً عن الأعواد (٥)
لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا يكسوه من أنواره جلابا

(١) الآية ٩ من سورة الكهف.

(٢) مناقب الامام أمير المؤمنين عليه السلام (ج ٢، ص ٢٦٧) الكوفي ومقتل الحسين لابي مخنف (ص ١٧٥).

(٣) معالي السبطين (ج ٢، ص ١٢٦) وموسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام (ص ٦٣٠).

(٤) أو: يرفع، كما في أعيان الشيعة (ج ٢، ص ٥٠٤).

(٥) هذين البيتين للشيخ أحمد بن الحسن الميثمي رحمه الله.

يُتْلُو الْكِتَابَ عَلَى السَّنَانِ، وَإِنَّمَا حَمَلُوا بِهِ فَوْقَ السَّنَانِ كِتَابًا^(١)

المجلس الثالث والثلاثون

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

■ [قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ضد المداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو السعي فيهما والتشمير لهما. وهو أعظم مراسم الدين، والمهم الذي بعث الله تعالى لأجله النبيين، ونصب من بعدهم الخلفاء والأوصياء، وجعل نوابهم أولي النفوس القدسية من العلماء، بل هو القطب الذي تدور عليه أرحية الملل والأديان، وتطرق الاختلال فيه يؤدي إلى سقوطها عن الدوران، ولهذا ورد في مدحه والترغيب فيه مالا يحصى من الآيات والاخبار.

قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢). إلى غيرها من الآيات^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ما أعمال البرّ عند الجهاد في سبيل الله إلّا كنفثة في بحر لجّي، وما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا كنفثة في بحر لجّي»^(٤).

(١) ديوان السيد رضا الهندي (ص ٤٤).

(٢) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٣) راجع جملة من تلك الآيات في كتاب جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨٣).

(٤) نهج البلاغة (ص ٥٤٢).

وقال عليه السلام: «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا: ما لنا بدّ منها، إنّما هي مجالسنا نتحدّث فيها، قال عليه السلام: إذا أبيتم إلّا ذلك، فأعطوا الطريق حقّه». قالوا: وما حق الطريق؟ قال عليه السلام: «غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(١).

■ [وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]:

مقتضى الآيات والأخبار المذكورة، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا خلاف فيه أيضاً، إنّما الخلاف في كون وجوبهما كفائياً أو عينياً، والحق الأول كما سيأتي.

ثم الواجب إنّما هو الأمر بالواجب والنهي عن الحرام، وأمّا الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه فمندوب، وإنّما يجب بشروط أربعة:

● (الأول) العلم بكونهما معروفاً ومنكراً، ليأمن من الغلط، فلا يجبان في المتشابه، فمن علم بالقطع الوجوب أو الحرمة، وعدم جواز الاختلاف فيه من ضرورة الدّين أو المذهب أو الاجماع القطعي النظري، أو الكتاب والسّنة، أو من قول العلماء فله أن يأمر وينهى ويحتسب به على كلّ أحد، ومن لم يعلمها بالقطع، بل علمها بالظنّ الحاصل من الاجتهاد أو التقليد، وجوّز الاختلاف فيه، فليس له الأمر والنهي والحسبة، إلّا على من كان على هذا الاعتقاد.

وحاصل، ما ذكر: إنّ القطعيّات الوفاقية تتأتّى لكلّ أحد أن يحتسب بها على كلّ أحد بعد علمها، أي يقوم بها.

● (الثاني) تجويز التأثير، فلو علم أو غلب على ظنه أنه لا يؤثر فيه، لم يجب، لعدم الفائدة.

● (الثالث) القدرة والتمكن منه، وعدم تضمّنه مفسدة، فلو ظنّ توجّه الضرر إليه أو إلى أحد من المسلمين بسببه سقط، إذ لا ضرر ولا ضرار في الدين.

● (الرابع) أن يكون المأمور أو المنهي مصرّاً على الاستمرار. فلو ظهر منها أمانة الاقلاع سقط، للزوم العبث.

ثم هذه الشروط يختلف اشتراطها بسبب اختلاف درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يأتي.

ويدلّ على اشتراط الثلاثة الأول، أي العلم بالمعروف والمنكر، والتأثير، والقدرة، ما روي: إنّه سئل مولانا الصادق عليه السلام: إنَّ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أوجب على الأمة جميعاً؟ فقال عليه السلام: «لا» ف قيل: ولم؟! قال عليه السلام: «إنما هو على القوي المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أي من أي يقول من الحق إلى الباطل»^(١). والدليل على ذلك كتاب الله عزّ وجلّ قوله:

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢). فهذا خاصّ غير عام، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٣) ولم يقل على أمة موسى، ولا على كلّ قوم، وهم يومئذٍ أمم مختلفة، والأمة واحد فصاعداً، كما قال الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾^(٤)

(١) تهذيب الأحكام (ج ٦، ص ١٧٧).

(٢) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ١٢٠ من سورة النحل.

وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج، إذا كان لا قوة له ولا طاقة.
وفي (خبر آخر)^(١): «إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو
جاهل فيتعلم، فأما صاحب سوط أو سيف فلا»^(٢).^(٣)

■ [من كربلاء]:

والمراد من ذلك أتباع الجائر، فهم على علم من ذلك، وقد وطّأوا أنفسهم عليه،
ألا ترى جنود يزيد (لعنه الله) لم تفدهم مواعظ الحسين عليه السلام، بل زادوا عتوًّا ونفوراً.

■ [شعر في هذا المعنى]:

قست القلوب فلم تمل لهداية	تَبّاً لهاتيك القلوب القاسية
وعلى قلوبهم قد انطبع الشقى	لا الوعظ ينفعها ولا التحذير ^(٤)
يدعو ألت أنا ابن بنت نبيكم	وملاذكم إن صرف الدهر نابا
هل جئت في دين النبي ببعدة	أم كنت في أحكامه مرتابا ^(٥)

(١) هذه زائدة وإن كان في الكتاب إلا لأنه لم ينقل الأخبار الأول فليس لهذه الكلمة داع.

(٢) تحف العقول (ص ٣٥٨).

(٣) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨٢).

(٤) شعر للشيخ عبد الجسين الأعسم ذكره في (أدب الطف: ج ٦، ص ٢٨٩).

(٥) شعر للسيد رضا الهندي (الديوان: ص ٤٢).

المجلس الرابع والثلاثون

في شروط الامر بالمعروف

■ [قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ومن شرائط التَّهْيِ عن المنكر [أن يظهر المنكر] على المحتسب أن يظهر المنكر على المحتسب من غير تجسُّس، فلا يجب، بل لا يجوز التجسُّس، كفتح الباب المغلق، ووضع الأذن والأنف لاحتباس الصوت والريح، وطلب إراءة ما تحت الثوب، وأمثال ذلك، لنص الكتاب والسنة^(١).

■ [عدم اشتراط العدالة]:

ثم لا يشترط العدالة، واثمار الأمر بما يأمر به وانتهاء النَّاهِي عما ينهي عنه، لإطلاق الأدلة، ولأنَّ الواجب على فاعل الحرام المشاهد فَعَلَهُ من غيره أمران: تركه وإنكاره، ولا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر، كيف ولو شرط ذلك لاقتضى عدم وجوب ذلك إلَّا على المعصوم، فينسَدُّ باب الحسبة بالكلية.

وامَّا الإنكار في قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢).

إنَّما هو على عدم العمل بما يأمر به ويقول لا على الأمر والقول.

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨٧).

(٢) الآية ٤٤ من سورة البقرة.

وقس على ذلك جميع ما ورد من هذا القبيل^(١).

[ثم قال ﷺ]:

ثم ما ذكرناه من عدم اشتراط العدالة في العمل بما يأمر به وينهي عنه، إنما هو في آحاد الحسبة الصادرة من أفراد الرعية المطلعين على المنكر، وأمّا من نصب نفسه لإصلاح الناس ونصحهم، وبيان الأحكام الإلهية نيابة عن رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فلا بدّ فيه من العدالة والتقوى والعلم بالكتاب والسنة، وغير ذلك من شرائط الاجتهاد.

وعلى هذا يحصل جواب آخر عن الآيات والأخبار الواردة في الإنكار على الواعظ غير المتعظ بتخصيصها به دون أفراد الرعية^(٢).

■ [مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]:

إعلم أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مراتب:

● (الأولى): الإنكار بالقلب، بأن يبغضه على ارتكاب المعصية، وهذا مشروط بعلم الناهي وإصرار المنهي، ولا يشترط بالشرطين الأخيرين.

● (الثانية): التعريف، بأن يعرف المرتكب للمنكر بأنه معصية، فإنّ بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصي لجهلهم بأنه معصية، ولو عرف كونه معصية تركه.

● (الثالثة): إظهار الكراهة، والإعراض، والمهاجرة.

● (الرابعة): الإنكار باللسان، بالوعظ، والنصح، والتخويف، والزجر مرتباً

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨٧).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨٨).

الأيسر فالأيسر، إلى أن يصل إلى التعنيف بالقول والتغليظ في الكلام، كقوله: يا جاهل، يا أحمق، لا تخالف ربك.

وهنا شبكة عظيمة للشيطان، وربما يصطاد بها أكثر الوعاظ. فينبغي لكل عالم ناصح أن يراها بنور البصيرة، وهي أن يحضره عند الوعظ والإرشاد، ويلقي في قلبه تعزّزه وشرافته بالعلم، وذلة من يعظه بالجهل والخسة. فربما يقصد بالتعريف والوعظ الإذلال والتجهيل، وإظهار شرف نفسه بالعلم، وهذه آفة عظيمة تتضمن كبراً ورياء. وينبغي لكل واعظ دين أن لا يغفل عن ذلك، ويعرف بنور بصيرته عيوب نفسه وقبح سريرته. وعلامة براءة نفسه من هذه الآفة، أن يكون اتعاض ذلك العاصي بوعظ غيره أو امتناعه من المعصية بنفسه أحب إليه من اتعاضه بوعظه.

(الخامسة): المنع بالقهر مباشرة، ككسر آلات اللّهُو، وإراقة الخمر، واستلاب الثّوب المغصوب منه وردّه الى صاحبه، وأمثال ذلك.

(السادسة): التهديد والتخويف، كقوله: دع عنك هذا وإلا ضربتك، أو كسرت رأسك، أو غير ذلك ممّا يجوز له أن يفعل لو لم ينته عن المعصية، ولا يجوز أن يهدده بما لا يجوز فعله، كقوله: دع عنك هذا وإلا ضربت عنقك، أو أضرب ولدك، أو أستبين زوجتك، وأمثال ذلك.

(السابعة): مباشرة الضرب باليد والرّجل وغير ذلك، من دون أن ينتهي إلى شهر سلاح وجراح.

(الثامنة): الجرح بشهر بعض الأسلحة، وجوّزه سيّدنا المرتضى ^(١) (رضي الله

(١) هو السيد أبو القاسم، علم الهدى، ذو المجددين، علي بن الحسين ابن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، كان واحداً من أبرز أعلام الطائفة، وكان أعلم بالعربية من العرب

عنه) من علماءنا وجماعة، والباقون اشتروا إذن الإمام في ذلك، إذ ربما لا يقدر عليه بنفسه، ويحتاج فيه إلى أعوان وأنصار يشهرون السلاح، وربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوانه، فيؤدّي إلى المقاتلة والمحاربة وحدوث فتنة عظيمة^(١).

■ [من ظلمات الأمير والزهراء عليهما السلام]:

وهذه التكاليف المذكورة هي لما عدى المعصوم عليه السلام، إذ إن القيام بالسيف من وظائف المعصوم، بل لعدم الأعوان والعدة يسقط القيام بالسيف عن المعصوم مع ما عنده من القدرة الإلهية، ألا ترى أمير المؤمنين عليه السلام قد صار جليس بيته خمسةً وعشرين سنة^(٢)، وهو يرى المنكر وتغيير أحكام دين الله، وأعظم من هذا يرى الزهراء بين الحائط والباب، تنادي: «إليك يا فضة فخذيني، فقد قتل ما في أحشائي»^(٣). وقد أظهر التأسف دين أوقف بتلك الكلمات المشجية للصحفر، فقد عزّ على ابن أبي طالب عليه السلام أن يسودّ متن فاطمة عليها السلام ضرباً، وقد عُرف مكانه وشوهدت أيامه، فلا يثور إلى عقلته ولا يضرى دون حليلته، وقوله عليه السلام من هذا الكلام: «فليت ابن أبي طالب مات قبل يومه فلا يرى الكفرة الفجرة قد ازدحموا على ظلم الطاهرة البتة»^(٤).

❦ كما يقول الشيخ عز الدين أحمد بن مقبل (روضات الجنات: ص ٣٨٥) وقال شيخ الطائفة في الفهرست (ص ٢١٩) هو متوحد في علوم كثير، مجمع على فضله، مقدم في العلوم، وكان أكثر أهل زمانه أديباً فاضلاً، متكلم فقيه.

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٨٩ - ١٩٠).

(٢) بحار الأنوار (ج ٣٠، ص ٢٩٢) والسقيفة (ص ١٥٧) والغدير (ج ٦، ص ٨٣) ومجمع النورين

(ص ١٠٩) ووفيات الأئمة عليهم السلام (ص ٢٢).

(٣) راجع الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام (ص ٤٧٢) تجد المصادر.

(٤) مصباح البلاغة (ج ١، ص ٢٨٦).

❏ [شعر شعبي في تلك الحادثة]:

يا عزيز الله ورسوله جي تذل اشلون وأنت الأسد بايعت النذل
قوض العز يوم قادوك ابجل وهاشم الذل صار طوق ارقابها
اشلون جسروا بالحمائل جتفوك تندب الحمزه وجعفر ما لقوك
يا شبه هرون قومك بعد اخوك اعذرت بيك ونست نص اكتابها

المجلس الخامس والثلاثون

ما ينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

❏ [المراد بوجوبهما كفائياً]:

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

إذا اجتمعت الشرايط، وكان المطلع منفرداً، تعيّن عليه، وإن كان ثمة غيره،
وشرع أحدهما في الأمر والنهي، فإن ظن الآخر أن لمشاركته أثراً في تعجيل ترتيب
الأثر ورسوخ الانزجار وجب عليه أيضاً، وإلا فلا، لأن الغرض وقوع المعروف
وارتفاع المنكر، فمتى حصل بفعل واحد، كان السعي من الآخر عبثاً، وهذا معنى كون
وجوبهما كفائياً^(١).

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٩٠).

(فصل)

ما ينبغي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ينبغي لكلّ أمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون حسن الخلق، صابراً، قوياً في نفسه، لئلا ينزعج، ولا يضطرب إذا قيل في حقّه ما لا يليق به، فإن أكثر الناس أتباع الهوى، فإذا نهوا عمّا يميلون إليه شقّ ذلك عليهم، فربّما أطلقوا ألسنتهم في حقّ النّاهي، ويقولون فيه ما لا يليق بشأنه، وربّما تجاوزوا إلى سوء الأدب قولاً وفعلاً بالمشافهة.

وأن يكون رفيقاً بالنّاس، فإنّ الوعظ بالرّفق والملاءمة أوقع وأشدّ تأثيراً في قلوب أكثر النّاس.

وأن يكون قاطعاً للطّمع عن النّاس، فإنّ الطّامع من النّاس في أموالهم أو إطلاق ألسنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبة، ولذا نقل: إنّ بعض المشايخ كان له سنور، وكان يأخذ من قصّاب في جواره كلّ يوم شيئاً من القدّ لسنوره، فرأى من القصّاب منكراً، فدخل الدّار أولاً، وأخرج السنور، ثمّ جاء ووعظ القصّاب وشدّد عليه القول، فقال القصّاب: لا يأكل سنورك شيئاً بعد ذلك. فقال: ما احتسبت عليك إلّا بعد إخراج السنور وقطع الطّمع عنك^(١)!

■ [أنواع المنكرات]

إعلم أنّ المنكرات إمّا محظورة أو مكروهة، والمألوفة منها في العادات أكثر من

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٩١).

أن تحصي.

فمنها: ما يكون غالباً في المساجد: كإساءة الصّلاة، والإخلال ببعض أفعالها، والتأخير عن أوقاتها، وإدخال النجاسة فيها، والتكلم فيها بأمور الدّنيا، والبيع والشراء، ودخول الصبيان والمجانين فيها مع اشتغالهم باللّهُو واللّعب، وقراءة القرآن فيها باللّحن أو الغناء، ودخول النّسوان فيها مع ظن تطرّق الرّيبة، ونظر الأجنبيّ إليهنّ أو نظرهنّ إليهم، ودخول الجنب أو الحائض فيها، وتغنّي المؤذنين بالأذان أو غيره ممّا يقرؤون، وتقديمهم الأذان على الوقت، ووعظ من لا ينبغي أن يتمكّن من الموعظة كمن يكذب في حديثه أو يفتي بالمسائل وليس أهلاً لها، أو يظهر من وعظه كونه مرئياً طالباً للجهاء وأمثال ذلك. فإنّ كلّ ذلك من المنكرات، بعضها محظورة وبعضها مكروهة، ينبغي لكلّ مطلع أن ينهي عنها.

ومنها: ما يكون غالباً في الأسواق: من الكذب في المحاولات والمعاملات وإخفاء العيب، والأيمان الكاذبة، والمنازعة بالضرب والسّتم، والطّعن واللّعن، وأمثال ذلك، والبخس في الكيل والوزن، والمعاملات الفاسدة بأقسامها على ما هو مقرّر في الفقهيّات.

(ومنها): ما يكون في الشّوارع، كوضع الأساطين، وبناء الدّكات متصلة بالأبنية المملوكة، وتضييق الطّريق على المارة بوضع الأطعمة والأحطاب وربط الدّواب فيها، وسوق الدّواب فيها وعليها الأشواك والنجاسات - إذا تأذّي الناس منها وأمكن العدول بها إلى موضع واسع، وإن لم يمكن فلا منع، إذ حاجة أهل البلد ربّما تمس إلى ذلك - وتحميل الدّواب ما لا تطيق من الحمل، وذبح القصاب على الطّريق أو على باب دكانه بحيث تلوث الطّريق بالدم، وطرح الكناسة على جواد الطّريق، ورشّ الماء على الطّرق بحيث يخشى منه الزّلق والسّقوط.

وعلى هذا فقس سواه من المنكرات، فإن ما ذكر من المنكرات يجب أن يُنهي عنها، فلو قام بالاحتساب والنهي عنها أحد سقط الحرج عن البواقي، وإلا عمّ الحرج على جميع أهل البلد.

وأمثال ما ذكر إنما هو من المنكرات البسيطة

(وأما) المنكرات العظيمة: من البدعة في الدين، والقتل، والظلم، والزنا، واللواط، وشرب الخمر، والنظر إلى غير المحارم، وأكل الحرام، والصلاة في الأماكن المغضوبة، والوضوء والغسل من المياه المحرمة، والتصرف في أموال الأوقاف وغصبها، والمعاملة مع الظالمين، والجهل في الأصول الاعتقادية والفروع الواجبة، وآفات اللسان، فلا يمكن حصرها لكثرتها، لاسيما في أمثال زماننا، فلو أمكن المؤمن الذين أن يغيّر هذه المنكرات كلّاً أو بعضاً بالاحتساب فليس له أن يقعد في بيته، بل يجب عليه الخروج للنهي والتعليم، بل ينبغي لكلّ مسلم أن يبذل نفسه، فيصلحها بالمواظبة على الطاعات وترك المحرمات، ثمّ يعلم بعد ذلك أهله وأقاربه ثمّ يتعدّى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلّته، ثم أهل بلاده، ثم أهل السواد المكتنف ببلده، ثم إلى غيرهم، وهكذا الأقرب فالأقرب إلى أقصى العالم، فإن قام به به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا لزم الحرج على كلّ قادر عليه، قريباً كان أو بعيداً، ولا يسقط الحرج مادام على وجه الأرض جاهل يعرض عن فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه.

وهذا شغل شاغل لمن يهّمه أمر دينه يشغله عن سائر المشاغل. إلا أن إعراض الناس عن أمور دينهم في عصرنا لم يبلغ حدّاً يقبل الإصلاح، إلى أن تتعلّق به مشيئة الله، فينهض بعض عباده السعداء الأقوياء، فيدفع هذه الوصمة، ويسدّ هُذي الثّلمة،

ويتلافى هذه الفترة^(١).

❑ استنهاض الامام الحجة (عجل الله فرجه الشريف):

أقول: ليس من إمكان أحد في هذا العصر أن ينهض بهذا المهم إلا إمام العصر (عجل الله فرجه).

❑ بوذيته:

راعى الثار ما يظهر علامه	ينشر للبيتانونه علامه
نسه بمتون عماته علامه	ابضرب اسياط زجر وجور امية

* * *

متى ننظر العج خيلك ولك ثار	ألف ما توقف ابو جهك ولك ثار
إلك دم انهدر بالطف، ولك ثار	أو سباهه احراركم لابن الدعية

* * *

متى تنشر يمام العصر بنداك	أو تحيي اقلوب من شيعتك بنداك
تنادي يالثار احسين بنداك	ترج سابع سمه وأرض الوطنية

* * *

مواضينه متى بالطف نسلها	وأرواح العده بيها نسلها
بالطف فاطمة قطعوا انسلها	متى نقطع نسل هند وسميه

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ١٩١ - ١٩٣).

المجلس السادس والثلاثون

في العصيان والوقاحة والاصرار على المعصية

من الأخلاق المذمومة العصيان، ولا ريب في كونه من رذائل قوّتي الغضب والشهوة معاً، وضدّه التقوى والورع، وبالمعنى الأعمّ: الاجتناب عن مطلق المعصية خوفاً من سخط الله.

● (ومنها):

الوقاحة:

وهو عدم مبالاة النفس، وعدم انفعالها من ارتكاب المحرّمات الشرعيّة والعقليّة أو العرفيّة، وكونه من رداءة قوّتي الغضب والشهوة ظاهر. وضدّها الحياء، وهو إنحصار النفس وانفعالها من ارتكاب المحرّمات الشرعيّة والعقليّة والعاديّة حذراً من الذمّ واللوم، وهو أعمّ من التقوى، إذ التقوى اجتناب المعاصي الشرعية، والحياء يعلم ذلك، واجتناب ما يقبحه العقل والعرف أيضاً، فهو من شرائف الصفات النفسية، ولذا ورد في فضله ما ورد، قال مولانا الصادق عليه السلام: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة»^(١). وقال عليه السلام: «الإيمان والإيمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه». وقال عليه السلام: «لا إيمان لمن لا حياء له»^(٢).

ثم حقيقة الحياء كما عرفت هو الانفعال عن ارتكاب ما يذمّ شرعاً أو عقلاً أو عرفاً، فالانفعال عن غير ذلك حمق، فإنّ الانفعال عن تحقيق أحكام الدين أو الخمود

(١) الكافي (ج ٢، ص ١٠٦).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ١٠٦).

عَمَّا يَنْبَغِي شَرْعاً وَعَقْلاً لَا يَبْعَدُ حَيَاءٌ بَلْ حَقَقاً، وَلِذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ حَيَاءَانُ: حَيَاءُ عَقْلٍ وَحَقْقٌ، فَحَيَاءُ الْعَقْلِ هُوَ الْعِلْمُ، وَحَيَاءُ الْحَقْقِ هُوَ الْجَهْلُ»^(١).

● (ومنها):

الاصرار على المعصية:

وهو إمّا ناشيء من رداءة إحدى القوتين وخروجها عن إطاعة العاقلة أو عن رداءتهما معاً، فيكون من رذائل القوتين، وكلّ ما يدلّ على ذمّ مطلق المعصية أو على ذمّ خصوص أفرادها المعيّنة يدلّ على ذمّ الاصرار على المعصية بطريق أولى وأؤكد. والأخبار الواردة في ذمّ مطلق الذنب والمعصية، كثيرة جداً، كقول النبي ﷺ: «ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها، إلّا وملكان يناديان بأربعة أصوات يقول أحدهما: يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا، فيقول الآخر: يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا، فيقول الآخر: ويا ليتهم إذ لم يعلموا بما علموا تابوا ممّا عملوا. واعلموا أنّ العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام، وإنّه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن»^(٢).

وقال مولانا الباقر عليه السلام: «إنّ الله قضى قضاءً حتماً ألاّ ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إيّاه حتّى يحدث العبد ذنباً يستحقّ بذلك النعمة»^(٣) وقد قيل:

فإن المعاصي تزيل النعم

إذا كنت بنعمة فإوعها

فإن الإله شديد النقم^(٤)

وحافظ عليها بشكر الإله

(١) الكافي (ج ٢، ص ١٠٦).

(٢) أمالي الصدوق (ص ٤٩٧).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٢٧٣).

(٤) هي أبيات لأبي العتاهية ذكرت في جملة من المصادر منها: روضة الواعظين (ص ٤٤٩) وابن الصباغ

وقال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَنْزِبُ الذَّنْبَ فَيُزَوِّي عَنْهُ الرَّزْقَ»^(١). وقال مولانا الصَّادق ﷺ: «يقول الله تعالى: إِنَّ أَدْنَى مَا أَصْنَعُ بِالْعَبْدِ إِذَا آثَرَ شَهْوَتُهُ عَلَى طَاعَتِي أَنْ أَحْرَمَهُ لَذِيذَ مَنَاجَاتِي»^(٢). وقال ﷺ: «مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَا يَعْلَمُهَا، فَإِنَّهُ رُبَّمَا عَمِلَ الْعَبْدَ السَّيِّئَةَ فِيَرَاهُ الرَّبُّ - تَعَالَى - فيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي! لَا أَغْفِرُ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا»^(٣).

وقال ﷺ: «أما إنه ليس من عرق يضرب، ولا نكبة ولا صداع ولا مرض، إلَّا بذنب، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾»^(٤) (٥). وقال ﷺ: «وما يعفو الله أكثر ممَّا يؤاخذ به»^(٦).

والأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، ولا يتوهم أحد أنه يمكن ألا يصل إليه أثر الذنب ووباله، فإنَّه محال، فإنَّه لم يتجاوز عن الأنبياء بتركهم الأولى، فكيف يتجاوز عن غيرهم في كبائر المعاصي، نعم، كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة، والأشقياء يمهلون ليزدادوا إثماً، ويعذبون في الآخرة عذاباً أكبر وأشدَّ، أما سمعت أن أباك آدم قد أخرج من الجنَّة بتركه الأولى، حتَّى روي: أنَّه لما أكل الشَّجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته، وجاء جبرئيل (ع) وأخذ النَّاج من رأسه وخلى الإكليل عن جبينه، ونودي من فوق العرش إهبطا من جوارِي، فإنَّه لا

❦ في الفصول المهمة (ص ١٠١). وقيل هي لأبي حسن الكندي (كشف الخفاء: ج ٢، ص ٢٩٦).

(١) جامع أحاديث الشيعة (ج ١٣، ص ٣٤٠).

(٢) تذكرة الموضوعات (ص ١٧٢).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٢٧٢).

(٤) الآية ٣٠ من سورة الشورى.

(٥) الكافي (ج ٢، ص ٢٦٩).

(٦) مكارم الأخلاق (ص ٤١١).

يجاورني من عصاني، فالتفت آدم إلى حواء باكياً، وقال: هذا أوّل شؤم المعصية، أخرجنا من جوار الحبيب^(١).

وروي: أنّه تعالى، قال: يا آدم أيّ جار كنت لك؟ قال: نعم الجار يا رب! قال: يا آدم، اخرج من جواري وضع عن رأسك تاج كرامتي فإنّه لا يجاورني من عصاني^(٢). وقد روي: أنّ آدم، بكى على ذنبه مائتي سنة، حتّى قبل الله توبته، وتجاوز عمّا ارتكبه من ترك الأولى^(٣)، فإن كانت مؤاخذته في نهى تنزيه مع حبيبه وصفّه هكذا فكيف معاملته مع الغير في ذنوب لا تحصى^(٤).

■ الإمام الحسين عليه السلام: كفارة الذنوب:

ومن الذي يتخلّص به من الذنوب، وأكبر وسيلة لتكفير الذنوب في كلّ عصر سيّما هذا العصر، ليس إلّا هو سفينة النّجاة سيد الشّهداء عليه السلام الحسين بن علي عليه السلام:

■ [شعر في خذا المعنى]:

إذا شئت النّجاة فزر حسيناً غداً تلقى الإله قرير عين
فإنّ النار ليس تمسّ جسماً عليه غبار زوار الحسين

* * *

[وقيل]:

(١) كتاب التواوين (ص ٨) والدر المنثور (ج ١، ص ٥٨).

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٣٨).

(٣) المصدر المتقدم.

(٤) جامع السعادات (ج ٣، ص ٣٥ - ٣٨).

فيا شيعتي لا تركوا قصد تربتي فإتيانها من أعظم القربات (١)
وصبّوا عليّ الدمع في كلّ موقف فإنّي قتيل الدمع والعبرات
ومهما شربتم بارد الماء فاذكروا وفاتي عطشاناً بشطّ فرات

المجلس السابع والثلاثون

في التوبة

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ضدّ الإصرار التّوبة، وهي الرجوع من الذنب القولي والفعلّي والفكري، وبعبارة أخرى: هي تنزيه القلب عن الذنب والرجوع من البعد إلى القرب، وبعبارة أخرى: ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال، وتدارك ما سبق من التقصير. وكما أنّ الإصرار على العصيان من رذائل قوّتي الغضب والشّهوة، فالرجوع عنه وتركه من فضائلهما، بمعنى أنّ العزم على ترك كلّ المعصية يكون من عمل كليهما أو أحدهما، ومن فعل النفس بإعانتها وانيادها للعاقلة (٢).

وتوضيح حقيقة التوبة:

أنّه إذا علم العبد علماً يقيناً أنّ ما صدر عنه من الذنوب حائلة بينه وبين محابّه،

(١) هذين البيتين للشيخ علي بن عبد العزيز الخليعي (المتوفى ٧٥٠هـ) الذين كان أبواه من النواصب ونشأ هو على مذهبهما، ثم إن أمه من نصبتها كانت قد نذرت أنه إذا رزقت بولد تبعته لكر بلاء لكي يسلب زوار الامام الحسين عليه السلام وبالفعل فعلت وأرسلت هذا الشيخ الذي استقر في المسيب ليقطع طريق زوار الامام الحسين عليه السلام وقتلهم، ولما كان متعباً فقد أخذه النوم ورأى كأن القيامة قد قامت وأمر به إلى النار، لكن النار لم تمسه لما غشيه من ذلك الغبار فانتبه مرعوباً وعدل عما كان ينويه من ذلك العمل، وهبط كربلاء واعتنق التشيع ونظم هذين البيتين (راجع مجالس المؤمنين للمرعشي رحمته الله).

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٣٨ - ٣٩).

ثار من هُذا العلم تألّم القلب بسبب فوات المحبوب، وصار متأسفاً على ما صدر عنه من الذنوب، سواءً كانت أفعالا أو تروكاً للطاعات، ويُسمّى تألّمه بسبب فعله أو تركه المفوّت لمحبوبه ندماً. وإذا غلب هُذا النّدم على القلب، انبعث منه حالة أخرى تُسمّى إرادةً وقصداً إلى فعل له تعلّق بالحال بترك الذّنب الذي كان ملاسماً له، وبلاستقبال بعزمه على ترك الذّنب المفوّت لمحبوبه إلى آخر عمره، وبالماضي بتلافيه مافات بالجبر والقضاء، فالعلم أعني اليقين بكون الذّنب سموماً مهلكة هو الأوّل، وهو مطلع البواقي، إذ مهما أشرق نور هُذا اليقين على القلب أثمر نار النّدم على الذّنب، فيتألّم به القلب حيث ينظر بإشراق نور الإيمان واليقين أنّه صار محجوباً عن محبوبه.

فالعلم، والندم، والقصد المتعلّق بالترك حالاً واستقبلاً، والتلافي للماضي: ثلاثة معانٍ مترتبة في الحصول، يطلق اسم (التوبة) على مجموعها، وربما أطلقت التوبة على مجرد الندم (١).

واليقين مقدّمة له، وترك الذّنب في المستقبل ثمرة له، قال بعض الحكماء: إذا شئت أن تعرف ربك، فاجعل بينك وبين المعاصي حائطاً من حديد. واعلم أن التوبة نور، فيصبر به أنّ الذنوب سمّ قاتل، فإذا علم أنّه تناول من ذلك السمّ كثيراً وأشرف على الهلاك بالضرورة يندم ويدخل قلبه الخوف.

■ [سؤال وجواب]:

هل يشترط في التوبة قدره على الذنب السابق؟

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

(١) جامع السعادات (ج ٣، ص ٣٩ - ٤٠).

التوبة إنما تكون عن ذنب سبق مثله، (إمّا) ترك ذنب لم يسبق مثله حالاً والعزم على تركه استقبالاً لا يُسمّى توبة، بل يُسمّى تقوى.

ثمّ المراد بالمِثْلِ السَّابِقِ أعمّ من أن يكون مثلاً في الصورة أو المنزلة، فالشيخ الهرم الذي سبق منه الزّنا وقطع الطّريق، ولم يقدر السّاعة على فعلهما إذا أراد التوبة عنهما، ينبغي أن يتوب عمّا يماثلهما منزلةً ودرجةً، كالقذف والسّرقة وأمثالهما، إذ لا معنى للتوبة عمّا يماثلهما صورة أعني نفس الزّنا وقطع الطّريق مع عدم قدرته عليهما، ولو لم تكن التوبة عمّا يماثل الشّيء في المنزلة والدرجة توبةً عن هذا الشّيء، لزم أن يكون باب التوبة مسدوداً بالنسبة إلى مثل الشيخ الهرم وكلّ من صدر منه معصية والآن لا يقدر عليها، وهو باطل، لانفتاح باب التوبة إلى الموت، ولما ذكر، قال بعض المشايخ في حدّ التوبة: (إنّها ترك اختيار ذنب سبق مثله منه منزلةً لا صورةً تعظيماً لله وحذراً من سخطه) ^(١).

□ [فضيلة التوبة]:

وجاء في فضيلة التوبة ما يأتي من الاحاديث.

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

إعلم أنّ التوبة أول مقامات الدّين، ورأس مال السالكين، ومفتاح استقامة السائلين، ومطلع التّقرّب إلى ربّ العالمين، وورحها عظيم، وفضلها جسيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ^(٢). وقال رسول الله ﷺ:

(١) جامع السعادات (ج ٣، ص ٤١).

(٢) الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.

«التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(١) ، وقال الباقر عليه السلام: «إن الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها»^(٢) . وقال عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو يستغفر منه كالمستهزىء»^(٣) . وقال الصادق عليه السلام: «إن الله يحب من عباده المفتن التواب»^(٤) يعني كثير الذنوب والتوبة. وقال عليه السلام: «إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أحبه الله فستر عليه» فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: «يُنسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحى إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكنمي عليه ذنوبه، فيلقى الله - عز وجل - حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب» كما أشير إلى ذلك في دعاء كميل: وكنت أنت الرقيب عليّ من ورائهم، والشاهد لما خفي عنهم، وبرحمتك أخفيت، وبفضلك سترته. وقال الصادق عليه السلام: «إن الله - عز وجل - أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطى خصلة منها جميع أهل السموات والأرض لنجوا بها -: قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ إلى آخر الآية^(٥) ، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَخِمْوْنَ الْغُرَشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ إلى آخر^(٦) ، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ

(١) فيض القدير بشرح الجامع الصغير (ج ٣، ص ٣٦٤).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٤٣٥).

(٣) المصدر المتقدم.

(٤) كتاب الزهد (ص ٧٠).

(٥) الآية ٢٢ من سورة البقرة.

(٦) الآية ٧ من سورة غافر.

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُنُونَ﴾ الى قوله ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ (١) (٢).

فالتَّوَابَ حبيب الله، فلا درجة أعظم من محبة الله، وذلك إنها أقصى الدَّرَجَاتِ، والانبياء والأولياء إنما كان هي غاية سعيهم لا غيرها من الجنة، ومراتبها فإن الجنة وما أعد فيها من التَّعِيمِ إنما هي مقاصد التَّجَارِ وغاياتهم، وإلا فأهل الهمم العالية والمطالب الغالية إنما يطلبون محبته ورضاه.

■ [درس من كربلاء]:

وهذا شأن أولياء الله المقربين في جميع أحوالهم وأفعالهم لا يريدون إلا محبة الله ورضاه، أما ترى الحسين بن علي عليه السلام، حيث علم أن رضى الله في قتله وقتل أهله، قدم على ذلك ولسان حاله يقول:

رضيت وحقك كل الرضا إذا كان يرضيك أن أقتلا (٣)

المجلس الثامن والثلاثون

في وجوب التوبة

[قال العلامة النراقي عليه السلام]:

التَّوْبَةُ من الذنوب بأسرها واجبة، بالاجتماع، والنقل، والعقل.

■ [الدليل الأول]:

أما الاجتماع فلا ريب في انعقاده.

(١) الآية ٦٨ من سورة الفرقان.

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٥١ - ٥٢).

(٣) جواهر المطالب (ج ٢، ص ٣٠٧).

□ [الدليل الثاني]:

وأما النقل، فكقوله تعالى: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(٢). ومعنى النَّصُوح: الخالص لله، خالياً عن شوائب الأغراض، من مال أوجه أو خوف من سلطان أو عدم أسباب، والأمر للوجوب، فتكون التَّوْبَةُ واجبة بمقتضى الآيتين.

□ [الدليل الثالث]:

وأما العقل: فهو أنَّ من علم معنى الوجوب، ومعنى التَّوْبَةِ، فلا يشكَّ في ثبوته لها. [و] (بيان ذلك): أنَّ معنى الواجب وحقيقته هو ما يتوقَّف عليه الوصول إلى سعادة الأبد والنَّجاة من هلاك السَّرد، ولولا تعلُّق السَّعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن معنى لوجوبه، فالواجب ما هو وسيلة وذريعة إلى سعادة الابد. ولا ريب في أنَّه لا سعادة في دار البقاء إلَّا في لقاء الله والأنس به، فكلُّ من كان محجوباً عن اللِّقاء، محروماً عن مشاهدة الجلال والجمال، فهو شقي لا محالة، محترق بنار الفراق ونار جهنم. ثم لا مبعَد عن لقاء الله إلَّا اتباع الشَّهوات النَّفسية والغضب، والأنس بهذا العالم الفاني، والإكباب على حبِّ ما لا بدَّ من مفارقتها قطعاً، ويعبر عن ذلك بالذَّنوب، ولا مقرَّب من لقاء الله إلَّا قطع علاقة القلب من زخرف هذا العالم، والأقبال بالكلية على الله تعالى، طلباً للأنس به بدوام الذكر، والمحبة له بدوام الفكر في عظمته وجلاله وجماله على قدر طاقته، ولا ريب في أنَّ الانصراف عن طريق البعد الذي هو الشقاوة واجب

(١) الآية ٣١ من سورة النور.

(٢) الآية ٨ من سورة التحريم.

للوصل إلى القرب الذي هو السعادة، ولا يتم ذلك إلا بالتوبة التي هي عبارة عن العلم والتدبّر والعزم، ولا يتم الواجب إلا له، فهو واجب، والتوبة واجبة.

[و] كيف لا تكون التوبة من المعاصي واجبة، مع أنّ العلم بضرر المعاصي وكونها مهلكة من أجزاء الإيمان.

□ [ثم قال العلامة النراقي رحمته الله]:

فالعلم بضرر الذنوب، إنّما أريد ليكون باعثاً على تركها، فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان، وهو المراد بقول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١)، وما أراد نفي الإيمان بالمرة، وإنّما أراد به نفي بعض فروع الإيمان بالله لكون الزنا مبعداً عن الله وموجباً لسخطه، وليس الإيمان باباً واحداً بل هو كما ورد نيفاً وسبعون باباً أعلاها الشهادتان وأدناها إمطة الأذى عن الطريق^(٢).

فالإيمان التام الكامل لا يحصل إلا بإحراز أصل الإيمان، وهو الشهادتين (لا شك أنّ الإمامة مقرونة بالشهادتين)، وفروع ذلك التي هي أفعال الجوارح، وصفات النفس والشهادتان لها حكم روح الإيمان، وسائر الأعمال لها حكم جوارح الإيمان وأعضائه، فالذي يعترف بالشهادتين يعني وحدانية الله تعالى والنّبوة، ثم لم تكن أعماله موافقة لأعمال المؤمنين كإنسان مقطوع الأطراف مفقوء العينين، فاقد جميع أعضائه الظاهرة والباطنة، إلا أصل الروح. ومن كان هذا حاله قريب من الموت ومزايلة الروح الضعيفة الفاقدة للأعضاء التي تمدّها وتقوّيها، فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصّر في الأعمال، قريب من أن تنقلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح

(١) من لا يحضره الفقيه (ج ٤، ص ١٤).

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٤٣ - ٤٤).

العاصفة المحركة للإيمان في مقدّمة قدوم ملك الموت ووروده وحضور الشيطان، فكلّ إيمان لم يثبت في النفس أصله ولم ينتشر في الأعمال فروعه، لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء العاقبة^(١).

❑ [ما الفرق بين المطيع والعاصي؟]

ثم إنّ العاصي والمطيع وإن اشتركا في اسم الإيمان، ولكن اشتراكهما كاشتراك شجرة: البقطين والصنوبر، يطلق على كلّ منها اسم الشجرة، وإنّما يظهر الفرق إذا عصفت الرياح القويّة، فعند ذلك تنقطع أصول شجرة القرع وتتناثر أوراقها، وتبقى شجرة الصنوبر ثابتة على أصلها وفرعها.

وعند حضور الشياطين بوقت الاحتضار يُعرف الفرق بين الإيمانيّين، ومثل العاصي الذي لا يخاف الخلود في النار لأجل معصيته اتكالا على الإيمان بالتوحيد والرسالة، كمثّل الصّحيح الذي يأكل الأغذية المضرة والسّموم ولا يخاف الموت اتكالا على صحته، فكما يؤدي صحّة هذا الصّحيح بتناول السّمومات والأغذية المضرة إلى المرض، والمرض إلى الموت، فكذلك تؤدّي ذنوب العاصي إلى سوء الخاتمة وسوء الخاتمة إلى الخلود للأبدان، فكما إنّ مضرة السمومات لا تزال تجتمع في الباطن حتّى تغيّر مزاج الأخلاط، وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعةً ثم يموت دفعةً، فكذلك آثار المعاصي لا تزال تتراكم في النّفس حتّى يفسد مزاجها فيسلب عنها أصل الإيمان، فالخائف من الموت في هذه النشأة القصيرة إذا وجب عليه ترك السّموم وما يضره من المأكولات، فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن

(١) أو: الخاتمة: كما في نص جامع السعادات (ج ٣، ص ٤٥).

يجب عليه ترك الذنوب، ومن تناول السم وندم إذا وجب عليه أن يتقياً ويرجع عن تناوله بإخراجه عن المعدة، فتناول سموم الإيمان وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام له مهلة التدارك.

فالبدار البدار يا إخواني إلى التوبة، قبل أن تعمل سموم الذنوب بروحك عملاً لا ينفع بعده الاحتماء، ويخرج الأمر فيه عن أيدي أطباء القلوب، فلا ينفع حينئذ وعظ الواعظ ونصح الناصحين، وتحق عليكم كلمة العذاب، وتدخلون تحت قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾^(٢) وغير ذلك من الآيات.

■ الثبات والتمسك بالولاية:

نسأل الله الثبات على الإيمان إلى آخر ساعة من حياتنا، وأن يغيثنا بأمرير المؤمنين عليه السلام في تلك الساعة الأخيرة، إذ لا شك في حضوره عند كل محتضر، وهو القائل: يا حار همدان من يموت يرني إلى آخر^(٣).

(١) الآية ٩ من سورة يس.

(٢) الآية ٧ من سورة البقرة.

(٣) من مؤمن أو منافق قبلاً، وهي أبيات منسوبة للأمير عليه السلام يخاطب فيها الحارث الهمداني، وقيل هي أبيات نظمها السيد اسماعيل الحميري على ضوء الأخبار في أن الأمير عليه السلام يحضر عند موت الشيعة (أوائل المقالات: ص ٨٥) وفيه المحاوراة التي دارت بين الأمير عليه السلام والحارث الهمداني وجمع من الشيعة.

المجلس التاسع والثلاثون

في وجوب عموم التوبة

□ [قال العلامة النراقي رحمه الله:]

وجوب التوبة يعم الأشخاص والأحوال، فلا ينبغي أن ينفك عنه أحد في حالة، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(١) وهو يعم الكل في الكل.

ومما يدل على وجوب التوبة: أن كل فرد من أفراد الناس إذا بلغ سن التمييز والتكليف قام القتال والنزاع في مملكة بدنه، بين الشهوات جنود الشياطين، وبين العقول أحزاب الملائكة: إذ لا تكمن غريزة العقل في أحد إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة، وإذا قام القتال بينهما لا بد بحكم العقل والشرع أن يغلب جنود الله على جنود الشيطان يقمعها بكسر الشهوات، ورد النفس على سبيل التهر والغلبة على الصفات المحمودة والعبادات، ولا معنى لوجوب التوبة إلا هذا. ومما يدل على وجوبها على الدوام وفي كل حال هو أن كل عبد لا يخلو عن معصية بجوارحه، فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية بجوارحه، فلا يخلو عن رذائل النفس والهيم بالذنوب الشيطان بإيراد الخواطر المستترقة المذهلة عن ذكر الله، فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وآثاره، وكل ذلك نقص يجب الرجوع عنه، وهو معنى التوبة.

ولعدم خلق أحد من الخلق من نوع هذا التنص وأصله في حالة، وإن تفاوتوا في المقدار، يلزم وجوب التوبة على كل عبد في كل حالة، ولر خلا عن التوبة عن جميع

(١) الآية ٢١ من سورة النور.

الدُّنُوب فى لحظة واختطفه الموت، لزم خروج روحه من بلا توبة. لعدم انفكاكه قبل موته ولو بلحظة عن فرد من المعاصي المذكورة، فالتوبة واجبة على كل عبد سالك فى كل نفس من أنفاسه، وقال بعض العرفاء^(١): لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على ما فات من عمره فى غير طاعة الله، لكان حقيقاً أن يجزيه إلى الممات، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله.

ومن عرف قدر العمر وفائدته وما يكتسب به من سعادة الأبد يعلم أن ما يضيع منه فى المعصية وغير التوبة أي حسرة وندامة يترتب عليه، فإن العاقل إذا ملك جوهره نفسية، فإن ضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة، وإن ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه أشد، وكل نفس من العمر جوهره نفسية لا عوض لها لا يصلها العبد إلى سعادة الأبد وإنقاذها إياه من شقاوة السَّرد، وأي جوهره أنفس من هذا، فمن ضيعها فى الغفلة فقد خسر خسراناً مبيهاً، ومن صرفها فى المعصية فقد هلك هلاكاً أبدياً.

وقد روي أن ملك الموت إذا ظهر للعبد عند موته أعلمه أنه قد بقي من عمره ساعة لا تستأخر عنها طرفة عين، فيبدو للعبد من الحزن والحسرة والأسف ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لأعطاها بدل أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليتدارك فيها تفريطه، ولا يجد إليها سبيلاً.

وقد روي أيضاً أنه إذا كشف الغطاء للعبد، قال لملك الموت: أخرني يوماً اعتذر فيه لربي وأتوب، وأتزوّد صالحاً لنفسى، فيقول: فنيث الأيام فلا يوم، فيقول: أخرني ساعة، فيقول: فنيث الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة، فيغرغ بروحه، وترتد

(١) هو أبو سليمان الدرائي (إحياء العلوم: ج ٤، ص ١٠).

أنفاسه في شراسيف^(١) صدره، ويتجرّع غصّة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر، فإذا زهقت نفسه، وإن سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد، وذلك حسن الخاتمة، وإن سبق له القضاء بالشّقوة - والعياذ بالله - خرجت روحه على الشك والاضطراب، وذلك سوء الخاتمة^(٢).

■ التمسك بسفينة النجاة:

نسأل الله تعالى أن يغفينا بسفينة نجاة الأمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، إذ أنه يحضر هو وجدّه وأبوه وأمه وأخوه والتسعة المعصومين من بنيه (ع) عند كلّ مؤمن عند الموت، كما صرح به الكليني، عن الصادق عليه السلام، وفي نقل: إنّ الميت ينظر الحسين عليه السلام وهو فيمالي رجله، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنت غريب البلا وأنا غريب كربلاء.

المجلس الأربعون

في عموم التوبة عن المحرمات وترك الواجبات على الكل

■ [قال العلامة النراقي رحمه الله:]

التوبة عن بعض المعاصي - المذكورة في المجلس السابق - أعني المحرمات وترك الواجبات واجبة بفتوى الشرع، بمعنى أنّ التارك لهذه التوبة والمرتكب لهذه المعاصي يكون معذباً بالتأثر، وهذا الوجوب يشترك فيه كافة الخلق، وتكليف الجميع به لا يوجب فساداً في النظام الكلي. أما التوبة عن بعض آخر منها كالخواطر والهمم

(١) مقاطع الأضلاع وهي الأطراف التي تشرف على البطن.

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٤٦ - ٤٨).

الطَّارِية على القلب، والقصور عن معرفة كنه جلال الله وعظمته وأمثال ذلك، فليس واجباً بهذا المعنى، لمنافاته انتظام العالم، إذ لو كُلف الخلق كلهم أن يتَّقوا الله حقَّ تقاته، لتركوا المعاش، ورفضوا الدين بالكليّة، وذلك يُؤدي إلى بطلان التقوى رأساً، لأنه إن فسدت المعاش لم يتفرَّغ أحد للتَّقوى.

فالتَّوبة من كلّ ما هو مرجوح ليست واجبة بهذا الاعتبار، بل هي واجبة بمعنى آخر، وهو ما لا بدّ منه للوصول به إلى غاية القرب إلى الله، وإلى المقام المحمود والدَّرجات العالية، فمن رضي بأصل النجاة وقنع به لم تكن هذه التَّوبة واجبة عليه، ومن طلب الوصول إلى ما ذكر وجبت عليه هذه التَّوبة وجوباً شرطياً، بمعنى توقف مطلوبه عليه، كما جرت عليه طوائف الأنبياء والأولياء وأكابر العرفاء والعلماء، ولأجله رفضوا لذات الدُّنيا بالكليّة، وعلى هذا فما ورد من استغفار الأنبياء والأوصياء وتوبتهم إنّما هو من ترك دوام الذكر وغفلتهم عن مقام الشهود والاستغراق لأجل اشتغالهم بالمباحات، لا عن ذنوب كذنوبنا، لتعاليمهم وتقديسهم عن ذلك، قال الصادق عليه السلام: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ. إِنَّ اللَّهَ يَخْضُ أَوْلِيَانَهُ بِالمصائب، وليأجرهم عليها من غير ذَنْبٍ كذنوبنا، فَإِنَّ ذَنْبَ كُلِّ أَحَدٍ إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ قَدَرِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ».

■ [لا بد من العمل بعد التوبة]:

ثم لا يكفي في تدارك الشَّهوات والتَّوبة عن الذنوب مجرّد تركها في المستقبل، بل لا بدّ من محو آثارها التي انطبعت في جوهر النَّفس بنور الطَّاعات، إذ كلّ شهوة ومعصية صدرت من الإنسان ارتفعت منها ظلمة إلى قلبه، كما ترتفع من نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرأة الصَّقيلة، فإن تراكمت ظلمة الشَّهوات والمعاصي صارت ريناً،

كما يصير بخار النَّفْس في وجه المرأة عند تراكمه خَبَثًا، كما قال الله ﴿كَذَّبَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، فإذا تراكم الرين صار طبعاً فيطبع على قلبه، كما إنَّ الخَبَث في وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده، وصار بحيث لا يقبل التصفيل بعده، فالتائب من الذَّنُوب لا بدَّ له من محو تلك الآثار التي انطبعت منها في نفسه، ولا يكفي مجرد تركها في المستقبل، كما لا يكفي تصفيل المرأة وظهور الصُّور فيها قطع الأنفاس والبخارات المسوِّدة لوجهها في المستقبل، ما لم يشتغل بمحو ما انطبعت فيها من الآثار، وكما ترتفع إلى النَّفس ظلمة من المعاصي والشَّهوات فتظلمها، فكذلك يرتفع نور من الطَّاعات وترك الشَّهوات وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»^(٢) فإذا لا يستغني العبد في حال من أحواله من محو آثار السيِّئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيِّئات، بمعنى أنَّ الحسنَةَ التي ترتكب لمحو السيِّئة مناسبة لتلك السيِّئة، لقوله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ كُنْتَ»^(٣)؛ ولأنَّ المرض يعالج بضدِّه فكُلَّ ظلمة ارتفعت إلى القلب، فلا يمحوها إلَّا نور يرتفع إليه من حسنة تضادها، إذ الضدُّ إنَّما يرتفع بالضدِّ، فيكفِّر سماع الملاهي بسماع القرآن وبحضور مجالس الذكر، وهلمَّ جَرَى. وليس إيقاع المناسبة شرطاً في المحو، فقد روي: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إني عالجت امرأة فأصبت منها كلَّ شيء إلَّا المسيس^(٤)، فاقض عليَّ بحكم الله. فقال ﷺ: «أما صليت معنا».

(١) الآية ١٤ من سورة المطففين.

(٢) بحار الأنوار (ج ٦٨، ص ٣٩٣).

(٣) مستدرک الوسائل (ج ٣، ص ٤٦٢).

(٤) الوطء.

قال: بلى. فقال ﷺ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (١).

وينبغي أن تكون التوبة عن قرب عهد بالخطيئة، بأن يتندّم عليها ويمحو آثارها قبل أن يتراكم الزين على القلب فلا يقبل المحو، جاء عن النبي ﷺ: «إِذَا أَذْنِبَ الْعَبْدُ كَانَ نَقْطَةُ سُودَاءٍ عَلَى قَلْبِهِ، فَإِنْ هُوَ تَابَ وَأَقْلَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَفَا قَلْبُهُ مِنْهَا، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَتُبْ وَلَمْ يَسْتَغْفِرْ كَانَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، وَالسُّودَاءُ عَلَى السُّودَاءِ، حَتَّى يَعْمَرَ الْقَلْبُ، فَيَمُوتَ بِكَثْرَةِ غَطَا الذُّنُوبِ عَلَيْهِ» (٢).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ (٣) أي عن قرب عهد بعمل السوء. وقال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ آلَانَ﴾ (٤). وقال الصادق عليه السلام: «ذلك إذا عاين أمر الآخرة» (٥). (٦).

■ [قصة فيها عبرة]:

ولا ينبغي اليأس من رحمة الله مهما كانت الذنوب عظيمة، فإنّ تعالى غفور رحيم، ومن سعة رحمة الله تعالى ما جاء نقلاً عن كشكوك البهائي (قدس سرّه): إنّ رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في حوالي البصرة، فلم تجد امرأته من يعينها على

(١) الآية ١١٤ من سورة هود.

(٢) مستدرک الوسائل (ج ١١، ص ٣٣٣).

(٣) الآية ١٧ من سورة النساء.

(٤) الآية ١٨ من سورة النساء.

(٥) من لا يحضره الفقيه (ج ١، ص ١٣٣).

(٦) جامع السعادات (ج ٣، ص ٤٨ - ٥١).

حمل جنازته لتنفّر الطباع منه، فاستأجرت من حملها إلى المصلّى فما صلّى عليها أحد، فحملوها إلى الصحراء للدفن، وكان على جبل قريب من الموضع زاهد مشهور فأرّاه كالمنتظر للجنازة فقصّد ليصلّي على الجنازة، ووقف ونادى: أيها الناس الصلاة، فانتشر الخبر في البلد فلان الزاهد نزل يصلّي على فلان، فخرج أهل البلد فصلّوا معه على الجنازة، وتعجّب الناس من صلاة الزّاهد، فقيل له في ذلك؟ فقال: رأيت في المنام أن انزل إلى منزل الفلاني ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة، فصلّ عليه فإنّه مغفور له، فتعجّب الناس من ذلك، فاستدعى الزاهد امرأة الميّت وسألها عن حاله، فقالت: كان طول نهاره مشغولاً بشرب الخمر، فقال لها: هل تعرفين له شيئاً من أعمال الخير؟ قالت: نعم ثلاثة، (الأول) أنّه إذا أفاق من سكره في أثناء الليل يبكي ويقول: يا ربّ أيّ زاوية من زوايا جهنّم تريد أن تملأها بهذا الخبيث، (الثاني): إذا أصبح كلّ يوم ويفيق من سكره فيبذل ثيابه ويغتسل ويتوضأ ويصلّي الصّبح، (الثالث): إنه كان لا يخلو بيته من يتيم أو يتيّمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده. فبهذه الثلاثة غفر الله له، وأمر العابد أن يصلّي عليه، فوقف العابد ونادى: الصّلاة. وانتشر الخبر فحضر الناس وصلّوا عليه ودفنوه^(١).

■ [وفي كربلاء]:

يا للمسلمين أما حصل أحد لغريب كربلا ينادي الصلاة، مات الغريب، وهو إذ ذاك سيد الخلق وأشرفهم.

نعم صلّوا على الحسين لكن غير هذه الصلاة المعهودة كما قال السيد رضا

(١) ونقلها عن الكشكول في شجرة طوبى (ج ٢، ص ٤٤٧).

الهندي [رحمه الله]:

صلت على جسم الحسين سيوفهم فغدى لساجدة الظبا محراباً
فمضى لهيفاً لم يجد غير القنا ظللاً ولا غير النجيع ثياباً^(١)
يا جئة ما شئت يوماً ولا صلتى صلاة الميتين إمامها

المجلس الحادي والأربعون

في قبول التوبة

التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة بالاجماع، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾^(٢). وقوله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾^(٤). وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ لِمَسِيءِ اللَّيْلِ إِلَى النَّهَارِ وَلِمَسِيءِ النَّهَارِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٥). وقوله ﷺ: «لَوْ عَمَلْتُمُ الْخَطَايَا حَتَّى تَبْلُغَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ نَلَمْتُمْ لثَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(٦). وقوله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَنْتَبِئُ الذَّنْبَ فَيَدْخُلُ فِي الْجَنَّةِ». قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟! قال ﷺ: «يَكُونُ نَصَبُ

(١) ديوان السيد رضا الهندي (ص ٤٢).

(٢) الآية ٢٥ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٣ من سورة المؤمن.

(٤) الآية ١٠٩ من سورة النساء.

(٥) وبسط اليد كناية عن طلب التوب وطالب التوبة يقبله البتة. [من المصنف عن جامع السعادات: ج ٣،

ص ٥٢].

(٦) وقريب منه في العهود المحمدية (ص ٥٢٠).

عينه تاباً منه، فازاً حتى يدخل الجنة»^(١). وقوله ﷺ: «كفارة الذنب الندامة»^(٢). وقوله ﷺ: «من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته»، ثم قال: «إن السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته»، ثم قال: «إن الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته»، ثم قال: «إن الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته»، ثم قال: «إن يوماً لكثير من تاب قبل أن يعاين ملك الموت قبل الله توبته»^(٣). وقال مولانا الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم: «ذنوب المؤمن إذا تاب مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله ليست إلا لأهل الإيمان» فقال له: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب، وعاد في التوبة؟ قال عليه السلام: «يا محمد بن مسلم، أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر؟ منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته؟! قال: فإنه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر. فقال عليه السلام: كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة، وإن الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، فإياك أن تقنط المؤمن من رحمة الله»^(٤). وقوله عليه السلام: «إذا بلغت الزوح النفس هذه - وأهوى بيده إلى حلقه لم تكن للعالم توبة، وكانت للجاهل توبة»^(٥).

وقوله عليه السلام: «إن آدم عليه السلام قال: يا رب سلطت عليّ الشيطان وأجرته مني مجرى الدم، فاجعل لي شيئاً. فقال: يا آدم، جعلت لك أن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب

(١) الكافي (ج ٢، ص ٤٢٦).

(٢) ميزان الحكمة (ج ٣، ص ٢٧١٧).

(٣) ثواب الأعمال (ص ٢١٤).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٤٣٤).

(٥) كتاب الزهد (ص ٧١).

عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة، ومن همّ منهم بحسنة فإن لم يعلمها كتبت له حسنة، فإن هو عملها كتبت له عشرة؛ قال: يا رب، زدني. قال: جعلت لك أن من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له. قال: يا رب، زدني. قال: جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه. قال: يا رب، حسبي^(١). وقال مولانا الصادق عليه السلام: «العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجله الله سبع ساعات، فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيئة، وإن المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له، وإن الكافر لينسى من ساعته»^(٢).

وروي في الإسرائيليات^(٣): إن شاباً عبد الله عشرين سنة، ثم عصاه عشرين سنة، ثم نظر في المرأة، فرأى الشيب في لحيته فساء ذلك، فقال: إلهي أطعك عشرين سنة، ثم عصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك أتقبلني؟ فسمع قائلاً يقول: أحببتنا فأجبتناك، فتركنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلتناك، فإن رجعت إلينا قبلناك^(٤) (٥).

■ [قصة فيها عبرة]:

وروي نقلاً عن جامع الأخبار: إن رجلاً فاسقاً كان في بني إسرائيل وعجزت أهل بلده من فسقه وفجوره، فضرعوا إلى الله تعالى، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن أخرج الشاب الفاسق عن بلدكم لئلا تقع النار عليهم بسببه، فجاء موسى عليه السلام فأخرجهم.

(١) الكافي (ج ١، ص ٣١٩).

(٢) قرب الاسناد (ص ٢).

(٣) عن إبراهيم بن شيخان، والاسرائيليات هي ما دخل في أحاديث المسلمين من أخبار اليهود.

(٤) تاريخ بغداد (ج ٧، ص ٢٨٤).

(٥) جامع السعادات (ج ٣، ص ٥١ - ٥٤).

موسى من البلدة إلى القرى، فأوحى الله إلى موسى أن يخرجها منها، فأخرجه موسى، فخرج الشاب إلى مغارة ليس فيها خلق ولا طير ولا زرع ولا وحش، فمرض الشاب في تلك المغارة وليس عنده معين يعينه، فوقع على التراب ووضع وجهه عليه، وقال: يا رب لو كانت والدتي عند رأسي لرحمتني، وبكت على ذلّي وغرتي، ولو كان والدي حاضراً لغسلني وكفّنني وواراني، ولو كانت زوجتي وأولادي عندي لبكوا، وقالوا: اللهم ارحم والدنا الغريب الضعيف العاصي المطرود من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى مغارة. ثم خرج من الدنيا آيساً من كلّ الأشياء: اللهم يا ربّ إذا قطعت بي وفرقت بيني وبين والدي ووالدتي وزوجتي وأولادي فلا تقطعني من رحمتك، وكما أحرقت قلبي بفراقهم فلا تحرقني بنارك لأجل معصيتي، يا ربّ، فأرسل الله إليه حوراء على صفة أمّه، وحوراء على صفة زوجته، وغلماناً على صفة أولاده، وملكاً على صفة أبيه، فبكوا عليه وجلسوا عنده، فقال الشاب: هذا والدي ووالدتي حضروا عندي. فطاب قلبه وصار إلى ربّه، فأوحى الله إلى موسى ﷺ: يا موسى إنه قد مات وليّ من أوليائي في موضع كذا... فاذهب إليه فغسله وكفّنّه، وصلّ عليه وادفنه، فسار موسى ﷺ إلى ذلك الموضع، فرأى ذلك الشاب الذي أخرجه من المدينة ومن القرية بعينه فعرفه، ثم رأى الحور العين يبكين عليه، فقال: يا ربّ أليس هو ذلك الشاب الذي أمرتني بإخراجه من المدينة والقرية؟ فقال الله تعالى: يا موسى، هو ذلك الشاب إتّي رحمته وتجاوزت عنه بأنيته في مرضه، وبفرقة عن وطنه، وعن ولده ووالدته ووالده وزوجته واعترافه بذنبه وطلبه العفو منّي والمغفرة، وأرسلت إليه حوراء على صفة أمّه، وحوراء على صفة زوجته، وغلماناً على صفة أولاده، وملكاً على صفة والده، وعفوت عنه، وغفرت له لغرته وذله، واعلم أنّه يا موسى إذا مات الغريب بكّت عليه ملائكة السماء وأهل

الأرض رحمةً له ولغيرته، فكيف لا وهو غريب لا أرحمه، وأنا ارحم الرَّاحِمِينَ^(١).
فإذا كانت هذه الحال بالعاصي الميت في الغربة فكيف ولو كان ولياً من
أولياء الله.

المجلس الثاني والأربعون

في طرق التَّوْبَةِ

اعلم أنَّ الذنوب التي يجب عنها التَّوْبَةُ أقسام كما يلي، وهي تنقسم إلى أقسام
ثلاثة:

- (أحدها) ترك الطَّاعات الواجبة، من الصلاة، والصَّوم، والزكاة، والخمس،
والحج، والكفَّارة، وغيرها، وطريق التَّوْبَةِ عنها: أن يجتهد في قضائها بقدر الامكان.
- (ثانيها) المحرَّمات التي بين العبد وبين الله، أعني المنهيات التي هي حقوق
الله: كشرب الخمر، وضرب المزامير، والكذب، والزَّنا بغير ذات بعل، وطريق التَّوْبَةِ
عنها: أن يندم عليها، ويوطِّن قلبه على ترك العود إلى مثلها أبداً.
- (وثالثها) الذنوب التي بينه وبين العباد، وهي المعبَّر عنها بحقوق الناس،
والأمر فيها أصعب وأشكل، وهي إمَّا في المال، أو في النَّفس، أو في العرض، أو في
الحرمة، أو في الدِّين.

فما كان في (المال) يجب عليه أن يرَّده إلى صاحبه إن أمكنه، فإن عجز عن ذلك
لعدم أو فقرٍ وجب أن يستحل منه، وإن لم يحلَّه، أو عجز عن الايصال لغيبه الرجل غيبة
منقطعة أو موته وعدم وارث له، فليصدِّق عنه إن أمكنه، وإلَّا عليه بالتَّضَرُّع والابتهاال

(١) وعنه في شجرة طوبى (ج ٢، ص ٤٤٧).

إلى الله أن يرضيه عنه يوم القيامة، وعليه بتكثير حسناته، وتكثير الاستغفار له، ليكون يوم القيامة عوضاً عن حقّه، إذ كل من له حقّ على أحد غيره لا بدّ أن يأخذ يوم القيامة عوضاً عن حقّه، إمّا بعض طاعاته أو بتحمل هذا الغير بعض سيئاته.

وما كان في (النفس) فإن كانت جناية جرت عليه خطأ وجب أن يعطي الدية، وإن كان عمداً وجب عليه أن يمكن المجني عليه، أو أولياءه مع هلاكه من القصاص حتّى يقتصّ منه، أو يجعل في حلّ، وإن عجز عن ذلك فعليه بكثرة اعتاق الرقاب، لأنّ ذلك نوع إحياء وإيجاد لا يقدر الانسان على أكثر منه، فيقابل به الإعدام والإماتة، وعليه الرجوع إلى الله بالتضرع والابتهاال أن يرضيه عنه يوم القيامة.

وما كان (في العرض) بأن شتمه أو قذفه، أو بهته، أو اغتابه، فحقّه أن يكذب نفسه عند من قال ذلك لديه، ويستحلّ من صاحبه على الإمكان، إن لم يخف تهديده وزيادة غيظه وهيجان فنتته من إظهاره، فإن خاف ذلك فليكثر الاستغفار له، ويبتهل إلى الله ليرضيه عنه يوم القيامة.

وما كان في (الحرمة) بأن خان مسلماً في أهله وولده أو نحوهما، فلا وجه للاستحلال إذ إظهار ذلك يورث الغيظ والفتنة، لأنّ من له شوب الرجوليّة لا يمكن أن يحلّ من خان في حرمة ووطئ زوجته، فكيف لو أحلّه ورضي بذلك كان فيه عرق من الديانة، فالأزّم لمثله أن يكثّر التضرع والابتهاال إلى الله المتعال، ويواظب على الطاعات والخيرات لمن خانه في مقابلة خيانتة، وإن كان حيّاً فليقرّحه بالاحسان والإنعام وبذل الأموال، ويكرمه بالخدمة وقضاء حوائجه، ويسعى في مهمّاته وأغراضه، ويتلطّف به ويظهر من حبّه والشّفقة عليه ما يستميل به قلبه، فإذا طاب قلبه بكثرة تودّده وتلطّفه فربّما سمحت نفسه في القيامة بالحلال، فإن أبى عن احلاله فلا بدّ أن يقتصّ الله من الظالم للمظلوم يوم القيامة بالحكم العدل القهري، بأخذ العوض سواء

رضي الظالم أم لا، وسواء امتنع صاحب الحق عن القبول والابراء أم لا، كما أنه يحكم في الدنيا على من أتلف مال غيره باعطاء المثل، ويقهر على ذلك، ويحكم على الغير بقبوله، ويجبر عليه، إن امتنع عن الابراء والقبول، فكذلك يحكم أحكم الحاكمين وأعدل العادلين في محكمة القيامة فيقتص من كل ظالم مؤذٍ بأخذ حسناته ووضعها في ميزان أرباب المظالم (أي المظلومين)، فإن لم تف بها حسناته حمل من سيئات أهل المظالم، فيهلك المسكين بسيئات غيره، وبذلك يُعلم أنه لا خلاص لأحد في القيامة إلا برجحان ميزان الحسنات على ميزان السيئات، ومع الرجحان ولو بقدر مثقال تحصل النجاة، فيجب على كل معتقد بيوم الحساب أن يسعى في تكثير الحسنات وتقليل السيئات، حتى لا ترجح سيئاته على حسناته يوم القيامة فيكون من الهالكين، وعلى كل حال لا يغفل عن التضرع والابتهاال في الليل والنهار إلى الله سبحانه، لعله بعميم فضله لا يفضحه يوم تبلى السرائر، ويرضي خصمه بخفي لطفه.

وما كان في (الدين) بأن نسب مسلماً إلى الكفر أو الضلالة، أو البدعة، فليكذب نفسه بين يدي من قال ذلك عنده، ويستحل من صاحبه مع الامكان، وبدونه فليستغفر له ويكثر الابتهاال إلى الله ليرضيه عنه يوم القيمة.

ومجمل ما يلزم من التوبة عن حقوق الناس ارضاء الخصوم مع الامكان، وبدونه التصديق وتكثير الحسنات والاستغفار، والرجوع إلى الله بالتضرع والابتهاال، ليرضيه عن يوم القيامة، ويكون ذلك بمشيئة الله، فلعله إذا علم الصديق من قلب عبده، ووجد ذكّه وانكساره، ترحم عليه وأرضى خصماءه من خزانة فضله، فلا ينبغي لأحد أن ييأس من روح الله (١).

□ [شفاعة الزهراء عليها السلام]:

ولا شك أن هذا خاص بالموالين لأهل البيت عليهم السلام، وأمّا المعادين فطمعهم مقطوع من النجاة يوم القيامة، فليس لهم إلا النار، سيّما ظالمي أهل البيت عليهم السلام وقتلهم، فما ظنك بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام إذا وقفت في عرصة المحشر، وأبدت الشكاية ومعها سنان أبيها رسول الله ﷺ، وعمامة ابن عمها أمير المؤمنين عليه السلام ملطخة بالدم، وقميص الحسن عليه السلام ملطّخ بالسم، وقميص الحسين عليه السلام مضرج بالدم، فتضرب يدها بقائمة العرش وتبدي الشكاية.

فالله يغضب للبتولة دون أن تشكو فكيف لو أتنه شاكيه

المجلس الثالث والأربعون

في الصغائر

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ^(١) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ ^(٢).

إعلم أنّ صاحب الشرع قسّم الذنوب إلى كبيرة وصغيرة، وحكم بأنّ اجتناب الكبائر يكفّر الصّغائر، كما تقدم في الآيتين، وقال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفّر ما بينهما إن اجتنب الكبائر» ^(٣)، والصلوات الخمس لا تكفّر الكبائر بل تكفّر الصّغائر، واجتناب الكبيرة إنّما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع

(١) الآية ٣١ من سورة النساء.

(٢) الآية ٣٢ من سورة النجم.

(٣) ذكرى الشيعة (ج ١، ص ١٥٨).

القدرة والإرادة، فإن كان امتناعه لعجز، أو خوف أو نحو ذلك، لا يصلح للتكفير، وكذلك من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو أبيح له لما شربه، فاجتنابه لا يكفر الصغائر. وقد اختلف العلماء في تعيين الكبائر اختلافاً لا يكاد يرجي زواله، واختلفت الروايات أيضاً فيها، والأظهر بالنظر إلى الروايات وإلى الجمع بينها كون الكبيرة عبادة عمّا توعّد بالنار على فعله، أو ما ورد بنصّ الكتاب التّهي عنه، ونعني بوصفه بالكبيرة أنّ العقوبة بالنار عظيمة، أو أنّ تخصيصه بالذّكر في القرآن يدل على عظمه.

■ [الكبائر]:

ومن جملة الكبائر: الشرك بالله، وقتل المسلم عمداً، وقذف المحصنة بالزنا، والبيع بانقاص الأوزان، وعقوق الوالدين، والزنا، والظلم، والحكم بغير الحق، وأكل مال اليتيم بالظلم، وأكل الرّبا، وترك الصّلاة، وفي بعض الأحاديث عدّوا السّحر من الكبائر، والحلف بالباطل، وحبس الزكاة، وكتمان الشهادة، وشرب الخمر، والسرقه، والقمار، واللّواط، وشهادة الزور، وأمانة الظّالمين على الظّلم، والكذب، وسماع الغنا، والتكبير، والحيلة، وحبس حقوق الناس بدون عذر شرعي. وفي بعض الروايات إنّ الكبائر سبع مائة.

■ [الدنوب الصغيرة]:

واعلم أنّ الصغائر قد تكون كبائر بأسباب: (أحدها) الإصرار والمواظبة، ولذلك قال الصادق عليه السلام: «لا صغيرة مع الإصرار،

ولا كبيرة مع الاستغفار»^(١). والسّر فيه: أنّ الصغيرة لقلة تأثيرها لا تؤثر في القلب بإظلامه مرة أو مرتين، ولكن إذا تكررت وتراكمت أثارها الضعيفة صارت قوة وأثّرت على التدريج في القلب، وذلك كما أنّ قطرات من الماء تنقع على الحجر على توالي فتؤثر فيه، وذلك القدر من الماء لو صبّ عليه دفعة لم يؤثر فيه، فلذلك قال رسول الله ﷺ: «**خير الأعمال أدامها وإن قل**»^(٢)، وإذا كان النافع هو الطاعة الدائمة وإن قلت، فكذلك الضّار هو السيئة الدائمة وإن قلت. ثم الإصرار موكول إلى العرف قال مولانا الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) الإصرار من يذنب الذنب ولا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الإصرار^(٤).

و(ثانيها): استصغار الذنب، فإنّ العبد كلّما استعظمه من نفسه صغر عند الله، وكلّما استصغره كبر عند الله، لأنّ استعظام الذنب يصدر عن نفور القلب عنه وكرهته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثر القلب به، واستصغاره يصدر عن الألف به، وذلك يوجب شدة الأثر في القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات، ولذلك لا يؤخذ بما يجري عليه في الغفلة، لعدم تأثره به، ولذلك ورد في الخبر: «**إن المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب حلّ على أنفه فأطاره**»^(٥). وقال رسول الله ﷺ: «**اتقوا محقرات الذنوب**

(١) الكافي (ج ٢، ص ٢٨٨).

(٢) عمدة الفاري (ج ١٠، ص ٢٦٠).

(٣) الآية ١٣٥ من سورة آل عمران.

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٢٨٨).

(٥) هامش مسند أبي يعقوب (ج ٢، ص ٤٧٥).

فإنها لا تغفر» (١)

وروي أنه عليه السلام نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: «اتنوني بالحطب» فقالوا: يا رسول الله، نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب!! قال عليه السلام: «فليأت كل إنسان بما يقدر عليه». فجاءوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال عليه السلام: «هكذا تجتمع الذنوب؛ إياكم والمحقرات من الذنوب فإن لكل شيء طالباً ألا وإن طالباها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبین» (٢) وجاء في تفسير: «وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ» (٣) إن: ما قدموا من صالح أو طالح، و«آثارهم» هو ما تركوه هم من علموه الناس وتركوه بينهم، ويدخل فيها الخيرات الباقية بعدهم، كالأوقاف، والمساجد، وما شاكل من الآثار، فكلما انتفع بها أحد كتب له الحسنات، ما بقي لذلك أثر، وإن كانت الآثار سيئة كتب لصاحبها السيئات (٤).

■ [عبرة من التاريخ]:

فإن شئت فانظر إلى آثار معاوية، وهل تراه أبقي أثراً إلا الخزي، وانظر إلى آثار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وانظر إلى آثار يزيد بن معاوية، وهل ترك إلا اللعنة إلى يوم القيمة، وانظر إلى آثار الحسين بن علي عليه السلام أصبح قبره كعبة الزوار من جميع الأمصار، والمحافل تلهج بذكره، وآثاره الجميلة الخالدة إلى يوم الدين، والتفجع لمصابه والبكاء عليه ليلاً ونهاراً وعشيّة وأبكاراً فلم توجد بلدة إلا وفيها

(١) الكافي (ج ٢، ص ٢٨٧) وميزان الحكمة (ج ٢، ص ٩٩٢).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٢٨٨).

(٣) الآية ١٢ من سورة يس.

(٤) جامع السعادات (ج ٣، ص ٥٧ - ٦٠).

المآتم والمنابر والخطباء تلهج بشهامته ومصيبته، إلى أن تقوم الساعة.

□ [شعر]:

تبكيك عيني لا لأجل ماثوبة لكُنْما عيني لأجلك باكية
تبتل منكم كربلا بدم ولا تبتل مني بالدماء الجارية
أنست رزيتكم رزاينا التي سلفت وهوت الرزايا الآتية^(١)

* * *

□ [وقيل شعراً]:

أي المحجر لا تبكي عليك دما أبكيت والله حتى محجر الحجر^(٢)

المجلس الرابع والأربعون

في الصغائر كيف تكون كبائر

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(٣) ، وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تصغر ما ينفع يوم القيمة ولا تصغر ما يضّر يوم القيمة، فكونوا فيما

(١) مقطع من وصيته للشيخ عبدالحسين الأعسم (١٢٤٧) للهجرة) ذكرها في أدب الطف (ج ٦، ص ٢٨٩).

(٢) من شعر للشيخ كاظم الأزرعي عليه السلام. (ديوان الأزرعي الكبير: ص ٣٠١).

(٣) الآية ١٦ من سورة لقمان.

أخبركم الله تعالى كمن عاين»^(١) وكما قال ﷺ في وصفه للمتقين: «فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون»^(٢).

وقال مولانا الصادق ﷺ: «إن الله يحب العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم (يعني يسأله العفو)، ويبغض العبد أن يستخف بالجرم اليسير»^(٣).

وقال مولانا الكاظم ﷺ: «لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلوا قليل الذنوب، فإن قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيراً، وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف»^(٤).

والسر في عظم الذنب في قلب المؤمن: كونه عالماً بجلال الله وكبريائه، فإذا نظر في عظم من عصاه رأى الصغير كبيراً، وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه «لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها». ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين: إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، وكنا نعدّها في عهد رسول الله ﷺ من الموبقات. إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتمّ فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله كبائر.

(الثالث): من الأسباب التي تصير الصغائر كبائر أن يأتي بالصغائر ولا يبالي بفعلها اغتراراً بستر الله عليه، وحلمه عنه، وإمهاله إياه، ولا يعلم أنّه إنّما يُمهّل مقتاً ليزداد بالإمهال إثماً، فزهق أنفسهم وهم كافرون، فمن ظنّ أنّ تمكّنه من المعاصي عناية من الله به، فهو جاهل بمكامن الغرور، وآمن من مكر الله الذي لا يأمن منه إلا الكافرون.

(١) القواعد الفقهية للجنوري (ج ٧، ص ٣٦٥).

(٢) نهج البلاغة (ج ٢، ص ١٦١).

(٣) المحاسن (ج ١، ص ٢٩٣).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٤٥٧).

(ورابعها): السرور بالصغيرة، واعتداد التمكن من ذلك نعمة، والغفلة عن كونها نعمة وسبب الشقاوة، فمن مزق عرض مسلم وفضحه وخجله، أو غبنه في ماله في المعادلة، ثم فرح به، ويقول: أما تراني كيف مرّقت عرضه؟ وكيف فضحته؟ وكيف روّجت عليه الرّيف؟ كانت معصيته أشدّ ممّا إذا لم يفرح بذلك ويتأسّف عليه، إذ الذنوب مهلكات، وإذا ابتلي بها العبد فينبغي أن يتأسّف من حيث أنّ العدو أعني الشيطان ظفر به وغلب عليه، لا أن يفرح بغلبة العدو عليه، فالمريض الذي يفرح بانكسار إنائه الذي يشرب فيه دواء لتخلصه من ألم شربه، لا يرجى شفاؤه.

(وخامسها) أن يذنب، ويظهر ذنبه بأن يذكره بعد إتيانه، أو يأتي به في مشهد غيره، فإنّ ذلك خيانة منه على الله الذي أسدله عليه، وتحريك الرغبة والشرّ فيمن أسمعته ذنبه أو أشهده فعله، فهما خيانتان انضمتا إلى خيانتة فتغلّظت به، فإن انضاف إلى ذلك التّغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت خيانة رابعة، وتفاحش الأمر، وهذا لأنّ من صفات الله أنّه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستّر، فالإظهار كفرانٌ لهذه النعمة، قال رسول الله ﷺ: «المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر مغفور له»^(١).

(وسادسها) أن يكون الآتي بالصغيرة عالماً يقتدي به الناس، فإذا فعله بحضرة الناس، أو بحيث اطلّعوا عليه كبر ذنبه، وذلك كلبسه الذهب والإبريسم وأخذه مال الشبهة، وإطلاقه اللسان في أعراض الناس، ونحو ذلك. فهذه ذنوب يُقتدى العالم فيها ويُتبع عليها، فيموت ويبقى شرّه مستطيراً في العالم، فطوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه، وفي الخبر: «من سنّ سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها، لا ينقص من

أوزارهم شيء»^(١). قال الله تعالى: ﴿وَنُكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾^(٢)، والآثار ما يلحق الأعمال بعد انقضاء العمل، فعلى العالم وظيفتان: (إحداهما) ترك الذنب، (والاخرى) اخفاؤه، وكما تتضاعف أوزار العالم على السيئات إذا اتبع فيها، فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات إذا اتبع فيها^(٣).

■ [عبرة من التاريخ]:

أما ترى إن السلف الماضين أسسوا أساس الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام وتبعهم من أتى بعدهم إلى أن تقوم الساعة، ما قيل:

برقي منبره رقي في كربلا	صدر وضرع بالدماء جبين
لولا سقوط جنين فاطمة لما	أودي لها في كربلاء جنين
وبكسر ذاك الضلع رخت أضلع	في طيها سر الآله مصون
وكذا علي توره بنجاره	فلّه علي بالوثاق قرين
وكما لفاطم رثة من خلفه	لبناتها خلف العليل رنين
وبضربها بسايط قنفد وشحت	بألطف من زجر لهنّ متون
وبقطعهم تلك الأراكة دونها	قطعت يد في كربلا ويمين

(١) بحار الأنوار (ج ٧١، ص ٢٠٤).

(٢) الآية ١٢ من سورة يس.

(٣) جامع السعادات (ج ٣، ص ٦٠ - ٦٢).

المجلس الخامس والأربعون

في تبعض التوبة

إعلم أنَّ التوبة من بعض الذنوب ممكن ويصح، بشرط أن تكون الذنوب التي يتوب عنها مخالفة بالنوع للذنوب التي لا يتوب عنها، كأن يتوب عن الكبائر دون الصغائر، أو عن القتل والظلم ومظالم العباد دون بعض حقوق الله، أو عن شرب الخمر دون الزنا أو بالعكس، أو عن شرب الخمر دون أكل أموال الناس بالباطل خيانةً وتلبساً أو غضباً أو قهراً، أو عن بعض الصغائر دون بعض الكبائر، كالذي يتوب عن الغيبة مع إصراره على شرب الخمر.

والدليل على إمكان ذلك وصحته: أنَّ العبد إذا علم أن الكبائر أعظم إثمًا عند الله وأجلب لسخط الله ومقته، والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها، فلا يبعد أن يتوب من الأعظم دون الأصغر، وكذا إذا تصوّر أنَّ بعض الكبائر أشدَّ وأغلظ عند الله من بعض فلا يبعد أن يتوب عن الأغلظ دون الأخف، وقد تكون ضراوته في نوع من المعصية شديدة فلا يقدر على الصبر عنها وتكون ضراوته بنوع آخر منها أقل، فيمكنه تركه بسهولة فيتوب عنه دون الأول، وإن كان الأول أغلظ وأشدَّ إثمًا كالذي شهوته بالخمر أشدَّ من شهوته بالغيبة فيترك الغيبة ويتوب عنها دون الخمر، فالتوبة عن بعض المعاصي دون بعض مع اختلافهما نوعاً بأي نحو كان ممكن وصحيح، ومعها يندفع عنه إثم ما تاب عنه، ويكتب عليه إثم ما لم يتب عنه، بل ربما كان أكثر ما وقع من التوبة به من هذا القبيل، إذ أكثر التائبون في الأعصار الخالية والقرون الماضية ولم يكن أحد منهم معصوماً فيكون كل منهم جازماً بأنه يصدر عنه معصية البتة.

ويذكر على الصّحة، قوله (عليه السلام): «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(١)

حيث لم يقل التائب من الذنوب، نعم التوبة عن بعض الذنوب مع تماثلها غير صحيح وغير معقول، لاستوائهما في حق الشهوة وحقّ التعرض لسخط الله، فلا معنى للتوبة عن أخذ الخبز الحرام دون اللحم الحرام، أو عن أخذ الدرهم الحرام دون الدينار الحرام، أو عن ترك صلاة الظهر دون العصر.

ومن العلماء من قال: التوبة عن البعض دون البعض لا تصح مطلقاً، واستدل على ذلك بأن التوبة عبارة عن الندم، وإثما يندم على السرقة مثلاً لا لكونها سرقة بل لكونها معصية، ولا يعقل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجّعه لأجل المعصية إذ العلة شاملة لهما^(٢).

■ [حكاية شعوانه]:

وينقل: أنه كانت في البصرة امرأة يقال لها (شعوانه)، ولا ينعقد مجلس في البصرة للفسق والفجور ويخلو منها، اتفق يوم من الأيام أنها مرّت مع خدماها في سكة من سكك البصرة على بيت من البيوت، فسمعت صوت البكاء عالياً، فقالت: سبحان الله أسمع من هذا البيت صراخاً عجباً. فأرسلت خادمة لها لاستعلام الحال، فمضت ولم تعد، فأرسلت ثانية فلم تعد، فأرسلت ثالثة وأكدت عليها بالرجوع سريعاً، فمضت ورجعت، وقالت: يا سيدتي ليس هذا البكاء على الأموات، ولعل هذا ماتم الأحياء، هذا ماتم العاصين أهل الذنوب، فقالت شعوانه: نمضي وننظر ما في هذا البيت. فلما

(١) الكافي (ج ٢، ص ٤٣٥).

(٢) جامع السعادت (ج ٣، ص ٦٣ - ٦٤).

دخلت، وإذا واعظ وحوله أناس، وهو يعظهم ويخوفهم من عذاب الله، وهم يكون، وحوله أناس دخولها أن الواعظ يفسر هذه الآية:

﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقَرَّتَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾^(١). فلما سمعت ذلك شعوانه أثر ذلك فيها، وقالت: يا شيخ أنا من جملة المذنبين، فلو تبت من ذنوبي هل يقبلني الله ويتوب علي؟! فقال: البتة، إن تبتى تاب الله عليك، فلو كانت ذنوبك مثل ذنوب شعوانه. فقالت يا شيخ: أنا شعوانه فأني لا أعمل معصية بعد هذا. فقال الشيخ: إن الله أرحم الراحمين، البتة إن تبت تاب الله عليك، ثم تاب شعوانه وأعتقت جميع عبيدها، واتخذت لها صومعة، واشتغلت بالعبادة، ورياضة الجسم حتى نحل جسمها وصار نحيفاً، فنظرت نفسها يوماً وما بلغ بها من النحف، فقالت: هذا حالي في الدنيا وما أدري كيف يكون حالي في الآخرة. فسمعت صوتاً: طيبي نفساً، وقفي ببابنا، حتى ترين يوم القيمة كيف يكون حالك.

■ [من كربلاء]:

أقول هُذي شعوانه بكت على ذنوبها من خيفة الله حتى نحف جسمها، والزباب بكت على مصيبة الحسين عليه السلام حتى نحف جسمها، وكما يروى: أنها لما رجعت إلى المدينة أمرت أن يكشف سقف بيتها، وكانت تجلس مع ابنتها سكينه في الشمس، وتبكي على الحسين عليه السلام، وتقول: بنيت، أين أبوك الحسين عليه السلام أين رجانا الحسين عليه السلام، وهذه الابيات منسوبة لها في رثاء الحسين عليه السلام:

إن الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيلاً غير مدفون

سبط النبي جزاك الله سالحةً
قد كنت لي جبلاً صعباً ألود به
من الليثامي ومن للسائلين ومن
والله لا أبتغي صهراً بصهركم
عنا وجئبت خسران الموازين
وكنت تصحبنا بالرحم والذين
يقي ويأوي إليه كل مسكين؟
حتى أوسد بين الماء والطين^(١)

المجلس السادس والأربعون

في مراتب التوبة

إعلم أنّ الثَّائب إمّا أن يتوب عن المعاصي كلّها ويستقيم على التَّوبة إلى آخر عمره، فيتدارك ما فرط، ولا يعود إلى ذنبه، ولا يصد منه معصية إلاّ الزَّلات التي لا يخلو منها غير المعصومين، وهذه التوبة هي التَّوبة النَّصوح، وهو صاحب النَّفس المطمئنة التي ترجع إلى ربِّها راضية مرضية، وهذه أعلى مراتب التوبة^(٢).

● (المرتبة الثانية)

أنّ يتوب عن كبائر المعاصي والفواحش، ويستقيم على أمّهات الطَّاعات، (يعني الواجبات) إلاّ أنّه لا ينفك عن ذنوب تصدر منه في مجاري أحواله غفلة وسهوة وهفوة، لا عن محض العمد وتجريد القصد، وإذا أقدم على ذنب لام نفسه وندم وتأسف، وجدّد عزمه على الله ألا يعود إلى مثله، ويتشمر للاحتراز عن أسبابه التي تؤدّي إليه، والنَّفس التي هذه مرتبتها هي النفس اللّوامة التي خيرها يغلب على شرّها،

(١) الجرهرة في نسب الامام علي وآله عليه السلام (ص ٤٧).

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٦٥).

ولها حسن الوعد من الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾^(١) وإلى مثلها الإشارة بقوله ﷺ: «خياركم كل مفتتن تواب»^(٢).

وكل ذلك شاهد صدق على أن هذا القدر من الذنوب لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبه بدرجة المقصرين، ومن يؤيس هذا من النجاة ووصوله إلى درجة التائبين فهو ناقص، ومثله مثل الطبيب الذي يؤيس الصحيح من دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه مرة أو مرتين، ومثل الفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار في أوقات نادره، ولاريب في نقصانه، فالعالم هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات، واقتراف السيئات المقتطعات، إذ أمثال الفترات وما يصدر من السهو والغفلات لا يفسد النفس بحيث لا يقبل الإصلاح.

● (المرتبة الثالثة)

أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه الشهوة في بعض الذنوب، فيقدم عليه عمداً وقصداً، لعجزه عن قهر الشهوة وقمعها، إلا أنه مواظب على الطاعات وتارك لأكثر الذنوب مع القدرة والشهوة، وإنما قهره بعض الشهوات عند هيجانها ويرتكب مقتضاها من دون مجاهدة وندامة، وعند قضاء هذه الشهوة والفراغ منها يندم، ويقول سأتوب عنها، لكنه يسول نفسه ويسوف توبته يوماً بعد يوم، والنفس التي هذه درجتها هي النفس التي تسمى المسؤلة صاحبها، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَخْزَوْنَ أَعْتَزَلُوا

(١) الآية ٣٢ من سورة النجم.

(٢) فتح الباري (ج ١٣، ص ٣٩٣).

يَذْنُوبُهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا» ^(١)، فنجاتها من حيث مواظبتها على الطاعات وكرهته لما يتعاطاه من السيئات مرجو، فعسى الله أن يتوب عليها، ولكن يُخاف عليها من حيث تسويفها وتأخيرها التوبة، فربما اختطفها الموت قبل التوبة، ويقع أمرها فى المشيئة، فيدخل فى زمرة السعداء، أو يُسلك فى سلك الأشقياء.

● (المرتبة الرابعة)

أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى الذنوب عمداً وقصداً، من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف ويندم، بل ينهمك انهماك الغافل فى الذنوب واتباع الشهوات، وهذا معدود من المصيرين، ونفسه محسوبة من النفوس الأمارة بالسوء الفزارة من الخير، ومثله إن مات على التوحيد وختم له بالحسنى وغلبت طاعاته على سيئاته كان من أهل الجنة، وإن ختم له بالسوء كان من أهل النار، وإن مات على التوحيد ولكن ترجحت سيئاته على حسناته ثم يخلص منها بعميم لطفه ^(٢).

■ [قصة وعبرة]:

فلا ينبغي لأحد أن يياس من رحمة الله، ولا يؤيس غيره، إذ الأمر لله إن شاء عفى برحمته وإن شاء عذب بعدله. نُقل أن رجلاً أفنى عمره فى المعاصي، ولم يعمل صالحاً فى حياته، ولم يتورع عن معصية، حتى تبرأ منه صلحاء عصره، واجتنبوه ونفروا منه، إلى أن شعر بالموت؛ هناك التفت إلى نفسه فرأى صحائف أعماله كلها سوداء، ولم يجد

(١) وهى الآية ١٠٣ من سورة التوبة.

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٦٥ - ٦٦).

في صحائف أعماله عملاً صالحاً يتشبث به، فتتنفس الصّعداء وبدون اختيار منه، قال: يا من له الدّنيا والآخرة ارحم من ليس له الدّنيا والآخرة، فقالها، ثم خرجت روحه، وفرح أهل البلاد بموته، ورموه على مزبلة، ورموا عليه الأوساخ، فرأى بعض الكبراء كأن من يقول له في منامه: مات فلان وألقيتموه على المزبلة، قم وأخرجه من ذلك الموضع وغسله وكفّنه وصلّ عليه وادفنه في مقابر الصّالحاء والانتقاء، فقال ذلك الرجل الصّالح: يا رب؛ لقد كان هذا الرّجل مشهوراً بالمعاصي وسوء السّمعة؛ بماذا استحقّ هذه الكرامة والموهبة!! فأجيب: إنه عند موته؛ نظر في جرايد أعماله، فلم يجد فيها إلّا المعاصي والخطايا، فرأى نفسه مُفلساً من الأعمال الصّالحة، فلجأ إلينا والتمس فضلنا، ولذلك رحمنا عجزه وعفونا عن سيّئاته ونجيناه من العذاب الأليم، وأنعمنا عليه بالتّعيم.

■ [واقع الحال في كربلاء]:

وهذه سنة الله في عباده إن كلّ مسلم لا بدّ أن يغسّل ويكفن ويصلّى عليه ويدفن وإن كان عاصياً، ولا يجوز تركه، بل التّجهيز واجب على كلّ مسلم وجوباً كفائياً، فكيف تخرم هذه العادة في أصل الاسلام ومعدنه: ريحانة رسول الله ﷺ..

فواحرّ قلبي للحسين الذي بقي	ثلاثاً على الرّمضاء من غير ساترٍ
فما نال تغسلاً بغير دمائه	ولا كفناً إلّا سواني الأعاصر
أجالوا عليه العاديات عداوة	وقد هشّموا أضلاعه بالعوافر
وساقوا بنات الوحي في السبي مغنماً	فمن غادر تهدي إلى شر كافر

المجلس السابع والأربعون

في عدم الثقة من الاستقامة على التوبة

■ **قال العلامة النراقي رحمه الله:**

إعلم أنّ من تاب ولا يثق من نفسه الاستقامة على التوبة فلا ينبغي أن يمنعه ذلك عن التوبة علماً منه أنّه لا فائدة فيه، فإنّ ذلك من غرور الشيطان، ومن أين له هذا العلم، فلعلّه يموت تائباً قبل أن يعود إلى الذنب.

وأما الخوف من العود، فليتداركه بتجويد القصد وصدق العزم، والاستعانة بالله، أن يعينه على الاستقامة وترك العود، فإن وفي بقصده فقد نال مطلبه، ولا فقد غفرت ذنوبه السابقة كلّها، وتخلّص منها وليس عليه إلّا هذا الذنب الذي أحدثه الآن، وهذا من الفوائد العظيمة والأرباح الجسيمة، فلا يمنعك خوف العود من التوبة فإنّك من التوبة أبداً بين إحدى الحسنيين: **(أحدهما)** العظمى، وهي غفران الذنوب السابقة وعدم العود إلى ذنب في المستقبل، **(وثانيتهما)** وهي الصغرى، غفران الذنوب الماضية وإن لم يمنع العود إلى الذنب في المستقبل.

ثم إذا عاد إلى ذنب ينبغي أن يتوب منه دفعة، ويتبعه بحسنة لتمحوه، فيكون ممنّ خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً. والحسنات المكفّرة للذنوب **إما متعلّقة بالقلب**، وهي: الندم، والتضرع إلى الله، والتذلل له، وإضمار الخير للمسلمين، والعزم على الطاعات، أو **متعلّقة باللسان**، وهي: الاعتراف بالظلم، والإساءة، وكثرة الاستغفار، أو **متعلّقة بالجوارح** وهي أنواع الطاعات والصّدقات، وينبغي ملاحظة المناسبة بين السيئة التي صدرت منه والحسنة التي يتبعها لتمحوها. وفي الخبر: أنّ الذنب إذا أتبع

بثمانية أعمال كان العفو منه مرجواً أربعة من أعمال القلوب، وهي: التوبة، أو العزم على التوبة، وحبّ الاقلاع من الذنب، وتخوّف العقاب عليه، ورجاء المغفرة. وأربعة من أعمال الجوارح، وهي: أن تصلّي عقب الذنب ركعتين، ثمّ تستغفر الله بعدهما سبعين مرّة وتقول: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرّة، وتتصدّق بصدقة، ثم تصوم يوماً^(١). ومن الأمور المهلكات الغفلة عن الأعمال السيئة الصادرة من الانسان، وعدم محاسبة نفسه عليها، كالتاجر إذا غفل ولم يراجع دفتر خرجه ومدخوله، ولم يوازن أموره، ولم يعرف ربحه وخسرانه، ولم يحاسب عمّاله وشركاءه، من الممكن أنّه في مدّة قصيرة يذهب رأس ماله ويصبح صفر اليدين، فهكذا الانسان إن غفل عن محاسبة أعمال أعضائه وجوارحه، ولا يوازن طاعاته وحسناته، ولا يلاحظ ونقصان عمره الذي هو رأس ماله، ينجّر أمره إلى الهلاك.

■ [المعنى الظاهر للمحاسبة والمراقبة]:

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

[و]ضد الغفلة المحاسبة والمراقبة، والمحاسبة هو أن يتخذ له في اليوم والليلة وقتاً يحاسب فيه نفسه، ويوازن طاعاته ومعاصيه، فإنّ وجدها مقصرة في طاعة واجبة، أو مرتكبة معصية عابها وقهرها، فإنّ وجدها قد أتت بجميع الواجبات شكر الله سبحانه، ويزيد الشكر لو صدر منها شيء من الخيرات والطاعات المندوبة. **(والمراقبة):** أن يلاحظ ظاهره وباطنه دائماً، حتى لا يقدم على شيء من المعاصي، ولا يترك شيئاً من الواجبات، ليتوجه عليه اللوم والندامة وقت المحاسبة.

(١) جامع السعادات (ج ٣، ص ٦٦ - ٦٧).

واعلم أنَّ الكتاب والسنة وإجماع الأمة منعقد على ثبوت المحاسبة يوم القيامة وحصول التدقيق والمناقشة في الحساب، والمطالبة بمثاقيل الذر من الأعمال، كما قال الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿قَوِّ رَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ عَنْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) الى غير ذلك من الآيات في هذا الباب^(٤).

■ [مظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام وشهيدها المحسن عليه السلام]:

أقول كل مظلوم يقدم هناك شكايته، ويبيدي تظلمه، عن المفصل في خبر طويل: أنه قال: يأتي المحسن عليه السلام، تحمله خديجة بنت خويلد، وفاطمة عليها السلام تقول: ﴿هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٥) اليوم ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾^(٦)، فيؤتي بقنفذ وصاحبه، فيضربان بسياط من نار، لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها، ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت حتى تصير رماداً، فيضربان بها^(٧).

(١) الآية ٤٧ من سورة الأنبياء.

(٢) الآيتان ٧-٨ من سورة الزلزال.

(٣) الآية ٩٢ من سورة الحجر.

(٤) راجع هذا المطلب في جامع السعادات (ج ٣، ص ٧٠-٧١) لتجد بقية الآيات.

(٥) الآية ١٠٣ من سورة الأنبياء.

(٦) الآية ٣٠ من سورة آل عمران.

(٧) كامل الزيارات (ص ٥٥١) وفيه تتميم: «ثم يحثو أمير المؤمنين عليه السلام بين يدي الله للخصومة في مع

وإنّ العباس لما قال لأُمير المؤمنين عليه السلام: ما منع الثاني^(١) أن يغرم قننذاً كما غرم جميع عماله، فنظر علي عليه السلام إلى من حوله، ثم اغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال عليه السلام: «شكر ضربةً ضربها فاطمة بالسوط فماتت وإنّ في عضدها أثره [كأنه الدمع]»^(٢) (٣).

❏ [شعر في رثائها]:

لبيتها وهي حسرى في معاصمها عدوا فلاذت وراء الباب تحتجب
فآلموا عضديها في سياطهم وأسقطوا حملها، والمرضى سحبوا
قادوه بالحبل قهراً وهي خلفهم تدعو ومدمعها كالغيث ينسكب
خلّوا ابن عمي علياً قبل أن تقع السماء فوق الثرى والكون ينقلب
فوشحوا متنها بالسوط وانكفئت لبيتها وحشاها ملوؤة لهب
فسقنّوا بقرع الأصبحيّة لا عداهم سخط الجبار والغضب

❏ الرابع، فيدخل الثلاثة في جب فيطبق عليهم، لا يراهم أحد ولا يرون أحداً، فيقول الذين كانوا في ولايتهم: ربنا أرنا الذين أضلّنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين. قال الله عز وجل: ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون» فعند ذلك ينادون بالويل والثبور، وورد الخبر أيضاً في: الجواهر السنية (ص ٢٩٢).

(١) وهو عمر بن صهاك كما صرح به في كتاب سليم (ص ٢٢٤).

(٢) المعتمد من الحلبي.

(٣) مصباح البلاغة (ج ٣، ص ١٤) وكتاب سليم بن قيس (ص ٢٢٤) وموسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام.

(ج ٨، ص ٤٢٩) ومجمع النورين (ص ١١٥) والاحتجاج (ج ١، ص ١٠٩).

المجلس الثامن والأربعين

في محاسبة النفس

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(١). وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢).

[و] قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا ويسأله رب العالمين: ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان»^(٣)، وورد بطرق متعددة: أن كل أحد في يوم القيامة لا يرفع قدماً عن قدم حتى يُسأل عن: «عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه»^(٤).

والآيات والأخبار الواردة في محاسبة الأعمال والسؤال عن القليل والكثير، والنكير والقطمير، أكثر من أن تحصى، وبإزائها أخبار دالة على الأمر بالمحاسبة والمراقبة في الدنيا والترغيب عليها، وعلى كونها سبباً للنجاة والخلاص عن حساب الآخرة، وخطره ومناقشته، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب، وطالبها في الأنفاس والحركات، ووزن بميزان الشرع أعماله وأقواله: خَفَّ في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه: دامت حسراته، وطالت

(١) الآية ٣٠ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٢٨١ من سورة البقرة، وكذلك الآية ١٦١ من سورة آل عمران.

(٣) صحيح البخاري (ج ٢، ص ١١٣).

(٤) الأمالي للصديق (ص ٩٣) وفي آخر: عن حنبل أهل البيت عليه السلام. وكذا في الخصال (ص ٢٥٣) وتحف

العقول (ص ٥٦).

في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي سيئاته، قال الله تعالى: ﴿ولتنتظر نفس ما قدمت لغد﴾^(١)، والمراد بهذا النظر: المحاسبة، وقال رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا»^(٢). وقال الصادق عليه السلام: «فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإن للقيامة خمسين موقفاً، كل موقف مقام ألف سنة»^(٣) ثم تلا: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤).

وقال عليه السلام أيضاً: «لو لم يكن للحساب مهول إلا حياء العرض على الله تعالى، وفضيحة هتك الستر على المخفيات، لحق للمرء أن لا يهبط من رؤس الجبال، ولا يأوي إلى العمران، ولا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف، ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس، ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار، حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة، كأنه إلى عرصاتها مدعو وفي غمرتها مسؤول»^(٥)، قال الله: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(٦)، وقال الكاظم عليه السلام: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسنة استزاد الله تعالى، وإن عمل سيئة استغفر الله منها وتاب إليه»^(٧).

ثم اعلم أنَّ العقل بمنزلة تاجر في طريق الآخرة، ورأس ماله العمر، وقد استعان في تجارته هذه بالنفس، فهي بمنزلة شريكه أو غلامه الذي يتجر في ماله، وريح تلك

(١) الآية ١٨ من سورة الحشر.

(٢) وسائل الشيعة (ج ١٦، ص ٩٩).

(٣) الكافي (ج ٧، ص ١٤٣).

(٤) الآية ٤ من سورة المعارج.

(٥) مصباح الشريعة (ص ١٨٦).

(٦) الآية ٤٧ من سورة الأنبياء.

(٧) تحف العقول (ص ٣٩٦).

التجارة تحصيل الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة الموصلة إلى نعيم الأبد وسعادة الزمّد، وخسرانها المعاصي والسيئات المؤدية إلى العذاب المقيم في دركات الجحيم، أو نقول: رأس مال العبد في دينه الفرائض، وريحه التّوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي، وموسم هذه التجارة مدّة العمر، وكما أنّ التاجر يشارط شريكه أولاً، ويراقبه ثانياً، ويحاسبه ثالثاً، وإن قصّر في التجارة بالخيانة والخزان وتضييع رأس المال يعاقبه ويعاقبه ويأخذ منه الغرامة، كذلك العقل يحتاج في مشاركة النفس إلى أن يرتكب هذه الأعمال، ومجموع هذه الأعمال يسمى بالمحاسبة والمراقبة.

وهو أن يشارط النفس ويأخذ منها العهد والميثاق في كلّ يوم وليلة مرّة أن لا ترتكب المعاصي، ولا يصدر منها شيء يوجب سخط الله، ولا تقصّر في شيء من الطاعات الواجبة، ولا تترك ما يتيسّر لها من الخيرات والتّوافل، والأولى أن يكون ذلك بعد الفراغ من فريضة الصّبح وتعقيباتها، فيخاطب النفس ويقول لها: يا نفس مالي بضاعة إلّا العمر، ومهما فنى رأس المال، ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح، وهذا اليوم الجديد، وقد أمهلني الله فيه بعظيم لطفه، ولو توقّاني لكنت أتمنّى أن يرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً لأعمل صالحاً، فاحسبي أنّك توقّيت ثمّ رددت، فإياك أن تضيّعي هذا اليوم، فإنّ كلّ نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها، يمكن أن يشتري بها كنزاً من الكنوز لا يتناهى نفيهما ابداً^(١).

(١) جامع السعادات (ج ٣، ص ٧٢ - ٧٤).

■ [شعر للاعتبار]:

كما قال الدمستاني^(١)

أنفاس نفسك أثمان الجنان فلا

تشري بها لهباً في العشر يشتعل

يا منفق العمر في عصيان خالقه

أفك فإنك من خمر الهوى ثمل

تعصيه لا أنت من عصيانه وجل

من العقاب ولا من منه خجل

الأتري أولياء الله كيف قلت^(٢)

طيب الكرى في الدياجي منهم المقل

يدعون ربهم في فك عنقهم

من رق ذنبهم والذمع ينهمل

(١) وهو العالم الجليل الشيخ حسن الدمستاني (المتوفى سنة ١١٨١ هـ) صاحب المؤلفات النفيسة والتي أشهرها: (الانتخاب الجيد من تنبيهات السيد) و (قصيدة أحرارم للحجاج) وقال عنه السيد محسن الأمين في تكا به أعيان الشيعة (ج ٥، ص ٢٠٦) الشيخ حسن بن محمد بن علي بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الله بن حسن بن صدقة الدمستاني البهراني، من أعلام العلماء الجامعين بين العلم والعمل، فاضل أديب له شعر كثير وخاصة مرثيه في الامام الحسين عليه السلام مشهورة، وكان يعمل بيده ويشغل لمعيشته وعياله. توفي في بلدة القطيف يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الأولى سنة ١١٨١ هـ.

(٢) في الأعيان قد هجرت.

ولا يسبيل لهم دمع على بشرٍ
إلا على معشر في كربلا قتلوا
ركب يرغم العلى في كربلا^(١) نزلوا
وقد أعد لهم في الجنة النزل

أفدي الحسين صريعاً لا صريح له
إلا صرير نصول فيه تنتصل
والطعن مختلف فيه ومؤلف
والنحر منعطف والعمر منبتل

والشمر مستغل في ذبحه عجل
والسبط منجدل يدعو ويبتهل
نجيت من فتك شمر بالحسين وقد
رقى على الصدر منه وهو منتقل
كيف استطاع لصدر الصدر مرتقباً
ودون ادنى مراتي كعبة زحل

(١) في الأعيان: ركب يرغم العلى فوق الثرى نزلوا.

امذى الحسين طريحاً لا ضريح له

وما له غير تاني نحره غسل^(١)

□ [وقيل شعراً]:

بأبي القتيل وغسله علق الدما وعليه من أرج الثناكافور
وتعرض منه الأعوجية أظلعاً سرّ الأله بطيها مستور

المجلس التاسع والأربعون

في علاج الإصرار على المعصية

[قال العلامة التراقي رحمته الله]:

إعلم أن الطريق إلى تحصيل التوبة والعلاج لحلّ عقدة الإصرار على الذنوب: أن يتذكر ما ورد في الإصرار على الذنب، وترك التوبته من الأخطار وسوء العاقبة، ويذكر قبح الذنوب، وشدة العقوبة عليها، وما ورد في الكتاب والسنة من ذمّ المذنبين والعابسين، وأن يعلم أنّ كلّ ما يصيب العبد في الدنيا من العقوبة والمصائب فهو بسبب معصيته، كما دلّ عليه الأخبار الكثيرة، ويتذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب، كالخمر، والزنا، والقتل، والكبر، والحسد، والكذب، والغيبة، وأخذ المال الحرام وغير ذلك من آحاد المعاصي ممّا لا يمكن حصره، ثم يتذكر ضعف نفسه

(١) هذه من القصائد المشهورة للشيخ الدمستاني، أولها:

من يله المرديان المال والأمل لم يدر ما المنجيان العلم والعمل
وهي موجودة في أكثر الكتب وديوان (نبيل الأمانى).

وعجزها عن احتمال عذاب الآخرة، وعقوبة الدنيا ويذكر خسارة الدنيا، وشرف الآخرة، وقرب الموت، ولذة المناجاة مع ترك الذنوب، ولا يغترّ بعدم الأخذ الحالي، إذ لعَلَّه من الاملاء إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾^(١) والاستدراج: ﴿سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) فمن تأمل في جميع ذلك على سبيل التحقيق، انبعثت نفسه للتوبة البتّة، إذ لو لم ينزعج إلى التوبة بعد ذلك، فهو إمّا معتوه أو أحمق، أو غير معتمد بالمعاد، وينبغي أن يجتهد في قلع أساس الإصرار من قلبه، أعني: الغرور، وحبّ الدنيا، وحبّ الجاه، وطول الأمل، وغير ذلك^(٣).

وبعد التوبة يلزم محاسبة نفسه ومراقبتها، يحذّرها المعاصي، ويقهرها على الفرائض، ويشوقها إلى المندوب، ويذكر ما ورد في بعض الأخبار من: أن كلّ عبد خلقت له بازاء كلّ يوم وليلة من عمره أربعة وعشرون خزانة مصفوفة، فإذا مات تفتح له هذه الخزائن، ويشاهد كلّ خزانة منها ويدخلها، فإذا فتحت له خزانة خلقت بازاء الساعة التي أطاع الله فيها، يراها مملوءة نوراً من حسناته التي عملها في تلك الساعة، فينال من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسائل عند الملك الجبار ما لو ورّع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بألم النار، وإذا فتحت له خزانة خلقت بازاء الساعة التي عصى الله فيها يراها سوداء مظلمة يفوح نيتها ويتغشاه ظلامها، فينال من الهول والفرع ما لو قسّم على أهل الجنّة لنقص عليهم نعيمها، فإذا فتحت له خزانة بازاء الساعة التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشيء من المباحات الدنيوية لم يشاهد فيها ما يسره ولا ما يسوؤه، وهكذا يعرض عليه بعدد ساعات عمره

(١) الآية ١٨٣ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٨٢ من سورة الأعراف.

(٣) جامع السعادات (ج ٣، ص ٦٩).

الخزائن، وعند ذلك يتحسّر العبد على إهماله وتقصيره، ويناله من الغبن ما لا يمكن وصفه، فإذا ذكر العبد هذا الحال يخاطب النفس، ويقول: اجتهد في اليوم في أن تعمري خزائنك، ولا تدعيها فارغة من كنوزك التي هي أسباب ملكك، ولا تركني إلى الكسل والبطالة فيفوتك من درجات العليين ما يدركه غيرك، فتدركك الحسرة والغبن يوم القيامة إن دخلت الجنة، إذ ألم الغبن والحسرة وانحطاط الدرجة مع وجود ما فوقها من الدرجات الغير المتناهية التي نالها أبناء نوعك ممّا لا يطاق^(١).

[ثم قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ولا يغفل عن مراقبة نفسه عند الخوض في الأعمال فيلاحظها بالعين الكالئة، فإنها إن تركت طغت وفسدت، ثم يراقب الله في كلّ حركة وسكون، بأن يعلم أنّ الله مطلع على الصّمائير، عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كلّ نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف، كما أنّ ظاهر البشرة للخلق مكشوف، بل أشدّ من ذلك قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِإِنَّ اللَّهَ يَرَى﴾^(٣) وقال رسول الله ﷺ: «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٤).

وفي الحديث القدسي: «إنما يسكن جنّة عدن الذين إذا همّوا بالمعاصي ذكروا عظمي، فراقبوني، والذين انحنى أصلابهم من خشيتي، وعزّتي وجلالي أتّي لأهمّ بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم

(١) جامع السعادات (ج ٣، ص ٧٤).

(٢) الآية ١ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٤ من سورة العلق.

(٤) كنز العمال (ج ١، ص ٢٧٥).

العذاب»^(١) وجاء في حديث آخر: «لولا شيوخ رُتِع، وشباب خُشِع، وأطفال رُضِع، وبهائم رُتِع... لصببت عليكم العذاب صباً»^(٢).

■ [الاعتبار بالنسبة لأهل العراق]:

فهذه الأربعة الأصناف يدفع الله بهم البلاء عن خلقه لحرمتهم عند الله؛ ولكن أهل الكوفة^(٣) لم يراعوا من ذاك شيء، كما قيل:

لم ينجي الكهول سن ولا الشبا ن زهد ولا نجي الأطفال
ورضيع يا للبرية لم يبلغ فصلاً له السهام فصال

وذلك حين أقبل الحسين عليه السلام بذلك الطفل الرضيع على يديه:

ودعى في القوم يا الله والخطب الفضيع

نباوني أنا المذنب أم هذا الرضيع

لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع

لا يكن شافعكم خصم لكم في الناشئين^(٤)

(١) تفسير ابن أبي حاتم (ج ٨، ص ٢٧٨٢).

(٢) مسند أبي يعلى (ج ١١، ص ٥١١).

(٣) الذين كتبوا كتباً للإمام الحسين عليه السلام بأن أقبل علينا فكل البيعة في أعناقنا فلما أقبل انقلبوا عليه وصارت سيوفهم مسلطة عليه.

(٤) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

المجلس الخمسون

في رياضة النفس على الطاعة

وطريق العلاج في إلزام النفس بعد تقصيرها في العمل وترويضها على العبادات الشاقة أمران:

● ﴿الْأَوَّلُ﴾ تذكر ما ورد في الأخبار من فضيلة رياضة النفس ومخالفتها، والاجتهاد في الطاعة والعبادة ووظايف الخيرات، قال الصادق عليه السلام: «طوبى لعبد جاهد في الله نفسه وهواه، ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله، ومن جاوز عقله نفسه الأمانة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى، وليس لقتلهما وقطعهما سلاح وآلة مثل الافتقار إلى الله، والخشوع، والجوع، والظمأ بالنهار، والسهو بالليل فإن ما صاحبه مات شهيداً، وإن عاش واستقام أذاه عاقبته إلى الرضوان الأكبر، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وكان رسول الله ﷺ يصلي حتى تورمت قدماه، ويقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً». أراد أن يعتبر به أمته، فلا يغفلوا عن الاجتهاد والتعبد والرياضة بحال.

ألا وإنك لو وجدت حلاوة عبادة الله، ورأيت بركاتها واستضأت بنورها، لم تصبر منها ساعة واحدة ولو قطعت إرباً إرباً، مما أعرض عنها من اعرض إلا يحرمناه من فوائد السلف من العصمة والتوفيق^(٢). قيل لربيع بن خثيم^(٣): مالك لا تنام بالليل؟

(١) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

(٢) مصباح الشريعة (ص ١٨٤).

(٣) هو أحد الزهاد الثمانية، وكان كثير المحاسبة لنفسه حتى أنه كان يضع قرطاساً بين يديه ويكتب ما

قال لأنني أخاف البيات^(١). والأخبار الواردة في فضل السعي والاجتهاد ومخالطة النفس والهوى أكثر من أن تحصى.

● (الأمر الثاني): الباعث لترويض النفس؛ مصاحبة أهل السعي، والاجتهاد في العبادة، ومجالسة المجاهدين المرتاضين، فملاحظة أحوالهم ومشاهدة أعمالهم أقوى باعث للاقتداء بآثارهم، وليس فينا من تقرب عبادته عبادة سلفنا الصالحين، فينبغي أن يعدل من المشاهدة إلى سماع أحوالهم، ومطالعة حكاياتهم وأخبارهم، ومن لاحظ حكاياتهم وسمع أحوالهم واطّلع على كيفية اجتهدهم في طاعة الله يعلم أنهم عباد الله وأحبّاءه، وأنهم ملوك الجنة.

قال بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: صلّينا خلفه الفجر، فلما سلّم انتقل إلى يمينه وعليه كآبة، فمكث حتّى طلعت الشمس، ثمّ قلب يده، وقال: «والله لقد رأيت أصحاب محمد عليه السلام وما أرى اليوم شيئاً يشبههم، كانوا يصبحون شعثاً، غبراً، صفراً، فقد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله عزّ وجلّ، يراوحن بين أقدامهم وجباهم، وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، وكان القوم باتوا غافلين»^(٢). وكان أويس القرني^(٣) يقول في بعض الليالي: هذه ليلة الرّكوع، فيحيي الليل كلّ في ركعة، ويقول في بعضها هذه الليلة ليلة:

يتكلم ثم يحاسب نفسه في عشيته وماله وما عليه، ويقول: أوه، نجا الصامتون وكفينّا. وكان بعض أصحاب الرسول عليه السلام يضع حصاة في فمه فإذا أراد أن يتكلم علم أنه لله وفي الله ولو جه الله أخرجها، (بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٨٤).

(١) مصباح الشريعة (ص ١٧٠).

(٢) نهج البلاغة (ج ١، ص ١٨٩).

(٣) وهو الآخر من الزهاد الثمانية، قال النبي عليه السلام لأصحابه في حقه: «ابشروا به من أمتي يقال له أويس القرني فإنه يشفع لمثل ربيعة ومضر» [رجال الكشي: ص ٦٥].

السَّجُود فيحبي الليل كله في سجدة^(١)، وقال ربيع بن خثيم: أتيت أويساً فوجدته جالساً قد صلى الفجر فجلست موضعاً، وقلت: لا أشغله عن التسبيح، فمكث مكانه حتى صلى الظهر، ولم يقم حتى صلى العصر، ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب، ثم ثبت حتى صلى العشاء، ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح، ثم جلس فغلبته عيناه فقال: اللهم إني أعوذ بك من عين نائمة وبطن لا يشيع.^(٢)

وروي: أن رجلاً من العباد كلم امرأة ووضع يده على فخذاها، ثم ندم فوضع يده في النار حتى نشت (أي سمع صوت نشيشها) عقوبة لها. وبعضهم نظر إلى امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته، فكان يشرب الماء الحار لينقص على نفسه العيش. ومر بعضهم بغرفة، فقال: متى بنيت هذه الغرفة؟! ثم أقبل على نفسه، وقال: تسألين عما لا يعنينك؟! لأعاقبك بصوم سنة، فصامها^(٣).

وحكي: أنه نزل بعض أهل الله بالمحصب^(٤) وكان له أهل وبنات، وفي كل ليلة يقوم ويصلي إلى السحر، [و] ينادي بأعلى صوته: أيها الركب المعرَّسون^(٥) أكل هذا الليل تنامون فكيف ترحلون؟ فيسمع صوته كل من في المحصب، فيتواثبون بين بالٍ وداع وقاريء ومتوضئ، وإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القوم السرى^(٦).

(١) تاريخ مدينة دمشق (ج ٩، ص ٤٤٤).

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٨٢).

(٣) المصدر المتقدم.

(٤) موضع بمكة على طريق منى.

(٥) أي النازلون آخر الليل للراحة والنوم.

(٦) جامع السعادات (ج ٣، ص ٨٠ - ٨٣).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

يمكن التخلص من هذا المجلس بعبادة أصحاب الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء^(١).

المجلس الحادي والخمسون

في النية، وأنها روح العمل

النية روح الأعمال وحقيقتها، والجزاء يكون حقيقةً عليها فإن كانت خالصةً لله تعالى كانت ممدوحة، وكان جزاؤها خيراً وثواباً، وإن كانت مشوبة بالأغراض الدنيوية كانت مذمومة وكان جزاؤها شراً وعقاباً، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٢).

والمراد بالإرادة: النية، لترادفها، وأوحى الله تعالى إلى داود: يا داود، لا تطاول على المريرين، ولو علم أهل محبتي منزلة المريرين عندي لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها، يا داود، لئن تخرج مريداً من كربة هو فيها تستعده، كتبك حميداً، ومن كتبته حميداً لا يكون عليه وحشة، ولا فاقة إلى المخلوقين^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها

(١) لقد أحياناً أصحاب الامام الحسين عليه السلام هذه الليلة بالعبادة حتى أنه وصف المقاتل: لا ترى لهم إلا دويّاً

كدوي النحل بين راكم وساجد وقاعد [بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٩٤].

(٢) الآيتان ٨٨ و ٨٩ من سورة الشعراء.

(٣) جامع السعادات (ج ٣، ص ٨٨).

أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

وإنما قال ذلك حين قيل له: «إن بعض المهاجرين إلى الجهاد ليست نيته من تلك الهجرة إلا أخذ الغنائم من الأموال والسبايا أو نيل النصيب عند الاستيلاء، فبين رسول الله ﷺ إن كل أحد ينال من عمله ما يبغيه، ويصل إلى ما ينويه كائناً ما كان، دنيوياً كان أو أخروياً، وهذا الخبر مما يعده المحدثون من المتواترات، وهو أول ما يعلمونه أولادهم، وكانوا يقولون: إنه نصف العلم.

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وإنما ينظر إلى القلوب لأنها مظنة النية»^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختتمة، فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول: ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بما فيها وجهي، ثم ينادي الملائكة: اكتبوا له كذا وكذا، فيقولون: يا ربنا إنه لم يعمل شيئاً من ذلك، فيقول الله تعالى: إنه نواه»^(٣)، وقال رسول الله ﷺ: «الناس أربعة: رجل آتاه الله علماً ومالاً فهو يعمل بعلمه في ماله، فيقول رجل: لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الأجر سواء» ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يتخبط بجهله في ماله، فيقول رجل: لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء» ألا ترى كيف شاركه بالنية في محاسن عمله ومساوئه»^(٤)، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك، قال رسول الله ﷺ: «إن بالمدينة أقواماً

(١) الهداية للصديق (ص ٦٢) والوافي (ج ٣، ص ٧١) ونيل الأوطار (ج ١، ص ١٦١) ودعائم الإسلام ويستدرك الوسائل (ج ١، ص ٩٠) (ج ١، ص ٤).

(٢) محاسبة النفس للكنعاني (ص ١٨٢).

(٣) الدر المنثور ج ٤، ص ٢٥٦.

(٤) التحفة السنية (ص ٤٨).

ما قطعنا وادياً ولا وطأنا موطناً يغيظ الكفار، ولا أنفقنا نفقةً، ولا أصابتنا مخمصة، إلا شاركونا في ذلك، وهم في المدينة» قالوا: كيف ذلك وليسوا معنا؟! فقال ﷺ: «حسبهم العذر فشاركونا بحسن النية»^(١).

وفي الخبر: إن رجلاً من المسلمين قتل في سبيل الله بأيدي بعض الكفار، وكان يدعى بين المسلمين قاتل الحمار، لأنه قاتل رجلاً من الكافرين نية أن يأخذ حماره وسلّبه، فقتل على ذلك فأضيف الى نيّته^(٢)، وهاجر رجل إلى الجهاد مع أصحاب النبي ﷺ وكانت نيّته أن يأخذ امرأة كانت في عساكر الكفار ويتزوّجها، وكانت تسمى أمّ قيس فاشتهر هذا الرجل عند أصحاب النبي ﷺ بمهاجر أمّ قيس^(٣)، وفي أخبار كثيرة: «من همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة»^(٤).

وقد ورد أنّه إذا التقى مسلمان بسيفيهما فالقاتل في النار وكذلك المقتول، لأنه أراد قتل صاحبه^(٥). وقال ﷺ: «إذا التقى الصّفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم، فلان يقاتل للدين، فلان يقاتل حميّة، فلان يقاتل عصبيةً، ألا فلا تقولوا قتل فلان في سبيل الله، إلا لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»^(٦) وقال ﷺ: «من تزوّج امرأة على صداقه وهو لا ينوي أداه فهو زان، ومن استدان ديناً وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق، وجاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، ومن تطيب لغير الله جاء يوم

(١) مسند أحمد (ج ٣، ص ١٦٠).

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٨٩).

(٣) نيل الأوطار (ج ١، ص ١٦٥).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٤٢٨).

(٥) علل الشرائع (ص ٤٦٢).

(٦) جامع البيان (ج ٢٧، ص ٣٠٠).

القيامه وريحه أنتن من الجيفة»^(١)، وكل ذلك مجازاة على حسب النية.

وفي هذا الباب أخبار كثيرة أكثر من أن تحصى^(٢).

[وقال العلامة النراقي رحمته الله]:

ثم السّر في مجازاة الأعمال على حسب النية، وكون النية حقيقة العمل وعماداً وروحاً له، أنّ العمل من حيث هو عمل لا فائدة فيه، وإنّما فائدته للأثر الذي يصل منه إلى النفس من التورانية والصفاء، ولا يزال يتكرّر وصول هذا الأثر من الأعمال إليها حتى تحصل لها غاية الضياء والصفاء، فيحصل لها التجرد التام وينخرط في سلك الملائكة، ولا ريب في أنّ وصول هذا الأثر من الأعمال إنّما هو مع صحة النية وخلوصها، وكونها لله سبحانه من دون شوب من الأغراض^(٣).

■ [الاعتبار من كربلاء]

ألا ترى أن الحسين بن علي عليه السلام لما علم أنّ السّواد اتبعوه للطّمع، فما أحب أن يتركهم على ما هم عليه، بل خطب فيهم بعد وصول خبر قتل مسلم ابن عقيل، وصارحهم بحقيقة الحال، فلمّا علموا ذلك انصرف عنه السّواد، ولم يبق معه إلّا أهل بيته والصفوة من أصحابه الذين هم على ثبات من نيّاتهم، قد وطّئوا نفوسهم على نصره دين الله، ولم تكن لهم غاية إلّا الشهادة وكم مرة خطب فيهم وأذن لهم في الانصراف، فلم يبرحوا، كما يقول الكعبي^(٤):

(١) أمالي الصدوق (ص ٥١٥).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٨٧ - ٩١).

(٣) جامع السعادات (ج ٣، ص ٨٧ - ٩١).

(٤) الحاشي هاشم بن حردان الكعبي الدورقي (١٢٣١ هـ).

داعي المنون نفسي رداها
 أن تروا فيه غبطة وارتفاها
 محنة فاجأت وأخرى ولاها
 أحرزت رشدًا وحازت هداها
 وجلال به فقاليت حاه^(١)

فدعني صحبه هلموا فقد أسمع
 كنت جمعتكم لمحبوب أمر
 وإذا الأمر عكس ما قد رجونا
 فأجاب الجميع عن صدق نفس
 لا و به تقدست ذاتاً

المجلس الثاني والخمسون

فيما يتعلق بالقوة الغضبية

من الرذائل والفضائل وعلاج ذلك

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

أما رذائلها:

(أحدها) التهور في الأمور:

وهو من طرف الإفراط، أي الإقدام على ما لا ينبغي، والخوض في ما يمنعه العقل والشرع من المهالك والمخاوف، ولا ريب في أنه من المهلكات في الدنيا والآخرة، ويدل على ذمّه كل ما ورد في وجوب محافظة النفس وفي المنع من إقائلها في المهالك، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٢) وغير ذلك من الآيات والخبار.

والحق أن من لا يحافظ نفسه عمّا يحكم العقل والشرع بلزوم المحافظة عنه

(١) ديوان الشيخ هاشم الكعبي (ص ١٣ - ١٤).

(٢) الآية ١٩٥ من سورة البقرة.

فهو غير خالٍ عن شائبة من جنون، وكيف يستحق اسم العقل من ألقى نفسه من الجبال الشاهقة، وأمثال ذلك، كيف ومن ألقى نفسه فيما يظن به العطب فهلكت، كان قاتل نفسه بحكم الشريعة، وهو يوجب الهلاكة الأبدية والشقاوة السرمدية.

وعلاجه: بعد تذکر مفاسده في الدنيا والآخرة، أن يقدم التروى في كل فعل يريد الخوض فيه، فإن جوزه العقل والشرع ولم يحكما بالحذر عنه ارتكبه وإلا تركه ولم يقدم عليه، وربما احتاج إلى معالجته أن يلزم نفسه الحذر والاجتناب عن بعض ما يحكم العقل بعدم الحذر عنه، حتى يقع في طرف التفریط، وإذا علم من نفسه زوال التهور تركه وأخذ بالوسط الذي هو الشجاعة.

● (ثانيها) الجبن:

وهو سكون النفس عن الحركة إلى الانتقام مع كونها أولى، والاحتراز عما لا يلزم الاحتراز منه، وطرف التفریط من المهلكات العظيمة، ويلزمه من الأعراض الذميمة: مهانة النفس، والدلة، وسوء العيش، وطمع الناس فيما يملكه، وقلة ثباته في الأمور، والكسل، وحب الراحة، وهو يوجب الحرمان عن السعادة بأسرها، وتمكين الظالمين من الظلم عليه، وتحمله للفضايح في نفسه وأهله، واستماع القبائح من الشتم والقذف، وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار، وتعطيل مقاصده ومهماته، ولذلك ورد في ذمه من الشريعة ما ورد، قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً»^(١). وقال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من

(١) كنز العمال (ج ٣، ص ٤٥٣).

الجبن، وأعوذ بك أن أرذ إلى أرذل العمر»^(١).

وعلاجه: بعد تنبيه نفسه على نقصانها وهلاكها، أن يحرك الدواعي الغضبية فيما يحصل بها الجبن، فإنَّ القوة الغضبية موجودة في كلِّ أحد، ولكنها تضعف وتنقص في بعض النَّاس فيحدث فيهم الجبن، وإذا حُرِّكت وهبَّت على التواتر تقوى وتزيد، كما أنَّ النَّار الضعيفة تتوقَّد وتلتهب بالتحريك، إلى أن تحصل فيه صفة الشجاعة، فليحافظ نفسه لئلا يتجاوز ويقع في طرف الإفراط.

■ [في الشجاعة]:

وَصَدَّ هَٰذِينَ الْجَنَسِينَ (الشجاعة)، فتذكر مدحها وشرافتها، وكَلَّفَ نَفْسَكَ المواظبة على آثارها ولوازمها، حَتَّى يَصِيرَ مَا تَكَلَّفْتَهُ طَبْعاً وَمَلَكَةً، فترفع عنك آثار الصُّدُنِ بِالْكَلِيَّةِ، والشجاعة طاعة قوَّة الغضب للعاقلة في الإقدام في الأمور الهائلة وعدم اضطرابها بالخوض في ما يقتضيه رأيها.

ولا ريب في أنها أشرف الملكات النفسية، وأفضل الصفات الكمالية، والفاقد لها فاقد للرجولية والفحولية، وهو في الحقيقة من النِّسوان دون الرجال، وقد وصف الله خيار الصحابة بها قوله ﴿أَشْدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^(٢) وأمر نبيِّه بها في قوله: ﴿وَاغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣) إذ الشَّدة والغلظة من لوازمها وآثارها، والأخبار مصرحة باتصاف المؤمن بها. قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المؤمن: «نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصُّلْدِ»^(٤)، وقال

(١) ميزان الحكمة (ج ٣، ص ٢٢٠٠).

(٢) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

(٣) الآية ٧٣ من سورة التوبة.

(٤) نهج البلاغة (ج ٤، ص ٧٩).

الصّادق عليه السلام: «المؤمن أصلب من الجبل، إذ الجبل يستقل منه والمؤمن لا يستقل من دينه» (١).

■ [الاعتبار من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام]:

وأمر المؤمنين كان يعلم ابنه محمد بن الحنفية آداب الشجاعة والحرب يوم البصرة، كان يقول له: «تد رجلك، وعضّ على نواجذك وأعر الله جمجمتك وارم بصوتك إلى أقصى القوم» (٢) وقد أرسله إلى الحرب ثلاث مرّات متواليات في وقت واحد، حتى قال: أبناه لقد عرضتني للموت ثلاث مرّات، وهذان أخواي الحسن والحسين عليه السلام لم تأمرهما بشيء! فقال عليه السلام: «بني أنت يلي، وهذان عينايا أفلا أدفع بيدي عن عيني، أنت ابني وهذان ابنا رسول الله، أفلا أصونهما» (٣) فقال: بلى.

روحي فدائهما، ولكن أين محمد بن الحنفية وموقفه من موقف علي الأكبر يوم كربلاء، محمد ابن الحنفية إذا رجع من الميدان يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه بالماء فيشرب ويصبّ الباقي بين درعه وجلده فينشط للحرب، ثم يأمره بالعودة، ومن أين كان الماء يوم كربلاء عند الحسين عليه السلام، نعم مرّة واحدة من باب الإعجاز رفع إليه خاتمه فوضعه في خمسة، وفي الثانية حين قال: أبه، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل. فقال له: اصبر قليلاً سيسقيك جدك رسول الله شربة لا ضمّاً بعدها (٤).

(١) الكافي (ج ٢، ص ٢٤١).

(٢) نهج البلاغة (ج ١، ص ٤٣).

(٣) ذوب النصار (ص ٥٧).

(٤) العوالم (كتاب الحسين عليه السلام) (ص ٢٨٦).

اتقوى ورد للميدان وحدي
العطش والشمس والميدان والحر

يبويه شربة امية الجبدي
يبوبه فطر جبدي وحق جدي

الجلس الثالث والخمسون

في الخوف وأقسامه

﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ بَيْعَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ
يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(١)

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقّع مكروه في الاستقبال مشكوك
الوقوع، فلو علم أو ظنّ حصوله سمي توقّعه انتظار مكروه، وكان تألمه أشدّ من
الخوف.

[ثم قال (قدس نفسه الزكية):

ثمّ الخوف على نوعين:

(أحدهما) مذموم بجميع أقسامه، وهو الذي لم يكن من الله، ولا من صفاته
المقتضية للهيبة والرّعب، ولا من معاصي العبد وجنایاته، بل يكون لغير ذلك من
الأمر التي يأتي تفصيلها، وهذا النوع من رذائل قوّة الغضب من طرف التفریط ومن
نتائج الجبن.

(وثانيهما): محمود، وهو الذي يكون من الله، ومن عظمت، ومن خطأ العبد ومن
جنایته، وهو من فضائل القوّة الغضبية، إذ العاقلة تأمره به وتحسنه، فهو حاصل من

(١) الآية ٣٧ من سورة النور.

انقيادها لها.

■ أقسام الخوف المذموم:

الخوف المذموم ينقسم إلى أقسام:

(الأول) أن يكون أمراً ضرورياً لازم الوقوع ولم يكن دفعه في مقدرة البشر، ولا ريب في أن الخوف من مثله خطأ محض، ولا يترتب عليه فائدة سوى تعجيل عقوبة بصدة عن تدبير مصالحه الدنيوية والدنيّة، والعاقل لا يتطرق على نفسه مثل ذلك بل يسلكي نفسه ويرضيها بما هو كائن ادراكاً لراحة العاجل وسعادة الآجل:

دع الأيام تفعل ما تشاء وكن راض بما حكم القضاء

● (الثاني): أن يكون أمراً ممكناً لا يجزم بشيء من طرفيه، ولم يكن لهذا الشخص مدخلية في وقوعه وعدم وقوعه، ولا ريب في أن الجزم بوقوع مثله، والتألم لأجله خلاف مقتضى العقل، بل اللازم ابقاؤه على إمكانه من دون جزم بحصوله.

﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(١)، وهذا القسم مع مشاركته للقسم الأول في استلزامه تعجيل العقوبة بلا سبب، لعدم مدخلية لاختياره فيه، يمتاز عن الأول بعدم الجزم بوقوعه، فهو بعدم الخوف أولى من الأول.

● (الثالث): أن يكون أمراً ممكناً فاعله هذا الشخص بنفسه، وهو يخاف سوء عاقبته، فعلاجه أن لا يرتكب أمراً يخاف سوء عاقبته، فإنه إما أن يكون فعلاً غير قبيح لكن شأنه التأدي إلى ما يضره، ولا ريب أن ارتكاب مثله خلاف حكم العقل، أو فعلاً

(١) الآية الأولى من سورة الطلاق.

قبيحاً لو ظهر أوجب الفضيحة والمؤاخذه، وإثماً فعله ظناً أنه لا يظهر، ثم يخاف من الظهور الفضيحة والمؤاخذه، ولا ريب في أنّ هذا الظنّ عن الجهل، إذ كلّ فعل يصدر عن كلّ فاعل ولو خفية يمكن أن يظهر، وإذا ظهر يمكن إيجابه للفضيحة والمؤاخذه، والعامل العارف العالم بطبيعة الممكن لا يرتكب مثله، فالتخلص من هذا الخوف هو ترك الفعل الذي يخاف منه^(١).

ثم [قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ولما كان خوف الموت أشدّ أقسام هذا النوع وأعمّها، فلنشر إلى علاجه بخصوصه، فنقول: باعث خوف الموت يحتمل أموراً:

● (الأول): تصوّر فناء ذاته بالكلية وصيرورته عدماً محضاً بالموت، ولا ريب أنّ هذا التّصور ناشئاً عن محض الجهل، إذ الموت ليس إلّا قطع علاقة النّفس عن بدنه وهي باقية أبداً، كما دلّت عليه القواطع العقليّة والشواهد الدّوقية والظّواهر السّميّة^(٢).

وهناك أمور أخرى أعرضنا عن ذكرها لدقّتها، وقلة استفادة أغلب الناس منها^(٣).

[وقال العلامة النراقي رحمته الله]:

ومنها: تصوّر تضييع الأولاد والعيال، وهلاك الأعوان والأنصار، وهذا أيضاً من الوسوس الباطلة الشيطانيّة والخواطر الفاسدة النفسانيّة، وظنّ منشئيّه لاستكمال

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ١٩٥-١٩٦) وهناك قسم رابع لم ينقله مصنف هذا الكتاب يمكن مراجعته في المصدر (السعادات: ج ١، ص ١٩٧).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ١٩٧).

(٣) وهي الأسباب من الثاني إلى الخامس ويمكن مراجعتها في جامع السعادات (ج ١، ص ١٩٧-١٩٨).

الغير وعزته، ومدخلية في قوته وثروته، وذلك ناشيء من جهله بالله وبقضائه وقدره، إذ فيضه الأقدس اقتضى إيصال كل ذرة من ذرات العالم إلى ما يليق بها وإبلاغها إلى ما خلقت لأجله، وليس لأحد أن يغير ذلك أو يبذله.

ولذا ترى أكثر الأفاضل يجتهدون في تربية أولادهم ولا ينجح سعيهم أصلاً، وتشاهد غير واحد من الأغنياء يخلفون لأولادهم أموالاً كثيرة وتخرج من أيديهم في مدة قليلة، وترى كثيراً من أيتام الأطفال لا تربية لهم ولا مال ومع ذلك يبلغون بالتربية الأزلية مدارج الكمال، أو يحصلون ما لا حصر له من الأموال، والغالب أن الأيتام الذين ذهب عنهم الآباء في حالة الصبي تكون ترفياتهم في الآخرة والدنيا أكثر من الأولاد الذين نشأوا في حجر الآباء.

والن تجربة شاهدة بأن من اطمأن من أولاده بمال يخلفه لهم، أو ذي قوة يفوض إليه أمورهم، اعتراهم بعده الفقر والفاقة والدلة والمهانة، وربما صار ذلك سبباً لهلاكهم وانقراضهم، ومن فوض أمورهم إلى رب الأرباب وخالق العباد ازداد لهم بعده عزاً وقوة وكثرة وثروة. فاللائق بالعقلاء أن يفوضوا أمور أولادهم وغيرهم من الأقارب والأنصار إلى من خلقهم ورباهم، ويوكلهم إلى موجدهم ومولاهم، وهو نعم المولى ونعم الوكيل. وقد ظهر أن الخوف من الموت لأجل البواعث المذكورة لا وجه له^(١).

أما ترى سيد الشهداء عليه السلام كيف ترك أطفاله ونساءه في قاع صفصف. حرّ قلبي حين أراد الحملة الأخيرة وخرج من المخيم قاصداً المعركة بعد ما ودّع الحرم فنادته سكينته: يا أبتاه، استسلمت للموت فإلى من الكل، فقال عليه السلام: «يا نور عيني كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين ورحمة الله ونصرته

لا تفارقكم في الدنيا والآخرة فاصبري على قضاء الله فإن الدنيا فانية والآخرة باقية». قالت: ردنا إلى حرم جدنا رسول الله ﷺ، فقال: لو ترك القطا لغفا ونام. فبكت، فأخذها الحسين عليه السلام، وضَمَّها إلى صدره، ومسح الدموع عن عينيها، وأنشأ يقول:

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة ما دام منِّي الروح في جثمانِي
فإذا قتلت فانت أولى بالذي تأتسِّنه يا خيرة النسوان^(١)

المجلس الرابع والخمسون

في قصر الأمل في الدنيا

ينبغي للعاقل أن يتفكر في: أنَّ كلَّ كائن فاسد، كما تقرّر في الحكمة، وهو من الكائنات، والعدم ضروريٌّ له، فمن أراد وجود بدنه أراد فسادَه اللازم له، فتمتَّي دوام الحياة من الخيالات الممتنعة، والعاقل لا يحوم حولها ولا يتمنَّى مثلها، بل يعلم أنَّ ما يوجد في النظام الكلِّي هو الأصلح الأكمل (يعني ما أجراه الله عزَّ وجلَّ من قصر الأعمار وطولها) وتغييره ينافي الحكمة والخيرِية، فيرضى بما هو واقع على نفسه وغيره من غير ألم وكدورة.

ثم من يتمنَّى طول العمر فمقصوده منه إن كان حب اللذات الجسمانيَّة وامتداد زمانها، فليعلم أنَّ الشيب إذا أدركه ضعفت الأعضاء واختلَّت القوَى، وزالت الصِّحة التي هي عمدة لذاته فضلاً عن غيرها، فلا يلتذُّ بالأكل والجماع وسائر اللذات الحسيَّة، ولا يخلو لحظة من مرض وألم، وتراجع جميع أحواله، فتتبدَّل قوَّته بالضعف وعزَّه

(١) مناقب آل أبي طالب (ج ٣، ص ٢٥٧).

بالذَّل، وكذا سائر أحواله كما أُشير إليه في الكتاب الإلهي، بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾^(١)، ومع ذلك لا يخلو كلُّ يوم من مفارقة حبيب أو شقيق، ومهاجرة قريب أو رفيق، وربما ابتلي بأنواع المصيبات، وتهجَّم عليه الفقر والفاقة والنكبات، وطالب العمر في الحقيقة طالب هذه الرّمحات.

وإن كان مقصوده من دوام الحياة اكتساب الفضائل العلميّة والعملية، فلا ريب في أنّ تحصيل الكمالات بعد أوان الشيخوخة في غاية الصعوبة، فمن لم يحصل الفضائل الخلقيّة إلى أن أدركه الشيب، واستحكمت فيه الملكات المهلكات من الجهل وغيره، فأتى يمكنه بعد ذلك إزالتها وتبديلها بمقابلاتها، إذ رفع ما رسخ في النفس مع الشَّيْخوخة التي لا يقتدر معها على الرياضات والمجاهدات غير ممكن، ولذا ورد في الآثار: أنّ الرجل إذا بلغ الأربعين سنة ولم يرجع إلى الخير، جاء الشيطان ومسح على وجهه، وقال: بأبي وجهه من لا يفلح أبداً^(٢).

على أنّ الطالب للسعادة ينبغي أن يكون مقصور الهمّ في كلّ حال على تحصيلها، ومن جملة ما دفع طول الأمل، والرّضا بما قدّره من من طول العمر وقصره، ويكون سعيه أبداً لتحصيل الكمالات بقدر الامكان، والتخلّص من مزاحمة الزمان والمكان، وقطع علاقته من الدنيا وزحارفها الفانية، والميل إلى الحياة واللذات الباقية، والاهتمام في كسب الابتهاجات العقلية والاتصال التام بالحضرة الإلهية، حتّى يتخلص من سجن الطبيعة، ويرقى إلى أوج عالم الحقيقة، فيتفقّ له الموت الإرادي الموجب للحياة الطبيعيّة كما قال (معلّم الأشراف)^(٣): (مت بالإرادة تحيي بالطبيعة)،

(١) الآية ٦٨ من سورة يس.

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٠).

(٣) أو افلاطون الإلهي شيخ الأشراف السهروردي، وقيل هي لأفلاطون (راجع شرح الأسماء الحسنی):

فيصل إلى مقعد صدق هو مستقر الصديقين، ويصل إلى جوار رب العالمين، وحينئذ يشقائق للموت ولا يبالي بتقديمه وتأخير.

■ [من أسباب الخوف من الموت]:

ومن الأقسام التي يخاف الإنسان من الموت بسببها، هو: تصور العذاب الجسماني والروحاني المترتب على ذمائم الأعمال وقبائح الأفعال، ولا ريب أنَّ الخوف من ذلك ممدوح، وهو معدود من القسم الثاني من الخوف، إلا أنَّ البقاء عليه وعدم السعي في ما يدفعه من ترك الخطيئات وكسب الطاعات جهل وبطالة، إذ هذا الخوف ناشيء من سوء الاختيار، وقد بعث الله الرسل وأوصياءهم لاستخلاص الناس عنه، فعلاجه: ترك المعاصي وتحصيل معالي الأخلاق، ومعلوم أنَّ المنهمك في المعاصي مع خوفه من العذاب كالملقي نفسه في البحر أو النار، مع خوفه من الغرق والحرق، ولا ريب أنَّ إزالة هذا الخوف باختياره، فليترك المعاصي، ويجتهد في كسب وظائف الطاعات، ليتخلص عنه.

واجتهاد الصالحين والعرفاء والحكماء في وظائف الطاعات، وصبرهم على مشاق العبادات، ومجاهداتهم مع جنود الشياطين، إنما هو لدفع هذا الخوف عن أنفسهم، فهذا الخوف ناشيء منك ومن سوء اختيارك، فبادر إلى تقليده بالمواظبة على صوالح الأعمال وفضائل الأفعال، وهذا الخوف هو سوط الله الباعث للعمل، فإذا توفَّق الإنسان للعمل وأفرط فيه الخوف فليعالجه بالرَّجاء، على أنه مع عظم جرمه وقصور باعه عن تداركه فلا ينبغي أن ييأس من روح الله، فلعلَّ واسع الرَّحمة الذي سبقت

رحمته غضبه يدركه بسابقة من القضاء والقدر^(١).

ومن رذائل القوة الغضبية: الأمن من مكر الله تعالى، وهو أنّ العبد يطمئن من عذاب الله وعظمته وجلاله، ولا يخاف من مؤاخذته. وسبب الغفلة من عظمة الله تعالى: إمّا الجهل بما يتلى به الباري عباده ويمتحنهم، أو لعدم الاعتقاد بالمحاسبة يوم القيامة والثواب والعقاب، أو اطمئناناً بسعة رحمة الله تعالى ورأفته أو اعتماداً على طاعاته وعباداته، وهذه الصفة أي الاطمئنان من أي الجهات نشأت فهي مهلكة ومآلها الخسران، فإن كان الباعث لها الغفلة عن عظمة الله فهو من الجهل، وإن كان من عدم الاعتقاد فهو من الكفر، فإن كان الاعتماد على رحمة الله فهو من الغرور، وإن كان اعتماداً على عمله فهو من العجب، وقد ورد في ذمه أخبار وآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢) فالذي لا يخاف مكر الله لا يستنكر في حقه كلما يرتكب من عظامم.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ألا ترى حين ما كان الحسين عليه السلام يطلب شربةً من الماء، فقال له لعين من القوم: أولست تزعم أن أباك الساقى على الحوض فليسفك أبوك^(٣).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٠ - ٢٠٢).

(٢) الآية ٩٩ من سورة الأعراف.

(٣) وكون أمير المؤمنين عليه السلام هو الساقى على الحوض فهذا ثابت بالنص (عيون الحكم والمواعظ: ص ١٦٦) وقد ناقش العلامة الأميني رحمه الله الشبهات المثارة حول هذا الموضوع في كتابه الغدير (ج ٣، ص ٢١٩).

أَيَقْتَلْ عَطْشَانًا^(١) حَسِين بَكْرِبَلَاءِ وَفِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْ أُنَامِلِهِ بَحْرٌ
وَوَالِدُهُ السَّاقِي عَلَى الْحَوْضِ فِي غَدٍ وَفَاطِمَةُ مَاءِ الْبَحَارِ لَهَا مَهْرٌ
يَقْضِي الْحَسِينُ وَلَمْ تَجِدْ جَوَانِحَهُ وَالْمَاءُ يَصْدُرُ مِنْهُ الْوَحْشُ رِيَانًا

المجلس الخامس والخمسون

في الخوف الممدوح

الخوف الممدوح^(٢) ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

(الاول): أن يكون من الله سبحانه ومن عظمته وكبريائه، وهذا هو المسمى بالخشية والرهبة في عرف أرباب القلوب.

(الثاني): من جنابة العبد باقترافه المعاصي.

(الثالث): أن يكون من الله وعظمته وتعالیه، ويعيوب نفسه وجنایاته ازداد الخوف، إذ إدراك القدرة القاهرة والعظمة الباهرة والقوة القوية والعزة الشديدة يوجب الاضطراب والدّهشة، ولا ريب في أنّ عظمة الله تعالى وقدرته وسائر صفاته الجلالية والجمالية غير متناهية شدة وقوة، ويظهر منها على كلّ نفس ما يطيقه ويستعد له، وأنّ لأحد من أولي المدارك أن يحيط بصفاته على ما هي عليه، فإنّ المدارك عن ادراك غير المتناهي قاصرة، نعم، لبعض المدارك العالية أن يدركه على الإجمال، مع أن ما يظهر للعقل من صفاته ليس هو من حقيقة صفاته، بل هو غاية ما يتأدى إليه عقولهم ويتصوّر كمالاً، ولو ظهر قدر ذرة من حقيقة بعض صفاته لأقوى العقول وأعلى

(١) أو ظمآنًا، كما في شجرة طوبى (ج ٢، ص ٤٠٢).

(٢) أو الممدوح.

المدارك، لا حترق من سبحات وجهه، وتفرقت أجزاؤه من نور ربّه، ولو انكشف من بعضها الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب، فغاية ما للمدارك العالية من العقول والنفوس القادسة، أن يتصوّر عدم تناهيها في الشّدة والقوّة، وكونها في الكمال والبهاء غاية ما يمكن ويتصوّر، ويحتمله ظرف الواقع ونفس الأمر، كما هو الشأن في ذاته سبحانه، وإدراك هذه الغاية أيضاً يختلف باختلاف علوّ المدارك، فمن كان في الدّرك أقوى وأقدم كان أعرف، ومن كان به أعرف كان منه أخوف، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) وقال سيّد الرّسل ﷺ: «أنا أخوفكم من الله»^(٢) وقد فرّع سمعك حكايات خوف زمرة من المرسلين، ومن بعدهم من فرق الأولياء والعارفين، وعروض الغشيات المتواترة في كلّ يوم وليلة لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام). وهذا مقتضى كمال المعرفة الموجب لشدة الخوف، إذ كمال المعرفة يوجب احتراق القلب، فيفيض أثر الحرقة من القلب إلى البدن بالنحول والصّفار والغشية والبكاء، وإلى الجوارح بكفّها عن المعاصي، وتقييدها بالطّاعات، تلافياً لما فرط في جنب الله.

ومن لم يجتهد في ترك المعاصي وكسب الطّاعات فليس على شيء من الخوف، ولذا قيل: ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه^(٣). وقال بعض الحكماء: (من خاف شيئاً هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه)^(٤) وقال بعض العرفاء: (لا يكون العبد خائفاً حتّى ينزل نفسه منزلة السقيم الذي

(١) الآية ٢٨ من سورة فاطر.

(٢) حاشية الدسوقي (ج ١، ص ١٥).

(٣) تاريخ مدينة مدشق (ج ٥٩، ص ٢٧٢).

(٤) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٣).

يحتمى مخافة طول السقام^(١).

ثم إنّ الخوف يسري إلى الصفات بقمع الشهوات وتكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهه إذا عرف كونه مسموماً، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدّب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والذلة والخشوع والاستكانة، وتفارقه ذمائم الصفات، ولا يكون له همّ إلا المجاهدة والمحاسبة والمراقبة^(٢).

[ثم قال العلامة النراقي رحمته الله]:

وأقل درجات الخوف ممّا يظهر أثره في الأعمال: أن يكفّ عن المحظورات، ويُسمّى الكفّ عنها (وَرَعاً)، فإن زادت قوة الخوف كفّ عن الشبهات، ويُسمّى ذلك (تقوى)، إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله الخوف على ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس، وهو الصدق في التقوى، فإذا انضمّ إليه التجرد للخدمة وصار ممّن لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنّه يفارقها، ولا يصرف إلى غير الله نفساً من أنفاسه، فهو (الصدّيق)، فيدخل في الصدق التقوى، وفي التقوى الورع، وفي الورع العفة، لأنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات. فإذا نثر الخوف في الجوارح بالكف والإقدام^(٣).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

بناءً على هذا فالخوف إن لم يبعث العبد على ترك المعاصي واكتساب الأعمال

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٣).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٤).

الصالحة والأخلاق الفاضلة وكذلك البكاء لشيء ولا فائدة فيه، كبكاء عمر بن سعد (لعنه الله) يوم كربلاء، حين قالت له العقلية زينب: يا بن سعد يقتل الحسين عليه السلام، وأنت تنظر إليه. فجعلت دموعه تجري على وجهه، وأعرض عنها بوجهه.

ولذا الكعبي (رحمة الله تعالى) في دليته:

نادت فقطعت القلوب بسوطها لكن ما انتظم البيان فريدا
انسان عيني يا حسين أخي يا أملي وعقد جماني المنضودا
مالي دعوتك فلا تجيب ولم تكن عودتني من قبل ذاك صدودا
المحنة شغلتك عنا ام قلاً حاشاك أنك ما برحت ودودا

المجلس السادس والخمسون

في الخوف من الله تعالى

إعلم أنَّ الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه، والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار، أو مكروهاً لإفضائه إلى المكروه في ذاته كالمعاصي المفضية إلى المكروه لذاته في الآخرة، ولا بد لكل خائف أن يتمثل في خاطره أحد القسمين، ويقوى انتظاره في قلبه حتى يتألم قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه، ويختلف مقام الخائفين فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحظورة.

فالذين يغلب على قلوبهم خوف المكروه لذاته، فإما أن يكون خوفهم من سكرات الموت وشدة سؤال منكر ونكير وغلظته، أو عذاب القبر ووحدته وهول المطلع ووحشته، أو من المرقف بين يد الله وهيبته والحياء من كشف سريرته، أو من الحساب ودقته والضراط وحدته، أو من النار وأهوالها والجحيم وأغلالها، أو الحرمان من دار النعيم وعدم الوصول إلى الملك المقيم. أو من نقصان درجاته في العليين، أو

من الله سبحانه بأن يخاف جلاله وعظمته، والبعد والحجاب منه ويرجو القرب منه، وهذا أعلى رتبة الخوف، وهو خوف أرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف، والعالمين بلذة الوصال وألم البعد والفراق، والمطلعين على سرّ قوله تعالى: ﴿وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾^(٢).

وأما الذين غلب على قلوبهم الخوف من المكروه بغيره، فإمّا أن يكون خوفهم من الموت قبل التوبة، أو نقضها قبل انقضاء المدّة، أو عن ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حقوق الله، أو تخليته مع حسناته التي اتّكل عليها وتعزّز بها في عباد الله، أو الميل عن الاستقامة، أو إلى اتباع الشهوات المألوفة استيلاءً للعادة، أو تبديل رقة القلب إلى القساوة، أو تبعات الناس عنده من الغشّ والعداوة، أو من الاشتغال عن الله بغيره، وانكشاف غوائل طاعاته حتى يبدو له من الله ما لم يعلم، أو من الاغترار بالدنيا وزخارفها الفانية، أو تعجيل العقوبة بالدنيا وافتضاحه بالعلانية، أو من اطلاع الله على سرّيته وهو عنه غافل وتوجّهه إلى غيره إليه ناظر، أو من الختم له عنده الموت بسوء الخاتمة، أو ممّا سبق له في الاذل من السابقة، وهذه كلّها مخاوف العارفين.

ولكلّ واحد منها خصوص فائدة، هو الحذر عما يفضي إلى الخوف، فالخائف من تبعات الناس يجتهد في براءة ذمّته عنها، ومن استيلاء العادة يواظب على فطام نفسه عنها، ومن اطلاع الله على سرّيته يشتغل بتطهير قلبه عن الوسواس، وهكذا في بقية الأقسام.

وأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف سوء العاقبة، وهو الذي قطع قلوب

(١) الآية ٢٨ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٥٢ من سورة آل عمران.

العارفين إذ الأمر فيه مخطر، وأعلى الأقسام وأدّلّها على كمال المعرفة خوف السابقة، لأن الخاتمة فرع السابقة، ويترتب عليها بعد تخلّل أسباب كثيرة، ولذا قال العارف الانصاري: (الناس يخافون من اليوم الآخر وأنا نخاف من اليوم الأول)^(١).

فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في أم الكتاب، وإليه أشار النبي ﷺ في المنبر، حيث رفع يده اليمنى قابضاً على كفه، ثم قال: «أتدرون أيها الناس ما في كفي؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: «أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيمة»، ثم رفع يده اليسرى، وقال ﷺ: «أيها الناس، أتدرون ما في كفي؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال ﷺ: «أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيمة»، ثم قال: «حكم الله وعدله حكم الله فريق في الجنة وفريق في السعير»^(٢)، وقال ﷺ: «يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم بل هو منهم، ثم تتداركه السعادة، وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم، بل هو منهم، ثم يتداركه الشقاء. إن من كتبه الله سعيداً وإن لم يبق من الدنيا إلّا فواق ناقة ختم الله له بالسعادة»^(٤) (٥).

وقال مولانا زين العابدين عليه السلام في دعاء الصحيفة: «فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها، ومن كان من أهل الشقاوة خنته لها»^(٦).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٥).

(٢) الآية ٧ من سورة الشورى.

(٣) بصائر الدرجات (ص ٢١٢).

(٤) المحاسن (ج ١، ص ٢٨٠).

(٥) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٤ - ٢٠٥).

(٦) الصحيفة السجادية الكاملة (ص ٢٤٠).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

وممن ختم له بالشقاوة الزبير بن العوام حيث إنّه جاهد وقاتل في زمن رسول الله ﷺ، وبعد رسول الله ﷺ لازم مع أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يبايع حتى تكاثروا عليه وقهروه على بيعة الأول، وكان عاقبة أمره أن قاد الجيش، وحارب أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: طال ما كشف الكرب عن وجهه رسول ﷺ (١).

لكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: بشر ابن القين (٢)، وكان عثمانى المذهب منحرفاً عن أهل البيت، والذي أعجب من هذا وهب بن حباب الكلبي (٣)، كان نصرانياً، فختم له بالسعادة أن فاز بالشهادة والسعادة الأبدية والدولة السرمديّة كما قيل:

واشخاص أباعد قربتهم حظوظهم من الحظّ الجزيل
وتحسبهم على الغبرا وهم في حجور الحور في الظلّ الظليل

نصروا ابن بنت نبيهم، طوبى لهم نالوا بنصرته مراتب عاليه
قد جاوروه ههنا بقبورهم ولهم قصور للحسين محاذية

(١) بحار الأنوار (ج ٤٢، ص ٢٦٠).

(٢) إشارة الى زهير بن القين أحد أبطال كربلاء.

(٣) الملهوف (ص ١٦١).

المجلس السابع والخمسون

أيضاً في: الخوف من الله تعالى

□ أقسام الخوف الممدوح:

الخوف الممدوح ينقسم إلى ثلاثة أقسام: (الأول): يكون من الله سبحانه ومن عنه، وكبريائه، وهذا هو المسمى بالخشية والرهبة في عرف أرباب القلوب.
(الثاني): من جنابة العبد باقترافه معاصي. (الثالث) أن يكون من الله وعظمته، ومن جنابة العبد ومعاصيه كلاهما.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١).

وقال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٢) وكثير من الآيات مصرحة بكون الخوف من لوازم الأعيان كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤). إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الواردة في مدح الخوف من الله تعالى.
[قال العلامة النراقي رحمه الله:]

(١) الآيتان ٤٠ و ٤١ من سورة النازعات.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الرحمن.

(٣) الآية الثانية من سورة الأنفال.

(٤) الآية ١٧٥ من سورة آل عمران.

فالخوف من الله تعالى أفضل الفضائل، ومنزل من منازل الدّين، ومقام من مقامات الموقنين، وهو أفضل الفضائل النفسانية، إذ فضيلة الشيء بقدر إعانته على السّعادة، ولا سعادة كسعادة لقاء الله والقرب منه، ولا وصول إليها إلا بتحصيل محبّته والأنس به، ولا يحصل ذلك إلاّ بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلاّ بدوام الفكر، ولا يحصل الإنس إلاّ بالمحبّة ودوام الذّكر، ولا تتيسّر المواظبة على الفكر والذكر إلاّ بانقلاع حبّ الدنيا من القلب، ولا ينقلع ذلك إلاّ بقمع لذّاتها وشهواتها، وأقوى ما ينقمع به الشهوات نار الخوف، فالخوف هو النّار المحرقة للشّهوات، فإذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات، ويكفّ عن المعاصي، ويحثّ على الطّاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف^(١).

■ [الأحاديث في الخوف]:

وأما الأحاديث الواردة في هذا الباب فكثيرة، منها: الحديث القدسي: «وعزتي لا أجمع على عبلي خوفين، ولا أجمع له أمنيّن، فإذا أمني في الدّنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدّنيا أمنتّه يوم القيامة»^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله»^(٣) وقال ﷺ: «من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء»^(٤)، وقال ﷺ لابن مسعود: «إن أردت أن تلقاني فأكثر من

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٦).

(٢) الخصال (ص ٧٩).

(٣) من لا يحضره الفقيه (ج ٤، ص ٣٧٦).

(٤) جامع الأخبار (ص ٢٦٨).

الخوف بعدي»^(١) وقال ﷺ: «أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً»^(٢).

وعن ليث بن أبي سليم، قال: سمعت رجلاً من الأنصار يقول: بينما رسول الله ﷺ مستظلّ بظلّ شجرة في يوم شديد الحرّ، إذ جاء رجل فنزع ثيابه، ثم جعل يتمرّغ في الرمضاء، يكوي ظهره مرّة وبطنه مرّة، وجبهته مرّة، ويقول: يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك. ورسول الله ﷺ ينظر إليه ما يصنع، ثم إنّ الرجل لبس ثيابه، ثم أقبل فأومى إليه النبي ﷺ بيده ودعاه، فقال له: «يا عبدالله رأيتك صنعت شيئاً ما رأيت أحداً من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت؟» فقال الرجل: حملني على ذلك مخافة الله لنفسي: يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك. فقال النبي ﷺ: «لقد خفت ربك حقّ مخافته، وإنّ ربك ليباهي بك أهل السماء»، ثم قال لأصحابه: «يا معشر من حضر أدنوا من صاحبكم ليدعو لكم»، فدنا منه، فدعا لهم، وقال: «اللهم اجمع أمرنا على الهدى، واجعل التقوى زادنا، والجنة مأبنا»^(٣).

وقال ﷺ: «ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعاً ولو مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصب شيئاً من حرّ وجهه، إلّا حرّمه الله على النار»^(٤)، وقال ﷺ: «إذا اقشعر قلب مؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياها كما يتحات من الشجر ورقها»^(٥). وقال ﷺ: «لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتّى يعود اللبن إلى

(١) هكذا في جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٨) وأما في المصادر الأخرى: فأكثر السجود.

(٢) بغية الطالب (ص ٣٥٦).

(٣) أمالي الصدوق (ص ٤٢٠).

(٤) مستدرک الوسائل (ج ١١، ص ٢٤٦).

(٥) بحار الأنوار (ج ٦٧، ص ٣٩٤).

(١) (٢)
الضرع»

■ [الاعتبار من كربلاء]:

وهذه الأحاديث الواردة في البكاء من خشية الله وردت في البكاء على الحسين عليه السلام، ولا زالت تمرّ على أسماعكم منها كل عين باكية يوم القيامة إلّا عين بكت من خشية الله وعلى مصيبة الحسين بن علي عليه السلام (٣).

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة	لكنّما عيني لأجلك باكية
تبتّل منكم كربلاء بدم ولا	تبتّل مني بالدموع الجارية
أنست رزيتكم رزاينا التي	سلفت وهوت الرزايا الآتية
وفجائع الأيام لا تبقى وفجي	عتكم إلى يوم القيامة باقية (٤)
اي المعاجر (٥) لا تبكي عليك دماً	أبكيت والله حتى محجر الحجر
ما أنصفتك الظّبا يا بدرها لها	إذ قابلتك بوجه غير مستتر (٦)

(١) مسند أحمد (ج ٢، ص ٥٠٥).

(٢) هذه الأحاديث والأخبار ينقلها المصنف عن كتاب جامع السعادات (ج ١، ص ٢٠٨ (٢٠٩).

(٣) هناك كتب مستقلة تحت عنوان (البكاء على الامام الحسين عليه السلام) وفيها الأخبار الكثيرة بمصادرها.

(٤) وفي مصدر:

وفجائع الأيام تبقى مدة وتزول وهي إلى القيامة باقية

وهي للشيخ عبدالحسين الأعسم رحمته الله، وذكرها السيد جواد شير في أدب الطب (ج ٦، ص ٢٨٩).

(٥) أو المحجر كما في ديوان الأزرعي الكبير (ص ٣٠١).

(٦) ديوان الأزرعي الكبير (ص ٣٠١).

المجلس الثامن والخمسون

أيضاً في الخوف من الله تعالى

[من كتاب جامع السعادات]:

من خطبة لرسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهَوْا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نَهَايَةَ فَانْتَهَوْا إِلَى نَهَايَتِكُمْ، إِلَّا إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْمَلُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، وفي الحياة قبل الممات، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدُّنْيَا من مستعْتَبٍ، وما بعدها من دار إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ»^(١).

وقد أشار إلى هذا المعنى أمير المؤمنين عليه السلام من جملة خطبه له بقوله: «وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إِلَّا الموت أن ينزل به»^(٢).
[وجاء في كتاب جامع السعادات]^(٣):

ولا علاج لهذا الخطر المنتظر إِلَّا الخوف من الله وغضبه، قال مولانا الصادق عليه السلام، «من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سحت نفسه عن الدنيا»^(٤)، وقال عليه السلام: «إِنَّ مِنْ الْعِبَادَةِ شِدَّةَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»^(٥) يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٦).

(١) الكافي (ج ٢، ص ٧٠).

(٢) نهج البلاغة (ج ١، ص ١١٠).

(٣) الجزء الأول، ص ٢٠٩.

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٦٨).

(٥) الكافي (ج ٢، ص ٦٩).

وقال: ﴿لَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخَشِئُوا اللَّهَ﴾^(٧) وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾^(٨)، وقال عليه السلام: «حُبُّ الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب»^(٩)، وقال عليه السلام: «خَفَّ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ وَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّهُ لَا يَرَاكَ فَقَدْ كَفَرْتَ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ ثُمَّ بَرَزْتَ لَهُ بِالْمَعْصِيَةِ فَقَدْ جَعَلْتَهُ مِنْ أَهْوَنِ النَّاسِ لِيَنَّ إِلَيْكَ»^(١٠)، وقال عليه السلام: «لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ خَائِفاً رَاجِئاً وَلَا يَكُونُ خَائِفاً رَاجِئاً حَتَّى يَكُونَ عَامِلاً لِمَا يَخَافُ وَيَرْجُو»^(١١)، وقد جاء في حديث آخر: «مَنْ خَافَ النَّارَ تَرَكَ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ اشْتَأَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَارَعَ إِلَى الطَّاعَاتِ»^(١٢).

[قال العلامة النراقي رحمه الله:]

فالخوف والرجاء متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، إذ كل من رَجَى محبوباً فلا بد أن يخاف من قوته، إذ لو لم يخف قوته لم يحبه فلا ينفك أحدهما عن الآخر، وإن جاز غلبة أحدهما على الآخر، إذ من شرط الخوف والرجاء تعلُّقهما بالمشكوك، لأنَّ المعلوم لا يُرَجَى ولا يخاف، فالمحسوب المشكوك في تقدير وجوده يشرح القلب وهو الرجاء، وعدم وجوده يؤلمه وهو الخوف والتقديران يتقابلان، نعم أحد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب، ويُسمَّى ذلك ظناً، ومقابله وهماً، فإذا ظنَّ وجود المحبوب قوي الرجاء وضعف الخوف، بالإضافة إليه وكذلك

(٦) الآية ٢٨ من سورة فاطر.

(٧) الآية ٤٤ من سورة المائدة.

(٨) الآية الثانية من سورة الطلاق.

(٩) الكافي (ج ٢، ص ٦٩).

(١٠) فقه الرضا (ص ٣٨٢).

(١١) تحف العقول (ص ٣٩٥).

(١٢) مكارم الأخلاق (ص ٤٤٧).

بالعكس، وعلى كل حال فهما متلازمان، ولذا قال الله سبحانه: ﴿يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٢) (٣).

ثم إنَّ الخوف ممدوح إلى حدٍّ فإن جاوزه كان مذموماً، وبيان ذلك: إنَّ الخوف سوط الله الذي يسوق به العباد إلى المواظبة على العلم والعمل، لينالوا بهما رتبة القرب إليه تعالى ولذة المحبة والأنس به، وكما أنَّ السوط الذي تساق به البهيمة ويؤدب به الصَّبي، له حدٌّ في الاعتدال، لو قصر عنه لم يكن نافعاً في السَّوق والتأديب، ولو تجاوز عن الاعتدال في المقدار والكيفيَّة أو المبالغة في الضرب كان مذموماً؛ لأدائه إلى إهلاك الدَّابة والصَّبي، فكذلك الخوف الذي هو سوط الله لسوق عباده له حدٌّ في الاعتدال والوسط وهو ما يوصل إلى المطلوب، فإن كان قاصراً عنه كان قليل الجدوى، وكان كقضيبي ضعيف يضرب به الدابة القويَّة، فلا يسوقها إلى المقصد.

وهذا الخوف شبيه بخوف النساء من سماع شيء محزن، فيبكين وبمجرد انقطاعه يرجعن إلى حالهنَّ، فالخوف الذي لا يؤثر في الجوارح يكفَّها عن المعاصي، وتقبيدها بالطاعات فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمَّى خوفاً، ولو كان مفراطاً ربَّما جاوز إلى القنوط وهو ضلال ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٤) أو إلى اليأس وهو كفر: ﴿لَا يَنَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥) (٦).

(١) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ١٦ من سورة السجدة.

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١٠).

(٤) الآية ٥٦ من سورة الحجر.

(٥) الآية ٨٧ من سورة يوسف.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

نعم لا ييأس من رحمة الله إلا الكفار، ومن قتل نبياً أو وصي نبي وإن ادّعى الاسلام كأهل الكوفة الذين حاربوا الحسين عليه السلام، وقتلوه وأهل بيته، وأنصاره..

إن يقتلوك فلا عن فقد معرفة فالشمس معروفة بالعين والأثر
فقد كنت في مشرق الدنيا ومغربها كالحمد لم تغن عنها سائر السور
ما أنصفك الظبا يا بدر هالتها إذ قابلتك بوجه غير مستتر^(٧)

المجلس التاسع والخمسون

في الخوف والرجاء المحمود والمذموم

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ولارب في أن الخوف المجاوز إلى اليأس والقنوط يمنع من العمل، لرفعهما نشاط الخاطر الباعث على الفعل، وإيجابهما كسالة الأعضاء المانعة من العمل، ومثل هذا الخوف محض الفساد والنقصان وعين القصور والخسران، ولارجحان له في نظر العقل والشرع مطلقاً، إذ كل خوف بالحقيقة نقص لكونه منشأ العجز، لأنه متعرض لمحدور لا يمكنه دفعه، وباعث الجهل لعدم اطلاعه على عاقبة أمره، إذ لو علم ذلك لم يكن خائفاً لما مرّ من أن الخوف ما كان مشكوكاً فيه، فبعض أفراد الخوف إنّما يصير كملاً بالإضافة إلى نقص أعظم منه، وباعتبار رفعه المعاصي وإفضائه إلى ما يترتب عليه

(٦) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١١ - ٢١٢).

(٧) ديوان الأزرعي الكبير (ص ٣٠٠).

من الورع والتقوى والمجاهدة والذكر والعبادة وسائر الأسباب الموصلة إلى قرب الله وأنسه، ولو لم يؤد إليها كان في نفسه نقصاً لا كمالاً، إذ الكمال في نفسه هو ما يجوز أن يوصف الله تعالى به، كالعلم والقدرة وأمثالهما، وما لا يجوز وصفه به ليس كمالاً في ذاته، وربما صار محموداً بالإضافة إلى غيره وبالنظر إلى بعض فوائده، فما لا يفضي إلى فوائده المقصودة منه لإفراطه فهو مذموم.

وربما أوجب الموت أو المرض أو فساد العقل، وهو كالضرب الذي يقتل الصبي أو يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضواً من أعضائها، وإنما مدح صاحب الشرع الرجاء وكلف الناس به، ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي إلى اليأس أو إلى أحد الأمور المذكورة، فالخوف المحمود ما يفضي إلى العمل مع بقاء الحياة وصحة البدن وسلامة العقل، فإن تجاوز إلى إزالة شيء منها فهو مرض يجب علاجه، ولذا كان بعض مشايخ العرفاء يقول للمرتاضين من مريديه الملازمين للجوع أياماً كثيرة: (احفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله ولي ناقص العقل)^(١)، وما قيل: أن من مات من خوف الله مات شهيداً.. معناه أن موته بالخوف أفضل من موته في هذا الوقت بدونه، فهو بالنسبة إليه فضيلة، لا بالنظر إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وتحصيل المعارف، إذ للمترقّي في درجات المعارف والطاعات له في كل لحظة ثواب شهيد أو شهداء، فأفضل السعادات طول العمر في تحصيل العلم والعمل، فكلاً ما يبطل العمر أو العقل والصحة فهو خسران ونقصان^(٢).

هذا إذا كان الخوف منبعاً من نفس الإنسان، ويجاوز حدّ الوسط إلى أن يبلغ

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١٢).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١١ - ٢١٣).

اليأس، أو ازهاق النفس، أو إزالة الصحة، أو العقل، مذموم وممنوع شرعاً وعقلاً، فكيف إذا كان الغير باعث الخوف بحيث يؤذي ازهاق النفوس واتلافها.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ولاشك أن الاخافة لا تكون إلا من العداوة، وهذه الاخافة هي التي قصدها ابن سعد بعد قتل الحسين عليه السلام حين أمر الخيل أن تهجم على المخيم.

من فرّت من الخيمة خوفاً وكم طفل وطفلة سحقت بحوافرها
ومخدرات من عقائل أحمد هجمت عليها الخيل في أبياتها
حسرى القناع تعجّ في أصواتها أهوت على جسم الحسين وقلبيها
وقعت عليه تشم موضع نحره وعيونها تنهل في عبراتها
ويتيمة فزعت بجسم كفيها المصدوع كاد يذوب من حسراتها^(١)

الخيل، كما جاء في بعض المقاتل: إنّ طفلان ماتا يوم العاشر من أهل البيت عليهم السلام من الدهشة والوحشة والعطش، وكما صرح الشعرائي: انهما ابنا عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام^(٢)، وذكر أيضاً في مقتله: أنّ عاتكة بنت مسلم بن عقيل^(٣) وأمها رقية بنت علي عليه السلام^(٤)، وكان لعاتكة سبع سنين، سحقت بحوافر الخيل لما هجم القوم على

(١)

(٢) مات شهيداً على يد عثمان بن خالد بن أسيد الجهني، وقد ورد التسليم عليه بالنتع التالي: (صنو الوصي أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله) ولعل الابنين هما سعد وعقيل على ما في مستدرک سفينة البحار (ج ٤، ص ٣١٦).

(٣)

(٤) وأمها أم ولد، وهي أم عبدالله وزوجها مسلم بن عقيل.

المخيم للسلب، وفي بعض المقاتل: طفلتان للحسن بن علي عليه السلام سحقتا يوم الطف لما هجم القوم على المخيم^(١).

وحائرات أطار القوم أعينها	رعيًا غدات عليها خدرها هجموا
نادت ويابعدهم عنها معاتبه	لهم وياليتهم من عتبها أمم
كانت بحيث عليها أهلها ^(٢) ضربت	سرادقاً أرضه من عزمهم حرم
يكاد من هيبة الآتطوف به	إلا الملائك لولا أنهم خدم
فغودرت بين أيدي القوم حاسرة	تدعوا ^(٣) وليس لها من فيه تعتصم
عجت بهم مذ على أبرادها اختلفت	أيدي العدو ولكن من لها بهم ^(٤)

المجلس الستون

في طرق تحصيل الخوف الممدوح

لتحصيل الخوف الممدوح وجلبه طرق:

(الأول): أن يجتهد في تحصيل اليقين بالله، أي قوة الإيمان بالله، واليوم الآخر، والجنة والنار، والحساب والعقاب، ولا ريب في كونه مهيجاً للخوف من النار والرجاء للجنة، ثم الخوف والرجاء يؤديان إلى الصبر على المكاره والمشاق، وهو على المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والتفكير فيه على الدوام إلى أن يبلغ إلى كمال معرفة الله، وكمال المعرفة يؤدي إلى المحبة، ويتبعها الرضا والتوكل وسائر المقامات، وهذا

(١) وفيات الأئمة عليهم السلام (ص ١٦٠).

(٢) أو: قومها (كما في أعيان الشيعة: ج ٦، ص ٢٦٦).

(٣) في الأعيان: تسبي.

(٤) أبيات للسيد حيدر الحلبي رحمته الله (ديوان السيد حيدر: ج ١، ص ٤٢).

هو الترتيب في سلوك الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر، ولا بعده سوى المجاهدة والتجرد لله ظاهراً وباطناً، ولا بعده سوى الهداية والمعرفة، ولا بعدهما سوى الأنس والمحبة، ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته، وهو التوكل، فاليقين هو سبب الخوف، فيجب تحصيل السبب ليؤدي إلى المسبب.

● (الثاني): ملازمة التفكير في أحوال القيامة، وأصناف العذاب في الآخرة واستماع المواعظ المنذرة، والنظر إلى الخائفين ومجالستهم، ومشاهدة أحوالهم واستماع حكاياتهم، وهذا مما يستجلب الخوف من عذابه تعالى، وهو خوف عموم الخلق، وهو يحصل بمجرد أصل الإيمان بالجنة والنار، وكونهما جزاءً ان على الطاعة والمعصية، وإنما يضعف للغفلة أو ضعف الإيمان، وتزول الغفلة والضعف بما ذكر. وأما الخوف من الله: أن يخاف البعد والحجاب، ويرجو القرب والوصال، وهو خوف أرباب القلوب العارفين من صفات الله تعالى ما يقتضي الخوف والهيبة، المطلعين على سرّ قوله تعالى: ﴿وَيَحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾^(٢) فالعلاج في تحصيله الارتقاء الى ذروة المعرفة إذ هذا الخوف ثمرة المعرفة بالله وبصفات جلاله وجماله، ومن لم يتمكن من ذلك فلا يترك سماع الأخبار والآثار وملاحظة أحوال الخائفين من هيئته وجلاله، كالأنبياء والأولياء.

● (الثالث): أن يتأمل في أنّ الوقوف على كنه صفات الله في حيز المحال، وإنّ الإحاطة بكنه الأمور ليس في مقدرة البشر، إذ هي مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حدّ المعقول والمألوف، ومن عرف ذلك على التحقيق يعلم أنّ الحكم على أمر من

(١) الآية ٢٨ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٠٢ من سورة آل عمران.

الأمر الآتية غير ممكن بالحدس والقياس، فضلاً عن القطع والتحقيق، وحينئذ يعظم خوفه ويشتد ألمه، وإن كانت الخيرات كلها له متيسرة، ونفسه عن الدنيا بالمرّة منقطعة، وإلى الله بشرائها^(١) ملتفتة، إذ خطر الخاتمة وعسر الثبات على الحقّ مما لا يمكن دفعه، وكيف يحصل الاطمئنان من تغيير الحال، وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، وإنه أشدّ تقلّباً من القدر في غليانها، وقد قال مقلّب القلوب: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرَ مَأْمُونٍ﴾^(٢). فأنى للناس أن يطمئنّوا وهو يناديهم بالحدرد، ولذا قال بعض العرفاء: (لو حالت ببني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانة فمات فكما لم اقطع له بالتوحيد لأنني لا أدري ما ظهر له من التقلّب)^(٣) (٤).

■ [الاعتبار من المعصومين عليه السلام]:

بناءً على هذا ما ينبغي لأحد أن يطمئن بأعماله وإن كثرت، بل لو تهيات له الخيرات بأسرها وانقطع إلى الله تعالى بالمرّة، بل يكون بين الخوف والرجاء، فلو تأملنا في أحوال السادات الأولين والآخرين، وعباداتهم، ومناجاتهم مع ربّ العزة وخوفهم منه مع عصمتهم وبرائة ساحتهم من الخطايا والذنوب، ما انفك أحد منا من الخوف، سيما إذا نظر إلى مناجاة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

إلهي يمتنني رجائي سلامة وقبح خطيئاتي عليّ يشنّع

(١) نفسها.

(٢) الآية ٢٨ من سورة المعارج.

(٣) أحياء العلوم (ج ٤، ص ١٤٩).

(٤) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١٢ - ٢١٤).

إلهي فإن تغفو فعفوك منقذي وإلا فبالذنب المدمر أصرع^(١)

وقول زين العابدين عليه السلام:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين موذي
أتيت بأعمال قباح زريّة^(٢) فما في الوري شخص جنى كجنايتي^(٣)

أسفي على هذا الامام الزاهد العابد، يحمل على جمل أعجف، مغلول اليدين،
في أسر بني أمية، وهو يقول: «أقاد ذليلاً» الى آخر^(٤).

المجلس الحادي والستون

في خوف سوء الخاتمة

[قال العلامة النراقي رحمه الله:]

قد أشير إلى أنّ أعظم المخاوف خوف سوء الخاتمة، وله أسباب مختلفة:
● (الأول): وهو الأعظم، وهو أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور
أهواله، إما الجحود أو الشك فتقبض الروح في تلك الحالة، وتصير عقدة الجحود أو
الشك حجاباً منه دون الله تعالى، وذلك يقتضي البعد الدائم والحرمان اللازم وخسران

(١) نهج السعادة (ج ٦، ص ٢٤٢).

(٢) أو: ردية.

(٣) الصحيفة السجادية (ص ١٧٧).

(٤) وهو شعر قاله:

من الزوج عبد غاب عنه نصيره
وشيخي أمير المؤمنين وزيره
يراني يزيد في البلاد أسيره

أقاد ذليلاً في دمشق كأنني
وجدي رسول الله في كل مشهد
فيا ليت لم أنظر دمشقاً ولم يكن
(المنتخب للطريحي: ص ٤٨١).

الأبد والعذاب المخلّد.

ثم هذا الجحود أو الشك إمّا يتعلق ببعض العقائد الأصولية كالنوحيد وعلمه تعالى، أو غير ذلك من صفاته الكمالية، أو بضروريات أمر الآخرة والنبوة، وكلّ واحد من ذلك كاف في الهلاك زهوق النفس على الزندقة، أو يتعلق بجميعها، إمّا أصالة أو سراية، والمراد بالسراية: أنّ الرجل ربّما اعتقد في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف ما هو الحقّ والواقع، إمّا برأيه ومعقوله أو بالتقليد، فإذا قرب الموت وظهرت سكراته، واضطرب القلب بما فيه، ربّما انكشف بطلان ما اعتقده جهلاً، إذ حال الموت حال كشف الغطاء، ويكون ذلك سبباً لبطلان بقيّة اعتقاداته أو الشكّ فيها، وإن كانت صحيحةً مطابقةً للواقع، إذ لم يكن عنده أولاً فرق بين هذا الاعتقاد الفاسد الذي انكشف فساده وبين سائر عقائده الصحيحة، فإذا علم خطأه في البعض لم يبق له اليقين والاعتقاد في البواقي، كما نقل أن الفخر الرازي بكى يوماً، فسأله عن سبب بكائه، قال: اعتقدت في مسألة منذ سبعين سنة على نحو انكشف لي اليوم بطلانه، فما أدراني أن لاتكون سائر عقائدي كذلك^(١).

وبالجملة إذا اتّفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن ينيب ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء، وخرجت روحه على الشرك، أعادنا الله منه وثبتنا على الاعتقاد الحقّ لديه، وهم المقصودون من قوله تعالى: ﴿وَيَذَلَّهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(٢) ومن قوله ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٣).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١٥).

(٢) الآية ٤٧ من سورة الزمر.

(٣) الآيتان ١٠٣ و ١٠٤ من سورة الكهف.

والبله: أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيماناً مجملاً راسخاً بمعزل عن هذا الخطر، ولذلك ورد: أن أكثر أهل الجنة البله، وورد المنع من البحث والنظر والخوض في الكلام، وورد الأمر بالأخذ بظواهر الشرع مع اعتقاد كونه تعالى منزهاً عن النقص، متصفاً بما هو الغاية والنهاية من صفات الكمال؛ والسرف في ذلك: أن البله، إذا أخذوا بما ورد من الشرع واعتقدوا به، يثبتون عليه لقصور أذهانهم عن درك الشبهات وعدم اعتقادهم^(١) بالتشكيك، فلا يختلج ببالهم شك وشبهة ولو عند الموت^(٢).

وذلك لأنهم فارغون من علم الكلام والأخذ بعقولهم، فإن الكلاميين لازالوا مضطربين العقيدة، فإذا اعتقدوا اليوم شيئاً غداً أو بعد غدٍ يعارضهم فيه الشك فيتركونه، لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من تعمق لم يثب إلى الحق»^(٣) أي لا يرجع إلى الحق، كلما اعتقد أمراً عارضه فيه الشك، وأما الذي يأخذ جميع الفائدة من ظاهر الشرع ويثبت عليه لم يعترضه الشك.

■ [الاعتبار من سيرة حجر بن عدي]:

وأما الإيمان إذا كان ضعيف الأساس من الممكن أن يزول بأدنى تشكيك وتخويف في الحياة، وإذا كان على أصل ثابت لم تزلزله التشكيكات ولا العواصف، كإيمان حجر بن عدي^(٤) لما جيء به وأصحابه إلى معاوية، وعرضوا عليه وعليهم

(١) أو: اعتيادهم (كما في الأصل: جامع السعادات: ج ١، ص ٢١٦).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١٤ - ٢١٦).

(٣) ميزان الحكمة (ج ١، ص ٦٥٩) عن غرر الحكم (حديث ٨٨٥٢).

(٤) من خواص أصحاب الأمير عليه السلام، كان مقيماً بالكوفة إلى زمن زياد بن أبيه، ثم سجن ورحل إلى

البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه، فقالوا: لسنا بفاعلين، فأمروا بقيودهم فحلّت وأني بأكفانهم، وأخذوا يقتلونهم، قال لهم حجر بن عدي: دعوني أصلي ركعتين فإني ماتوصّأت قط إلّا صليت. فقالوا: صلّ فصلّي، ثم انصرف، فقال: والله ما صليت صلاة أقصر منها، ولولا أن يروا أنّ ما بي جزع من الموت لأطلت فيها^(١)، وفي خبر: إنّ قدّم ابنه أمامه للقتل، فقال: أخاف إن بقيت بعدي أن تخاف الموت وتبترأ من أمير المؤمنين عليه السلام. ثم تقدم لعين إلى حجر بالسيف فأرعدت فرائضه، فقال: كلا زعمت أنك لا تجزع من الموت، فإننا ندعك فابراً من صاحبك. فقال: ما لي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً وكفنّاً منشوراً وسيفاً مشهوراً، وأني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرّب. ثم قال لمن حضره من قومه: لاتطلقوا عني حديدأ، ولا تغسلوا عني دماً فإني لاقى معاوية غداً على الجادة^(٢).

كما جاء عن نفس المهموم^(٣) للمرحوم الشيخ عباس القمي رحمته الله، عن النوبختي في كتاب الفرق: إنّ الإمام باب الحوائج موسى بن جعفر عليه السلام دفن بقبوده، وأنّه أوصى بذلك، على أي حال فإن حجراً كفنّ ودقن على جاري العادة:

■ [شعر]:

فواحر قلبي للحسين الذي بقي ثلاثاً على الغبراء من غير ساتر

➤ معاوية في مرج عذراء بدمشق وقتل فيها هناك، وقد كان عليه السلام من الأبدال، وصارت له صحبة وثيقة مع الامام الحسن عليه السلام.

(١) شجرة طوبى (ج ١، ص ٨٩).

(٢) مستدرک الوسائل (ج ٢، ص ٤٨٥).

(٣) وهو كتاب نفيس في مقتل الامام الحسين عليه السلام.

وما نال تغسلاً بغير دماؤه ولا كفناً إلا سوافي الأعاصر
جالوا عليه العاديات غداوة وقد هشمت اضلاعه بالحوافر

المجلس الثاني والستون

في أسباب سوء الخاتمة

من كلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الكفر على أربع دعائم على التعمق، والتنازع، والزيف، والشقاق، فمن تعمق لم يُنب إلى الحق، ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة، وحسنت عنده السيئة، وسكر سكر الضلالة، ومن شاق وعرت عليه طريقه، وأعضل عليه أمره وضاق عليه مخرجه»^(١) فالزيف هو الميل عن الحق^(٢)، قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(٣) أي فلما مالوا عن الحق والطاعة أمال الله قلوبهم عن الإيمان والخير، وفي الدعاء: «ولاتزغ قلبي بعد إذ هديتني»^(٤) أي: لا تمله عن الإيمان، والمراد: لا تسلبني التوفيق بل تثبتني على الاهتداء، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب.
وأما الشقاق فهو الخلاق العداوة^(٥).

[و]انرجع إلى بقية كلام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «والشك على أربع شعب: على

(١) نهج البلاغة (ج ٤، ص ٩).

(٢) كما في شرح أصول الكافي للمازندراني (ج ٥، ص ٢٧٨).

(٣) الآية ٥ من سورة الصف.

(٤) مصباح المتعبد (ص ٣٣) كما في دعاء الزوال ودعاء عند غروب الشمس ومواضع أخرى.

(٥) معجم لغة الفقهاء (ص ٢٦٥) والصحاح (ج ٤، ص ١٥٠٣) وتاج العروس (ج ١٣، ص ٢٥١).

التماري، والهول، والتردد، والاستسلام^(١) فالمراد من التماري، هو: الجدل لإظهار قوة الجدل لا لإحقاق الحق، والهول: مخافتك من الامر لاتدري ماهجم عليك منه فتندش، والتردد: انتفاض العزيمة وانفاسها ثم عودها، ثم انفساخها، والاستسلام: إلقاء النفس في تيار الحادثات أي ما أتى عليها يأتي^(٢). ثم قال عليه السلام: «فمن جعل المرء ديدناً لم يصبح ليله (أي لم يخرج من ظلام الشك إلى نهار اليقين)، ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه، ومن تردد في الريب وطنته سناك الشياطين، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيها»^(٣).

[قال العلامة التراقي رحمته الله]:

فالخاضعون في غمرات البحث والنظر، والآخذون عقائدهم من عقولهم المزجاة، فليس لهم تثبت على عقائدهم، إذ العقول عن درك صفات الله وسائر العقائد الأصولية على ما هي عليه قاصرة، فالأدلة التي يستخرجونها مضطربة متعارضة، وأبواب الشكوك والشبهات بالخوض والبحث تصير مفتوحة، فأذهانهم دائماً محل تعارض العقائد والشكوك، فربما تثبت لهم عقيدة بملاحظة دلائلها، فيحصل لهم فيها طمأنينة ثم يعرض لهم شك يرفعها أو يضعفها، فهم دائماً في غمرات الحيرة والاضطراب.

فإذا كان حالهم هذا فأخذتهم سكرات الموت، فأبي استبعاد في أن يختلج لهم حينئذ شك في بعض عقائدهم، ومثله مثل من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج، يرميه موج إلى موج، والغالب في مثله الهلاك وإن اتفق نادراً أن يرميه موج إلى

(١) نهج البلاغة (ج ٤، ص ٩).

(٢) تعليقة محمد عبده على نهج البلاغة (ج ٤، ص ٩).

(٣) المصدر المتقدم.

الساحل، وقد نقل عن نصير الدين الحلبي^(١) وهو من أعظم المتكلمين، أنه قال: (إني فكرت في العلوم العقلية سبعين سنة، وصنفت فيها من الكتب ما لا يحصى ولم يظهر لي منها شيء سوى أن لهذا المصنوع صانع، ومع ذلك عجائز القوم في ذلك أشد يقيناً مني)^(٢)، فالصواب تلقي أصل الإيمان والعقائد من صاحب الوحي، مع تطهير الباطن عن خبائث الأخلاق، والاشتغال بالطاعات وصالح الأعمال، وعدم التعرض لما هو خارج عن طاقتهم من التفكير في حقائق المعارف، إلا من أيده الله بالقوة القدسية والفريحة المستقيمة، وأشرق نور الحكمة في قلبه، وشمله خفي الألطاف من ربه، فله الخوض في غمرات العلوم، وأما غيره فينبغي أن يأخذ منه أصول عقائده الواردة من الشرع، ويشغل بخدمته حتى تشمله بركات أنفاسه فإن العاجز عن المجاهدة في صفة القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم، ليحشر يوم القيامة في زمرة من وإن كان فاقداً لدرجتهم^(٣).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

هذا ما أشار إليه جابر بن عبد الله الانصاري^(٤) حين زار الحسين عليه السلام، وتوجه

(١) وهو أحد المحققين الكبار له شرح الطوابع ويلقب بالفاسطي أو الكاستي وقد توفي سنة ٧٥٥ للهجرة.
(٢) ذكرها المحدث النوري عليه السلام قوله هذا في خاتمة المستدرك (ج ٢، ص ٣٢٤) ونقل السيد الغروي في كتابه مع علماء النجف الأشرف: إن عقيدة معدان الكوفة.
(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١٥ - ٢١٦).

(٤) الخزرجي، صحابي جليل، شهد مع النبي ﷺ بدر و ١٨ غزوة، ثم مع الامام علي عليه السلام صفيين، وروى الكثير من الأخبار في فضل الامام علي عليه السلام وأهل بيته عليه السلام، وكان أول أو ثاني من زار قبر سيد الشهداء عليه السلام بعد أربعين يوماً من الاستشهاد. توفي سنة ٧٤ للهجرة أو ٧٧ للهجرة وكان آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

نحو الأنصار، وقال: «السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء قبر الحسين عليه السلام، وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه»^(١) قال عطية: فقلت لجابر: فكيف ولم نهبط وأدياً، ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت أزواجهم؟! فقال لي: (يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم»^(٢)) والذي بعث محمداً بالحق إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه^(٣).

وهكذا الحال في زيارة الحسين عليه السلام، زار الحسين من قريب أدنى ومن بعيد أقصى، ونحن نقول: (ليبك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري لإورابي وهواي على التسليم لخلف النبي المرسل^(٤)) وقال إمامنا الحجة (عجل الله فرجه)، في زيارة الناحية: «فلئن أخوتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولم أكن لمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنا صباحاً ومساءً ولأبكين عليك بدل الدموع دماً»^(٥).

(١) بشارة المصطفى (ص ١٢٥).

(٢) مستدرك الوسائل (ج ١٢، ص ١٠٨).

(٣) بشارة المصطفى (ص ١٢٥).

(٤) كامل الزيارات (ص ٤٠٢).

(٥) المزار للمشهدي (ص ٥٠١).

■ [شعر]:

ولله در السيد جعفر الحلي رحمته الله، حيث يقول:

ياميتاً ترك الأبواب حائرةً وبالعراء ثلاثاً جسمه تركا
تأتي الوحوش له ليلاً مسلمةً والقوم تجري نهاراً فوقه الرمكا
ويل لهم ما اهتمدوا منه بموعظة كالدر منتظماً والتبر منسبكاً
لم ينقطع قط عن ارسال خطبته حتى إذا رأسه فوق السنان حكا

المجلس الثالث والستون

أيضاً في أسباب سوء الخاتمة

[قال العلامة التراقي رحمته الله]:

السبب الثاني من أسباب سوء الخاتمة: ضعف الإيمان في الأصل، ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا في القلب، واستولى عليه حيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله إلا من حيث حديث النفس، فلا يظهر له أثر في مخالفة النفس والشيطان، فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات، حتى يظلم القلب ويسود، وتتراكم ظلمة الذنوب عليه، ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الإيمان حتى ينطفئ بالكلية، فإذا جاءت سكرة الموت ازداد حب الله ضعفاً، وربما عدم بالمرة، لما يستشعر من فراق محبوبه الغالب على قلبه وهو الدنيا، فيتألم ويرى ذلك من الله، فيختلج ضميره بإنكار ما قدره الله من الموت، وربما يحدث في باطنه بغض الله بدل الحب، لما يرى أن موته من الله، كما إن من يحب ولده حباً ضعيفاً، فإذا أخذ مالا له هو أحب إليه منه وأثقله انقلب حبه بغضاً، ضعيف الإيمان إن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي

خطر فيها هذه الخطرة - يعني بغض الله - فقد ختم له بالسوء نعوذ بالله من ذلك.
وقد ظهر أن السبب المفضي إلى ذلك غلبة حب الدنيا مع ضعف الإيمان
الموجب لضعف حب الله، فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا فهو أبعد
من هذا الخطر، وإن أحب الدنيا أيضاً، ومن وجد في قلبه عكس ذلك فهو قريب من
هذا الخطر، والسبب في قلة حب الله قلة المعرفة به، إذ لا يحب الله إلا من عرفه، وإلى
هذا القسم من سوء الخاتمة أشير في القرآن المجيد بقوله عز من قائل:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
أَقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾^(١) فمن فارقه روحه في حالة كراهته
فعل الله وبغضه له في تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه، فيكون موته قدوماً
على ما أبغضه وفراقاً لما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الأبق إذا قدم به على
مولاه قهراً، ولا يخفى ما يستحق مثله من الخزي والنكال، وأما الذي يموت على حب
الله والرضا بفعله كان قدومه قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه، ولا يخفى ما
يلقاه من الفرح والسرور.

● (الثالث): كثرة المعاصي وغلبة الشهوات، وإن قوي الإيمان، وبيان ذلك: أن
مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الألف والعادة،
وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره في قلبه عند موته، فإن كان أكثر ميله إلى
الطاعات كان أكثر ما يحضره عند الموت طاعة الله، وإن كان أكثر ميله إلى المعاصي
غلب ذكرها على قلبه عنده، وإن كان الغالب عند الموت ذلك، وهكذا الحال في جميع

الأشغال والأعمال الغالبة في عمره، فإنها تغلب على قلبه عند موته، فربما تفيض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي، فيعتقد بها قلبه، ويصير محجوباً عن الله تعالى، وهو المراد بالختم على السوء، فالذي غلبت عليه المعاصي والشهوات، وكان قلبه أميل إليها منه إلى الطاعات، فهذا الخطر قريب في حقه، والذي لا يميل إليها أصلاً فهو بعيد منه جداً، ومن غلبت عليه الطاعات ولم يقارف المعاصي إلا نادراً، فلعل الراجح في حقه النجاة منه، إن أمكن حصوله، ومن لم يغلب شيء من طاعاته ومعاصيه على الآخر فأمره في هذا الخطر إلى الله، ولا يمكن لنا الحكم بشيء من القرب والبعد في حقه^(١).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

فالحاصل إن كل إنسان عمل عملاً في حياته، وكان أكثر ميله إليه يعود ذكره بقلبه عند الموت إن خيراً فخير وإن شراً، ألا ترى مسلم بن عوسجة حيث كان همه نصرته الحسين عليه السلام في حياته لذا حضره ذلك عند شهادته، وذلك لما مشى لمصرعه الحسين عليه السلام وكان معه حبيب بن مظاهر وكان مغمى عليه، فقال له حبيب: لولا أنني أعلم أنني لاحق بك لأحببت أن توصيني بما أهمك ففتح عينيه، وقال أوصيك بنصرة هذا - وأشار إلى الحسين عليه السلام فقاتل دونه حتى تموت^(٢).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١٦ - ٢١٨).

(٢) بحار الأنوار (ج ٤٥، ص ٢٠).

٥ [شعر]:

نصروا ابن بنت نبيهم، طوبى لهم نالوا بنصرته مراتب عاليه
نصروه أحياءً وعند مماتهم يوصي بنصرته الشفيق شفيقا
أوصى ابن عوسجه حبيباً، قائلاً: قاتل دونه حتى الحمام تذوقاً^(١)

المجلس الرابع والستون

في التخلص من خاطر السوء عند الموت

ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال إلى المعاصي والشهوات، فلا طريق له إلا
المجاهدة طول عمره في فطام نفسه عنها، وفي قمع الشهوات عن قلبه، فهذا هو القدر
الذي يدخل تحت الاختيار، ويكون طول المجاهدة والمواظبة على العلم وتخليّة
السر (يعني القلب) عن الشواغل الدنيوية، وتقييده بالتوجه إلى الله وحبه وأنسه عدة
وذخيرة لحالة سكرات الموت، إذ المرء يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما
مات عليه كما ورد في الخبر^(٢).

وقد دلت المشاهدة على أن كل أحد يكون عند موته مشغول القلب بما هو
الغالب عليه طول عمره، حيث يظهر منه عند الموت ذلك، وإنما المخوف الموجب
لسوء الخاتمة هو خاطر سوء يخطر، ومنه عظم خوف العارفين، إذ اختلاج الخواطر
والاتفاقات المقتضية لكونها مذمومة أو ممدوحة لا يدخل تحت الاختيار دخولاً كلياً،

(١) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٢٨١).

(٢) الحقائق للفيض الكاشاني رحمه الله (ص ٨٨).

وإن كان لطول الألف والعادة تأثير ومدخلية، ولذا إذا أراد الإنسان ألا يرى في المنام إلا الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وأحوال الصالحين والعبادات لم يتيسر له، وإن كانت كثرة الحب والمواظبة على الصلاح والطاعة مؤثرة فيه.

وبالجملة اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط، وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة. وبذلك يعلم أن أعمال العبد كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح، وإن السلامة مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق»^(١) ناقة، فيختم له بما سبق به الكتاب»^(٢)، ومعلوم أن فواق ناقة لا يتسع لأعمال توجب الشقاوة، بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر كالبرق الخاطف ومن هنا قيل: (إني لا أعجب ممن هلك ولكني أعجب ممن نجا كيف نجا)^(٣) وقيل^(٤): (من وقعت سفينته في لجة البحر، وهجمت عليه الرياح العاصفة، واضطربت الأمواج، كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك، وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة، وأمواج الخواطر أعظم النظاماً من أمواج البحر، ومقلب القلوب هو الله).

ومن هنا يظهر سر قوله: (الناس كلهم هلكي إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكي إلا العاملون، والعالمون كلهم هلكي إلا المخلصون، والمخلصون على خطر

(١) وهو مقدر ما بين الحبشي.

(٢) الدعوات (٢٣٤) وأغاثة الطالبين (ج ٣، ص ٢٣٥).

(٣) وهو لمطرف بن عبدالله.

(أحياء علوم الدين: ج ٤، ص ١٥٥).

(٤) القاتل هو: أبو حامد الغزالي في أحياء علوم الدين (ج ٤، ص ١٥٥).

عظيم^(١).

ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مطلوبة وموت الفجأة مكروهاً، إذ موت الفجأة ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب، وأما الشهادة في سبيل الله فإنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب غير حب الله، وخروج حب الدنيا والمال والولد، فإن من هجم على صف القتال بأمر الله وحبه بائعاً دنياه بآخرته، راضياً بالبيع الذي بايع الله به، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ﴾^(٢)، وبذلك يظهر: أن القتل لا بسبب الشهادة التي حقيقتها ما فسر، لا يفيد الاطمئنان من هذا الخطر، وإن قتل ظلماً، وكذلك من قتل في الجهاد، إذا لم تكن نيته المهاجرة إلى الله ورسوله، بل إلى دنيا ينالها أو امرأة يتزوجها^(٣).

بل المراد من الذي باع نفسه من الله، ولا غاية له إلا نصرة دين الله، مثل أنصار الحسين عليه السلام:

❏ [الاعتبار من أنصار سيد الشهداء عليه السلام]:

باعوا على الله أرواحاً مقدسة وما رضوا غير دار الخلد أثمناً

سيما سيدهم وزعيمهم سيد الشهداء عليه السلام، كما قيل عن لسان حاله:

رضيت وحقك كل الرضا إذا كان يرضيك أن أقتل^(٤)

(١) تنبيه الخواطر (ج ٢، ص ١١٨).

(٢) الآية ١١ من سورة التوبة.

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١٨ - ٢٢٠).

(٤) جواهر المطالب في مناقب الامام علي عليه السلام (ج ٢، ص ٣٠٧).

المجلس الخامس والستون

في التلازم بين الخوف والرجاء

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

الرجاء ارتياح القلب لانتظار المحبوب، وهو يلزم الخوف، إذ الخوف كما عرفت عبارة عن: تألم القلب من توقع مكروه ممكن الحصول، وما يمكن حصوله يمكن عدم حصوله أيضاً، وما كان حصوله مكروهاً كان عدم حصوله محبوباً، فكما أنه يتألم توقع حصوله يرتاح بتوقع عدم حصوله أيضاً، فالخوف عن شيء وجوداً يلزمه الرجاء عدماً، والخوف عنه عدماً يلزمه الرجاء وجوداً. وقس عليه استلزام الرجاء للخوف فهما متلازمان، وإن أمكن غلبة أحدهما نظراً إلى كثرة حصول أسبابه، وإن تيقن الحصول أو عدمه لم يكن انتظارهما خوفاً ورجاءاً، بل سمي انتظار مكروه أو انتظار محبوب.

[ثم قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ثم إن الرجاء له أسباب لا بد من تحصيل أكثر أسباب المحبوب حتى يصدق اسم الرجاء على انتظاره، كتوقع الحصاد ممن ألقى بذراً جيداً في أرض طيبة يصلها الماء، وأما توقع ما لم يحصل شيئاً من أسبابه فيسمى غروراً وحمافة، كتوقع من ألقى بذراً في أرض سبخة لا يصلها الماء، وانتظار ما كان أسبابه مشكوكة فيسمى تمنياً، كما إذا صلحت الأرض ولا ماء.

وتفصيل ذلك: أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر، والطاعات هي الماء الذي يسقى به الأرض، وتطهير القلب من المعاصي والأخلاق الذميمة بمنزلة تنقية الأرض من الشوك والأحجار والنباتات الخبيثة، ويوم القيامة هو

وقت الحصاد. فينبغي أن يقاس رجاء العبد (المغفرة) برجاء صاحب الزرع للماء، (التنمية) وكما أن من ألقى البذر في أرض طيبة وساق إليها الماء في وقته، ونقاها من الشوك والأحجار، وبذل جهده في قلع النباتات الخبيثة المفسدة للزرع، ثم جلس ينتظر كرم الله ولطفه مؤملاً أن يحصل له وقت الحصاد مائة قفيز^(١) مثلاً، سمي انتظاره رجاءً ممدوحاً، فكذلك العبد إذا طهر أرض قلبه من شوك الأخلاق الردية، وبث فيها بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعة، ثم انتظر من فضل الله تثبيته إلى الموت وحسن الخاتمة المنفضية إلى المغفرة، كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه. وكما أن من تغافل عن الزراعة واختاز الراحة طول السنة، أو ألقى البذر في أرض سبخة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر وإصلاح الأرض من النباتات المفسدة للزرع، ثم جلس منتظراً إلى أن ينبت له زرع يحصده سمي انتظاره حمقاً وغروراً، كذلك من لم يلق بذر الإيمان في أرض قلبه أو لتاه فيه مع كونه مشحوناً برذائل الأخلاق، منهمكاً في خسائس الشهوات واللذات، ولم يسق إليها ماء الطاعات، ثم انتظر المغفرة، كان انتظاره حمقاً وغروراً. وكما أن من بث البذر في أرض طيبة لا ماء لها وجلس ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار وإن لم يمتنع أيضاً، سمي انتظاره تمنياً، كذلك من ألقى بذر الإيمان في أرض قلبه ولكن لم يسق إليه ماء الطاعات وانتظر المغفرة بلطفه وفضله كان انتظاره تمنياً.

فإذن، اسم (الرجاء) إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلية تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس به دخل تحت اختياره، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات، فالأحاديث الواردة في الترغيب على الرجاء، وفي

سعه عفو الله وجزيل رحمته ووفور مغفرته، إنما هي مخصوصة بمن يرجو الرحمة والغفران بالعمل الخالص المعد لحصولهما، وترك الانهماك في المعاصي المفوت لهذا الاستعداد فاحذر أن يغرك الشيطان، ويشبكك عن العمل، ويقنعك بمحض الرجاء والأمل^(١).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

إن العمل بالنسبة للإيمان كالماء بالنسبة للزرع فإذا قلَّ العمل ضعف الإيمان، وإذا ضعف الإيمان استحوذ الشيطان على الإنسان عن الطاعة وزين له المعصية، إلى أن يضمحل منه الإيمان ويسود القلب، فهناك لا تأثير فيه الموعظة، ويستحسن كل قبيح كأهل حيث استحوذ عليهم الشيطان وأنساهم الرحمان، لم تؤثر فيهم الحسين عليه السلام، بل زادتهم عتواً ونفوراً، فقابلهم عليه السلام بالصبر والعزم الثابت والجأش الطامن، كما ذكر امامنا ومولانا الحجة (عجل الله فرجه) في زيارة الناحية: «فلما رأوك ثابت الجأش غير خائف ولا خاش، نصبوا لك غوائل مكرهم، وقاتلوك بكيدهم وشرهم، وأمر اللعين جنوده فمنعوك الماء ووروده وناجزوك القتال، وعاجلوك النزال، ورشقوك بالسهم، وبسطوا لك كف الاصطلام»^(٢)، إلى أن قال: «قد عجبت من صبرك ملائكة السماوات، فأحلقوا بك من كل الجهات، وأثخنوك بالجراح، وحالوا بينك وبين الرواح، ولم يبق لك ناصر، وأنت محتسب صابر، تذب عن نسوتك وأولادك حتى نكسوك عن جوادك فهويت إلى الارض جريحاً، تطؤك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغام

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٢٣ - ٢٢٥).

(٢) الاستنصال.

ببواترها^(١)، وأسرع فرسك شارداً إلى خيامك قاصداً محمداً باكياً، فلما رأين النساء
جوادك مخزياً، ونظرن سرجك عليه ملوياً، برزن من الخدور ناشرات الشعور، على
الخدود لاطمات، وإلى مصرعك مبادرات»^(٢).

□ [شعر]:

ففرت كل من الدهشة تهوي وتقوم
وعلى أوجهها من كثرة اللطم كلوم
وحقيق بعد كسف الشمس أن تبدوالنجوم
يستسابقن إلى موضع ماخر الحسين

المجلس السادس والستون

ماورد في الرجاء من الآيات والأحاديث

نذكر في هذا المجلس بعض ماورد في الرجاء من الآيات والأخبار^(٣)، ثم نورد
نبذاً مما يدل على أنه لا معنى للرجاء بدون العمل، ليعلم أن إطلاق الرجاء محمول على
العمل، فنقول: إن الظواهر الواردة في الرجاء أكثر من أن تحصى، وهي على أقسام:
● (الأول) ماورد في النهي عن القنوط واليأس من رحمة الله كقوله تعالى: ﴿يَا
عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٤) وقول علي عليه السلام لرجل

(١) بسببها القاطعة.

(٢) راجع الزيارة الناحية في المزار المشهدي (ص ٤٠٢).

(٣) مما ذكره العلامة النراقي رحمه الله في جامع السعادات (ج ١، ص ٢٢٥).

(٤) الآية ٥٢ من سورة الزمر.

أخرجه الخوف الى القنوط من رحمة الله لكثرة ذنوبه: «أيا هذا، يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك»^(١)، وما روي: أن النبي ﷺ لما قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم، وتجارون إلى ربكم فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: إن ربك يقول: (لم تقنط عبادي)، فخرج ﷺ عليهم، ورجاهم وشوقهم^(٢). وماورد أن رجلاً من بني اسرائيل كان يقنط الناس، ويشدد عليهم، فيقول الله له يوم القيامة: (اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها)^(٣).

● (الثاني) ماورد في الترغيب على خصوص الرجاء وكونه سبب النجاة، كما ورد في أخبار يعقوب من أنه أوحى الله تعالى إليه: (أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف، لقولك ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾^(٤) لم خفت الذئب، ولم ترجني، ولم نظرت إلى غفلة أخوته ولم تنظر إلى حفظي^(٥)). وقول أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قال عند النزاع: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي: «ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجاه وأمنه مما يخاف»^(٦) يعني الخوف والرجاء، وماورد عن النبي ﷺ: «إن رجلاً يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي: يا حنان يا منان، فيقول الله تعالى لجبرئيل: إذهب فأنتي بعدي، فيجيء به فيوقفه على ربه، فيقول الله تعالى له: كيف وجدت مكانك؟ فيقول: شر مكان فيقول: ردوه إلى

(١) أخلاق أهل البيت عليه السلام (ص ١٨٤).

(٢) الجامع الصغير (ج ٢، ص ٤٣٢).

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٢٦).

(٤) الآية ١٣ من سورة يوسف.

(٥) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٢٦).

(٦) فقه الرضا عليه السلام (ص ٣٨٢).

مكانه، قال: فيمشي ويلتفت إلى ورائه، فيقول الله عز وجل: إلى أي شيء تلتفت، فيقول: لقد رجوت ألا تعيدني إليها بعد أن أخرجتني منها. فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة^(١) وقوله ﷺ: «قال الله تعالى: لا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها ثوابي، فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي، فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواربي، ولكن برحمتي فليثقوا، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا، وفضلي فليرجوا، فإن رحمتي عند ذلك تدركهم، ومني يبلقهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإني أنا الله الرحمان الرحيم وبذلك تسميت»^(٢).

● (الثالث) استغفار الملائكة والأنبياء للمؤمنين، وقوله ﷺ: «حياتي خير، لكم وموتي خير لكم، أما حياتي فأسن لكم السنن، وأشرع لكم الشرائع، وأما موتي فإن أعمالكم تعرض علي، فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه، وما رأيت منه سيئاً استغفرت الله لكم».

● (الرابع) ماورد في تأجيل المذنب إلى أن يستغفر، كقول مولانا الباقر عليه السلام: «إن العبد إذا أذنّب أجل من غدوة إلى الليل، فإن استغفر لم يكتب عليه»^(٣). وقول مولانا الصادق عليه السلام: «من عمل سيئة أجل فيها سبع ساعات من النهار، فإن قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات لم يكتب عليه»^(٤).

● (الخامس) ماورد في شفاعة النبي ﷺ، كقوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك

(١) التخويف من النار (ص ٢١٤).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٧١).

(٣) مكارم الأخلاق (ص ٣١٤).

(٤) كتاب الزهد (ص ٧١).

فترضى (١) وقد ورد في تفسيره: أنه لا يرضى محمد ﷺ وواحد من أمته في النار، وقوله ﷺ: «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (٢)، وكذا ماورد في شفاعة الأئمة الطاهرين عليه السلام والمؤمنين.

● **(السادس)** ماورد من البشارات للشيعه، ومن عدم خلودهم في النار، ومن أن حب النبي ﷺ والعتره الطاهره عليه السلام، ينجيهم من العذاب وإن فعلوا ما فعلوا.

● **(السابع)** ما دل على أن النار إنما أعدها الله لأعدائه من الكافرين، كما تصرح به الآيات الكريمه (٣).

● **(الثامن)** ماورد في سعة عفو الله، ومغفرته، ووفور رأفته ورحمته، كقوله: **﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾** (٤)، وماورد في الحديث القدسي: «إنما خلقت الخلق ليربحوا عليّ، ولم أخلقهم لاربح عليهم» (٥). وماورد: أنه لو لم يذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون ليغفر لهم (٦). وماورد من: أنه سبحانه ليغفرنّ يوم القيامة مغفرة ماخطرت على قلب أحد حتّى أن ابليس ليتناول لها رجاء أن تصيبه (٧). والآيات والأخبار الواردة في هذا المعنى متجاوزة عن حدّ التواتر.

● **(التاسع)** ما دل على أن ابتلاء المؤمن في الدنيا بالبلاء كفارة لذنوبه،

(١) الآية الخامسة من سورة الضحى.

(٢) من لا يحضره الفقيه (ج ٣، ص ٥٧٤).

(٣) راجع الآيات القرآنية ١٦ من سورة الزمر، و ١٣١ من سورة آل عمران، و ١٥-١٦ من سورة الليل.

(٤) الآية ٦ من سورة الرعد.

(٥) تذكرة الموضوعات (ص ٢٢٨).

(٦) تاريخ الاسلام (ج ٨، ص ٢٢٦).

(٧) مجمع الزوائد (ج ١٠، ص ٣٨٠).

كقوله ﷺ: «الحَمَى من قَبِجِ جَهَنَّمَ وهي حَظُّ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ»^(١).

● (العاشر) ماورد أنَّ الإيمان لا يضرَّ معه عمل، كما أنَّ الكفر لا ينفع معه عمل، وفي أنَّه قد يغفر الله لعبده ويدخله الجنة لأجل مثقال ذرة من الإيمان أو عمل جزئي من الأعمال الصالحة.

● (الحادي عشر) ماورد في الترغيب في حسن الظنِّ بالله كقوله ﷺ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ»^(٢) وكقوله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ»^(٣).

● (الثاني عشر): ما دل على أن الكفار أو النصاب يكون يوم القيامة فداء للمؤمنين أو الشيعة، كما روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «سَيُؤْتَى بِالوَاحِدِ مِنْ مَقْصِرِي شِيعَتِنَا فِي أَعْمَالِهِ، بَعْدَ أَنْ صَانَ الْوَلَايَةَ وَالتَّقِيَةَ وَحَقُوقَ إِخْوَانِهِ، وَيُوقَفَ بِأَزَانِهِ مِائِينَ مِائَةٍ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ النَّصَابِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَؤُلَاءِ فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ، فَيَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَأُولَئِكَ النَّصَابُ إِلَى النَّارِ، وَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾»^(٤) «(٥)».

(وأما الثاني) أعني ما يدل على أنَّ رجاء المغفرة والعفو والرحمة إنَّما هو بعد العمل، فأكثر من أن يحصى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي

(١) الكافي (ج ٣، ص ١١٢).

(٢) وسائل الشيعة (ج ١٢، ص ٦٥٩).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٥٨).

(٤) الآية الثانية من سورة الحجر.

(٥) التفسير المنسوب للامام العسكري عليه السلام (ص ٢٤٢).

سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ»^(١) وقول النبي ﷺ: «الْكَيْسَ مَا دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَمَنَى عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

وماروي عن الصادق عليه السلام، إنه قيل له: قوم يعملون المعاصي، ويقولون نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت!! فقال عليه السلام: «هؤلاء قوم يترجحون في الأماني، كذبوا ليسوا براجين، إن من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه»^(٣).

وعنه عليه السلام قال: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو^(٤) (٥).

■ [الاعتبار من أنصار سيد الشهداء عليه السلام]:

فالذي يرجو عفو الله يعمل بطاعته، والذي يخاف عذاب الله يترك معصيته.

فالذي يحبّ أحداً يسعى فيما يرضيه، ويترك ما يسخه، ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر^(٦).

وقال السيد صالح القزويني:

فيا خاطب العلياء والموت دونها

رويدك قد قاومت من لا يقاوم

(١) الآية ٢١٨ من سورة البقرة.

(٢) فتح الباري (ج ٩، ص ٢٩٨).

(٣) تحف العقول (ص ٣٦٢).

(٤) كتاب الزهد (٢٣).

(٥) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٣٠).

(٦) وهو مثل مشهور قال العجلوني في كشف الخفاء (ج ٢، ص ٢٨٥) يشير إليه قوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون).

بخلت عليها بالحيوة وإنها

لأكرم من تهدي إليه الكرائم

إذا علقت نفس امرء بوصالها

ورامت مراماً دونه حام حائم

فخاطبها الهدى والموت عاقد

وعمرك مهر والنثار الجماجم^(١)

ولذا إن أنصار الحسين عليه السلام أرخصوا بنفوسهم دونه.

المجلس السابع والستون

في مواقع الخوف والرجاء

وترجيح أحدهما على الآخر

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

قد عرفت أنَّ الخوف والرجاء محمودان؛ لكونهما باعثن على العمل، وهما دواء يداوي بهما أمراض القلوب، ففضل كل منهما إنما هو بحسب ما يترتب عليه من فائدة العمل ومعالجة المرض.

وهذا يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان تأثير الخوف في بعثه على العمل أكثر من تأثير الرجاء فيه فالخوف له أصلح، ومن كان بالعكس فبالعكس، ومن غلب عليه مرض الأمن من مكر الله والاعترا به فالخوف أصلح له، ومن غلب عليه اليأس والقنوط فالرجاء له أصلح، ومن انهمك في المعاصي فالخوف له أصلح، ومن ترك

(١) بحار الأنوار (ج ٦٧، ص ٣٩٤).

ظاهر الإثم وباطنه وخفيّه وجلّبه فالأصل له أن يعتدل خوفه ورجاؤه.

والوجه في ذلك: إنَّ كلّما يُراد به المقصود فضله إنّما يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه، فلو فرض تساويهم في البعث على العمل ولم يغلب عليه شيء من المذكورات فالأصلح اعتدلهما، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض ولده: «يا بني، خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت به حسنات أهل الأرض لم يقبلها منك، وارج الله رجاء كأنك لو أتيت به سيئات أهل الأرض غفرها لك» وقال الباقر عليه السلام: «ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران، نور خيفة ونور رجاء» لو وزن هذا لم يزد على هذا وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من أثنى عليهم، فقال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾^(١) وقال: ﴿يَدْعُونَا رَغَباً وَرَهَباً﴾^(٢) «^(٣)».

وعن الحارث بن المغيرة، قال: قلت للصادق عليه السلام: ما كان وصية لقمان؟ قال عليه السلام: «كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها، قال لابنه: خف الله عز وجل خيفة لو جنته ببرّ الثقلين لعذبك، وارج الله رجاء لو جنته بذنوب الثقلين لرحمك»^(٤).

وقال عليه السلام: الخوف رقيب القلب، والرجاء شفيع النفس، ومن كان بالله عارفاً كان من الله خائفاً وإليه راجياً، وهما جناح الإيمان، يطير العبد المحقق بهما إلى رضوان الله، وعينا عقله يبصر بهما إلى وعيد الله ووعدته، والخوف طالع عدل الله ونعي وعيده، والرجاء داعي فضل الله وهو يحيي القلب، والخوف يميت النفس... ومن عبد الله على ميزان الخوف والرجاء لا يضلّ ويصل إلى مأموله، وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم

(١) تحف العقول (ص ٣٧٥).

(٢) الآية ١٦ من سورة السجدة.

(٣) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء.

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٦٧).

بما تخرم صحيفته، ولاله عمل يتوسّل به استحقاقاً، ولا قدرة له على شيء ولا مفز، وكيف لا يرجو وهو يعرض نفسه بالعجز وهو غريق في بحر آلاء الله ونعمائه، من حيث لا تحصي ولا تعد، وقد أشار إلى هذا في الدعاء: إلهي كيف آيس من نظرك لي بعد مماتي وأنت لم توليني إلا الجميل في حياتي، والمحّبّ يعبد ربّه على الرجاء بمشاهدة أحواله بعين سهر، والزاهد يعبد على الخوف^(١).

وقد ظهر ممّا ذكر أنّ الرجاء أصلح وأفضل في موضعين:

(أحدهما) في حقّ من تفرّغ نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض، وكان الرجاء باعثاً له على التشمير والنشاط للطاعات، ومثله ينبغي أن يرجي نفسه نعم الله تعالى وما وعد الله به الصالحين في عليين، حتّى ينبعث من رجائه نشاط العبادة. ● (وثانيهما) في حقّ العاصي المنهمك إذا خطر له خاطر التوبة فيقنطه الشيطان من رحمة الله ويقول كيف تُقبل التوبة من مثلك، فعند هذا يجب أن يجمع قنوطه بالرجاء ويتذكّر ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ﴾، ويتوب ويتوقّع المغفرة مع التوبة لا بدونها، إذ لو توقّع المغفرة مع الإصرار كان مغروراً.

والرجاء الأوّل يجمع الفتور المانع من النشاط والتشمير، والثاني يقطع القنوط المانع من التوبة^(٣).

وهناك موضع ثالث كما في معراج السعادة وهو: من غلب عليه الخوف وأشرف على الهلاك، ومن كثرة الخوف خشي الضرر على بدنه، وغير هذه الثلاث الطوائف

(١) مصباح الشرايع (ص ١٨٠).

(٢) الآية ٥٣ من سورة الزمر.

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٣٠ - ٢٣٢).

الأولى لهم تعادل الخوف والرجاء.

وأما من أغواهم الشيطان وغرّهم، واشتغلوا ليلهم ونهارهم في اللهو واللعب والسرور، وكسلوا عن الطاعات، ونشطوا في المعاصي، ولم يتفكروا في حلال وحرام، ولم يخشوا من عذاب وعقاب، فالرجاء لهؤلاء ممّ قاتل، لأنّه يزيدهم طغياناً وجرأة على المعاصي، إذن يلزم الواقعظ أن يعفّ أمانم الناس، فمن كان الرجاء أولى له حملة على الرجاء ومن كان الخوف أولى له حملة على الخوف.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ألا ترى سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام لما رأى طغيان أهل الكوفة، لما استحوذ عليهم الشيطان ولم ينتفعوا بمواعظه الشافية، كيف أنذرهم بالعذاب في خطبته حيث قال عليه السلام: «تبتّ لكم أيّتها الجماعة وترحاً، حين استصرختمونا والهيّن فأصرخناكم موجفين، سلّتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم»^(١) إلى أن قال: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والنّلة وهيّات منا النّلة»^(٢).

■ [شعر]:

فأبى أن يعيش إلّا عزيزاً أو تجلّى الكفاح وهو صريع
بأبي كالتأ على الطّف خدراً هو في شفرة الحسام منيع

(١) الاحتجاج (ج ٢، ص ٢٤).

(٢) تحف العقول (ص ٢٤١).

قطعوا بعده عراه فياحب بل وريد الإسلام أنت القطيعُ
 وسروا في كرائم الوحي أسرى وعداك ابن أمها التفرع
 وورا العفاف يدعو ومنه من دم القلب دمه مشفوع
 يا ترى قومها بقتة وجير ملؤا أحشائها جوئ وصدوع
 فتفرق بها فما هي إلا ناظر داعم وقلب مروع
 لا تسمها جذب البرى أو تدري ربة الحذر ما البرى والنوع
 قوضي يا خيام عليا نزار فلقد قوؤ العمار الرفيع
 واملائي العين يا أمية نوماً فحسين على الصعيد صريع

المجلس الثامن والستون

في سوء الظن بالخالق والمخلوق

سوء الظن من نتائج الجبن، وضعف النفس، إذ كل جبار ضعيف النفس تدعن
 نفسه لكل فكر فاسد يدخل في وهمه، وقد يترتب عليه الخوف والغم وهو من
 المهلكات العظيمة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
 الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾^(٢) وقال تعالى:
 ﴿ظَنَنْتُمْ ظَنِّي السَّوْءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾^(٣). وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «ضع أمر
 أخيك على أحسنه حتى يأتبك ما يغلبك منه، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك

(١) الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ٢٣ من سورة فصلت.

(٣) الآية ١٢ من سورة الفتح.

سوء وأنت تجد لها في الخير محملاً»^(١).

[قال العلامة النراقي رحمه الله:]

ولا ريب في أنّ من حكم بظنه على غيره بالشرّ، بعنه الشيطان على أن يغتابه به أو يتوانى في تعظيمه وإكرامه، أو يقصّر في ما يلزم من القيام بحقوقه، أو ينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه، وكلّ ذلك من المهلكات على أنّ سوء الظنّ بالناس من لوازم خبث الباطن وقذارته، كما أنّ حسن الظنّ من علائم سلامة القلب وطهارته، فكلّ من يسيء الظنّ بالناس ويطلب عيوبهم وعثراتهم فهو خبيث النفس سقيم الفؤاد، وكلّ من يحسن الظنّ بهم ويستر عيوبهم فهو سليم الصدر طيّب الباطن، فالمؤمن يظهر محاسن أخيه، والمنافق يطلب مساويه، وكلّ إناء يشرح بما فيه^(٢).

والسرّ في خباثة سوء الظنّ وتحريمه وصدوره عن خبث الضمير واغواء الشيطان الرجيم، إنّ أسرار القلوب لا يعلمها إلاّ علام الغيوب، فليس لأحد أن يعتقد في غيره سوء إلاّ إذا انكشف له ببيان لا يقبل التأويل، إذ حينئذ لا يمكنه ألاّ يعتقد ما شاهده وعلمه، وأمّا ما لم يشاهده ولم يعلمه ولم يسمعه وإنّما وقع في قلبه فالشيطان ألّقه إليه، فينبغي أن يكذّبه لأنّه أفسق الفسقة، وقال تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾^(٣)، فلا يجوز تصديق اللّعين في نبأه، وإنّ حفّ بقرائن الفساد ما احتمل التأويل والخلاف، فلو رأيت عالماً في بيت لعين ظالم لا تظنّ أنّ الباعث طلب الحطام المحرّمة، لاحتمال كون الباعث إغاثة مظلوم، ولو وجدت رائحة الخمر في فم مسلم فلا تجزمن بشرب الخمر ووجوب الحدّ، إذ يمكن أنّه تمضمض بالخمر ومجّه

(١) أمالي الصدوق (ص ٣٨٠).

(٢) وهو مثل دارج مأخوذ من قولهم: كل اناء بالذي فيه ينضح.

(٣) الآية ٦ من سورة الحجرات.

وما شربه، أو شربه إكراهاً وقهراً، فلا يستباح سوء الظنّ إلا بما يستباح به المال، وهو صريح المشاهدة أو قيام بينة فاضلة.

ولو أخبرك عدل واحد بسوء من مسلم وجب عليك أن تتوقّف في إخباره من غير تصديق ولا تكذيب، إذ لو كذّبه كنت خائفاً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب، وذلك أيضاً من سوء الظنّ، وكذا إن ظننت به العداوة أو الحسد أو المقت لتتطرق لأجله التهمة فتردّ شهادته، ولو صدّفته كنت خائفاً على المسلم المخبر عنه إذ ظننت به السوء، مع احتمال كون العدل المخبر ساهياً أو إلتبس الأمر عليه بحيث لا يكون في إخباره بخلاف الواقع آثماً وفاسقاً، بالجملة لا ينبغي أن تحسن الظنّ بالواحد وتسيء بالآخر، فتذر المذكور حاله على ما كان في السر والحيجاب، إذ لم ينكشف لك حله بأحد القواطع، ولا بحجّة شرعية يجب قبولها، وتحمل خبر العدل على إمكان تطرّق شبهة مجوّزة للإخبار، وإن لم يكن مطابقاً للواقع.

ثمّ المراد بسوء الظنّ هو عقد القلب وميل النفس دون مجرّد الخواطر وحديث النفس بل الشكّ أيضاً، إذ المنهيّ عنه في الآيات والأخبار إنّما هو الظنّ، والظنّ هو الطّرف الراجح الموجب لميل النفس إليه. والأمارات التي يمتاز بها العقد عن مجرّد الخواطر وحديث النفس، هو أن يتغيّر القلب منه عمّا كان من الألف والمحبة إلى الكراهة والنفرة، وأنجوارح عمّا كانت عليه من الأفعال اللازمة في المعاشرات إلى خلافها، والدليل على أنّ المراد هو ما ذكر قوله عليه السلام: «ثلاث في المؤمن لا تستحسن وله منهنّ مخرج، فمخرجه من سوء الظنّ ألاّ يحقّقه»^(١)، أي لا يحقّق في نفسه بعقد

ولا فعل، لا في القلب ولا في الجوارح^(١).

■ [الاعتبار من مقام المعصومين عليه السلام وظلالاتهم]:

فالحاصل إن شهادة العدل الواحد في هذا الباب يتوقف عنها لا تقبل ولا ترد كل ذلك محافظة على عرض الشاهد والمشهود عن الهتك، وربما في غير هذا الباب تقبل شهادة العدل الواحد، كما كان رسول الله ﷺ قبل شهادة خزيمة بن ثابت^(٢)، عن شاهدين، وأما الشاهدان العدلان فشهادتهما مقبولة في كل باب من مسائل الحقوق سيما إذا كانا من أهل الشرف والفضل، ولم نر شاهدين أفضل من أمير المؤمنين والحسين عليه السلام، أما أمير المؤمنين فقد جعله الله تعالى شاهداً على رسالة نبيه ﷺ، وهي أهم أمر من الأمور بقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٣) ولكن رد الثاني شهادته في أمر فدك، وشهادة الحسين عليه السلام وأم أيمن حيث قال: أما علي يجر النار إلى قرصه وأما أم أيمن فهي امرأة أعجمية لا تفصح وأما الحسنان صبيان لا تقبل شهادتهما^(٤). فانكفأت الصديقة عليها السلام إلى منزلها مقروحة القلب باكية العين.

يقول الآزري عن لسان حالها:

لست أدري إذ زوّعت وهي حسرى عائد القوم بعلمها وأباها

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٥١ - ٢٥٢).

(٢) وهو من السابقين الأولين، وعبر عنه بـ (ذي الشهادتين) شهد مع الأمير عليه السلام الجمل وصفين واستشهد

٣٧ هـ (اسد الغابة: ج ٢، ص ٨٤).

(٣) الآية ٤٣ من سورة الرعد.

(٤) الاحتجاج (ج ١، ص ٢٣٤).

يَوْمَ جَاءَتْ إِلَى عَدِي وَتِيمٍ وَمَنْ الْوَجْدَ مَا أَطَالَ بَكَاهَا
تَعَظُ الْقَوْمَ فِي أَتَمِّ خُطَابٍ حَكَتِ الْمِصْطَفَى بِهِ وَحَكَاهَا
أَتَاهَا الْقَوْمُ أَيَّ بِنْتِ نَبِيٍّ عَنْ مَوَارِيثِهِ أَبَوَاهَا زَوَاهَا
كَيْفَ يَزُوي عَنِّي تِرَائِي عَتِيقٍ بِأَحَادِيثٍ مِنْ لَدُنْهُ افْتَرَاهَا
مَا لَكُمْ قَدْ مَنَعْتُمُونَا حَقُّوqًا أَوْجَبَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ آدَاهَا
تَدْعُونَ الْإِسْلَامَ إِفْكَأً وَزُوراً كَذَبْتَ أَمَّهَاتِكُمْ بِآدَاعَاهَا
كَيْفَ تَنْفِي بِنْتَ النَّبِيِّ عِنَاداً لَا نَفَى لِلَّهِ عَنْ لُظْمَانِ نَفَاهَا
وَلَأَيَّ الْأُمُورِ تَدْفِنُ لِيلاً بِضَعَةِ الْمِصْطَفَى وَيَعْفَى ثَرَاهَا

المجلس التاسع والستون

في اجتناب مواقع التهمة

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

فلكون سوء الظن من المهلكات منع الشرع من التعرض للتهمة، صيانةً لنفوس الناس.

قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا مَوَاقِعَ التَّهْمِ»^(١)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتَّهْمَةِ فَلَا يُلُومَنَّ مِنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ»

وروي أنه ﷺ كان يكلم زوجته صفية بنت يحيى بن أخطوب، فمر به رجل من الأنصار فدعاه رسول الله ﷺ، وقال: «يَا فُلَانُ، هَذِهِ زَوْجَتِي صَفِيَّةٌ» فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَنُظَنُّ بِكَ إِلَّا خَيْراً، قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٥٣).

فخشيت أن يدخل عليك»^(١).

فلينظر كيف أشفق رسول الله ﷺ على دينه فحرسه، وكيف علّم الأمة طريق الاحتراز عن التهمة، حتى لا يظنّ العالم الورع المعروف بالتقوى والدين أنّ الناس لا يظنون به إلا خيراً إعجاباً منه بنفسه، فإنّ ما لا جزم بتحقيقه في حقّ سيد الرسل وأشرفهم ﷺ فكيف يُجزم بتحقيقه في حقّ غيره، وإن بلغ من العلم والورع ما بلغ، والسرف في ذلك أنّ أروع الناس وأفضلهم لا ينظر الناس كلّهم إليه بعين واحدة، بل إن نظر إليه بعضهم بعين الرضا ينظر إليه بعض آخر بعين السخط.

وعين الرضا عن كل عيب كيلة ولكن عين السخط تبدي المساويا^(٢)

فكلّ عدوّ حاسد لا ينظر إلّا بعين السخط، فيكتم المحسن ويطلب المساوي، وكلّ شرير لا يظنّ بالناس كلّهم إلّا شراً، وكلّ معيوب مفضوح عند الناس يحب أن يفضح غيره وتظهر عيوبه عندهم، لأنّ البلية إذا عمّت هانت^(٣)، ولأنّ يشتغل الناس به فلا تطول ألسنتهم فيه، فاللازم لكلّ مؤمن ألاّ يتعرّض لموضع التهمة حتى يوقع الناس في المعصية بسوء الظنّ، فيكون شريكاً في معصيتهم إذ كلّ من كان سبباً لمعصيته غيره يكون شريكاً له في هذه المعصية، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَسَبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٤)، وقال رسول الله ﷺ: «كيف ترون من يسبّ أبويه» فقالوا: «هل من أحد يسبّ أبويه»؟! فقال ﷺ: «نعم يسبّ أبوي غيره فيسبون

(١) صحيح البخاري (ج ٧، ص ١٢٤).

(٢) المفردات (ص ٣٣٠).

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٥٣).

(٤) الآية ١٠٨ من سورة الأنعام.

أبويه»^(١).

ثمّ طريق المعالجة في إزالته بعد تذكّر ما ورد فيه من الفساد وما يأتي في فضيلة ضده، أنّه: إذا خطر لك خاطر سوء على مسلم لا تتّبعه ولا تحقّقه ولا تغيّر قلبك عمّا كان عليه بالنسبة إليه من المراعاة والتفقد والإكرام والاعتماد. بسبب ذلك خاطر بالسوء، بل ينبغي أن تزيد في مراعاته وإعظامه، وتدعو له بالخير، فإنّ ذلك يقطّ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك خاطر السوء خوفاً من اشتغالك بالدعاء وزيادة الإكرام.

ومهما عرفت عثرة من مسلم فانصحه في السرّ^(٢).

المجلس السبعون

في الحقد ومضاده

من الأخلاق المذمومة: الحقد، وهو إضرار العداوة في القلب، وهو ثمرة الغضب، لأنّ الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشنّي في الحال، رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا، وهو من المهلكات العظيمة، وقد قال رسول الله ﷺ: «المؤمن ليس بحقود»^(٣)، والغالب أنّ الحقد يلزم من الآفات: الحسد، والهجرة، والانتقطاع عن المحقود، وإيذاؤه بالضرب، والتكلم فيه بما لا يحلّ، من: الكذب، والغيبة، والبهتان، وإفشاء السر، وهتك الستر، وإظهار العيوب، والشماتة بما يصيبه من البلاء والسروور به، والإنسياط بظهور عثراته، وهفواته، إلى غير ذلك، وكلّ ذلك محرّم

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٥٣).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٥٢ - ٢٥٤).

(٣) منية المريد (ص ٣٢١).

يؤدّي إلى فساد الدين والدنيا، وأضعف مراتبه: أن يحترز من الآفات المذكورة، ولا يرتكب لأجله ما يعصي الله به، ولكن يستثقله بالباطن، ولا ينتهي قلبه عن بغضه، وهو أيضاً من الأمراض المؤلمة للنفس، المانعة لها من القرب إلى الله، والوصول إلى المألأ الأعلى، ويمنع صاحبه عمّا ينبغي أن يصدر عنه بالنسبة إلى أهل الإيمان، من: الهشاشة، والرفق، والتواضع، والقيام بحوائجهم، والمجالسة معهم، إلى غير ذلك، وهذا كلّ ممّا ينقص درجته في الدين ويحول بينه وبين مرافقة المقرّبين.

ولمّا كانت حقيقة الحقد عبارة عن العداوة الباطنة، فجميع الأخبار الواردة في ذمّ المعاداة تدلّ على ذمّه، كقول النبي ﷺ: «ما كان جبرئيل يأتيني إلّا قال يا محمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم»^(١)، وقوله ﷺ: «ما عهد إليّ جبرئيل قط في شيء ما عهد إليّ في معاداة الرجال»^(٢)، وقول الصادق عليه السلام: «من زرع العداوة حصد ما زرع»^(٣).

وطريق العلاج في إزالته: أن يتذكّر أن هذه العداوة الباطنية تؤلمه في العاجل، فالحقود المسكين لا يخلو من التألم والهم لحظة، ويعذب في الآجل، مع ذلك لا يضرّ المحقود أصلاً، والعاقل لا يدوم على حالة تكون مضرّة لنفسه ونافعة لعدوّه.

وبعد هذا التذكّر فليجتهد أن يعامله معاملة أحبّائه، من: مصاحبته بالانبساط والرّفق، والقيام بحوائجه، وغير ذلك، بل يخصّه بزيادة البلاء والإحسان، مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان، ولا يزال يكرّر ذلك حتى ترتفع عن نفسه آثار هذه الرّذيلة بالكلية.

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٠١).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٢).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٢).

ثمّ لما كان الحقد عبارة عن: العداوة الباطنة، وحقيقتها إضرار الشرّ وكراهة الخير لمن يعاديه، قصده (النصيحة) التي هي قصد الخير وكراهة الشرّ، فمن معالجات الحقّ أن يتذكر فوائد النصيحة.

■ [العداوة الظاهرة]:

ومن لزوم الحقّ العداوة الظاهرة؛ لأنه إذا قوي قوّة لا يقدر معها على المجاملة أظهر العداوة بالمكاشفة، والأخبار الواردة في ذمّها كثيرة، وعلاجها كما تقدّم في الحقد، وضدّها النصيحة الظاهرة، أعني فعليّة الخير والصالح لا مجرد قصدهما فليكلّف نفسه عليها؛ حتى تصير ملكة له ويزول ضدّها^(١).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

أقول هذا يمكن في حقّ المؤمن فيما إذا كانت عداوته عارضية يرجى زوالها بالتفكّر في سوء عاقبتها، سيّما في الآخرة، فيجاهد نفسه إلى أن تضمحل وتعود صداقة، وطال ما شوهد ذلك، لكن إذا كانت العداوة قديمة بيتية وكان المعادي منافقاً يظهر الإسلام ويبطن الكفر، هيهات أن يرجع عن عداوته، بل يرتقب الفرصة متى أمكنته الفرصة يتشقّى من عدوّه ويظهر الشماتة، ألا ترى يزيد (لعنه الله) لما أمكنته الفرصة كيف فعل بريحانة رسول الله ﷺ، ولما أقبلوا بأهل البيت عليهم السلام وأمامهم تلك الرؤوس، وكان اللعين جالساً في قصر جيروود، فعند ذلك نعى الغراب فقال (لعنه الله) متمثلاً:

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٧٤ - ٢٧٦).

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على ربي جيرون

نق الغراب فقلت صح أو لا تصح أنني قضيت من النبي ديوني^(١)

وتارة تراه ينكت ثنايا أبي عبدالله عليه السلام متمنياً حضور أشياخه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل^(٢)

المجلس الحادي والسبعون

في الضرب والفحش واللّعن والطّعن

[قال العلامة النراقي عليه السلام:]

ومن الأخلاق المذمومة المحرّمة: الضرب، والفحش، واللّعن، والطّعن، وهذه ناشئة غالباً عن العداوة والحقد، وربما صدرت من مجرّد الغضب وسوء الخلق، وربما صدر الفحش من مخالطة الفسّاق، وربما كان البعث في بعض أفرادها حبّ المال، وفقده المعداد من رذائل القوّة الشهوية، إلّا أنّ الفاعل المباشر لهذه الأمور هي القوّة الغضبية.

ثمّ لا ريب في كون هذه الأمور مذمومة محرّمة في الشريعة، وموجبة لحبط الأعمال وخسران المال، وجميع ما يدلّ على ذمّ الإيذاء والإضرار يدلّ على ذمّها، لكونها بعض أفرادهما، والعقل والشرع متطابقان على شدّة قبح كلّ واحد منهما بخصوصه وإيجابه للهلاك، أمّا (الضرب) فلائّه لا ريب في أنّ ضرب مسلم بلا داعٍ شرعي ممّا يستقبّحه كلّ عاقل ويذمّه جميع طوائف العالم حتى ثقة الأديان، والأخبار

(١) العوالم (كتاب الامام الحسين عليه السلام: ص ١٦٤).

(٢) أمالي الصدوق (ص ٢٣١).

الواردة في ذمّة كثيرة، وفي عدّة منها: «إِنَّ مِنْ ضَرْبِ رَجُلٍ سَوْطاً يَضْرِبُهُ اللَّهُ سَوْطاً مِنَ النَّارِ»^(١).

وأما الفحش، والسبّ، وبذاءة اللسان، فلا ريب في كونه صادراً عن خبائث النفس، قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانِ وَلَا الْفَحَاشِ وَلَا الْبِذِيِّ»^(٢)، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْفَحْشَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَحْشَ وَالتَّفَحُّشَ»^(٣)، وقال ﷺ: «الْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ فَاحِشٍ أَنْ يَدْخُلَهَا»^(٤)، وقال ﷺ: «إِنَّ الْفَحْشَ وَالتَّفَحُّشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ»^(٥)، وقال ﷺ: «الْبِذَاءُ وَالْبَيَانُ شَعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ»^(٦) والبيان كشف ما لا يجوز كشفه، وقال ﷺ: «لَا تَسْبُوا النَّاسَ فَتَكْتَسِبُوا الْعَدَاوَةَ مِنْهُمْ»^(٧)، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ فَحَّاشٍ بِذِي قَلِيلٍ الْحَيَاءُ لَا يَبَالِي مَا قَالَ وَلَا مَا قِيلَ لَهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَتَشْتَهُ لَمْ تَجِدْهُ إِلَّا لَعِيَةً»^(٨)، أو شرك شيطان»^(٩) وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِذِيَّ وَالسَّائِلَ الْمَلْحَفَ»^(١٠)، وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ شَرِّارِ

(١) دعائم الاسلام (ج ٢، ص ٥٤١).

(٢) سنن الترمذي (ج ٣، ص ٢٣٦).

(٣) الخصال (ص ١٧٦).

(٤) ميزان الحكمة (ج ٣، ص ٢٣٧٦).

(٥) عيون الحكم والمواعظ (ص ١٤٢).

(٦) مسند أحمد (ج ٥، ص ٢٦٩).

(٧) الكافي (ج ٢، ص ٣٦٠).

(٨) المخلوق من الزنا.

(٩) كتاب الزهد (ص ٧).

(١٠) تحف العقول (ص ٤٢).

الناس^(١) من تكروه مجالسته لفحشه»، وقال ﷺ: «شَرُّ الناس عند الله تعالى يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم»^(٢)، وقال ﷺ: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه»^(٣).

إعلم أنّ حقيقة الفحش هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، ويجري أكثر ذلك في ألفاظ الوقاع وآلاته وما يتعلّق بهما، فإنّ لأهل الفساد عبارة صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون من التعرّض لها، بل يكتون عنها بالرموز، قال بعض الصحابة: (إنّ الله حيي كريم يعفّ ويكفّي، كنى باللمس عن الجماع)، فالمسّ، واللمس، والدّخول، والصّحبة، كنايات عن الوقاع، وليست بفاحشة، وعنه عبارات فاحشة يستقبح ذكرها، وليس هذا يختصّ بالوقاع، بل الكناية بقضاء الحاجة عن التبوّل والتغوّط أولى من لفظة التغوط والتبوّل، ثمّ لا يقال: قالت زوجك أو امرأتك، بل يقال قالت: أمّ الأولاد، وكذا من به عيوب يستحي منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبطن وأمثال ذلك، بل يكتفي عنها بعبارات غير صريحة مثل العارض الذي عرض وما يجري مجراه، إذ التصريح بجميع ذلك داخل في الفحش.

وأما اللعن لا ريب في كونه مذموماً بل محرّماً لأنّه عبارة عن الطّرد والإبعاد من الله تعالى، وهذا غير جائز إلّا على من اتّصف بصفة تبعده بنصّ الشريعة^(٤).

(١) أو من شرار عباد الله.

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣٢٧).

(٣) المحاسن (ج ١، ص ١٠٢).

(٤) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٧٦ - ٢٧٨).

■ [الاعتبار من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام]:

والمجوّز في الشرع إنّما هو اللّعن على الكافرين والظالمين والفاسقين، كما ورد ذلك في القرآن، وجاء في كلمات أمير المؤمنين: «لا تكونوا لعانين»^(١)، روي أنّه عليه السلام نهى عن لعن أهل الشام مع أنّهم مستحقّين اللّعة، فإن صحّ ذلك فلعله كان يرجو إسلامهم ورجوعهم إليه، كما هو شأن الرئيس المشفق على الرعية.

أقول هذه وصية أمير المؤمنين بالنسبة إلى أهل الشام، وليتهم كفّوا عن لعنه بل لعنوه ألف شهر على المنابر في الجمع والأعياد^(٢)، والمؤسّس لذلك معاوية وقد اقتدى به نغله يزيد، حيث أمر الخطيب بلعنه عليه السلام بمحضر من ابنه زين العابدين عليه السلام، وواجه العقيلة زينب بسبّ أبيها وأخيها وسبّها بقوله: إنّما خرج من الدين.. إلى آخر^(٣).

المجلس الثاني والسبعين

في العُجب

من الأخلاق الذميمة المهلكة العُجب.

[قال العلامة النراقي رحمه الله:]

وهو استعظام نفسه لأجل ما يرى لها من صفة كمال، سواء كانت له تلك الصفة في الواقع أم لا، وسوء كانت صفة كمال في نفس الأمر أم لا، وقيل: هو إعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها بالمنعم. وهو قريب ممّا ذكر ولا يعتبر في مفهومه رؤية

(١) جامع البيان (ج ٢٣، ص ٨٣).

(٢) الصراط المستقيم (ج ٣، ص ١٤) وكتاب الأربعين للقمي (ص ٥٤٢).

(٣) قال له (لعنه الله): انما خرج من الدين أبوك وأخوك (الأمالى للصدوق: ص ٢٣١).

نفسه فوق غيره في هذا الكمال وهذه النعمة وبذلك يمتاز عن الكبير، إذ الكبير أن يرى لنفسه مزية على غيره في صفة الكمال، وبعبارة أخرى: أن يرى نفسه فوق المتكبر عليه، فالكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به.

والعجب لا يستدعي غير المُعجَب، بل لو لم يخلق إلا الإنسان وحده تصوّر، أن يكون معجباً، ولا يتصوّر أن يكون متكبراً إلا أن يكبر معه غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في فة الأول، ولا يأتي أن يستعظم نفسه ليكون متكبراً، فإنه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره أعظم من نفسه، أو مثل نفسه فلا يستكبر عليه، فهو معجب وليس متكبراً، ولا يكفي أن يستحقّر غيره، فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقرّاً، أو رأى غيره مثل نفسه لم يكن متكبراً، بل المتكبر هو أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره.

فالحاصل: أنّ العجب مجرّد إعظام النفس لأجل كماله أو نعمته، وإعظام نفس الكمال والنعمة مع الركون ونسيان إضافتهما إلى الله تعالى، فإن لم يكن معه وكون وكان خائفاً من زوال النعمة، مشفقاً على تكدرها أو سلبها بالمرّة، أو كان فرحه بها من حيث أنّها من الله تعالى من غير إضافتها إلى نفسه لم يكن معجباً، فالمعجب لا يكون خائفاً عليها، بل يكون فرحاً مطمئناً إليها، فيكون فرحه بها من حيث أنّها صفة كمال منسوبة إليه، لا من حيث أنّها عطية منسوبة إلى الله تعالى ومهما قلب قلبه أنّها نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب.

ثمّ إذا انضاف إلى العجب -أي غلب على قلب نفس المعجب- أن له عند الله حقّاً وأنّه منه بمكان، واستبعد أن يجري عليه مكروه، وكان متوقّفاً منه كرامة لعمله، سمي

ذلك (إدلالاً) بالعمل، فكأنه يرى لنفسه على الله دالة^(١)، فهو وراء العجب وفوقه، إذ كل مدلّ معجب، ورب معجب لا يكون مدلاً، إذ العجب مجرد الاستعظام ونسيان الإضافة إلى الله من دون توقع جزاء على عمله، والأدلاء يعتبر فيه توقع الجزاء بعمله إذ المدل يتوقع اجابة دعوته ويستنكر ردها بباطنه ويعجب منه، فالأدلال عجب مع شيء زائد. وعلى هذا فمن أعطى غيره شيئاً فإن استعظمه ومنّ عليه كان معجباً، وإن استخدمه مع ذلك، أو اقترح عليه اقتراحات، واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه، وكما إن العجب قد يكون مما يراه صفة كمال وليس بها، كذلك العجب بالعمل قد يكون يعجب بعمل هو مخطئ فيه ويراه حسناً، كما قال سبحانه: ﴿أَقْمَنَ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ قَرَآءَ حَسَنًا﴾^(٢).

وقال أبو الحسن عليه السلام: «العجب درجات ومنها أن يُزِنَ للعبد سوء عمله فيراه حسناً، فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعاً، ومنها: أن يؤمن العبد بربه فيمن على الله عز وجلّ والله عليه فيه المنّة»^(٣).

■ [من كربلاء]:

أقول: قد يعجب الإنسان ويفخر بما يظنه فضيلة، وهو أكبر رذيله، وذلك حين أدخل سبائاً آل بيت الرسول ﷺ على يزيد (لعنه الله) وكان جالساً على السرير وعلى رأسه تاج مكلل بالدر والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش، فلما دخل حامل الرأس، أنشأ يقول:

(١) الدالة: الجرأة بسبب وجاهته عند [المنجد] [من المصنف].

(٢) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٣) معاني الأخبار (ص ٣٤٣).

أوقد^(١) ركابي فضة أو ذهباً
 إنني قتلت السيّد^(٢) المحجبا
 قتلت خير الناس أما وأباً
 وخيرهم إذ ينسبون النسب^(٣)

المجلس الثالث والسبعون

في العجب ومضاره

العجب من المهلكات العظيمة، وأرذل المهلكات الذميمة، قال رسول الله ﷺ:
 «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وأعجاب المرء بنفسه»^(٤).
 وقال ﷺ: «إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وأعجاب كل ذي رأي برأيه،
 فعليك نفسك»^(٥).
 وقال ﷺ: «لو لم تذبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك، العجب
 العجب»^(٦).

وقال ﷺ: «بينما موسى عليه السلام جالس إذ أقبل عليه إبليس وعليه برنس ذو
 ألوان، فلما دنى منه خلع البرنس وقام إلى موسى عليه السلام فقال له موسى: من
 أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: أنت، فلا قرب الله دارك قال: إنما جئت لأسلم عليك
 لمكانك من الله فقال له موسى: فما هذا البرنس. قال: به اختطفت قلوب بني آدم. فقال

(١) أو: املأ.

(٢) أو: إنني قتلت الملك المحجبا.

(٣) روضة الواعظين (ص ١٩٠) ومقاتل الطالبيين (ص ٨٠).

(٤) مستدرك الوسائل (ج ١٢، ص ١٨٩).

(٥) مستدرك الوسائل (ج ١٢، ص ١٨٩).

(٦) بحار الأنوار (ج ٦٩، ص ٣٢٩).

موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه. قال: إذا أعجبتة نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينيه ذنبه»^(١).

وقال عليه السلام: «قال الله عز وجل: يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين. قال: كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال: بشر المذنبين أنني أقبل التوبة، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم، فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك»^(٢).

وقال الباقر عليه السلام: «دخل رجلان المسجد هما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق، وذلك أنه يدخل العابد المسجد مذلاً بعبادته يذل بها، فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه، ويستغفر الله مما صنع من الذنوب»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمناً بذنب أبداً»^(٤)، وقال عليه السلام: «من دخله العجب هلك»^(٥)، وقال عليه السلام: «إن الرجل لينذب الذنب فيندم عليه، ويعمل العمل فيسره ذلك، فيتراخى عن حالته تلك، فلئن يكون على حالته تلك خير له مما دخل فيه»، وقال عليه السلام: «أتى عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟» فقال: مثلي يسأل عن صلاته، وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا. قال: فقال عليه السلام: «كيف بكاؤك؟» قال: أبكي حتى تجري دموعي، فقال له العالم: فإن ضحكك وأنت

(١) أمالي المفيد (ص ١٥٧).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣١٤).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣١٤).

(٤) تحف العقول (ص ٣٦٣).

(٥) أمالي الصدوق (ص ٥٣٢).

خائف أفضل من بكائك وأنت مدل، إن المدل لا يصعد من عمله شيء^(١)، وقال عليه السلام: «العجب كل العجب ممن يعجب بعلمه وهو لا يدري بما يختم له»^(٢)، وقيل له عليه السلام: الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق، ثم يعمل شيئاً من البر فيدخله شبه العجب به، فقال عليه السلام: «هو في الحالة الأولى وهو خائف أحسن حالاً منه في حال عجبه»^(٣) وقال عليه السلام: «إن عيسى بن مريم عليه السلام كان من شرائعه السبع في البلاد»^(٤)، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسى، فلما انتهى عيسى عليه السلام إلى البحر قال: بسم الله بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر عيسى جاز: بسم الله بصحة يقين منه، فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام فدخله العجب بنفسه فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء، فما فضله علي؟! قال: فرمس في الماء، فاستغاث بعيسى عليه السلام، فتناولوه من الماء فأخرجوه، ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله عيسى. يمشي على الماء وأنا أمشي فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعتك الله على ما قلت، فتب إلى الله عز وجل مما قلت، قال: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها»^(٥).

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣١٣).

(٢) المحاسن (ج ١، ص ٢٤٢).

(٣) نهج السعادة (ج ٧، ص ٢٤٠).

(٤) أي السعي في الأرض للعبادة.

(٥) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٦).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ويلحق العجب آفات كثيرة:

منها العجب بالرأي الخطأ فيصّر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ، كأهل الكوفة لما حذّروهم ونصحهم ووعظهم الحسين عليه السلام فأصروا على رأيهم وأبوا إلا قتله، إلى أن برز قمر العشيرة أبو الفضل العباس عليه السلام، وقال: يا بن سعد؛ هذا الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ يقول لكم: قتلتم أصحابه واخلتكم بني عمّه، وبقي فريداً مع أولاده وعياله، وهم عطاشى قد أحرق الظمأ قلوبهم فاستقوهم شربة من الماء ^(١)، لأنّ أطفاله وعياله وصلوا إلى الهلاك، وهو مع ذلك يقول: دعوني أخرج إلى طرف الرّوم والهند، وأخلي لكم الحجاز والعراق، وأشرط لكم إنّ غداً في القيامة لا أخاصمكم عند الله حتى يفعل الله بكم ما يريد.

فلما أوصل العباس إليهم الكلام عن أخيه فمنهم من سكت ولم يرد جواباً، ومنهم من جلس يبكي، فخرج الشمر وشبث بن ربعي (لعنهما الله)، فجاء نحو العباس عليه السلام، وقالوا له: قل لأخيك لو كان كلّ وجه الأرض ماءً وهو تحت أيدينا ما أسقيناكم منه قطرة واحدة إلا تدخلوا في بيعة يزيد. فتبسّم العباس عليه السلام ومضى إلى أخيه الحسين عليه السلام ^(٢).

فالموعظة لم تؤثر في قلوبهم لإصرارهم.

ويل لهم ما اهتمدوا منه بموعظة كالدّر منتظماً والتبر منسبكا

(١) معالي السّبطين (ج ١، ص ٤٤٥).

(٢) المصدر المتقدم.

لم ينقطع قط عن إرسال خطبه حتى بها رأسه فوق السنان حكى

* * *

لهفي لرأسك ويحمل^(١) مشرقاً كالبدرفوق الذابل المياد^(٢)

يتلو الكتاب وما سمعت بواعظ اتخذ القنا بدلاً عن الأعواد^(٣)

* * *

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا يكسو من أنواره جلبابا

يتلو الكتاب على السنان وإنما حملوا به فوق السنان كتابا^(٤)

المجلس الرابع والسبعون

في آفات العجب وعلاجه

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

العجب آفاته كثيرة:

(منها) الكبير، لأنه أحد أسبابه كما سيأتي.

(ومنها): أنه يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، فلا يتذكر شيئاً منها وإن تذكر

شيئاً منها يستصغرها ولا يستعظمها، فلا يجتهد في تداركها وتلافيها، بل يظن أنها تغفر

له.

وأما العبادات، فيستعظمها ويتبجح بها ومن على الله بفعلها، وينسى نعمة الله

(١) في أعيان الشيعة (ج ٢، ص ٥٠٤): وهو يرفع مشرقاً.

(٢) المضطرب.

(٣) أعيان الشيعة (ج ٢، ص ٥٠٤).

(٤) ديوان السيد رضا الهندي (ص ٤٣).

عليه، بالتوفيق والتمكين منها، وإذا أعجب بها عمي عن آفاتها، ومن لم يتفقد آفات الأعمال ضلّ سعيه، إذ الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقيّة من الشوائب قلماً تنفع. وإنّما يتفقد الخائف المشفق دون المعجب، لأنّه يغترّ بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه، ويظنّ أنّه عند الله بمكان، وأنّ له عند الله حقّاً بأعماله التي هي من عطايا ربّ العالمين ونعمه، وربّما يخرج العجب إلى تزكية نفسه والثناء عليها.

وإن أعجب برأيه وعقله وعلمه منعه ذلك من السؤال والاستفادة والاستشارة، فيستبدّ بنفسه ورأيه ويستتكف عن سؤال الأعلام، وربّما يعجب برأي الخطأ الذي خطر له، فيفرح بكونه من خواطره ولا يعتني بمواعظ غيره، فيصرّ عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستحقار والاستجهاال، فإن كان رأيه الفاسد متعلّقاً بأمر دنيوي أضمره وفضحه، وإن كان متعلّقاً بأمر ديني لاسيّما في أصول العقائد أضلّه وأهلكه، ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه فاستعان بعلماء الدين وسؤال أهل البصيرة، لكان خيراً له وأحسن، وموصلاً له إلى الحقّ المتيقّن.

ومن آفاته: أنّه يفتترّ في الجّد والسعيّ لظنّه أنّه قد استغنى وفاز بما ينجيه، وهو الهلاك الصريح^(١).

وللعجب علاجان إجماليّ وتفصيلي.

أما الإجماليّ فهو أن يعرف ربّه، وأن يعرف نفسه حقّ المعرفة، ليعلم أنّه بذاته أدلّ من كلّ ذليل وأقلّ من كلّ قليل، ولا تليق به إلاّ الذلّة والمهانة والمسكنة، فما له والعجب واستعظام نفسه، فإنّه لا ريب في كونه ممكناً، وكلّ ممكن في ذاته صرف العدم ومحض اللاشيء، كما ثبت في الحكمة المتعالية، ووجوده وتحقّقه وكماله

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٨٦، ص ٢٨٧).

وأثاره جميعاً من الواجب الحقّ، فالعظمة والكبرياء إنّما تليق بمفيض وجوده
وكمالاته، لا لذاته التي هي صرف العدم ومحض الليس، فإن شاء أن يستعظم شيئاً
يفتخر به فليستعظم ربّه وبه فليفتخر، ويستحقّر نفسه غاية الاستحقّار، وحتى يراها
صرف العدم ومحض اللاشيء.

وهذا المعنى يشترك فيه كلّ ممكن كائناً من كان.

وأما المهانة والذلّة التي تخصّ هذا المعجب وبني نوعه، فكون أوله نطفة قدرة
وآخره جيفة عفنة، وكونه ما بين ذلك حمّال نجاسات منته، وقد مرّ على ممرّ البول
ثلاث مرّات، وتكفيه آية واحدة من كتاب الله تعالى لو كان له بصيرة، وهي قوله تعالى:
**﴿قِيلَ لِلْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ
يَسِّرُهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾**^(١)، فقد أشارت الآية إلى أنّه كان أولاً في
كتم العدم غير المتناهي، ثمّ خلقه من أقذر الأشياء الذي هو نطفة مهينة، ثمّ أماته وجعله
جيفة منتنة خبيثة^(٢).

قال القمي رحمه الله^(٣) كما في الصافي^(٤): **﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ﴾**^(٥) قال: يسّر له طريق
الخير^(٦)، **﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾**^(٧) عدّ الإماتة والإقبار في النعم^(٨)، لأنّ الإماتة وصله

(١) الآيات ١٧ - ٢٢ من سورة عبس.

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٨٧).

(٣) العالم المحدث الشيخ علي بن ابراهيم القمي صاحب التفسير المشهور بتفسير القمي.

(٤) للمحدث الفيض الكاشاني رحمه الله.

(٥) الآية ٢٠ من سورة عبس.

(٦) التفسير الصافي (ج ٥، ص ٢٨٦).

(٧) الآية ٢١ من سورة عبس.

(٨) التفسير الصافي (ج ٧، ص ٤٠١).

في الجملة إلى الحياة الأبدية، واللذات الخالصة، والأمر بالقبر تكرمة وصيانه عن السباع، ولهذا ورد التعجيل في جهاز الميّت.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

وقد ورد: أنَّ من إكرام الميّت تعجيل تجهيزه^(١)، ومثل: لا تنتظروا بموتاكم الصباح^(٢)، وهذا عام في جميع الموتى لا يختصّ بأحد دون أحد، نعم يجوز التأخير من الليل إلى الصباح إن كان للميّت مزية على غيره كالعالم والرئيس، ولتعظيمه باجتماع الناس لتشيعه، لا لإهانته ثمّ يسمح أكثر من ليلة واحدة ولم يسمع بجنّازة عطّلت أكثر من ذلك إلّا جنازة سيد شباب أهل الجنّة ريحانة رسول الله أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

يا ميّتاً ترك الأبواب حائرة وبالعراء ثلاثاً جسمه تركا
تأتي الوحوش له ليلاً مسلّمة والقوم تجري نهاراً فوقه الرمكا^(٣)

تهابه الوحش إذ تدنوا لمصرعه وقد أقام ثلاثاً غير مقبور^(٤)

(١) وسائل الشيعة (ج ٢، ص ٤٧١).

(٢) مستدرک الوسائل (ج ٢، ص ١٤٠).

(٣) الفرس والبرذونة.

(٤) الآيتان ٢٠ و ٢١ من سورة المرسلات.

المجلس الخامس والسبعون

في التفكر في مهانة الإنسان

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّيِّينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾^(١).

وأي شيء أخس وأرذل ممن بدايته محض العدم، وخلقه من أنثى الأشياء وأقذرها ونهايته، الفناء وصيرورته جيفة خبيثة. وهو ما بين المبدأ والمنتهى عاجز ذليل، لم يفوض إليه أمره، ولم يقدر على شيء لنفسه ولا لغيره، إذ سلطت عليه الأمراض الهائلة، والأسقام العظيمة، والآفات المختلفة، والطبائع المتضادة من المرة والدم والريح والبلغم، فيهدم بعض أجزائه بعضاً، شاء أم أبى، رضي أم سخط، فيجوع كرهاً، ويعطش كرهاً، ويمرض كرهاً، ويموت كرهاً، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا خيراً ولا شراً، ويريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يذكر الشيء فينساه، ويريد أن ينسى الشيء فلا ينساه، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهيمه فيجول في أودية الوسواس والأفكار والاضطراب، فلا يملك قلبه قلبه، ولا نفسه نفسه. يشتهي الشيء وفيه هلاكه، ويكره الشيء وفيه حياته، يستلذ ما يهلكه ويرديه، ويستبشع ما ينفعه وينجيه، ولا يأمن في لحظة من ليله ونهاره أن يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته، وتُفَلَج أعضاؤه، ويُخْتَلَس عقله، وتختطف روحه، ويُسَلَب جميع ما يهواه في دنياه، وهو مضطرّ ذليل، إن ترك فني، وإن خُلِّي ما بقي، عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره، فأَيُّ شيء أذلّ منه لو عرف نفسه، وأتى يليق به العجب لولا جهله!! وهذا وسط أحواله.

وأما آخره فهو الموت - كما عرفت - فيصير جيفة منتنة قدرة، ثم تضمحل صورته، وتبلى أعضاؤه، وتنخر عظامه، وتفتت أجزاؤه، فيصير رميماً رفاتاً، ثم يصير روثاً في أجواف الديدان، يهرب منه الحيوان، ويستقذره كل إنسان، وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان، فيصير تراباً تعمل منه الكيزان^(١)، ويعمر منه البنيان، فما أحسنه لو ترك تراباً، بل يحيى بعد طول البلى، ليقاسي شدائد البلاء، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويساق إلى عرصات القدامة، فيرى سماءً مشققة، وأرضاً مبدلة، وجبالاً مسيرة، ونجوماً منكدرة، وشمساً منكسفة، وجحيماً مسعرة، وجنة مزينة، وموازن منصوبة، وصحائف منشورة، فإذا هو في معرض المؤاخذه والحساب، وعليه ملائكة غلاظ شداد، فيعطى كتابه إما بيمينه أو شماله، فيرى فيه جميع أعماله وأفعاله من قليل وكثير، ونقيير^(٢) وقطمير^(٣)، فإن غلبت سيئاته على حسناته، وكان مستحقاً للعذاب والنار، تمنى أن يكون كلباً أو خنزيراً ليصير مع البهائم تراباً، ولا يلقى عقاباً ولا عذاباً، ولا ريب أن الكلب والخنزير أحسن وأطيب ممن عصى ربه القهار، ويعذب في النار، إذ أولهما وآخرهما التراب وهو بمعزل من العقاب والعذاب، والكلب والخنزير لا يهرب منهما الخلق، ولو رأى أهل الدنيا من يعذب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته، ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه، ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقاه في بحر الدنيا لصارت أنتن من الجيفة.

فما لمن هذه حاله والعجب واستعظام نفسه، وما أغفله من التدبر في أحوال يومه وأمسه!! ولو لم يدركه العذاب ولم يؤمر به للنار فإتماً ذلك للعفو؛ لأنه ما من عبد

(١) جمع الكوز وهو ما يحفظ فيه الماء.

(٢) وهي النقرة التي في ظهر النواة.

(٣) لفاقة النواة.

إلا وقد أذنب ذنباً وكلّ من أذنب ذنباً استحقّ عقوبته، فلو لم يعاقب فإنّما ذلك للعفو، ولا ريب في أنّ العفو ليس يقيناً بل هو مشكوك فيه فمن استحقّ عقوبة ولا يدري أيّ عني عنه أم لا يجب أن يكون أبداً محزوناً خائفاً ذليلاً، فكيف يستعظم نفسه ويلحقه العجب، ألا ترى أنّ من جنى على بعض الملوك بما استحقّ به ألف سوط مثلاً، فأخذ وحبس في السجن، وهو منتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق، وليس يدري أيّ عني منه أم لا، كيف يكون ذلك في السجن، أفترى أنّه مع هذه يكون معجباً بنفسه، ولا أظنّك أن تظنّ ذلك، فما من عبد مذنب ولو أذنب ذنباً واحداً إلا وقد استحقّ عقوبة من الله والدنيا سجنه، ولا يدري كيف يكون أمره، فيكفيه ذلك خوفاً ومهانة وذلة فلا يجوز له أن يعجب ويستعظم نفسه^(١).

■ الاعتبار من كلام الأمير عليه السلام:

أقول: ولو تفكّر المعجب في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، وتضرّعه، وتذلّه لله تعالى، واعترافه بالذنوب مع براءة ساحته وطهارته منها لما داخله عجب قط، مثل قوله عليه السلام في دعاء الصباح: «إلهي كيف تطرد مسكيناً التجأ إليك من الذنوب هارباً»^(٢)، وقوله عليه السلام: في المناجاة:

إلهي لئن جلّت وجعت خطيئتي فعفوك عن ذنبي أجلّ وأوسع
إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها فها أنا في روض الندامة ارتع
إلهي أجروني من عذابك إني أسير ذليل خائف لك خضع

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٨٧ - ٢٨٩).

(٢) نهج السعادة (ج ٦، ص ١٣٢).

إلهي إن لم تعف عن غير المحسن فمن للمسيء بالهوى يتمتع
إلهي ذنوبي بدت الطواف واعتلت وضحك عن ذنبي أجل وأرفع^(١)

أبقي مجال للعجب بعد سماع مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «فواسواتاه غداً
من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين: جوزوا وللمثقلين حطّوا، أمع المخفين أجوز
أم مع المثقلين أحطّ، ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما أن لي أن
أستحي من ربّي»^(٢) ثم بكى وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المني

فأين رجائي ثم أين محبتي

أتيت بأعمال قباح رزية^(٣)

فما في الوري شخص^(٤) جناجنايتي^(٥)

ويوم آخر أنشد يقول:

أقاد ذليلاً في دمشق كأنني من الزنج عبد غاب عنه نصيره

وجدي رسول الله في كلّ مشهد وشيخي أمير المؤمنين وزيره

فيا ليت لم أنظر دمشق ولم أكن يراني يزيد في القيود أسيره^(٦)

(١) مقاطع من شعر في المناجاة لأمر المؤمنين عليه السلام (نهج السعادة: ج ٦، ص ٢٤١).

(٢) الصحيفة السجادية (ص ١٧٦).

(٣) أو: ردية.

(٤) أو: خلق.

(٥) المصدر المتقدم (ص ١٧٧).

(٦) مدينة المعاجز (ج ٤، ص ١١٠) وشجرة طوبى (ج ٢، ص ٢٧٧).

الجلس السادس والسبعون

في علاج العجب

فقد مضى العلاج الإجمالي للعجب.

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

وأما التفصيلي: فهو أن يقطع أسبابه - أعني ما به العجب - وهي: العلم، والمعرفة، والعبادة والطاعة، وغير ذلك من الكمالات النفسية، ك: الورع، والشجاعة، والسخاوة، والنسب، والحسب، والجمال، والمال، والقوة، والبطش، والجاه، والإقتدار، وكثرة الأعوان والأنصار، والكياسة والتفطن لدقائق الأمور، والرأي الخطأ.

أما العجب (بالعلم) فعلاجه: أن يعلم أن العالم الحقيقي هو الذي يعرف عيوب نفسه وخطر الخاتمة، وأن من يليق به العظمة والعزة والكبرياء هو الله سبحانه، وما عداه هالك الهويّة والذات فاقد الكمالات والصفات.

وهذا العلم يزيد الخوف والذلة والمهانة والمسكنة، والاعتراف بالقصور والتقصير في أداء حقوق الله، والشكر بإزاء نعمه، ولذا قيل: (من ازداد علماً ازداد وجعل)^(١) فالعلم الذي لا يوجب ذلك ويورث العجب، إما ليس علماً حقيقياً، بل هو من العلوم الدنيوية التي ينبغي أن تسمى صناعات لا علماً، إذ صاحبه خاض فيه وهو خبيث النفس رديء الأخلاق لم يهذب نفسه أولاً ولم يزكّها بالمجاهدات ولم يرضها في عبادة ربّه، فيبقى خبيث الجوهر، فإذا خاض في العلم وإن كان علماً حقيقياً صادف من قلبه منزلاً خبيثاً، فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره، فإن العلم مثله مثل الغيث

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٠).

ينزل من السماء عذباً صافياً فإذا شربته الأشجار والنباتات ازداد المرّ مرارة والحلو حلاوة، كذلك العلم إذا صادف القلوب ازداد القلب المظلم الخبيث ظلمة وخبائة، والقلب، الطيب الصافي طيباً وصفاء.

وإذا عُلِمَ ذلك يُعرف أنّه لا ينبغي العجب بالعلم، ويجب أن يعلم أنّه إذا أعجب بنفسه صار ممقوتاً عند الله ومبغوضاً لديه، لما تقدّم من الأخبار، وقد أحبّ الله منه الذلّة والحقارة عند نفسه، وقال تعالى بواسطة سفرائه: «إِنَّ لَكَ عِنْدِي قَدْرًا مَا لَمْ تَرَ لِنَفْسِكَ قَدْرًا، فَإِنْ رَأَيْتَ لِنَفْسٍ قَدْرًا فَلَا قَدْرَ لَكَ عِنْدِي»^(١) وقال تعالى: (صَغُرُوا أَنْفُسَكُمْ لِيُعْظَمَ عِنْدِي مُحَلِّكُمْ)^(٢) فلا بدّ أن يكلف نفسه ما يحبّ مولاه، وأن يعلم أنّ حجة الله تعالى على أهل العلم أوكد، وإنّه يتحمّل من الجاهل ما لا يتحمّل غيره من العالم، لأنّ العالم إذا زلّ زلّ بزلّته كثير من الناس ولأنّ من عصى الله على معرفة كانت جنايته أفحش، إذ لم يقض حقّ نعمة الله عليه.

ولذا قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار، فتتلق أقتابه»^(٣)، فيدور بها كما يدور الحمال بالرحى، فيطيف به أهل النار، فيقولون: ما لك؟! فيقول: كنت أمر بالخير ولا آتية، وأنهى عن الشرّ وآتية»^(٤)، وقد مثّل الله تعالى علماء اليهود بالحمار، وأشار بقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْيَهُودِ بِالْحِمَارِ﴾^(٥) ويلمح

(١) أحياء علوم الدين (ج ٣، ص ٣١٢).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٠).

(٣) أو: أمعانه [من المصنف].

(٤) مسند أحمد (ج ٥، ص ٢٠٥).

(٥) الآية ٥ من سورة الجمعة.

ابن باعور^(١) بالكلب، إشارة لقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾^(٢) لعدم عملهم بما علموه، وقال عليه السلام: «يَأْتِي قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقُولُونَ: قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ فَمِنْ أَقْرَأَ مِنَّا وَمِنْ أَعْلَمَ مِنَّا» ثم التفت إلى أصحابه، فقال: «أولئك منكم أيها الأمة، أولئك هم وقود النار».

■ [الاعتبار من كربلاء]:

والعالم لا يلزم أن يكون عالماً فقيهاً، إذ كل إنسان بالنسبة لما يعلم ويقطع به يقال له عالم، فمن علم بحرمة الشيء فهو عالم بالنسبة إلى ذلك لا يجوز له ارتكاب ذلك المحرم، وإذا اعترف بحرمة الشيء علانية وقال: أنا ارتكبه ولا أبالي فيكون أشدّ عذاباً، لأنه المبارزة لله تعالى، كعلم أهل الكوفة بالحسين عليه السلام حين احتجّ عليهم بحسبه ونسبه، فأجابوه: إنا نعلم أن جدك محمد المصطفى عليه السلام، وأبوك علي المرتضى عليه السلام، وأمك فاطمة الزهراء عليها السلام، ونحن غير تاركيك حتى نفتلك أو تنزل على حكم يزيد^(٣).

إن يقتلوك فلا عن فقد معرفة فالشمس معروفة بالعين والأثر
فأنت في مشرق الدنيا ومغربها كالحمد لم تغن عنها سائر السور
أي المحاجر لا تبكي عليك دماً أبكيت والله حتى محجر الحجر^(٤)

(١) أبو لعام بن باعور، كان يسكن مدينة الجبارين ومعه الاسم الأعظم فاستغله ضد النبي موسى عليه السلام فدعى عليه النبي عليه السلام أن يسلب منه الاسم الأعظم فسلب منه (تفسير السمعاني: ج ٢، ص ٢٢٢) وتاريخ ابن الأثير (ج ١، ص ١٤٠) أنه من ولد لوط.

(٢) الآية ١٧٦ من سورة الأعراف.

(٣) أمالي الصدوق (ص ٢٢٣).

(٤) ديوان الأزرعي الكبير (ص ٣٢) و(ص ٣٠٠).

المجلس السابع والسبعون

في علاج العجب بالعبادة

قال العلامة النراقي رحمته الله:

وأما علاج العجب (بالعبادة والطاعة) فعلاجه: أن يعلم أنَّ الغرض من العبادة هو إظهار الذلِّ والإنكسار، وصيرورتهما ملكة للنفس، ليحصل له معنى العبودية وحقيقتها، فالعجب لمنافاته الغرض المقصود منها يبطلها، وبعد بطلانها فلا معنى للعجب بها، وأيضاً آفات العبادة الموجبة لحبطها كثيرة، وكذلك شرائطها وآدابها التي لا تصحُّ بدونها كثيرة، فيمكن أن يدخلها بعض الآفات، أو تفقد عنها بعض الشرائط والآداب، فلا تكون مقبولة عند الله، ومع إمكان ردّها وعدم قبولها كيف يعجب العاقل بها؟! ومن يمكنه القطع بسلامة طاعاته وعبادته عن جميع الآفات؟! ومن قطع بذلك فهو في غاية الجهل بحقائق الأمور، على أنَّ فائدة العبادة إنّما هو إذا كان عند الله سعيداً، ومن جَوَّز أن يكون عند الله شقيّاً، وقد سبق القضاء الإلهي بشقوته فأَيُّ نفع يتصور لعبادته حتى يعجب بها، ولا ريب أنّه لا يخلو عبد من هذا التجويز فما لأحد إلى العجب والتكبر في حال من الأحوال سبيل.

وأما العجب بـ (الورع، والتقوى، والصبر، والشكر، والسخاء، والشجاعة) وغيرها من الفضائل النفسية، فعلاجه: أن يعلم أنَّ هذه الفضائل إنّما تكون نافعة ومنجية إذا لم يدخلها عجب، فإذا دخلها العجب أبطلها وأفسدها، فما للعاقل أن يرتكب رذيلة تضییع ما له من الفضائل، وأتّى له لا يظهر الذلّة والتواضع في نفسه حتى يزيد فضيلة على فضائلها، ويُختم لأجلها الجميع بالخير، وتصير عاقبته محمودة، وتكون مساعبه مقبولة مشكورة، وينبغي أن يعلم أنَّ كلّ واحد من الفضائل التي يثبتها لنفسه موجودة

مع الزيادة فى كثير من بني نوعه، وإذا علم اشتراك الناس معه فى هذه الفضيلة زال إعجابه بها، وقد نقل أنّ واحداً من مشاهير الشجعان إذ قابل خصمه أصفر لونه وارتعدت فرائضه واضطرب قلبه، فقيل له: ما هذه الحالة وأنت أشجعهم وأقواهم، فقال: إني لم أمتحن خصمي، فلعله أشجع مني، وأيضاً النصر والغلبة وحسن العاقبة مع الذلّة والمسكنة، لا مع الإعجاب بالقوة والشجاعة، فإنّ الله عند المنكسرة قلوبهم.

ومن المعالجات النافعة للعجب بكلّ واحد من الصفات الكمالية: أنّ يقابل سبب العجب بضده، إذ علاج كلّ علة بمقابلة سببها بضده، ولما كانت علة العجب هو الجهل المحض، فعلاجه المعرفة المضادة له، فنقول: الكمال الذي به يعجب إما أن يكون يعجب به من حيث إنّه فيه وهو محلّه ومجراه، أو من حيث أنّه نشأ منه وحصل بسببه وقوّته وقدرته. فإن كان (الأول) فهو محض الجهل، لأنّ المحلّ مسخّر، وإمّا يجري ما يجري فيه وعليه من جهة غيره ولا مدخل له في الإيجاد والتحصيل، فكيف يعجب بما ليس له، وإن كان (الثاني) فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتمّ كماله وعمله أنّها من أين أنت له، فإن كان علم أنّ جميع ذلك نعمة من الله تعالى إليه من غير حقّ سبق له، فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله، إذ أفاض عليه ما لا يستحقّه، وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة. فإن ظنّ أنّه تعالى، وفقّه لهذا العمل لاتصافه ببعض الصفات الباطنة المحمودة كمحبّة تعالى ومثله فيقال له: الحبّ والعمل كلاهما نعمتان من عنده، ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك، إذ لا وسيلة لك ولا علاقة، فليكن الإعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك وبوجود صفاتك وأعمالك وأسباب أعمالك^(١).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩١ - ٢٩٣).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

أقول: هناك فرق بين العجب والتعجب، فالأول ممقوت والثاني مباح، ولعله فطري في الإنسان، إذا رأى عجباً أن يتعجب، وكلما ازداد الأمر غرابة يزداد التعجب، كتعجب المستاني ﷺ إذ رأى أمراً عجيباً لم يسبق له نظير في العالم في فضاعته حيث قال:

عجبت من فتك شمر بالحسين وقد رقى على الصدر منه وهو منتعل
كيف استطاع لصدر الصدر مرتقياً ودون أدنى مراقبي كعبه زحل

* * *

عجبت ومن في الدهر سرح طرفه وفكر فيه لم يزل يتعجب
يزيد الخنا في دسسته متقلب وعيسى حسين في الثرى يتقلب
ويحمل منه الرأس في الرمح جهرة وفي التاج رأس ابن الدعية يخصب
أبا حسن تغضي وتلتذ بالكرى وبالكف أمست تستر الوجه زينب
أبا حسن ترضى صفاياك في السبا ونسوة حرب في المقاصير تحجب

المجلس الثامن والسبعون

أيضاً في علاج العجب

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

فاذا ثبت أن إيجاد الإنسان وما فيه من الجوارح والقوة والعقل والكمالات والفضائل النفسية كله من الله سبحانه، إذن لا معنى لعجب العالم بعلمه، وعجب العابد بعبادته، وعجب الشجاع بشجاعته، وعجب الجميل بجماله، وعجب الغني بغناه؛ لأن كل ذلك ممن فضل الله، وإنما هو محل لفيضات فضل الله وجوده، والمحل أيضاً من فضل الله وجوده، فإنه هو الذي خلفك، وخلق أعضائك، وخلق ما فيها من القوة والقدرة والصحة، وخلق ذلك العقل والعلم والإرادة، ولو أردت أن تنفي شيئاً من ذلك لم تقدر عليه، ثم خلق الحركات في أعضائك مستبداً باختراعها من غير معه في الاختراع، إلا أنه خلقها على الترتيب، فلم يخلق والحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة، ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم، فتدرجه في الخلق شيئاً بعد شيء هو الذي خيّل إليك أنك مستقل بإيجاد عملك وقد غلطت، فإن تحريك البواعث، وصرف العوائق، وتهيئة الأسباب، كلها من الله تعالى ليس شيء منها إليك.

ومن العجائب أن: تعجب بنفسك، ولا تعجب بمن آليته الأمر كله، ولا تعجب بوجوده وكرمه وفضله في إثارة إياك على الفساد من عباده، إذ مكّنهم من أسباب

الشهوات واللذات، وزواها عنك، وصرف عنهم بواعث الخير، وهياها لك حتى يتيسر لك الخير من غير وسيلة سابقة منك.

روي أن أيوب عليه السلام، قال: (إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء، وما ورد عليّ أمر إلا آثرت هوائك على هواي) فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت: يا أيوب أتى لك ذلك؟ قال: فأخذ رماداً فوضعه على رأسه، وقال: (منك يا رب)، فرجع عن نسيانه، وأضاف ذلك إلى الله تعالى^(١)، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾^(٢) وقال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد ينجيهِ عمله»^{(٣) (٤)}. [وقال العلامة النراقي رحمه الله:]

وأما العجب (بالحسب والنسب): فعلاجه يتم بمعرفة أمور:

(الأول) أن يعلم أن التعرّز بكمال الغير غاية السفه والجهل، فإنّه لو كان خسيساً في صفات ذاته، فمن أين يجبر خسسته كمال غيره، بل لو كان الذي يعجب به بالانتساب حياً لكان له أن يقول الفضل لي لالك وأنت دودة خلقت من فضلة الإنسان أشرف من الدودة التي خلقت من فضلة حمار هيهات، فإنهما متساويات في الخسة، إنّ الشرف للإنسان لا للدودة، ولذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

أنا ابن نفسي، وكنيتي أدبي من عجم كنت أو من العرب
إنّ الفتى من يقول: ها أنا ليس الفتى من يقول كان أبي^(٥)

(١) أمالي الطوسي (ص ٦٦٢).

(٢) الآية ٢١ من سورة النور.

(٣) فتح الباري (ج ١١، ص ٢٥٢).

(٤) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٣ - ٢٩٤).

(٥) نهج السعادة (ج ٧، ص ٢٧١).

وقيل:

لئن فخرت بأبَاء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا^(١)
 وقد روي: إِنَّ أبا ذر قال بحضرة النبي ﷺ لرجل: يا ابن السوداء، فقال
 النبي ﷺ: «يا أبا ذر، طَفَّ الصاع^(٢)، طَفَّ الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء
 فضل» فاضطجع أبو ذر، وقال للرجل: قَمِّ فطاً على خَدَي^(٣)، وروي أَنَّ بلالاً لَمَّا أذَنَ عام
 الفتح على الكعبة، قال جماعة: هذا العبد الأسود يُؤذَن، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
 أَتْقَاكُمْ﴾^(٤)^(٥)، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ - أَي كِبَرَهَا
 - كُلَّكُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ»^(٦).

ونقل أَنَّهُ إِنَّ واحداً من رؤساء اليونان افتخر على غلام، فقال له: إِنْ كَانَ منشأ
 افتخارك آبَاءَكَ فَالتَفُوقُ لَهُمْ لَالِكْ، وَإِنْ كَانَ لبأسك فَالشَّرَافَةُ لَهُ دُونُكَ، وَإِنْ كَانَ مَرْكُوبٌ
 فَالْفُضِيلَةُ لَهُ لَكَ فَلَيْسَ لَكَ شَيْءٌ يَصْلُحُ لِلْعَجَبِ^(٧)، وَلِذَا قَالَ مَتَمِّمُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
 (صلى الله عليه وآله وسلم): «لَا تَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ وَاتُونِي بِأَعْمَالِكُمْ»^(٨)^(٩).

(١) بحار الأنوار (ج ٧، ص ٢٢٦) وشرح نهج البلاغة (ج ١٩، ص ٣٣١).

(٢) قال في النهاية (ج ٣، ص ١٢٩) أي كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة.

(٣) قريب منه في تاريخ يعقوبي (ج ٢، ص ١١٠).

(٤) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٥) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٥).

(٦) شرح نهج البلاغة (ج ١٩، ص ٣٥٢).

(٧) شرح نهج البلاغة (ج ١٩، ص ٣٥٢).

(٨) تاريخ يعقوبي (ج ٢، ص ١١٠).

(٩) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٤ - ٢٩٥).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

فإذا كان النبي ﷺ أكد هذا التأكيد في ترك الفخر ولم يرض من أبي ذر تلك الكلمة، حيث قال للرجل: يابن السوداء، حيث كان فيها نوع من الشتم، ولعل أبو ذر لم يقصد بها التحقير بل هفوة لسان، فكيف برسول الله ﷺ لو حضر كربلاء، ورأى عقائله معرّضات للشم الفضيع، سيّما عقيلته زينب، حينما أتت لتودّع جسد أخيها، فأثاه الحادي - إن صحّت الرواية -، وقال: قومي يا بنت وإلا ألحقك به^(١). ولسان حالها يهتف بأخيها:

هذي نساؤك من يكون إذا أسرت في الأسر سائقها ومن حاديها
أيسوقها زجر بضرب متونها والشمر يحدوها بسبّ أبيها^(٢)

المجلس التاسع والسبعون

في علاج العجب بالحسب والنسب

[قال العلامة النراقي رحمه الله]:

● الأمر (الثاني): في علاج العجب بالحسب والنسب، أن يعرف نسبه الحقيقي، فإن أباه القريب نطفة قدرة، وجدّه البعيد تراب ذليل، وقد عرفه الله نسبه فقال: ﴿وَيَدَّأْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾^(٣)، والأصل الذي يوطأ بالأقدام أو تغسل منه الأجسام أي رفعة يكون لفرعه!

(١) معالي السبطين (ج ٢، ص ٢٣).

(٢) ديوان السيد رضا الهندي (ص ٤٧).

(٣) الآيتان ٧ و ٨ من سورة السجدة.

● (الثالث): أن يعلم أن من يعجب بهم بالانتساب من أسلافه، إن كانوا من أهل الديانة والخصال المرضية والشرافة الحقيقية، فظاهر أنه ما كان من أخلاقهم العجب، بل الذلة والإزاء بالنفس ومذمتها واستعظام الخلق، فإن اقتدى بهم في أخلاقهم فلا يليق به العجب والتعزز، وإلا كان طاعناً في نسبه بلسان حاله، وإن لم يكونوا من أهل الديانة الواقعية والشرافة العلمية والعملية، بل كان لهم مجرد شوكة ظاهرية، كالسلاطين الظلمة وأعوانهم، فأف لمن يفتخر بهم ويعجب بنفسه لأجلهم، إذ الانتساب إلى الكلاب والخنازير أحسن من الانتساب إليهم، كيف وهم ممقتون عند الله معذبون بالنار بحيث لو نظر إلى صورهم في النار وما لحقهم فيها من النتن والقذارة، لاستنكف منهم وتبرء من الانتساب إليهم، ولذا قال رسول الله ﷺ: «ليدعن قوم الفخر بأبائهم وقد صاروا فحماً في جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدوف بأناقهم القدر»^(١)، وروي أنه: افتخر رجلان عند موسى ﷺ، قال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى عدّ تسعة، فأوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ: (قل للذي افتخر: بل التسعة من أهل النار وهو عاشرهم)^(٢).

أما العجب (بالجمال) فعلاجه أن: يعلم أنه في معرض الزوال بالعلل والأمراض والآلام والأسقام، وأي عاقل يعجب بشيء تزيله حمى يوم أو قرحة أو جذري. وقد قيل بالفارسية.

بر مال وجمال خويشتن غره مشوكان را بشبي برند واين را به تبي
(معنى البيت: لا تغتر بمالك وجمالك فإنّ ذلك يذهب بليلة وهذه بحمة

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٦).

(٢) المصدر المتقدم.

واحدة).

ولو لم يرتفع بها فهل يشك عاقل بزواله بذهاب الشباب ومجيء الشيب وبالموت الذي تذوقه كل نفس، فانظر إلى الوجوه الجميلة كيف تمرّت، والأبدان الناعمة كيف تمرّت في التراب، وأنتشت في القبور، بحيث استفذرتها الطباع^(١)، [وقد] أشار إلى ذلك مولانا محمد الجواد^(٢):

أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود تقتتل^(٣)

[ثم قال العلامة النراقي^(٤):

على أنه لو نظر نظر العقلاء في باطنه عند اتّصافه بغاية جماله، لرأى من الفضائح ما يكدر عليه العجب والتعزّز به، فإنّه وكَلَّتْ إليه الأقدار في جميع أجزائه: البصاق في فمه، والمخاط في أنفه، والوسخ في أذنه، والنتن تحت أبطه، والصديد تحت بشرته، والفضلات في معدته، والرجيع في أمعائه، والديدان في أحشائه. إلى غير ذلك^(٥). فالجمال المحفوف بهذه الآفات والمعائب، ويتغيّر بحمى يوم أو بغيرها من العوارض فكيف يعجب به عاقل، وهذا التغيّر لابدّ لكلّ إنسان منه إن سلم له في أيام الحياة لم يسلم بعد الممات إلّا جمال واحد فإنّه لم يتغيّر أبداً في حال الحياة وبعد الممات إلّا وهو الجمال الحسيني كما أشار إليه الكعبی (رحمه الله) بقوله:

ومجرّح ما غيّرت منه القنا حسناً ولا أخلقن منه جديداً

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٥ - ٢٩٦).

(٢) وفيات الأعيان (ج ٣، ص ٢٧٣).

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٦).

قد كان بدرأ فاعتدى شمس الضحى مذ أبسته يد الدماء لبودا
يحمي أشعته العيون فكلمها حاولن نهجاً خلته مسدودا
وتظله شجر القنا حتى أبت إرسال هاجرة إليه بريد^(١)

المجلس الثمانون

في علاج العجب بالمال والقوة والجاه والمنصب وولاية السلطان وكثرة الأعوان

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

وأما المعجب بالمال، فهو: عجب بأمر خارج عن ذات الإنسان، فهو أقبح أنواع العجب.

وعلاجه: أن يتفكر في آفات المال، وكونه في معرض الفناء والزوال من الغضب والنهب والحرق والغرق وغير ذلك من الآفات السماوية والأرضية، ويتذكر أن في اليهود والهند من يزيد عليه في المال، أف لشرف يسبقه فيه اليهود والهنود، وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلاً مفلساً.

ويتذكر ما ورد في ذم المال وحقارة الأغنياء، وفي فضيلة الفقر وشرافة الفقراء، وسبقهم إلى الجنة في القيامة، وما ورد في عقوبة المعجب بالمال بخصوصه، لقوله عليه السلام: «بينما رجل يتبختر في حلة له قد أعجبتة نفسه، إذ أمر الله الأرض فأخذته، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»^(٢) أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه،

(١) ذكره الأمين رحمته الله في ترجمة السيد هاشم الاحسائي (أعيان الشيعة: ج ١٠، ص ٢٣٨).

(٢) سنن الدارمي (ج ١، ص ١١٦).

وكيف يُتصوّر المؤمن العاقل أن يعجب بالمال ويفرح به، مع كثرة حقوقه وعظم غوائله وإيجابه المؤاخذه وطول المحاسبة في القيامة، والعقوبة والتكال إن كان حراماً، وانحطاط المرتبة إن كان حلالاً، بل ينبغي له ألا يخلو ساعة عن الخوف من تقصيره في القيامة بحقوقه، وأخذه من حلّه، ووضعه في حَقّه.

وأما العجب (بالقوة وشدة البطش) فعلاجه: أن يتذكّر ما سلّط عليه من العلل والأمراض، وإن حمى يوم تضعف قوّته وتحلّل منها ما لا ينجبر في مدّة، فإنّه لو وُجّع عرق واحد من بدنه صار أعجز عاجز من كلّ عاجز وأذلّ من كلّ ذليل، وأنّه لو سلّبه الذباب شيئاً لم يستنقذه منه، وإن بقّة لو دخلت في أنفه أو نملة دخلت في أذنه لقتلته، وإن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته^(١).

ثم أقوى إنسان لا يكون أقوى من حمار أو جمل أو فيل أو بقر، وأيّ عجب وافتخار في صفة يسبقه البهائم فيها، هذا مع إنّ الغالب أنّ من يعجب بقوّته يسلبها الله تعالى منه بأدنى آفة يسلّطها عليه.

[ثم قال العلامة النراقي رحمته الله]:

وأما العجب (بالجاه، والمنصب، وولاية السلطان، وكثرة الأتباع والأنصار، والأولاد، والأقارب، والقبائل، والعشائر، والخدم، والغلمان)، فعلاجه: أن يعلم أن كلّ ذلك في معرض الانقطاع، وعن قريب يقع بينه وبينها المفارقة، إمّا بفنائها وموته أو بفنائها وهلاكها، بل العاقل يجدها كسرابٍ بقيعة، وإمّا هي خيالات تُظنّ شيئاً وليست بشيء، وستفترق عنه إذا مات ودفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهل ولا أولاد ولا أعوان ولا أتباع، فيسلّمونه إلى البلاء، وإلى العقارب والحيات والديدان، ولا يغنون

عنه شيئاً وهو في أحوج أوقاته إليهم، وكيف يعجب العاقل بمن يفارقه في أشدّ أحواله، على أنهم في الدنيا يتبعونه ما دام يحصل منه ما يشتهر به من البذل والإعطاء، فلا بدّ له من إيقاع نفسه في المهالك وتعرّضه لسخط الله وعقوبته لتحصيل الأموال من الوجوه المحرّمة وصرفها إليهم، ليستمروا على متابعتهم وإعانتهم، ولو نقص شيء ممّا يتمنّونه تعرّضوا لمقتته وعداوته فضلاً عن بقائهم على حمايته وإطاعته.

ثمّ المعجب بتمكين السلطان وولايته بناء أمره على تاب هو أشدّ غلياناً من القدر إذ لو تغيّر عليه كان أذلّ الخلق^(١).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ومن تتبّع سيرة الملوك والأمراء يعرف ذلك، فكم غضبوا على أناس فسلبوهم ما جمعوا وتركوهم في أسوأ حال، وأحسنهم حالاً من سلم من القتل، [واقضية الرشيد مع البرامكة^(٢) مشهورة، وهل عاقل يعجب بالولاية والأمانة من قبل السلطان إلّا مثل ابن زياد، وذلك حين جيء إليه برأس الحسين عليه السلام ودخلت مجلسه العقيلة زينب وجلست ناحية وهي متنكرة، وقد حفّ بها إمامها فقال: من هذه التي انحازت ناحية؟! فقبل له: هذه زينب بنت علي، فقال: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوئلكم. فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا^(٣).

وقال السيد ابن طاووس في اللهوف: قال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٨).

(٢) وهو عزمه على إبادتهم (الاتحاف بحب الأشراف: ص ٢٤٦) والبرامكة طائفة معروفة.

(٣) الارشاد (ج ٢، ص ١١٥).

وأهل بيتك؟! فقالت: ما رأيت إلا جمياً، وهؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحتاج وتخاصم، فانظر لمن يكون الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا بن مرجانة^(١).

قال الراوي: فغضب ابن زياد، وكأنه همّ بها، فقال له عمر بن حريث^(٢): انها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، ولا تذمّ على خطاياها. فقال لها ابن زياد: قد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك. فقال: لعمرى لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن كان هذا شفاءك فقد اشتفيت^(٣).

■ [شعر]:

ادرج بناتك يا علي مجلس ابن زياد

دخلن سبايه وابنتك السجاد في الأصفا

ترضى بن ازباد يسب زينب يحاكيها

فرحان مثلث مبتسم كلسا يصدّ ليها

ايكلها يزنب اخوچ احسين والعباس

وأنت العزيزة اشلون جيّتي امهبط الراس

شفتي اشسوى الله بخوچ احسين

ايختل واصحابه طيق وانسبت نسوانه

(١) الملهوف (ص ١٤٢ - ١٤٣).

(٢) وهو مخزومي.

(٣) الارشاد (ج ٢، ص ١١٥).

الله شفَى غلبى يزنب من أخوچ احسين

اتشوفين راسه ابطشت جدامي وجسمه وين

العجب الحادى والثمانون

في العجب بالعقل والكياسة

والتفطن لدقائق الأمور والعجب بالرأى الخطأ وعلاجها

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ومن العجب العجب (بالعقل والتفطن لدقائق الأمور)، فعلاجه: أن يعلم أن ذلك يزول عنه بأذى مرض يصيب دماغه، وربما زال عقله دفعة واحدة، مع أنه إن كان في الواقع فطناً كَيِّساً في الأمور يلزم عليه أن يشكر الله تعالى على ذلك ويستصغر عقله وفطنته، ليبقى الله عليه تلك النعمة ولا يسلبها عنه لأجل عجبه.

وأما العجب بـ (الرأى الخطأ الذي يزنب له بجهله)، فهو أقبح أنواع العجب إذ جميع أهل البدع والضلال والفرق الذين اختاروا مذاهب باطلة وآراء فاسدة إنما أصروا عليها لعجبهم بها، ولذا يفتخرون بمذاهبهم على غيرهم، وبذلك هلك الأمم إذ افتترقت فرقاً، وكلُّ معجب برأيه ﴿وَكُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١)، فكلُّ من استحسن ما يسوقه إليه الهوى والشبهة مع ظنِّ كونه حقاً يكون له هذا العجب، وقد أخبر رسول الله ﷺ: «أَنَّ ذَلِكَ يَغْلِبُ عَلَى آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(٢).

وعلاجه أشدُّ من علاج غيره، لأنَّ صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطأه، ولو عرفه

(١) الآية ٥٣ من سورة المؤمنين.

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٩).

لتركه، ولا يُعالج الداء الذي لا يعرف، إذ العارف يقدر أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إذا لم يكن معجباً برأيه وجهله، وإذا كان معجباً به يتهمه ولا يصغي إليه حتى يعالجه، فقد سُلّطت عليه بأيّتهلكه وهو يظنّ إنّها نعمة، وكيف يطلب الهرب ممّا يعتقد أنّه سبب سعادة، وإنّما علاجه في الجملة أن يكون متّهماً لرأيه لا يفتّره به، إلّا أن يشهد له قاطع عقلي أو نقلي لا يعتريه ريب وشبهة.

ومعرفة أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكان الغلط فيها موقوفة على عقل ثابت، وقريحة تامة مستقيمة مع جدّ وتشمير في الطلب، وممارسة الكتاب والسنة، ومجالسة أهل العلم، ومدارسة العلوم طول العمر، ومع ذلك لا يؤمن عليه الغلط، فالصواب للكلّ - إلّا من أيدّه الله بقوّة قدسية يتمكّن بها من الخوض في غمرات العلوم - إلّا يخوض في المذاهب الباطلة ولا يصغي إليها، ويتبع أهل الوحي فيما جاؤوا به من عند الله من الأصول والفروع^(١).

■ [انكسار النفس]:

و ضدّ العجب (انكسار النفس) واستحقارها وكونها في نظره حقيرة ذليلة مهينة، وكما أنّ العجب مجرّد استعظام من دون اعتبار استصغار الغير معه، فكذلك ضدّه مجرّد استصغار النفس من دون اشتراط إعظام الغير معه، إذ الأوّل مع اعتبار الثاني تكبر، والثالث مع اشتراط الرابع تواضع، وهما ضدّان.

ثمّ لا ريب في فوائد انكسار النفس واستصغارها، وكلّ من بلغ مرتبة عظيمة إنّما بلغ بهذه الصفة، لأنّ الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم، وقال رسول الله ﷺ: «ما من

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٩٨ - ٣٠٠).

أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة - الجملة بالتحريك بمنزلة اللجام للفرس -
 يمساكنها، فإن هو رقع نفسه جندلها، ثم قال: اللهم ضعه، وإن وضع لنفسه، قال: اللهم
 ارفعه»^(١)، وروى: أنه أوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ: أن يا موسى أتدري لم اصطفتك
 بكلامي دون خلقي، قال: يا ربّ ولم ذلك؟! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه أنّي قلّبت
 عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ نفساً لي منك، يا موسى إنّك إذا صليت
 وضعت خدك على التراب^(٢)، وروى: أنّه لما أوحى الله تعالى إلى الجبال أنّي واضع
 سفينة نوح عدي على جبل منكنّ، فتناولت وشمخت، وتواضع الجودي، وهو جبل
 عندكم، فضربت السفينة بجوؤها^(٣) الجبل، فقال نوح عند ذلك: (يا ماري اتّقن)
 وهو بالسريانية: يا ربّ أصلح^(٤) (٥).

وقد قيل في التواضع:

تواضع ترتفع لو كنت نزلأ فكم رفع التواضع من وضع

■ [الاعتبار من كربلاء]:

وما تفاخرت الأرضون والمياه فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت على تركها
 التواضع، وإنّ كربلاء وماء الفرات تواضعا وخضعا لله تبارك وتعالى شرفه تبقى على
 حالها بالحسين ﷺ وأصحابه وجعل الشفاء في مائها وتربتها:

(١) احياء علوم الدين (ج ٢، ص ٣٢٩).

(٢) من لا يحضره الفقيه (ج ١، ص ٣٣٢).

(٣) أي بصدرها.

(٤) الكافي (ج ٢، ص ١٢٤).

(٥) جامع السعادات (ج ١، ص ٣٠٠).

فيا كربلا طلت السماء ولربما تناول عفواً حظاً ذي السعي قاعد
لانت وإن كنت الوضيعة فلت من جوادهم ما لم تنله الفراق
سرت بهم مذ أنسوك وساء لي محاريب منهم أو حشت ومساجد^(١)

* * *

لقد أصبحت كعبة الزوار من جميع جهات العالم ولسان حالهم يقول:
لقبر سليل فاطمة أتينا وسيعاً في جوانبه سعينا

المجلس الثاني والثمانون

في الكبر والتكبر

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

التكبر هو رؤية النفس فوق الغير، وبعبارة أخرى أوضح: هو عزّة وتعظيم
يوجب رؤية النفس فوق الغير واعتقاده المزيّة والرجحان عليه، فهو يستدعي متكبراً
عليه، وبه ينفصل عن العجب، إذ العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار رؤيتها
فوق الغير، فالعجب سبب الكبر والكبر من نتائجه.

ثم إنَّ الكبر - أي العزّة الموجبة لرؤية النفس فوق الغير - هو خلق في الباطن
يقتضي أعمالاً في الظاهر هي ثمراته، ولذا من تعزّز ورأى نفسه باطناً فوق الغير من
دون صدور فعل على جوارحه، يقال له (كبر)، وإذا ظهرت الأعمال يقال له (تكبر).
وهذه الأعمال الظاهرة التي هي ثمرات خلق الكبر أفعال وأقوال توجب تحقير
الغير والأجزاء به، كالترفع عن مواكلته ومجالسته، والاستنكاف عن مرافقته ومصاحبته،

(١) ذكرها الأئمة في أعيان الشيعة (ج ٤، ص ١٦٣) في ترجمة الشيخ أبو البحر الخطي البهراني رحمته الله.

وإبعاده عن نفسه، وإبائه عن الجلوس إلى جنبه، وانتظاره أن يسلم عليه، وتوقعه أن يقوم مائلاً بين يديه، والاستنكاف من قبول وعظه، وتعنيفه في إرشاده، ونصحه، وتقدمه عليه في المحافل والطرقا وعدم الالتفات إليه في المحاورات^(١)، وبالجملة الأمور الصادرة عن التكبر كثيرة ولا حاجة إلى إحصائها لكونها مشهورة معروفة، ومن جملتها: الاختيال في المشي، وجز الثياب، إذ فاعلهما يرى نفسه فوق الأكثر ويقصد بهما استحقاقهم.

■ [دم الكبر]:

[قال العلامة المجلسي رحمه الله]:

الكبر آفة عظيمة وغائلة هائلة، وبه هلك خواص الأنام فضلاً عن غيرهم من العوام، وهو الحجاب الأعظم للوصول إلى أخلاق المؤمنين، إذ فيه عزّ يمنع عن التواضع، وكظم الغيظ، وقبول النصح، والدوام على الصدق، وترك الغضب. والحق والحسد والغيبة والازراء بالناس، وغير ذلك، فما من خلق مذموم إلا وصاحب الكبر مضطّر إليه، ليحفظ به عزّه، ولذا قال مولانا الصادق عليه السلام: «ما من رجل تكبر وتجبّر إلا لنّته وجدهما في نفسه»^(٢)، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من فوات عزّه، ولذا ورد في ذمّه ما ورد من الآيات والأخبار، قال الله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٣)، وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾^(٤)، إلى

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٣٠٠ - ٣٠١).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣١٢).

(٣) الآية ٣٥ من سورة غافر.

(٤) الآية ١٤٦ من سورة الأعراف.

غير ذلك من الآيات (١).

وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثال حبة من خردل من كبر» (٢) وقال ﷺ: «يخرج من النار عنق له أذنان وسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق، يقول: وَكَلْتُ بثلاثة: بكلّ جبار عنيده وبكلّ من دعى مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين» (٣) وقال ﷺ: «بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الكبير المتعال، بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى، وبئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى» (٤) وقال ﷺ: «إنّ في جهنّم وادياً يقال له: (ههب) حقّ على الله أن يسكنه كلّ جبار» (٥) وقال الصادق عليه السلام: «إنّ في جهنّم وادياً يقال له سقر، للمتكبرين شكى إلى الله شدة حرّه وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنّم» (٦) (٧).

(١) ذكرها في جامع السعادات (ج ١، ص ٣٠١) وهي [١] الآية ٩٣ من سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ [٢] الآية ٧٢ من سورة الزمر، قوله تعالى: ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾، و[٣] الآية ٢٣ من سورة النحل، قوله تعالى: ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾، و[٤] الآية ٦٠ من سورة غافر، وهي قوله تعالى: ﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾، و[٥] الآية ٥٦ من سورة غافر، وهي قوله تعالى: ﴿إنّ في صدورهم إلكبر ما هم ببالغيه﴾.

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣١٠).

(٣) مسانيد أبي يحيى الكوفي (ص ١٠٧).

(٤) مستدرک الوسائل (ج ١١، ص ٣٧٠).

(٥) ميزان الحكمة (ج ٣، ص ٢٦٦٠).

(٦) المحاسن (ج ١، ص ١٢٣).

(٧) جامع السعادات (ج ١، ص ٣٠١ - ٣٠٢).

التكبر على الله وعلى الناس

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

التكبر قد يكون على الله تعالى، كما كان لنمرود وفرعون، وسببه: الطغيان ومحض الجهل، وهو أفحش أنواع الكبر، إذ هو أعظم أفراد الكفر، ولذا تكررت في ذمه آيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^(٣).

وقد يكون على الرسل، من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لهم، كما كان لمن يقول: ﴿أَهْوَاءَ مَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٤) ولمن يقول: ﴿أَتُؤْمِنُ لِبَشَرِينَ مِثْلِنَا﴾^(٥). ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٦)، وهذا في الشناعة قريب من التكبر على الله، وإن كان دونه.

وقد يكون على العباد بأن يستعظم نفسه ويستصغروهم، وهذا وإن كان دون الأولين، إلا أنه من المهلكات العظيمة، من حيث أنه يؤدي إلى مخالفة الله سبحانه، إذ صاحبه إذا سمع الحق من عبد استنكف من قبوله واشمأز بجحده، ومن حيث أن العزَّ

(١) الآية ٦٠ من سورة غافر.

(٢) الآية ١٧٢ من سورة النساء.

(٣) الآية ٢٣ من سورة النحل.

(٤) الآية ٥٣ من سورة الأنعام.

(٥) الآية ٤٧ من سورة المؤمنون.

(٦) الآية ١٠ من سورة إبراهيم.

والعظمة ولا يليق إلا بالعلي الأعلى، فمهما تكبر العبد نازع الله في صفاته، ولذا قال الله سبحانه: «والعظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما قصمته» (١) (٢).

المجلس الثالث والثمانون

في درجات الكبر

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: وهي أول خطبته القاصعة:

«الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمى وحرماً على غيره واصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده».

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

للكبر درجات ثلاث:

● (الأولى): أن يكون مستقراً في قلبه، يرى نفسه خيراً من غيره، ويظهره في: الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، وأن يصغر خذّه للناس، كأنه معرض عنهم، ويبس وجهه ويقطب جبينه، وفي أقواله: بإظهار الإنكار على من يقصر في ما يتوقّعه من: التعظيم، وابداء الدعوى، والمفاخرة والمباهاة، وتركبة النفس، والتشمير لغلبة الغير في العلم والعمل.

وهذه الدرجة أقيح الدرجات وأشدّها إذ صاحبها قد رسخت في قلبه شجرة الكبر، وارتفعت أغصانها وفروعها، بحيث أحاطت على جميع جوارحه.

(١) مستدرک الوسائل (ج ١٢، ص ٣١).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٣٠٤ - ٣٠٥).

● (الثانية): كالأولى إلّا في إظهاره على اللسان، وهي دون الأولى لكونها أقلّ أغصاناً منها.

● (الثالثة): أن يكون مستقراً في قلبه، بحيث رأى نفسه خيراً من غيره، إلّا أنّه يجتهد في التواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيراً من نفسه، وهذا وإن رسخت في قلبه شجرة الكبر إلّا أنّه قطع أغصانه بالكليّة، فإن كان مع ذلك منكراً على نفسه فيما رسخ فيها ومغضباً عليها ومشمرّاً لالزالتها، إلّا أنّه لم يقدر على دفعه بسرعة وسهولة، وتميل النفس إلى ما تشتهي في بعض الأحيان بدون اختيار، ولكنّه كان في مقام المجاهدة، فلعلّه لم يكن عليه كثيراً إثم، ومثله يوفقه الله تعالى إلى ما يطلبه بمقتضى وعده (١).

علاج الكبر علماً وعملاً

[قال العلامة التراقي رحمته الله]:

الكبر كالعجب في كنيّة العلاج إجمالاً وتفصيلاً، إذ الكبر لمّا تضمّن معنى العجب - أيّ استعظام النفس -، وكان العجب منشأ له، فما ذكر لعلاج مطلق العجب فهو العلاج لمطلق الكبر أيضاً، لكون ما به الكبر - أعني بواعثه - هي بواعث العجب بعينها، فما ذكر لعلاج العجب لبواعث المذكورة مشترك بينهما.

ومن المعالجات المختصّة بالكبر: أن يتذكّر ما ورد في ذمّه من الآيات والأخبار المذكورة وغيرها، ويتأمّل في ما ورد في مدح ضده - أعني التواضع - كما يأتي، ولكون الكبر مشتملاً على شيء زائد على العجب، هو رؤية النفس فوق الغير، فينبغي أن يعلم

أَنَّ الحكم بخيرية نفسه على الغير غاية الجهل والسفاهة، فلعلَّ في الغير من خفايا الأخلاق الكريمة ما ينجيهِ وفيهِ من الأخلاق القائمة ما يهلكه ويرديه، وكيف يجتري صاحب البصيرة أن يرجِّح نفسه على الغير مع إبهام الخاتمة، وخفاء الأخلاق الباطنة، واشتراك الكلِّ في الانتساب إلى الله تعالى وفي صدورهما وترشحها منه ومعلوليَّتها لازميَّتها له، فالواقف بخطر الخاتمة وإناطة النجاة والهلاك بالبواطن لا يرى لنفسه مزيَّة على غيره، والعارف بكون كلِّ فرد من أفراد الموجودات أثراً من آثار ذاته ولمعة من لمعات أنوار صفاته، بل رشحة من رشحات فضله وجوده، وقطرة من قطرات تبار فيض وجوده، لا ينظر إلى أحد بنظرة السوء والعداوة، بل يشاهد الكلَّ بعين الخيرية والمحبة^(١).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

أقول: لا شك أَنَّ المؤمن المتبصر العارف بخطر الخاتمة، وما ورد في التكبر من الذمَّ لا يتكبر على أيِّ مخلوق، ولا ينظر لأحد بعين التهكم، إلَّا من كان أعمى البصيرة، جاهلاً بحقائق الأمور، أو من أبطن الكفر وأظهر الإسلام، فذاك لا يستبعد منه ما يرتكبه من التكبر والطغيان، كيزيد بن معاوية، حين قال ذلك الرجل الشامي: يا أمير هب لي هذه الجارية - وهو يعني فاطمة بنت الحسين عليها السلام - قالت: فاطمة!! فأرعدت وظننت أَنَّ ذلك جايز لهم، فأخذت بثياب عمِّي زينب، وقلت: يا عمَّاه أو أستخدم؟! فقالت زينب: وكانت تعلم أَنَّ ذلك لا يكون، فقالت للشامي: كذبت ولا رمت ما ذلك لك ولا له، فغضب يزيد وقل كذبت والله إنَّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت، قالت: كلا والله،

ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا. فاستطار يزيد غضباً، وقال: إيتاي تستقبلين بهذا، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك. فقالت: بدين الله ودين أبي ودين أخي إن كنت مسلماً. قال: كذبت يا عدوة الله. قالت له: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهرننا بسلطانك^(١).

■ [شعر]:

لا والد لي ولا عمة ألود به
ولا أخ لي يـبقى أرجـوه ذو رحم
أخي ذبيح، ورجلي قد أبيح ذلي
ضاق الفسيح وأطفالي بغير حمي^(٢)
ومما يزيل القلب عن مستقره
ويترك زناد الغيظ للحر واري
وقوف بنات الوحي عند طليقها
بحال بها يشيح القلب منهن واهيا حتى إلا مظلوما^(٣)

※ ※

يقال عنها فيه يزيد مشبة وتعرض منها وجهه معرض كبر

(١) جواهر المطالب (ج ٢، ص ٢٩٥).

(٢) شجرة طوبى (ج ١، ص ١٢٩).

(٣) ديوان السيد حيدر الحلي (ج ١، ص ٤٦).

المجلس الرابع والثمانون

في علاج الكبير اشكال وحلّ

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

(فإن قيل): كيف يحسن أن يتواضع العالم الورع للجاهل الفاسق ويراه خيراً من نفسه، مع ظهور وجهله وفسقه وقطعه باتّصاف نفسه بالعلم والورع وخلوه عنهما، وكيف يجوز له أن يحبّ فاسقاً أو كافراً أو مبتدعاً ويتواضع له ولا يعاديه، مع أنّه مبغوض عند الله فيكون مأموراً ببغضه، والجمع بين الحبّ والبغض والتواضع وبين البغض جمع بين التقيضين

(أجبنا) عن (الأوّل) بأنّ حقيقة التواضع أن لا يرى النفس لذاتها مزيّة واقعية وخيرية حقيقية على الغير، لا ألا يرى مزيّة لذاته عليه في الصفات الظاهرة التي يجزم باتّصاف نفسه بها وعدم اتّصافه بها كالعلم والعبادة والسخاء والعدالة والاجتناب عن الأموال المحرّمة وغير ذلك، إذ العالم ببعض العلوم لا يمكنه أن يدفع عن نفسه القطع بكونه عالمّاً بها، وكون فلان العامّي غير عالم بها، لكن المزيّة الواقعيّة والخيرية النفس الأمرية إنّما هو بالتقرّب إلى الله والوصول إلى السعادة الدائمة، ولاشكّ في أنّ ذلك لا يحصل بمجرد تعلّم بعض العلوم والمواظبة على بعض العبادات أو غير ذلك من الصفات المحمودّة، بل المناط فيه حسن الخاتمة وهو أمر مبهم، إذ العواقب مصوبة عن العباد، فيمكن أن يسلم الكافر ويختم له بالإيمان ويضلّ هذا العالم الورع ويختم له بالكفر، فعلى كلّ عبد إن رأى من هو شرّاً منه ظاهراً أن يقول: لعلّ هذا ينجو وأهلك أنا،

فلا يراه شراً من نفسه في الواقع خائفاً من العاقبة، ويقول: لعلّ برّ هذا باطن بأن يكون له خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الأعمال، وبرّي ظاهر لا آمن أن تدخله الآفات فتحبطه.

وبالجملة: ملاحظة الخاتمة والسابقة والعلم بأنّ الكمال في القرب من الله وسعادة الآخرة دون ما يظهر في الدنيا من الأعمال الظاهرة يوجب نفى الكبر والتواضع لكلّ أحد.

والجواب عن الإشكال (الثاني) أنّ الحبّ ينبغي أن يكون لأجل النسبة الشريفة المذكورة (أي لكونه من مخلوقات الله) والتواضع لأجل ملاحظة الخاتمة، وبغضه وغضبه عليه لأجل ما ظهر منه من الكفر والفسوق، وأيّ منافاة بين الغضب لله في صدور معصية من عبد وبين عدم الكبر والإذلال؟! إذ الغضب إنّما هو لله لا لنفسك، إذ أمرك بأن تغضب عند مشاهدة المنكر، والتواضع وعدم الكبر إنّما هو بالنظر إلى نفسك، بالأ ترى نفسك ناجياً وصاحبك هالكاً في غضبك عليه لأمر الله، بل يكون خوفك على نفسك ممّا علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة، فليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره، ومثال ذلك: أن يكون لملك غلام وولد، وقد وكلّ الملك الغلام ولده بأن يراقبه ويضربه مهما ساء أده، ويغضب عليه إذا اشتغل بما لا يليق به، فإن كان الغلام مطيعاً محبباً لمولاه يغضب عليه إذا ساء أده امتثالاً لأمر مولاه، ومع ذلك يحبه لانتسابه إلى مولاه بالولادة، ولا يتكبر عليه ويتواضع له، ويرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه،

لأنّ الولد أعزّ لا محالة من الغلام^(١).

■ [خلاصة الأمر]:

أنه لا ينبغي لأحد أن يرى نفسه خيراً من غيره، لأنّ أمر الخاتمة مبهم، ولعل عبادة سنين متطاولة يختم لصاحبها بسوء لما يدخلها من الآفات، وفسق سنين متطاولة يختم لصاحبه بالسعادة لما يضر من الأخلاق الجميلة.

■ [قصة من كشكول الشيخ البهائي]:

ونقل عن كشكول البهائي (رحمه الله تعالى): أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في جوالى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته لتنفّر الطباع منه، فاستأجرت من حمل جنازته إلى المصلّى فما صلّى عليها أحد، فحملوها إلى الصحراء ليدفن، وكان على جبل قريب من الموضع زاهد مشهور فأرّاه كالمنتظر للجنازة فقصد ليصلي على الجنازة، ووقف ونادى: أيها الناس الصلاة، فانتشر الخبر في البلد، فلان الزاهد نزل يصلي على فلان، فخرج أهل البلد فصلّوا معه على الجنازة، وتعجّب الناس من صلاة الزاهد، فقبل له في ذلك، فقال: رأيت في المنام أن انزل إلى المنزل الفلاني ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة فصلّ عليه، فإنه مغفور له، فتعجب الناس من ذلك، فاستدعى الزاهد امرأته أي الميت وسألها عن حاله، فقالت: كان طول نهاره مشغولاً بشرب الخمر. فقال لها: هل تعرفين له شيئاً من أعمال الخير؟! قالت: نعم، ثلاثة:

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٣٠٦ - ٣٠٨).

(الأول): إذا أفاق من سكره في أثناء الليل يبكي، ويقول: يارب، أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث، (الثاني): إذا أصبح كل يوم ويفيق من سكره يبدل ثيابه ويغتسل ويتوضأ ويصلي الصبح. (الثالث): أنه كان لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين، وكان احسانه إليهم أكثر من احسانه إلى أولاده، فبهذه الثلاث غفر الله له، وأمر العابد أن يصلي عليه^(١).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

أقول: هذه سنة الله في عباده إن كل مسلم يجهز ويصلي عليه ويدفن ولو كان فاسقاً، فإن الفسق لا يمنع من ذلك، فكيف ولو كان مؤمناً لا بد أن يعتنى به أكثر، ولهذا لما رجعت العقيلة من الشام أخذت تسأل أهل كربلاء بلسان حالها:

يا نازلين بكربلاء هل عندكم خبر بقتلانا وما أعلامها
بالله هل رفعت جنازتها وهل صلى صلاة الميتين أمامها
بالله هل واريتموها في الثرى وهل استقرت في اللحد رمامها^(٢)

(١) نقلها عنه الحائري رحمه الله في شجرة طوبى (ج ٢، ص ٤٤٧).

(٢) وفيات الأئمة (ص ١٦٧) ما اختلف في البيت الثاني إذ جاء هكذا:

ما حال جثة ميت في أرضكم بقيت ثلاثاً لا يزال مقامها

المجلس الخامس والثمانون

في علاج الكبر أيضاً

● العلاج العملي للكبر:

ما ذكرناه في المجلس السابق لعلاج الكبر إنما هو العلاج العلمي (وأما العلاج العملي) هو: أن يتواضع بالفعل لله ولسائر خلقه، ويواظب على أخلاق المتواضعين، ويكلف نفسه على ذلك إلى أن تقطع عن قلبه شجرة الكبر بأصولها وفروعها، ويصير التواضع ملكة له.

وللقطع الكلبي، وحصول ملكة التواضع امتحانات يعرفان بها، فلا بد أن يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بأنه متواضع، إذ النفس قد تضرر التواضع وتدعي البراءة من الكبر، فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسيت وعدها:

● (الأول) أن يناظر مع أقرانه في بعض المسائل، فإذا ظهر شيء من الحق على لسانهم، فإن اعترف به مع السرور والاهتزاز والشكر لهم لتبنيهم إياه على ما غفل عنه فهو علامة التواضع، وإن ثقل عليه القبول والاعتراف ولم يسرّ بظهور الحق على لسانهم فهو دليل بقاء الكبر بعد، فليعالجه من حيث العلم بأن يتذكر سوء عاقبته وخسرة نفسه وخباثتها، من حيث أن قبول الحق يثقل عليها، ومن حيث العمل بأن يكلف نفسه على ما يثقل عليها من الاعتراف بالحق واطلاق اللسان بالثناء والشكر، والاقرار على نفسه بالعجز والقصور، ويقول: ما أحسن فطانتك! لقد أرشدتني إلى الحق، فجزاك الله خيراً. فإذا واظب على ذلك مرات متوالية، صار ذلك له طبعاً، وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله، وإن لم ينقل عليه في الخلوة وثقل عليه فليس الملاء، فلي فيه كبر، بل

فيه رياء فليعالجه بمعالجة الرياء.

● (الامتحان الثاني): أن يقدم الأقران والأمثال على نفسه في المحافل، ويمشي خلفهم في الطرق، فإن لم يثقل عليه فهو متواضع، وإلا فتمكبر، فليقدمهم بالتكلف، ويجلس تحتهم، ويظهر السرور والارتياح بذلك حتى يسقط منه ثقله، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «وإن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه»^(١)، وقال عليه السلام: «من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس، وأن تسلم على من تلقى، وأن تترك المراء وإن كنت محقاً، ولا تحب أن تحمد على التقوى»^(٢).

ومن المتكبرين من إذا لم يجد مكاناً في الصدر يجلس في صف النعال، أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأراذل ولا يجلس تحتهم، وغرضه من ذلك استحقار الأقران وإيهام أن تركهم للصدر إنما هو بالتفضل، فهو أشد أنواع الكبر.

● (الامتحان الثالث): أن يجيب دعوة الفقير، ويمر إلى السوق في حاجة الرفقاء والأقارب، ويحمل حاجته وحاجة نفسه منه إلى البيت، فإن لم يثقل عليه ذلك في الخلوة والملا فليس فيه كبر ولا رياء، وإن ثقل عليه فيهما ففيه كبر ورياء، وإن ثقل عليه عند مشاهد الناس دون الخلوة ففيه رياء دون الكبر، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله»^(٣)، وروي: أنه عليه السلام اشترى لحماً بدرهم فحملة في ملحفته، فقال له بعضهم أحمل عنك يا أمير المؤمنين؟! فقال عليه السلام: «لا

(١) الكافي (ج ٢، ص ١٢٣).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ١٢٢).

(٣) أو «ماجر من نفع إلى عياله، كما في مناقب آل أبي طالب (ج ١، ص ٣٧٢).

أبو العيال أحق أن يحمل» (١) (٢).

❏ [الاعتبار من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام]:

وقضايا أمير المؤمنين عليه السلام مشهورة، ولعلّه حمل على عاتقه الأظعمة للأجانب من الأيتام والأرامل. وجاء أنه عليه السلام نظر يوماً إلى امرأة على كتفها قربة ماء فأخذها منها، فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها، فقالت: إن علي بن أبي طالب عليه السلام بعث زوجي إلى بعض الثغور فقتل، وترك عليّ صبيانا يتامى وليس عندي شيء، فقد ألجأتني الحيلة إلى خدمة الناس، فانصرف وبات ليله ساهراً، ويخاطب نفسه، ويعاتبها: غفلت عن الأيتام فما يكون جوابك غداً!! فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني احمل عنك، فقال عليه السلام: «من يحمل عني وزري يوم القيامة». فأتى وقرع الباب، فقال: من هذا؟ فقال «أنا ذاك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي الباب، فإن معي شيئاً للصبيان» فقال: رضي الله عنك، وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب عليه السلام. فدخل، وقال عليه السلام: «أحب اكتساب الأجر والثواب، فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين، وبين أن تعللين الصبيان حتى أخبز أنا». فقال: أنا بالخبز أبصر، وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان فعللهم حتى أفرغ من الخبز، فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد علي عليه السلام إلى اللحم فطبخه وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول صبيّاً شيئاً، قال عليه السلام له: «يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حلّ» مما مر في أمرك، فلما

(١) بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٢٠٧).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

اختمر العجين، قالت: يا عبد الله سَجَّر التنور. فقام أمير المؤمنين عليه السلام يسَجِّر التنور، فلمّا أشعله، ولفح وجهه جعل يقول: «ذق يا علي، هذا جزاء من ضيَّع الأرامل والأيتام» فرأته امرأة تعرفه، فقالت: ويحك هذا أمير المؤمنين عليه السلام!! قال: فبادرت المرأة، وقالت: وا حيائي منك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: «وا حيائي منك فيما قصرت في أمرك»^(١).

■ [أما جرى في كربلاء]:

فهذا حال أمير المؤمنين مع الأرامل والأيتام، فكيف به لو نظر يتامى ولده الحسين عليه السلام ونسائه ليلة الحادية عشر من المحرم، وتلك الأيتام يتصارخن من الجوع والعطش، وأمست العقيلة متحيرة بهن:

وهل وجدت كزينب أم موسى	وهل باتت لزينب في اهتضام
عشية بات منزلها خليّاً	فما ترى من كفيل أو محامي
تناديهم وهم صرعى خمود	وتندهم وهم فوق الرغام
بني أُمّي لقد سلبوا قناعي	بني أُمّي لقد حرقوا خيامي
فما لي والسياط لها صرير	يَمْتَنّي غير مخفورٍ ذمامي

(١) مناقب آل أبي طالب (ج ١، ص ٣٨٢).

المجلس السادس والثمانون

أيضاً في العلاج العملي للكبر

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

● **العلاج (الرابع):** أن يلبس ثياباً بذلة (أي قديمة)، فإن لم يثقل عليه ذاك أصلاً فليس فيه كبر ورياء، وإلا كان متكبراً أو مرائياً، قال رسول الله ﷺ: «من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد يرى من الكبر»^(١) وقال ﷺ: «إنما أنا عبد أكل في الأرض، وألبس الصوفه وأعتقل البعير، وألحق أصابعي، وأجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنني فليس مني»^(٢)، وقيل لسلمان: لم لا تلبس ثوباً جديداً؟ فقال: «إنما أنا عبد إذا اعتقت يوماً لبست جديداً»^(٣) اشار به إلى عتق الآخرة، وقال رسول الله ﷺ: «البذاءة - أي الدون من اللباس - من الايمان»^(٤)، وعوتب أمير المؤمنين في ازار مرفع فقال عليه السلام: «يقتدي به المؤمن ويخضع له القلوب»^(٥).

● **الخامس:** أن يأكل مع خدامه وغلماؤه، فإن لم يثقل عليه فهو متواضع وإلا فمتكبر، وروى رجل من أهل بلخ^(٦)، قال كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك، لو

(١) تذكرة الموضوعات (ص ١٥٧).

(٢) قريب منه في الجامع الصغير (ج ٢، ص ٣٧٨).

(٣) بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٢٠٥).

(٤) بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٢٠٧).

(٥) مكارم الأخلاق (ص ١٣١).

(٦) من أجل مدن خراسان، وأكثرها خيراً.

عزلت لهؤلاء مائدة. فقال ﷺ: «إنّ الرب تعالى واحده والدين واحده والأم واحدة، والأب واحده والجزاء بالأعمال»^(١).

والامتحانات لبقاء الكبر ليست منحصرة بما ذكر، بل هي كثيرة:

كأن يحب قيام الناس له أو بين يديه، قال أمير المؤمنين ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام»^(٢)، وقال بعض الصحابة^(٣): لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك^(٤).

ومن علامة بقاء التكبر: أن يحب أن يمشي خلفه غيره، وقد روي^(٥): «أنه لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مُشي خلفه»^(٦)، وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم^(٧).

ومنها: ألا يزور غيره وإن كان في زيارته فائدة دينية، وأن يستنكف من مجالسة الفقراء والمعلولين والمرضى، وروي أنه دخل على رسول الله ﷺ رجل وعليه جدري وقد تقشر، وعنده ناس من أصحابه يأكلون، فما جلس عند أحد إلا قام من جنبه، فاجلسه النبي ﷺ إلى جنبه، وكان ﷺ في نفر من أصحابه يأكلون في بيته إذ

(١) الكافي (ج ٨، ص ٢٣٠).

(٢) بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٢٠٦).

(٣) وهو أنس بن مالك.

(٤) مكارم الأخلاق (ص ١٦).

(٥) عن أبي الدرداء.

(٦) بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٢٠٦).

(٧) المصدر المتقدم.

دخل عليهم رجل به زمانة يبقى كما كان الناس لأجلها (مرض مزمن)، فأجلسه رسول الله ﷺ على فخذه وقال له: «اطعم» وكان رجل من قريش اشماًز منه وتكره، فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها^(١).

ومرّ سيّد الساجدين عليه السلام على المجذومين وهو راكب حماره وهم يأكلون، فدعوه إلى الغداء، فقال عليه السلام: «أما أني لولا أني صائم لفعلت» فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع، وأمر أن ينوّقوا فيه، ثم دعاهم فتغذّوا عنده وتغذى معهم^(٢). وقس على هذا غيرها من الامتحانات.

ولقد كانت سيرة رسول الله ﷺ جامعة لجميع ما يمتحن به التواضع، بريئة من جميع ما يصدر من الكبر من الأفعال والحركات، فينبغي لكل مؤمن أن يقتدي به، وقد روى أبو سعيد الخدري: أنه عليه السلام كان يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقم البيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعبى، ويشترى الشيء من السوق، ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه، وينقلب إلى أهله، يصافح الغني والفقير والصغير والكبير، ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حرّاً أو عبد من أهل الصلاة، فهذه سيرة رسول الله ﷺ فلو جاز التكبر لأحد سوى الله لكان هو أولى به لأنه سيّد الأولين والآخرين، فإذا كان عليه السلام يكره قيام الأصحاب تعظيماً له طوعاً من أنفسهم من غير رغبة منه في ذلك ولعله كان يرى في ذلك نوع اهانة على أصحابه^(٣).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٣١٠).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ١٢٣).

(٣) اجمع السعادات (ج ١، ص ٣٠٩ - ٣١١).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

إذا كيف به لو نظر إلى ولده زين العابدين عليه السلام، وعمّاته، وأخواته، كيف أوقفوا بين يدي يزيد (لعنه الله)، كما ورد الحديث في المنتخب، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: لَمَّا وفدنا على يزيد (لعنه الله)؟ أتونا بحبل وأبقونا^(١) كالأغنام، وكان الحبل بعنقي، وعنق أمّ كلثوم، وبكتف زينب وسكينة والبنات، ويساقونا وكلّما قصرنا عن المشي ضربونا^(٢).

■ [شعر]:

لحدّ يبو الحسنين طرّ اللّحد يا ضرغام
ادرّج بناتك يا علي راحن يسر للشام
سجّادهم جدّامهم والجامعة ابصدره
وينظر العمّاته وخواته ويجذب الحسرة
الشام يا ابو احسين كلّ الهضم برض الشام
طلّعوا تلّقوهم ابزينة ونشر الاعلام
أمّر يزيد الرّجس بالمجلس يدخلون
وشدّوا الحبل برقابهم قاموا يسحبوهم

(١) أو ربقونا، أو ربطونا.

(٢) المنتخب (ص ٤٨٧).

وانت الاسد يابو الحسن والفراس المناع
 ترضى بناتك تدخل الملجس بليا اقناع
 ايزيد ابتخت ملكه وهم مثل العبيد اوقوف
 وابنك علي السجاد جذامه بحبل مجتوف
 بالخيزرانه بنكت الثغر الشهيد احسين
 يقله شفيت القلب منك والصدر يحسين

المجلس السابع والثمانون

في التواضع ومدحه

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

وقد أشير أنّ ضد الكبر (التواضع)، وهو انكسار للنفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزية على الغير، وتلزمه أفعال وأقوال موجبة لاستعظام الغير وإكرامه، والمواظبة عليها أقوى سبب معالجة لإزالة الكبر، ولا بدّ من الإشارة إلى الأخبار الواردة في مدح التواضع وفوائده، تحريكاً للطالبين إلى السعي في تحصيل الموجب لإزالة ضده، وهذه الأخبار كثيرة خارجة عن حدّ الاحصاء، فنكتفي بإيراد بعض منها:

قال رسول الله ﷺ: «ما تواضع أحد إلا رفعه الله» ^(١) وقال عليه السلام: «طوبى لمن

تواضع في غير مسكنة، وأنفق مالاّ جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذلّة

(١) أمالي الطوسي (ص ٥٦).

والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة»^(١).

وروي: «أن الله سبحانه أوحى إلى موسى: إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقى، وألزم قلبه خوفاً، وقطع نهاره بذكرى، وكف نفسه عن الشهوات من أجلي»^(٢)، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا: وما حلاوة العبادة، قال: «التواضع»^(٣)، وقال ﷺ: «أربع لا يعطين الله إلا من يحبّه: الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله، والتواضع، والزهد في الدنيا»^(٤) وقال ﷺ: «من تواضع رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذّر حرمه الله ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله ومن أكثر ذكر الله أضلّه الله في جنته»^(٥) وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «يادواذ كما إنّ أقرب الناس إلى الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون» وروي: «أنّ سليمان بن داود عليه السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى جاء يجيء إلى المساكين يقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين»^(٦)، وروي أنّه ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان أب وابن، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأكل منه، ثم جاء قمبر بطست وإبريق خشب ومنديل، وجاء ليصب على يد الرجل، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الإبريق ليصب على يد

(١) مستدرك الوسائل (ج ١١، ص ٣٠١).

(٢) التحصين لابن فهد الحلبي (ص ٥).

(٣) تنبيه الخواطر (ج ١، ص ٢٠١).

(٤) المستدرك (ج ٤، ص ٣١١).

(٥) الكافي (ج ٢، ص ١٢٢).

(٦) التواضع والخمول (ص ١٣٧).

الرجل، فتمرغ الرجل في التراب، وقال: الله يراني وأنت تصب الماء على يدي، قال: اقعِد واغسل فإن الله براك وأخوك الذي لا يتميز منك ولا ينفصل عنك يخدمك، يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة اضعاف عدد أهل الدنيا، فقعد الرجل، وقال له علي عليه السلام: «أقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قمبر»، ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإبريق محمد ابن الحنفية، وقال: يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصببت على يده ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صب الأب على الأب فليصب الابن على الابن، فصب محمد بن الحنفية على الابن^(١).

وقال الصادق عليه السلام: «التواضع أصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق مخفيات العواقب، والتواضع ما يكون لله وفي الله وسواه فكبر، ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباد، ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الأرض من العارفين، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾^(٢)، وأصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته، وليس لله عز وجل عبادة يقبلها ويرضاها إلا وبابها التواضع، ولا يعرف حقيقة ما في التواضع إلا المقربون من عباده المستقلين بوحدانيته، قال الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣)، وقد أمر الله عز وجل اعز خلقه وسيد بريته محمد ﷺ بالتواضع، فقال عز

(١) الاحتجاج (ج ٢، ص ٢٦٨).

(٢) الآية ٤٦ من سورة الاعراف.

(٣) الآية ٦٣ من سورة الفرقان.

رجل: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء، وإنهن لا يأتين إلّا منها وفيها، ولا يسلم المشرف التام الحقيقي إلّا للتواضع في ذات الله تعالى^(٢). وقال الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «أعرف الناس بحقوق أخوانهم وأشدّهم قضاء لهم أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام»^{(٣) (٤)}.

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ولا شك أن قضاء حوائج المؤمنين هو من التواضع، سيّما إذا كان صاحب الحاجة من سلالة الرسول ﷺ، إذ أنه حتّ الناس على قضاء حوائجهم، بقوله ﷺ: «إني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند المضيق، ورجل سعى في قضاء حوائج ذريتي إذا طردوا وشرّدوا، ورجل أحبّ ذريتي باللسان والقلب»^(٥).

ولاشك أن أصعب أحوالهم إذا شرّدوا وطردوا، فهم في تلك الحال مضطرون إلى من يقضي حوائجهم، ولهذا اضطرت أم كلثوم إلى الشمر اللعين عند دخولهم

(١) الآية ٢١٥ من سورة الشعراء.

(٢) التحفة السنية (ص ٥٢).

(٣) مستدرک الوسائل (ج ١١، ص ٢٩٥).

(٤) جامع السعادات (ج ١، ص ٣١١ - ٣١٣).

(٥) الكافي (ج ٤، ص ٦٠).

الشام، فقالت له: لي إليك حاجة. قال: ما هي؟! فقالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل، وينحوها عنا، فقد خزيننا من كثرة النظر إلينا، ونحن في هذه الحالة. فأمر بجواب سؤالها أن يجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً، وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة، حتى أتى بهم باب دمشق، ووقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي^(١).

المجلس الثامن والثمانون

في الذلة المذموم

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

اعلم أن كل فضيلة وسط له طرفان مذمومان، فأحد طرفي التواضع (الكبر) كما عرفت وهو من طرف الإفراط، والآخر (الذلة) والتخاسس، وهو من طرف التفريط، فكما إن الكبر مذموم، فكذلك المذلة والتخاسس أيضاً مذموم، إذ كلا طرفي الأمور مذموم، والمحمود هو التواضع من دون الخروج إلى شيء من الطرفين، إذ أحب الأمور أوسطها، وهو أن يعطي كل ذي حق حقه، وهو العدل، فلو وقع في طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه، فالعالم إذا دخل عليه إسكاف فخلي له مجلسه وأجلسه فيه، وترك تعليمه وإفادته، وإذا قام عدا إلى الباب خلفه، فقد تخاسس وتذلل وهو غير محمود، بل هو رذيلة في طرف التفريط، فاللازم

(١) مثير الأحزان (ص ٧٧).

إذا وقع فيه فليرفع نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم، فإن العدل أن يتواضع بمثل ما ذكر لأمثاله ولمن يقرب درجته، فأما تواضعه للسوقي فبالبشر والرفق في السؤال، واجابة دعوته، والسعي في حاجته، وأمثال ذلك، وأن لا يرى نفسه خيراً منه نظراً إلى خطر الخاتمة.

ثم ينبغي ألا يتواضع للمتكبرين، إذ الانكسار والتذلل لمن يتكبر ويتعزز مع كونه من التخاسس والمذلة المذمومة يوجب اضلال هذا المتكبر، وتقديره على كبره، وإذا لم يتواضع له الناس وتكبروا عليه ربما تنبه وترك التكبر، إذ المتكبر لا يرضى بتحمل المذلة والإهانة من الناس، ولذا قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم، فإن ذلك لهم مثلة وصغار»^(١).

ومن الأخلاق المذمومة: الافتخار

وهو المباهاة باللسان بما توهمه كمالاً، والغالب كون المباهاة بالأمر الخارجية من ذاته وهو بعض أصناف التكبر، فكلما ورد في ذم التكبر ورد في ذم المباهاة، والأسباب الباعثة عليه هي أسباب التكبر، وقد تقدّم إن شيئاً منها لا يصلح لأن يكون للافتخار، فهو ناشيء من محض الجهل والسفاهة، قال سيّد الساجدين عليه السلام: «عجبا للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نقطة ثم هو غداً جيفة»^(٢) وقال الباقر عليه السلام: «عجبا للمختال الفخور، وإنما خلق من نقطة ثم يعود جيفة، وهو فيما بين ذلك لا يدري ما

(١) تذكرة الموضوعات (ص ١٩١).

(٢) فقه الرضا عليه السلام (ص ٣٧٢).

يصنع به»^(١)، وقال عليه السلام: «صعد رسول الله ﷺ المنبر يوم فتح مكة فقال: أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، إلا إنكم من آدم وآدم من طين، ألا أن خير عباد الله عبد اتقاه»^(٢).

وقال له عليه السلام عقبه بن بشير الأسدي^(٣):

أنا في الحسب الضخم عزيز في قومي، فقال له عليه السلام: «تمنّ علينا بحسبك، إن الله تعالى رفع بالإيمان من كان الناس يستقونهم وضيعاً إذا كان مؤمناً، ووضع بالكفر من كان الناس يستقون شريفاً إذا كان كافراً، فليس لأحد فضل على أحد إلا بتقوى الله»^(٤)، وقال الصادق عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: «آفة الحسب الافتخار والعجب»^(٥)، وقال عليه السلام: «أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله أنا فلان ابن فلان، حتى عذ تسعة، فقال رسول الله ﷺ: أما إنك عاشرهم في النار»^(٦) ونقل إن قريشاً تفاخروا عند سلمان فقال: «لكنني خلقت من نطفة قدرة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم إلى الميزان فإن ثقل فأنا كريم، وإن خف فأنا لثيم»^{(٧) (٨)}.

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٢٩).

(٢) الكافي (ج ٨، ص ٢٤٦).

(٣) وهو كما في أصحاب الامام السجاد عليه السلام والامام الباقر عليه السلام والامام الصادق عليه السلام.

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٣٢٨).

(٥) من لا يحضره الفقيه (ج ٤، ص ٣٥٧).

(٦) الكافي (ج ٢، ص ٣٢٩).

(٧) تنبيه الخواطر (ج ١، ص ٢٠٢).

(٨) جامع السعادات (ج ١، ص ٣١٣ - ٣١٦).

■ [وقفه مع سلمان الفارسي المحمدي]:

فسلمان أجلّ الصحابة هذا حاله، وهذه سيرته في التواضع، وبهذا ومثله ارتفعت درجته على الصحابة، وبلغ الدرجة العاشرة من الإيمان، وبلغ من أمره أن قال أهل البيت عليه السلام في حقه: «لا تقولوا سلمان الفارسي بل قولوا سلمان المحمدي، سلمان منا أهل البيت»^(١)، ولعظم شأنه اعتنى أمير المؤمنين عليه السلام لغسله وتكفينه ودفنه من المدينة إلى المدائن، فجهزه ورجع إلى المدينة في ليلة واحدة، وهذا سهل يسير على أمير المؤمنين عليه السلام لا تبعد عليه مشارق الأرض ومغاربها، كيف والدنيا خطوة مؤمن فكيف يتعسر على أمير المؤمنين عليه السلام.

■ [خطب كربلاء]:

ولكن العقل يحير ان ليس بين النجف وكربلاء مسافة بعيدة وأمير المؤمنين عليه السلام حياته ومماته سواء، كيف لم يحضر عزيزه الحسين عليه السلام.

■ [شعر]:

وبليلة نحو المدائن قاصداً

ففيها لسلمان بعثت مغسلاً

(١) سبل السلام (ج ١، ص ٧٧).

يا ليت في الأحياء شخصك حاضر

وحسين مطروح بعرضة كربلاء

عريان يكسو الصعيد ملابساً

أفديه مسلوب اللباس مسربلاً

ولصدره تظاً الخيول وطالما

بسريره جبريل بات^(١) موكلًا

ولثغره يعلو القضيب وطالما

شرفاً له كان النبي مقبلاً^(٢)

أيهدى الشامات رأس ابن أحمد

ليشفي منه ضغنه المتحيف

ويقرع منه الخيزرانة مبسماً

له لم يزل خير الوري يترشف

(١) أو: كان موكلًا.

(٢) أبيات متفرقة من قصيدة للشهيني.

المجلس التاسع والثمانون

في البغي وتزكية النفس

قال العلامة التراقي رحمه الله:

من الاخلاق المذمومة بل المهلكة البغي ويسمى البذخ أيضاً، وهو صعوبة الانقياد والتابعة لمن يجب أن ينقاد له، وقد فُسر بمطلق العلو والاستطالة، وهو أفحش أنواع الكبر، إذ عدم الانقياد لمن يجب الانقياد له - كالانبياء وأوصيائهم - يؤدي إلى الكفر الموجب للهلاك الأبدى، ولقد هلك بذلك أكثر طوائف الكفار كاليهود والنصارى وكفار قريش وغيرهم، وكذلك الظلم والتعدي على المسلم واذلاله بالمقهورية والمغلوبة من المهلكات العظيمة، ولذا ورد في ذمه ماورد، قال رسول الله ﷺ: «إن أعجل الشر عقوبة عقوبة البغي»^(١)، وقال ﷺ: «حق على الله عز وجل ألا يبغي عليه شيء إلا أذله الله، ولو أن جبلاً بغي على جبل لهدأ الله الباغي منهما»^(٢)، وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس إن البغي يقود أصحابه إلى النار، وإن أول من بغي على الله عناق بنت آدم، وكان مجلسها جريباً في جريب، وكان لها عشرون إصبعا في كل إصبع ظفران مثل المنجلين، فسلب الله عليها أسداً كالفيل، وذئباً كالبعير، ونسراً كالبغل، فقتلها، وقد قتل الله الجابرة على أفضل أحوالهم وأمن ما كانوا»^(٣)، وقال الصادق عليه السلام: «يقول إبليس لجنوده ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنهما يعدلان عند

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال (ص ٢٧٥).

(٢) من لا يحضره الفقيه (ج ٤، ص ٦٠).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٢٧).

الله الشرك»^(١)، وكتب عليه السلام إلى بعض أصحابه: «انظر ألا تكلمن بكلمة بني أبده، وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك»^(٢).

وعلاجه أن يتذكر:

● أولاً: هذه الأخبار الواردة في ذمّه.

● ثانياً: ما ورد في مدح ضده، أعني التسليم والانقياد لمن يلزم إطاعته وتابعيته، كقولهم عليه السلام: «شيعتنا المسلمون» والآيات والأخبار الواردة في وجوب اطاعة الله، واطاعة النبي ﷺ، وأولي الأمر، وغيرهم من العلماء والفقهاء الذين هم نواب الأئمة عليه السلام في زمن الغيبة، وبعد ذلك يكلف نفسه التبعية والإطاعة لمن يجب أن يطاع ويخضع له قولاً وفعلًا حتى يصير ذلك له ملكة.

■ [تزكية النفس]:

ومن الأخلاق المذمومة (تزكية النفس)، أي نفي النقائص عنها، وإثبات الكمالات لها، وهو من نتائج العجب، وقبحه أظهر من أن يخفى، إذ من عرف حقيقة الإمكان، ثم اطلع على خلق الإنسان، يعلم أنه عين القصور والنقصان، فلا يطلق بمدح نفسه اللسان، على أنه يتضمن بخصوصه قبحاً يشهد به الذوق والوجدان، ولذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «تزكية المرء لنفسه قبيحة»^(٣)، وقد تقدم ما يكفيك لمعرفة حقارة الانسان وخسته.

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٢٧).

(٢) تهذيب الأحكام (ج ٣، ص ٣١٤).

(٣) الامام علي بن أبي طالب عليه السلام للرحماني (ص ٣٦٩).

ثم ضدّ التزكية عدم تبرئة نفسه من العيوب والافرار بها وإثبات النقائص لها، فإذا كلف نفسه وفعل ذلك مرّات متوالية يصير معتاداً له، ويزول عنه ما اعتاده من مدح نفسه.

■ [العصبية]:

من الأخلاق المذمومة (العصبية):

وهي السعي في حماية نفسه أو ماله إليه نسبة: من الدين، والأقارب، والعشائر، وأهل البلد قولاً وفعلًا، فإن كان ما يحميه ويدفع عنه السوء ممّا يلزم حفظه وحمايته وكانت حمايته، بالحق دون خروج من الإنصاف والوقوع في مالا يجوز شرعاً، فهو الغيرة الممدوحة التي هي فضائل قوة الغضب، وإن كان مما لا يلزم حمايته إن كانت حمايته بالباطل بأن يخرج من الإنصاف، وارتكب ما يحرم شرعاً، فهو التعصب المذموم وهو من رذائل قوة الغضب، وإلى ذلك يشير كلام سيد الساجدين عليه السلام حيث سئل عن العصبية، فقال: «العصبية التي يَأْثُمُ عليها صاحبها: أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم»^(١).

والغالب إطلاق العصبية في الأخبار على التعصب المذموم، ولذا ورد بها الذم كقول النبي ﷺ «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ريقه الإيمان من عنقه»^(٢)،

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٨).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٧).

وقال ﷺ: «من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»^(١).

وقال السجاد عليه السلام: «لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب وذلك حين أسلم عصبا للنبي ﷺ في حديث السلي الذي ألقى على النبي ﷺ»^{(٢) (٣)}.

■ [من سيرة حمزة]:

وللحمزة قضايا متعددة في حماية النبي ﷺ، منها: حين شتمه أبو جهل وكان ﷺ في الصفا، فلم يجبه النبي ﷺ، ورجع إلى البيت، واتفق أن حمزة جاء من الصيد في تلك الساعة وقصد الكعبة ليطوف ويرجع إلى المنزل، فأخبرته جارية لعبد الله بن جذعان^(٤) بقضية النبي ﷺ مع أبي جهل، فغضب ومضى إلى محفل قريش ووقف على رأس أبي جهل وبيده قوسه فجعل يضرب به رأس أبي جهل، والحال أنه لم يسلم بعد، ومن شدة غضبه قال: أتسب رسول الله ﷺ وأنا على دينه. فلما نظر بنو مخزوم إلى ما فعل بأبي جهل وأدمى رأسه أرادوا نصرته، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمار، فإني شتمت ابن أخيه. فرجع حمزة إلى بيت النبي ﷺ وآمن به^(٥).

(١) أمالي الصدوق (ص ٧٠٤).

(٢) وسائل الشيعة (ج ١٥، ص ٣٧٢).

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٣١٦-٣١٨).

(٤) أحد رؤساء مكة.

(٥) شرح الأخبار (ج ٣، ص ٢٢٦).

ومرة أخرى: لما ألقوا عليه المشيمة ومضى إلى عمّه أبي طالب، وقال: كيف تجدون نسبي بينكم، وأخبره بالقصة، فغضب وأخذ معه الحمزة والنبي ﷺ معهما، وقصد الكعبة فركض حمزة وأخذ قوس أبي جهل من يده وجعل يضرب به رأسه، ثم جلد به الأرض إلى آخر الحديث، ثم التفت إلى النبي ﷺ، وقال: هذا حسبك ما بيننا.

المجلس التسعون

في كتمان الحق والانصاف والقساوة

[قال العلامة النراقي رحمه الله:]

من الأخلاق المذمومة **(كتمان الحق)** والانحراف عنه، وباعثه: إمّا العصبية أو الجبن، فهو من نتائج واحدة منهما، فعلى الأول يكون من رذائل قوة الغضب من جانب الإفراط، وعلى الثاني يكون من رذائلها من جانب التفریط، وربما كان الباعث في بعض أفراد الطمع المالي، إلّا أنّ الظاهر كون الفاعل المباشر النفس مع ردائة القوة الغضبية، كما في نفس الغضب وغيره، إذ ما لم يحصل في النفس ضعف وفي القوة الغضبية خمود لم يتحقق كتمان الحق.

ويندرج تحته: الميل في الحكم، وكتمان الشهادة، وشهادة الزور، وتصديق المطلب، وتكذيب الحق، وغير ذلك..

والظواهر الدالة على ذمّه مطلقاً، وعلى كلّ واحد من الأصناف المندرجة تحته كثيرة، ولا حاجة إلى ذكرها لاشتهارها.

وعلاج العصبية وكتمان الحق: أن يذكر إيجابهما لسخط الله ومقتته، وربما تأدياً إلى الكفر، **وثانياً:** فوائد ضدّهما، أعني الإنصاف والاستقامة على الحق، وبعد ذلك

يكلّف نفسه على اظهار ما هو الحق، والعمل به، ولو بالمشقة الشديدة، إلى أن يصير ذلك عادة له، فيزول عن نفسه ما صار لها ملكة من التعصب وكتمان الحق.

و ضدّهما - أي العصبية وكتمان الحق -: الإنصاف والاستقامة على الحق، فلنشر إلى بعض ما ورد في مدحهما تحريكاً للطالبين إلى الأخذ بهما، قال رسول الله ﷺ: «لا يستكمل العبد الإيمان حتّى يكون فيه ثلاث خصال: الانفاق من الإقتار، والانصاف من نفسه، وبذل السلام»^(١)، وقال ﷺ: «سيد الأعمال الانصاف»^(٢).

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «ألا إنه من ينصف الناس من نفسه لم يزهده الله إلّا عزّاً»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة: انفق ولا تخف فقرّاً، وافش السلام في العالم، واترك المرء وإن كنت محقّاً، وأنصف الناس من نفسك»^(٤).

وقال عليه السلام: «ثلاث هم أقرب الخلق إلى الله يوم القيامة حتّى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه أن يحيف على من تحت يده ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق فيما له وعليه»^(٥).

وقال عليه السلام: «إنّ لله جنة لا يدخلها إلّا ثلاثة أحدهم من حكم في نفسه

(١) روضة الواعظين (ص ٤٥٩).

(٢) الخصال (ص ١٢٥).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ١٤٤).

(٤) المحاسن (ج ١، ص ٨).

(٥) روضة الواعظين (ص ٣٨٠).

بالحق»^(١).

ومن الأخلاق المذمومة (القساوة):

وهي ملكة عدم التأثر عن تألم أبناء النوع، ولا ريب في كونه ناشئاً من غلبة السلبية، وأكثر ذمائم الصفات: من الظلم والإيذاء، وعدم إغاثة المظلومين، وعدم مواساة الفقراء والمحتاجين، وغير ذلك يترتب عليه.

وضدّه الرحمة والرفقة، وهو التأثر عن مشاهدة تألم أبناء نوعه، ويترتب عليه من الصفات المرضية أضرار ما ذكر. وقد ورد به المدح والترغيب في الأخبار الكثيرة، كقول النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم، فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي»^(٢). وكقول الصادق عليه السلام: «اتقوا الله وكونوا أخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين»^(٣).

والأخبار الواردة في فضيلة مطلق الرحمة وفي فضيلة خصوص كل واحد واحد في ما يتدرج تحته من: إغاثة المحتاج، وأغاثة المظلوم، ومواساة الفقير، والاعتناء بمصائب المؤمنين، وأمثال ذلك أكثر من أن تحصى.

ثم إن إزالة القسوة واكتساب الرحمة في غاية الإشكال، إذ القساوة صفة راسخة في القلب لا يقدر على تركها بسهولة، فطريق العلاج أن يترك لوازمها وآثارها من الأفعال الظاهرة، ويواظب على ما يترتب على الرحمة من الصفات الاختيارية،

(١) كتاب المؤمن (ص ٦٠).

(٢) ذكر أخبار اصبهان (ج ٢، ص ٣٤١).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ١٧٥).

ويكلف نفسه على ذلك حتى يرتفع على التدرج مبدأ الأولى ويحصل مبدأ الثانية^(١).

□ [الاعتبار من كربلاء]:

أقول: هذا العلاج المذكور لزوال القسوة كما سمعت إنه صعب جداً، إنما يبادر له ويمرّن نفسه عليه من يزجره من نفسه ويخاف سوء العاقبة، ويساعده التوفيق الإلهي، وأما من لم يزجره زجر من نفسه وقد غلب عليه الشقا وأعمى قلبه الشيطان كيف يلتفت إلى هذا المعنى، وأنى ينفعه الوعظ والنصح، كأهل الكوفة أو عظمهم الحسين عليه السلام فلم يزدادوا إلا فسقاً، وأعظم فسق بدت منهم التي يستقبحها كل إنسان وجميع أهل الأديان هي قسوتهم على ذلك الطفل الرضيع، وذلك حين أقبل به الحسين عليه السلام إلى أولئك الأجلاف وألقى إليهم ذلك المقال الذي يلين له الحجر والجلمود وترق له قلوب أهل الكفر.

□ [شعر]:

فدعى في القوم يا الله والخطب الفضيع

نبئوني أنا المذنب أم هذا الرضيع

لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع

لا يكن شافعكم خصماً في الناشئين

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٣١٨ - ٣٢٠).

اعطى ماء اسقه هذا الغلام
 فحشاه من أدام في اضطرار وكلام
 فاكثى القوم عن القول بتكليم السهام
 وإذا بالطفل قد خرّ صريعاً لليدين
 فالتقى ممّا همى من منحّر الطفل دما
 ورماه صاعداً يشكو إلى ربّ السما
 وينادي يا حكيم أنت خير الحكماء
 فجع القوم بقتل الطفل قلب الوالدين

المجلس الحادى والتسعون

في الافساد بين الناس والاصلاح والشماتة

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ومن الأخلاق المذمومة الافساد بين الناس، وهو في الأكثر يحصل بالنميمة،
 وإن لم توجب كلّ نميمة إفساداً، ولا ريب في كون الافساد بين الناس من المهلكات
 المؤدية إلى النار، قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
 أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).
 وقال رسول الله ﷺ: «إن فساد ذات البين هي الحالقة»^(٢).

(١) الآية ٢٧ من سورة البقرة.

(٢) قريب منه ما في الكافي (ج ٧، ص ٥١).

■ [الإصلاح بين الناس]:

وضدّه: الإصلاح بين الناس، وهو أعظم أفراد النصيحة، ولا نهاية لمثوبته عند الله، قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين»^(١).

وقال ﷺ: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»^(٢).

وقال ﷺ: «ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس وينمي خيراً»^(٣).

وقال ﷺ: «كل الكذب مكتوب، إلا أن يكذب الرجل في الحرب، فإنّ الحرب خدعة، أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما»^(٤). إلى آخر.

وقال الصادق عليه السلام: «صدقة يحبها الله تعالى إصلاح بين الناس إذا تفاسلوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»^(٥).

وقال عليه السلام للمفضل بن عمر: «إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتحها من مالي»^(٦).

وقال عليه السلام لابن عمار: «أبلغ عني كذا» وكذا في أشياء أمره بها، فقال له ابن عمار: فأبلغهم عنك، وأقول عني ما قلت لي وغير الذي قلت؟! قال: «نعم، إن المصلح ليس

(١) التحفة السنية (ص ٣٣٠).

(٢) المستدرک (ج ٤، ص ٥٧٦).

(٣) الجامع الصغير (ج ٢، ص ٤٥٢).

(٤) بحار الأنوار (ج ٩٦، ص ٢٥٤).

(٥) وسائل الشيعة (ج ١٨، ص ٤٣٩).

(٦) الكافي (ج ٢، ص ٢٢٩).

كذاب»^(١).

وقال ﷺ: «المصلح ليس بكذاب»^(٢)، يعني إذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الإصلاح لم يعد كلامه كذباً، وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس، لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط ترك الواجب إلا بواجب أكد منه.

■ [الشماتة]:

ومن الأخلاق الذميمة (الشماتة):

وهو إظهار أن ما حدث بغيره من البلية والمصيبة إنما هو من سوء فعله واساءته، والغالب صدوره عن العداوة والحسد.

وعلامته أن يكون مع فرح ومسرة، وربما صدر عن رداءة القوة الشهوية، بأن يهتزه ويميل إليه مع جهله بمواقع القضاء والقدر، وإن لم يكن معه حقد وحسد. والتجربة والأخبار شاهدان على أن كل من شمت بمسلم في مصيبة لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها ويشمت به غيره فيها، قال الصادق ﷺ: «لا تبدي الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويحلها بك»^(٣)، وقال ﷺ: «من شمت بمصيبة نزلت فيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن»^(٤)، على أن كل بلية ومصيبة ترد على مسلم يمكن أن تكون كفارة لذنوبه أو باعثاً لرفع درجاته واعلاء مرتبته في دار الآخرة.

(١) الكافي (ج ٢، ص ٢١٠).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣٤٢).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٥٩).

(٤) المصدر المتقدم.

والدليل على ذلك: إنّ أعظم البلايا والمصائب موكلّة بالانبياء، ثم بالأولياء، ثم الأئمة فالأئمة في درجات الاعتلاء.

ولاريب في أنّ ورود المصائب والمحن عليهم ليس من سوء فعلهم وإساءتهم، فينبغي لكلّ عاقل أن يتأمل (أولاً) إن الشماتة بمسلم بمصيبة لا ينفك في الدنيا من ابتلائه بمثلها، و(ثانياً) إنّها إيذاء لأخيه المسلم، فلا ينفك عن العذاب في الآخرة، و(ثالثاً) إنّ نزول هذه المصيبة به لا يدل على سوء حاله عند الله، بل الأرجح دلالة على حسن حاله وتقريبه عند الله سبحانه.

فليحافظ على نفسه عن ابداء الشماتة لأحد من المسلمين، ويخوف من يراه من الشامتين عن عقوبة العاجل وعذاب الآجل^(١).

أقول: لا شماتة جرت في العالم كشماتة أهل الشام عند قدوم رأس الحسين عليه السلام، وولده حجة الله زين العابدين عليه السلام، وعمّاته، وأخواته، فخرجوا يستقبلونهم بالرايات والطبول في أتم زينة، وكلّ من يلقى صاحبه يقول له: أيامك سعيدة بقدوم رأس...

■ [شعر]:

اتضحك والمحمول رأس ابن أحمد

وتهمّز بشراً والسبايا نجاته

❖ ❖ ❖

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢١٥ - ٢١٧).

أيهدى إلى الشامات رأس ابن أحمد

ليشفي منه ضغنه المحيئ

وتقرع منه الخيز رانة مبسماً

له لم يزل خير الوري يترشف

الله ماذا حال آل محمد لقادمشق بدت لهم أعلامها

فاستقبلوهم بالطبول وصفقوا كف السرور ونذت أعلامها

المجلس الثاني والتسعين

في المراء والجدال والخصومة

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

إعلم أنَّ المراء طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير غرض سوى تحقيره وإهانته، وإظهار تفوقه وكياسته.

والجدال: مراء يتعلق بإظهار المسائل الاعتقادية وتقريرها.

والخصومة: لجاج في الكلام لاسيتفاء مال أو حق مقصود.

فالمراء داخل تحت الإيذاء ويكون ناشئاً من العداوة والحسد، فهو من الأخلاق المذمومة، والصفات الرذيلة، سواء كان في المسائل العلمية أو غيرها، وسواء كان الاعتراض بحق أم باطل، لأن يكون متعلّقاً بمسائل دينية، والغرض التفهم واستفهام الحق، فإن في هذه الصورة لبأس به، بل هو ممدوح ومعدود في الثبات في الإيمان، وهذا لا يُسمّى مراء بل يُسمى ارشاداً أو استرشاداً، وعلامة ذلك أنك لا تضيق لو ظهر

الحق على لسان غيرك.

وأما المجادلة، فعلاقتها: أنه لو ظهر الحق على لسان غيرك يسوؤك ذلك وتحب أن يكون القول قولك، وتغلب بذلك، الخصم، وتُظهر الخلل والنقص في كلام الخصم، وكما تقدم إن الأول ممدوح يدل على قوة الإيمان وكبر النفس، والثاني مذموم ومنهيه عنه لأنه يهيج الغضب، ويكون باعثاً لحصول الحقد والحسد من الجانبين، وطالما يكون سبباً للتشكيك والشبهة له ولغيره في الاعتقادات الحقّة، ولهذا نهى الله سبحانه عنه بقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (١).

وقال رسول الله ﷺ: «لا يكمل إيمان العبد حتى يترك الجدل ولو كان على حق» (٢).

وروي عن الصادق عليه السلام: «لا تجادل ولا تمار صاحب حلم ولا سفيه، فالحكم يكون لك عدو، والسفيه يؤذك» (٣).

قال عليه السلام: «إياكم والمراء والجدال فإنه يكون باعثاً لكشف العيوب» (٤) وهذه الصفة المذمومة تقوى في الإنسان بكثرة الجدل والغلبة على الخصم، سواءً بالحق أم بالباطل، فيبلغ الحال بصاحبها حتى يكون كالكلب الضاري، لم يزل يرغب في الجدل مع الناس ولم يزل يرصد متى يسمع كلاماً من أحد فيدخل نفسه فيه ليلتذ بذلك،

(١) الآية ٦٨ من سورة الأنعام.

(٢) الموجود في الأخبار حتى يترك الكذب (تحف العقول: ص ٢١٦).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٠١).

(٤) في الكافي لانهما يمرضا القلوب على الاخوان وينبت عليهما النفاق (ج ٢، ص ٣٠٠).

خصوصاً في المجمع الذي يحتوي على ضعفاء العقول ويمدحونه بهذا الخلق الخبيث، ويقولون: عارف، جدلي، حاذق في البحث، لا يغلبه أحد، فيستر بذلك وهو غافل أن ذلك من الخبائث الكامنة في باطنه.

■ [الخصومة واللجاج]:

وأما الخصومة: واللجاج في الكلام من جهة استيفاء مطلب أو مقصود من مقاصده أيضاً هو مذموم كالمراء والجدال، وغائلته عظيمة، وهو مصدر لأكثر الشرور والمحن، قال رسول الله ﷺ: «ما نزل عليّ جبرئيل ووعظني إلّا وقال لي في آخر كلامه: احترز من اللجاج فإنه يظهر عيوب الانسان ويذهب بعزّه»^(١).

وقال ﷺ: «أبغض الناس عند الله اللجوج المخاصم»^(٢).

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «احذروا المراء والخصومة، فإنهما يمرضان القلب وينبتان النفاق في الاخوان»^(٣).

وعن الصادق عليه السلام: «احترزوا من الخصومة فإنها تشغل القلب وتبعث النفاق»^(٤).

ولاريب أن أكثر الفتن والمحن تنشأ من الخصومة. ولا يخفى أن من يخاصم في استيفاء مقصود من مقاصده أكان حقّاً ثابتاً أو حقّاً مالياً غيره ويستحقه شرعاً، فهذه

(١) روائع نهج البلاغة (ص ١٤٢).

(٢) لم نعثر على مصدر هذا الخبر.

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٠).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٣٠١).

الخصومة غير مذمومة بل هي من مقتضى الغيرة الممدوحة، وإن كانت بباطل أو كانت متعلّقة بما يدعيه كذباً أو بلا علم أو يقين فهي مذمومة، فالخصومة المذمومة تتناول المخاصمة فيما علم قطعاً عدم استحقاقه، وفيما لا علم له بالاستحقاق مثل: خصومة وكيل دار القضاء، فإنه قبل أن يعرف الحقّ في أيّ جانب يتوكل في الخصومة من أيّ جانب كان، ويخاصم من غير علم وإيقان، مثله خباط العثرات وركاب الشبهات، يضرّ المسلمين بلا غرض، ويتحمل أوزار الغير بلا عوض، فهو أخسر الناس أعمالاً، وأعظم في الآخرة أوزاراً ونكالاً^(١).

فالممدوح من الخصومة هي الخصومة في طلب حقّ الثري ولا يظهر اللجاج والعناد، ولا يتكلّم بأكثر مما هو المروي في اثبات حقه من الحجج الشرعية.

■ [الزهراء عليها السلام وفدك]:

أقول: هذه الحالة تنطبق على الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، حين طالبت في فدك فلم تزد ما هو خارج عن دعواها بل ألقت عليهم من الحجج ما أثبتت به دعواها، كما هو صريح قولها في خطبتها: «ولا أقول ما أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً»^(٢).

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢١٧ - ٢١٨).

(٢) شرح الأخبار (ج ٣، ص ٣٤).

■ [شعر]:

تعظ القوم في أتم خطاب حكمت المصطفى به وحكاها
أيها القوم أي بنت نبي من مواريثه أبوها زواها
هذه الكتب فاسألوها تروها بالموارث ناطق فحوها
وبمعنى يوصيكم الله أمر شامل للأنام في قرباها^(١)

المجلس الثالث والتسعون

في الخصومة المذمومة

من الخصومة المذمومة من يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد والعناد في الخصومة قصداً للتسلط والإيذاء، ومن يمزج بخصومته كلمة مؤذية لا يحتاج إليها في إظهار الحق وبيان الحجة، ومن يحمله على الخصومة محض العناد بقهر الخصم وكسره مع استحقاره لذلك القدر من المال، وربما صرح بأن قصدي العناد والغلبة عليه وكسر عرضه، وإذا أخذت منه هذا المال رميته ولا أبالي، فمثله غرضه اللدد واللجاج.

فنتحصر الخصومة الجائزة بمخاصمة المظلوم الذي يطلب حقه وينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد وإيذاء، مع الاقتصار على قدر الحاجة في الخصومة من غير أن يتكلم بالزائد ولا بكلمات مؤذية، فهذا فعله ليس بحرام وإن كان الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً، إذ ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر أو متعسر،

(١) أبيات من أزرية الشيخ الأزري (ص ١٤١).

لأنها توغر الصدور وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب ذهب المتنازع فيه من البين وأشدّ الحقد بين المتخاصمين حتّى يحزن كل واحد بمسرة صاحبه ويفرح بمساءته، فالخصومة مبدأ كل شرّ، فينبغي ألا يفتح بابها إلّا عند الضرورة على قدر الضرورة، ولا يتعدّى عن الواجب، وأقل درجاتها تشوش خاطر، حتّى أنّه في الصلاة ليستغل بمخاصمة الخصم، ويتضمّن الطعن والاعتراض، أي التجهيل والتكذيب، إذ من يخاصم غيره إما يجهّله أو يكذّبه، فيكون آتياً بسوء الكلام ويفوت به ضده وهو طيب الكلام مع ما ورد فيه من الثواب.

وكذا الحال في المراء والجدال والخصومة، وبالجملّة فالمراء والجدال والخصومة سوى ما استثنى من ذمائم الأخلاق، ومبادئ أكثر الشرور والفتن، ولذا ورد بها الذم الشديد في الأخبار، قال رسول الله ﷺ: «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتّى ينزع»^(١)، وقال ﷺ: «إن ابغض الرجال إلى الله الألد الخصم»^(٢).

■ [علاج المراء]:

فليتأمل كلّ إنسان في عاقبة هذه الصفة الخبيثة، ويتأمل في مذمتها شرعاً وعقلاً، ويعلم أنها مبدأ العداوة وزوال الألفة والاتحاد والصداقة، وخلاف ما يريد الله تعالى، وباعث اغتشاش في الأمور، وتشتت بال المخاصم وقلبه، بعد المخاصمة والجدال

(١) الجامع الصغير (ج ٢، ص ٥٩٢).

(٢) مواهب الجليل (ج ٧، ص ١٦٧).

يكون كدراً كالمرأة إذا تكدرت، وتذهب عزته ووقاره، ثم إذا تجاوزت الخصومة من الحد اللازم غالباً تكون سبباً لتضييع الحقوق.

■ [طيب الكلام]:

وضدّ هذه الثلاث الرذائل: طيب الكلام، وما ورد في مدحه أكثر من أن يحصى، قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من لقي الله تعالى بهنّ دخل الجنة من أي باب شاء: من حسن خلقه، وخشي الله في المغيب والمحضر، وترك المراء، وإن كان محقاً»^(١).

وقال ﷺ: «إن في الجنة لعرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعطاها الله لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام»^(٢).

وقال ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»^(٣).

وروي أن عيسى عليه السلام مرّ به خنزير فقال: «مُرّ بسلامة»، فقبل له: يا روح الله، تقول هذا للخنزير؟! فقال عليه السلام: «أكره أن أعود لساني الشر»^(٤)، وقال بعض الحكماء: (الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح)^{(٥) (٦)}.

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٠).

(٢) مسند أبي يعلى (ج ١، ص ٣٤٤).

(٣) مكارم الأخلاق (ص ٤٦٧).

(٤) كشف الخفاء (ج ٢، ص ٧٤).

(٥) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٢٠).

(٦) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢١٨ - ٢٢٠).

■ [ماجری علی فاطمة الزهراء ؑ]:

قد علمت أنّ الخصومة محرّمة إلّا لاستيفاء حقّ ثابت شرعاً، ومع ذلك لا يجوز التجاوز عن القدر الضروري في تقوية الحجّة، إذ فكيف الحال إذا كانت الدعوى باطلة ويتجاوز صاحبها إلى ما هو خارج عن الدعوى، ولذا قالت الصديقة ؑ في خطبتها المشهورة: «تسرون حسواً في ارتغاء» وتمشون لأهله في الخمر والضراء»^(١)، هذا المثل يضرب لمن يفعل شيئاً ويريد غيره، يعني: أنكم تظهرون أنكم تريدون إصلاح الأمر وليس كذلك، بل تريدون أذيتنا أهل البيت ؑ.

فإن كان مرادهم الخلافة حسب فقد أدركوها، فما معنى تعرضهم لضرب الصديقة ؑ وعصرها ولطمها بل هي أحقاد كامنة في قلوبهم فلم يجدوا لها فرصة إلّا بعد رسول الله ﷺ: كما صرح الثاني في عهده لمعاوية وذلك حتى جاء بالخطب لحرق باب دار فاطمة وأراد فتحه فمانعته الصديقة ؑ قال: «فضربت كفيها بالسوط فآلمها فسمعت لها زفيراً ويكاه» فكذت أن ألين وأنقلب عن الباب فذكرت أحقاد علي وولوغه في دماء صنديد قريش، وكيد محمد في سحره فركلت الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه، وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها، وقالت: يا أبتاه يا رسول الله هكذا كان يفعل بحبيبتك وابنتك آه يافضة إليك فخذيني فلقد والله قتل ما في أحشائي من حمل»^(٢).

(١) الطرائف للسيد ابن طاووس (ص ٢٦٥).

(٢) العوالم (ج ١١، ص ٦٠٦).

قد أسقطوا جنينها واعتري
فما سقط الحمل ما صدرها
ماوكزها بالسيف في ضلعها
ما دفنها بالليل سرّاً وما
من لطمة الخدّ العيون احمرار
ما لطمها ما عصرها بالجدار
وما انتثار قرطها والسوار
نبش الثرى منهم عناداً جهار

المجلس الرابع والتسعون

في السخرية والاستهزاء

[قال العلامة النراقي ﷺ]:

ومن الأخلاق المذمومة السخرية والاستهزاء، وهو محاكاة أقوال الناس وأفعالهم أو صفاتهم وخلقهم، قولاً وفعلاً، والتنبيه على العيوب والنقائص، وإن لم يكن ذلك بحضرة المستهزأ به فيتضمّن الغيبة أيضاً.

وباعثه إمّا العداوة، أو التكبر واستصغار المستهزأ به، فيكون من رذائل القوة الغضبية، أو قصد ضحك الأغنياء وتنشيط قلوبهم، طمعاً في بعض أوساخهم الملوثة، وأخذ النبذ من حطامهم المحرمة.

ولاريب في أنّه صفة من لاحظ له في الدين، وشيمة أراذل أحزاب الشياطين، لأنهم يظهرون أكاذيب الأقوال، ويرتكبون أعاجيب الأفعال، ويخلعون قلائد الحرّة عن الرقاب، ويهتكون استار الحياء بمرأى من أولي الألباب، يتنفون عيوب المؤمنين وعوراتهم، ويظهرون نقائص المسلمين وعثراتهم، يقلّدون أفعال الأخيار على وجه يضحك الأشرار، ويحاكون صفات الأبرار على أفصح الوجوه في الأنظار.

ولاريب في أن المرتكب لهذه الأفعال بعيد عن الإنسانية بمراحل، ومستوجب

لعقوبة العاجل وعذاب الآجل، ولا يخلو ساعة من الصغار والهوان، ولا وقع له في قلوب أهل الإيمان، وكفاه دماً أنه جعل تلك المعاصي الخبيثة وسيلة لتحصيل المال أو الواقع في قلوب أهل الدنيا، ويلزمه عدم اعتقاده بأن الله سبحانه هو المتكفل بأرزاق العباد.

والطريق في دفعه -بعد التأمل في سوء عاقبته، ووخامة خاتمته، وفيما يلزمه من الذلة والهوان في الدنيا-، أن يبادر إلى إزالة العداوة والتكبر إن كان باعته ذلك، وإن كان باعته تنشيط قلوب أهل الدنيا طمعاً في مالهم، فليعلم إن كل نفس ما قدر لها من الأموال والأرزاق يصل إليها من الله سبحانه ألبته، فإن من يتق الله ويتوكل عليه ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١) ويكون في الآخرة سعيداً، وإن أغواه الشيطان وحّنه على تحصيلها من المداخل الخبيثة، لم يصل إليه أكثر مما قدر له، وكان في الآخرة شقيّاً.

وليعلم أن المتوكل على الله، والمتصف بالحرية، لا يبدّل التوكل والحرية بهذه الأفعال لأجل الوصول إلى بعض خبائث الأموال، فليعاتب نفسه ويزجرها بالمواعظ والنصائح، ويتذكر ما ورد في الشريعة من ذمّ المستهزين وتعذيبهم يوم القيامة بصورة الاستهزاء، قال الله جلّ شأنه: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُسْتَهْزِينَ بِالنَّاسِ يَفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلَمْ هَلَمْ، فَجِيءَ بِكَرْبِهِ وَغَمِّهِ، فَإِذَا أَتَىٰ أَغْلَقَ دُونَهُ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ آخَرُ، فَيَقَالُ هَلَمْ

(١) الآيتان ٢ و ٣ من سورة الطلاق.

(٢) الآية ١١ من سورة الحجرات.

هَلَمْ، فيجيء بكريه وغته، فإذا أتى أغلق دونه، فما يزال كذلك حتى يفتح له الباب فيقال: له هَلَمْ هَلَمْ فما يأتيه»^(١).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَفِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٢): الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة الفقهه بذلك^(٣). وفيه إشارة إلى أن الضحك على الناس من الجرائم العظيمة^(٤).

■ [من واقعة كربلاء]:

أقول: الضحك ممقوت على كافة المؤمنين، وتشتد العقوبة إذا كان الضحك على من هو أصل الاسلام والإيمان، كضحك أهل الكوفة بورود رأس الحسين عليه السلام، وأخواته، وعيالاته، كما حدث أبو مخنف فقال:

قال الراوي: أقبلت في تلك السنة من الحج، فدخلت الكوفة، فرأيت الأسواق معطلة، والدكاكين مغلقة، والناس بين باك وضاحك، فرأيت نساء أهل الكوفة مشققات الجيوب، ناشرات الشعور، لاطمات الخدود، فأقبلت إلى شيخ منهم، وقلت له: مالي أرى الناس بين باك وضاحك؛ الكم عيد لست أعرفه فأخذ بيدي، وعدل بي عن الطريق، ثم بكى بكاءً عالياً، وقال: سيدي ليس لنا عيد، ولكن بكاءهم والله من أجل عسكرين عسكر ظافر، والآخر مقتول، فقلت: ومن هما؟ قال: عسكر الحسين عليه السلام.

(١) التحفة السنية (ص ٣٢٣).

(٢) الآية ٥٠ من سورة الكهف.

(٣) الكشف (ج ٢، ص ٤٨٧).

(٤) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٢٠ - ٢٢٢).

مقتول، وعسكر ابن زياد ظافر. ثم بكى بكاءً عالياً، فما استتم كلامه حتى سمعت البوقات تضرب، والرايات تخفق، وإذا بالعسكر قد دخل الكوفة، وسمعت صيحة عظيمة، وإذا رأس الحسين عليه السلام يلوح والنور يسطع منه، فخنقتني العبرة لما رأيته، ثم أقبلت السبايا، وإذا بعلي بن الحسين عليه السلام على بعير بغير غطاء ولا وطاء، فسألت عنها فقيل هذه ام كلثوم، وهي تنادي: يا أهل الكوفة؛ غصوا أبصاركم عنا أما تستحون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حريم رسول الله ﷺ وهن حواسر. فلما نظرت أم كلثوم إلى رأس أخيها الحسين عليه السلام بكت وشقت جيبها^(١) وأنشأت تقول:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسؤ في ذوي رحم^(٢)

ومما ينسب للإمام زين العابدين عليه السلام:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم يا أمة لم تراع جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيروننا على الأقتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم ديننا
بني أمية ما هذا الوقوف على تلك المصائب لا تلبون داعينا
تصفقون علينا كفكم فرحاً وأنتم في فجاج الأرض تسبوننا^(٣)

(١) مدينة المعاجز (ج ٤، ص ١٢٢).

(٢) روضة الواعظين (ص ١٩٣).

(٣) ينابيع المودة (ج ٣، ص ٨٦).

المجلس الخامس والتسعون

في السخرية والاستهزاء

وفي المزاح الممقوت والمباح والمحمود

[قال العلامة النراقي ﷺ]:

قد تقدم في المجلس السابق ذم السخرية والاستهزاء، وجميع ما ذكر إنما هو في حق من يؤدي الناس ويعينهم باستهزاء وسخريته، وأما من جعل نفسه مسخرة ومُسَرَّ بأن يهزأ ويُسخَر به، وإن كان هو ظالماً لنفسه خارجاً عن شعار المؤمنين، حيث أهان نفسه وأذلها، إلا أن سخرية الغير به من جملة المزاح، ويأتي ما يذم منه وما يحمد، وإنما المحرّم منه ما يؤدي إلى إيذائه وتحقيره: بأن يُضحك على كلامه إذا يخطب ولم ينتظم، وعلى أفعاله إذا كانت مشوشة، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيراً أو طويلاً أو ناقصاً بعيداً من العيوب، فالضحك على جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها.

وعلاجه: أن يفكر في سوء عاقبته، وأن استهزاءه بنفسه يوجب خزي نفسه يوم القيامة عند الله وعند الملائكة والنبیین والناس أجمعين، فلو تفكّر في حسرته وخجله وخزيه يوم يحمل سيئات من استهزأ به، ويساق إلى النار، لأدهشه ذلك عن إخزاء غيره، ولو عرف حقيقة حاله يوم القيامة لكان أولى أن يضحك على نفسه تارة ويبكي عليها أخرى، لأنه باستهزائه بنفسه عند بعض أراذل الناس عرض نفسه لأن يأخذ بيده ذلك الغير يوم القيامة على ملأ من الناس ويسوقه تحت السياط كما يساق الحمار إلى النار مستهزأ به مسروراً بخزيه وتمكين الله تعالى إياه على الانتقام منه، فمن تأمل في ذلك ولم يكن عدواً لنفسه اجتنب عن السخرية والاستهزاء كل الاجتناب.

■ [المزاح]:

ومن الأخلاق المدمومة المزاح:

وأصله مذموم منهى عنه، وسببه: إمّا خفة في النفس، فيكون من رذائل القوة الغضبية، أو ميل النفس وشهوتها إليه، أو تطيب خاطر بعض أهل الدنيا طمعاً في مالهم، فيكون من رذائل القوة الشهوية.

وسبب الذم فيه: أنه يسقط المهابة والوقار، وربما أدى إلى التباغض والوحشة والضعف، وربما انجرّ إلى الهزل والاستهزاء، وأدخل صاحبه في جملة المستهزأ بهم، وربما صار باعثاً لظهور العداوة كما قيل، وربما جرّ إلى اللعب، قال رسول الله ﷺ: «لا تمار أخاك ولا تمازحه»^(١).

وقال بعض الأكابر لابنه: (يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيّ فيجتري عليك)^(٢)، وقال آخر: (ياكم والممازحة فإنّها تورث الضغينة وتجّر إلى القطيعة)^(٣)، وقال آخر: (المزاح مسلبة للبهاء وقطيعة للأصدقاء)^(٤)، وقيل: (لكل شيء بذرة وبذر العداوة المزاح)^(٥)، وقد قيل في سوء عاقبة المزاح:

لا تمزحنّ فإن المزح منقصة كم من صديقين بعد المزح قد خصما

(١) تحف العقول (ص ٤٩).

(٢) عيون الحكم والمواعظ (ص ١٨٥).

(٣) كتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا (ص ٢٠٨).

(٤) فيض القدير (ج ٣، ص ١٩).

(٥) عيون الحكم والمواعظ (ص ٤٠٢).

ومما ينسب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

لا تمزحَنَّ وإن مزحت فلا يكن مزحاً تضاق به إلى سوء الأدب

ومن مفاصد المزاح أنه سبب الضحك، وهو منهي عنه، قال الله تعالى:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(١) وقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة

فيضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا»^(٢)، وقال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم

لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً»^(٣)، وهو يدل أن الضحك علامة الغفلة. وقال بعض:

(من كثر ضحكك قلّت هيبتك، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن

كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ

ورعه مات قلبه)^(٤).

وقال رجل لأخيه: يا أخي، هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: وهل أتاك

أنك خارج منها؟ فقال: لا. قال: فقيم الضحك فما رُئي بعد ذلك ضاحكاً حتّى مات^(٥)،

وقال عارف مخاطباً نفسه: (أتضحك ولعلّ أكفانك خرجت من عند القصار)^(٦)، ونظر

بعضهم لقوم يضحكون في يوم الفطر، فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم، فما هذا فعل

الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم ما هذا فعل الخائفين^(٧).

(١) الآية ٨٣ من سورة التوبة.

(٢) بحار الأنوار (ج ٦٩، ص ٢٥٧).

(٣) الأم (ج ١، ص ٢٤٤).

(٤) عيون الحكم والمواعظ (ص ٤٥٣) ومجمع الزوائد (ج ١٠، ص ٣٠٢).

(٥) التخويف من النار (ص ٢٥٠).

(٦) شرح نهج البلاغة (ج ٦، ص ٢٣٤).

(٧) تهذيب الكمال (ج ٣١، ص ١٧٤).

ثم المذموم من الضحك هو القهقهة، وأمّا التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت ليس مذموماً بل محمود، لفعل النبي ﷺ^(١).

لذا يقول السيد جعفر الحلي (عليه الرحمة) في شأن قمر العشرة عليها السلام:

عبست وجوه القوم خوف الموت والـ

عباس فيهم ضاحك متبسم

قلب اليمين على الشمال وخاض في

الأوساط يحصد الرؤوس ويعطم

المجلس السادس والتسعون

في المزاح الممدوح

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

الحق أن المذموم من المزاح هو: الإفراط فيه والمداومة عليه، أو ما يؤدي إلى الكذب والغيبة وأمثالها ويخرج صاحبه عن الحق، وأمّا القليل الذي يوجب انبساط خاطر وطيب قلب، ولا يتضمّن إيذاءً ولا كذباً ولا باطلاً، فليس مذموماً لقول رسول الله ﷺ: «**إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً**»^(٢)، ولما روي أنهم قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، فقال عليه السلام: «**إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقاً**»^(٣).

وروي أنه عليه السلام كسا ذات يوم واحدة من نسائه ثوباً واسعاً، وقال لها: «**إبسيه**

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٢٢ - ٢٢٤).

(٢) مكارم الأخلاق (ص ٢١).

(٣) الجامع الصغير (ج ١، ص ٤٠٢).

واحمدي وجري منه ذيلًا كذيل العروس»^(١)، وقال ﷺ: «لا تدخل الجنة عجوز» فبكت العجوز فقال: «إنك لست يومئذ بعجوز»^(٢)، وجاءت امرأة إليه، وقالت: إن زوجي يدعوك. فقال ﷺ: «زوجك هو الذي بعينه بياض» قالت: والله ما بعينه بياض، فقال ﷺ: «بلى، إن بعينه بياضاً»، فقالت: لا والله. فقال ﷺ: «ما من أحد إلا بعينه بياض»^(٣). واراد به البياض المحيط بالحدقة.

وجاءته امرأة أخرى وقالت: احملني على بعير. فقال ﷺ: «بل نحمل على ابن البعير»، فقالت: ما أصنع به إنه لا يحملني، فقال ﷺ: «هل من بعير إلا وهو ابن بعير»^(٤) وكان ﷺ يدلع لسانه للحسين عليه السلام فيرى لسانه فيهش إليه^(٥).

وقال ﷺ لصهيب - وبه رمد وهو يأكل التمر -: «أأأكل التمر وأنت أرمده»، فقال: إنما آكل بالشق الآخر، فتبسم رسول الله ﷺ حتى بدت نواجده^(٦).

وروي أن خوات بن جبير^(٧) كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة، وكان ذلك قبل اسلامه، فطلع عليه رسول الله ﷺ، فقال له: «مالك مع النسوة؟!»، قال: يفتلن ضعيفاً لجمال لي شرود، فمضى رسول الله ﷺ لحاجته ثم عاد، فقال ﷺ: «يا أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجمال الشراد بعد؟»، قال: فسكت واستحييت، وكنت بعد

(١) مناقب آل أبي طالب (ج ١، ص ١٢٨).

(٢) المغني (ج ١١، ص ٢٤٤).

(٣) تنبيه الخواطر (ج ١، ص ١١٢).

(٤) سبل الهدى والرشاد (ج ٧، ص ١١٤).

(٥) أمالي السيد المرتضى (ج ٢، ص ١٦٩).

(٦) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٢٥).

(٧) صحابي بدرى من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

ذلك استخفي منه حياءً، حتى أسلمت وقدمت المدينة فاطلع علي يوماً وأنا أصلي في المسجد فجلس إلي فطولت الصلاة، قال ﷺ: «لا تطول فإني أنتظر»، فلما فرغت، قال ﷺ: «يا أبا عبد الله ما ترك ذلك الجمل الشراد بعد»، قلت: والذي بعثك بالحق نبياً شرد منذ أسلمت، فقال ﷺ: «الله أكبر، الله أكبر، اللهم اهد أبا عبد الله فحسن إسلامه» (١).

وكان نعيمان الأنصاري، رجلاً مزاحاً، فإذا دخل المدينة شيء نفيس من اللباس أو المطاعم اشتري منه، وجاء به إلى رسول الله ﷺ، ويقول: هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه، جاء به إلى رسول الله ﷺ، قال: يا رسول الله اعطه ثمن متاعه، فيقول النبي ﷺ: «ولم تهده لنا؟»، فيقول: لم يكن عندي والله ثمنه وأحببت أن تأكل، فيتبسم رسول الله ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه (٢).

وأمثال هذه المطايبات مروية عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة عليهم السلام، وأكثرها منقولة مع النسوان والصبيان، وكان ذلك معالجة لضعف قلوبهم، من غير ميل إلى هزل ولا كذب ولا باطل، وكان صدور ذلك عنهم أحياناً وعلى الندرة، ومثلهم كانوا يقدرون على المزاح مع عدم خروجهم عن الحق والاعتدال، وأما غيرهم إذا فتح باب المزاح فربما وقع في الإفراط والباطل فالأولى لأمثالنا تركه (٣).

(١) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٢٥).

(٢) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٢٥).

(٣) جامع السعادات (ج ٢، ص ٢٢٤ - ٢٢٥).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

أقول: هذه المداعبات التي ذكرت عن النبي ﷺ في هذا الباب زيادةً على أنها لم تخرج من الحق لا تخلوا من الحكم، إذ أن معظم هذه المداعبات مع النساء والصبيان، وذلك معالجة لضعف قلوبهم، وعلى أي قلوب النساء والصبيان ضعيفة ويحتاجون للرفق، فالمرأة والطفل لا يقابلان ولا يواجهان بما يواجه به الرجل، ولهذا لما هجم القوم اللثام يوم عاشوراء على مخيم الحسين ﷺ وطعنوا الفسطاط بالرمح، وكان به ﷺ رمق الحياة صاح بهم: «يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخشون المعاد، فراجعوا أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»، فقال له شمر بن ذي الجوشن (لعنه الله): ما تقول يا بن فاطمة؟! قال ﷺ: «أقول: أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي مادمت حيّاً»، فصاح بالقوم إليكم عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه، لعمري لهو كفوء كريم^(١).

قال: اقصدونني بنفسي واتركوا حرمي

قد حان حينني وقد بانت^(٢) لوائحه^(٣)

(١) عمدة الطالب (ص ٧).

(٢) أو: لاحت.

(٣) العقود الاثني عشرية (مجلة تراثنا: ج ١، ص ٢٠٨).

إن لم تدنوا بالمعاد فراجعوا

أحسابكم إن كنتم أعراباً^(١)

المجلس السابع والتسعون

في الغضب

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

من الأخلاق المذمومة المهلكة الغضب، وهو كَيْفِيَّةٌ نفسانيَّةٌ موجبة لحركة الروح من الداخل إلى الخارج، ومبدؤه شهوة الانتقام، وهو من جانب الافراط، وإذا اشتدَّ يوجب حركة عنيفة يمتلئ لأجلها الدماغ والأعصاب من الدخان المظلم، فيستر نور العقل ويضعف فعله ولذا لا يؤثر في صاحبه الوعظ والنصيحة بل تزيده الموعظة غلظة وشدة، قال بعض علماء الأخلاق: الغضب نار اقتبست من نار الله الموقدة إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئدة وأنها لمستكنة في طيِّ الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد، وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين، أو حمية الجاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبارين، التي لها عرق إلى الشيطان اللعين حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخُلِقْتُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢) فمن شأن الطين السكون والوقار، ومن شأن النار التلطي والاستعار.

ثم قوة الغضب تتوجه عند ثورانها إما إلى دفع المؤذيات إن كان قبل وقوعها، أو إلى التشفي والانتقام إن كان بعد وقوعها، فشهوتهما إلى أحد هذين الأمرين، ولذا نهاها فيه

(١) ديوان السيد رضا الهندي (ص ٤٢).

(٢) الآية ١٢ من سورة الأعراف.

ولا تسكن إلا به، فإن صدر الغضب على من يقدر أن ينتقم منه واستشعر باقتداره على الانتقام، انبسط الدم من الباطن إلى الخارج واحمرّ اللون، وإن صدر على من لا يتمكن أن ينتقم منه لكونه فوقه، واستشعر اليأس من الانتقام، انقبض الدم من الظاهر إلى الباطن، وصار حزناً، وإن صدر على من يشك في الانتقام منه انبسط الدم تارة وانقبض أخرى فيحمرّ ويصفر ويضطرب.

فالناس في هذه القوة على إفراط وتفریط واعتدال، فالإفراط: أن تغلب هذه الصفة حتّى يخرج الانسان عن طاعة العقل والشرع وسياستها، ولا تبقى له فكرة وبصيرة.

والتفريط: أن يفقد هذه القوة، أو تضعف بحيث لا يغضب عمّا ينبغي الغضب عليه شرعاً وعقلاً.

والاعتدال: أن يصدر غضبه فيما ينبغي ولا يصدر فيما لا ينبغي، بحيث لا يخرج عن سياسة الشرع والعقل، بل يكون تابعاً لهما في الغضب وعدمه، فيكون غضبه وانتقامه بأمرهما. ولا ريب في أنّ الاعتدال ليس مذموماً، ولا معدوداً من الغضب، بل هو من الشجاعة. والتفريط مذموم معدود من الجبن والمهانة، وربّما كان أخبث من الضغب إذ الفاقد لهذه القوة لا حميّة له وهو ناقص جدّاً، ومن آثاره: عدم الغيرة على الحرم، وصغر النفس، والجور، وتحمل الدّل من الأخساء، والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفحشاء، ولذا قيل: (من استغضب فلم يغضب فهو حمّا)^(١).

(١) ميزان الحكمة (ج ٣، ص ٢٢٧٠) والعهود المحمدية (ص ٤٦٠).

وقد وصف الله خيار الصحابة بالحمية والشدة فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^(١) وخاطب نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢)، والشدة والغلظة من آثار قوة الغضب، ففقد هذه القوة بالكلية أو ضعفها مذموم.

وقد ظهر أنَّ الغضب المعداد من الرذائل هو حد الإفراط الذي يخرج عن مقتضى العقل والدين، وحد التفريط وإن كان رذيلة إلا أنه ليس غضباً، بل هو ضد له معداد من الجبن، وحد الاعتدال فضيلة وضد له، ومعداد من الشجاعة، فانهصر الغضب بالأول.

ثم الناس كما هم مختلفون في أصل قوة الغضب، كذلك مختلفون في حدوثه وزواله سرعةً وبطأً، فيكونان في بعضهم سريعين، وفي بعضهم بطيئين، وفي بعضهم يكون أحدهما سريعاً والآخر بطيئاً، وفي بعضهم يكون أحدهما أو كلاهما متوسطاً بين السرعة والبطء، وما كان من ذلك بإشارة العقل فهو ممدوح معداد من أوصاف الشجاعة، وغيره مذموم محسوب من آثار الغضب أو الجبن^(٣).

■ [من تاريخ الأمير عليه السلام والزهاء عليه السلام]:

أقول: قد يقتضي الشرع أحياناً ترك الغضب في محلّه لحكمة كما أخذ العهد على أمير المؤمنين عليه السلام أن يصبر على ما يرى بعد رسول الله ﷺ، وهو ذلك العهد السماوي الذي نزل به جبرئيل على رسول الله وأمره عن الله أن يدفعه لأمير

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

(٢) الآية ٨٣ من سورة التوبة.

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٥٥ - ٢٥٧).

المؤمنين ﷺ يأخذ عليه العهد على العمل به، فأخذ عليه العهد، وأشهد عليه جبرئيل والملائكة، فمن جملته التجاسر عليه وعلى الصديقة ﷺ، ولهذا لما هجم الثاني ومن معه دار أمير المؤمنين ﷺ فوثب علي ﷺ وأخذ بتلابيب الثاني، ثم هزّه وصرعه ووجا أنفه وركبته، قال ﷺ: «لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم لعلمت أنك لا تدخل بيتي»^(١).

قِيَدَتِهِ وَصِيَّةٌ مِنْ أَخِيهِ حَقْلَتُهُ مَالِيسٍ بِالْمَقْدُورِ^(٢)

وأي محلّ أولى بالغضب من حماية الرجل لعرضه سيما مثل أمير المؤمنين ﷺ، وهو يرى نصب عينيه بضعة رسول الله ﷺ بين الحائط والباب وهي تستغيث ولا يغيثها.

■ [شعر]:

للزهرة متحميها يبو الحسنين بيك اشصار
سيفك جلّت احدوده يوفريت يا كرار
يوم القوم اجوا ليكم ووجوا بابكم بالنار
والزهرة تدافعهم ما تنفر يواليها
بيدها تدافعهم خوف وروحها راحت
عنهم لوذّت بالباب عصروها لما طاحت

(١) كتاب سليم بن قيس (ص ١٥٠).

(٢) من شعر للسيد باقر الهندي (مأساة الزهراء ﷺ: ج ٢، ص ٢٦).

كسروا ضلعها بالباب طرحت محسن وصاحت

تعالى لي يفضّه اتريد بس واحدة تباريها

المجلس الثامن والتسعون

في مفاصد الغضب

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

الغضب: من المهلكات العظيمة، وربما أذى إلى الشقاوة الأبدية من القتل والقطع، ولذا قيل: (إنّه جنون دفعي)، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحدة ضرب من الجنون لأنّ صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم»^(١)، وربما أدى إلى اختناق الحرارة ويورث الموت فجأة، وقال بعض الحكماء: (السفينة التي وقعت في اللجج الغامرة واضطربت بالرياح العاصفة وغشيتها الأمواج الهائلة أرحى إلى الخلاص من الغضبان الملتهب)^(٢).

قال بعض الأنبياء لمن تبعه: من يكفل لي أن لا يغضب ويكون في دوحتي ويكون بعدي خليفتي، فقال شاب من القوم: أنا، ثم أعاد عليه، فقال الشاب: أنا، ووفى به، فلمّا مات كان في منزلته بعده، وهو ذو الكفل سمّي به لأنّه كفل بالغضب ووفى به. وقد ورد به الذم الشديد في الأخبار، قال رسول الله ﷺ: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»^(٣).

(١) نهج البلاغة (ج ٤، ص ٥٦).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٥٧).

(٣) دعائم الاسلام (ج ٢، ص ٥٣٧).

وقال الباقر عليه السلام: «إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإن أحذكم إذا غضب احمرت عيناه وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحذكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإن رجز الشيطان ينهب عنه عند ذلك» ^(١).

قال الصادق عليه السلام: «وكان أبي يقول: أي شيء أشد من الغضب؟ إن الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة» ^(٢).

وقال عليه السلام: «إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار» ^(٣).

قال الصادق عليه السلام: «الغضب مفتاح كل شر» ^(٤)، وقال عليه السلام: «الغضب ممحقة لقلب

الحكيم» وقال عليه السلام: «من لم يملك غضبه لم يملك عقله» ^(٥).

ثم مما يلزم الغضب من الآثار المهلكة الدائمة، والأغراض المضرة القبيحة، انطلاق اللسان بالشتم والسب وإظهار السوء والشماتة بالمساءة، وإفشاء الأسرار، وهتك الأستار، والسخرية والاستهزاء، وغير ذلك من قبيح الكلام الذي يستحي العقلاء، وتوتب الأعضاء بالضرب والجرح والتمزيق والقتل، وتآلم القلب بالحقد والحسد والعداوة والبغض، ومما تلزمه الندامة بعد زواله وعداوة الأصدقاء، واستهزاء الأراذل، وشماتة الأعداء، وتغير المزاج، وتآلم الروح، وسقم البدن، ومكافاة العاجل وعقوبة الآجل.

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٥).

(٢) بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٢٧٤).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٢).

(٤) عقاب الأعمال (ص ٢٩١).

(٥) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٥).

والعجب ممّن توهم أنّ شدّة الغضب من فرط الرجوليّة، مع أنّ ما يصدر عن الغضبان من الحركات القبيحة إنّما هو أفعال الصبيان والمجانين دون الرّجال والعاقليّن، كيف وقد تصدر منه الحركات الغير المنتظمة من الشتم والسّب بالنسبة إلى: الشمس، والقمر، والسحاب، والمطر، والريح، والشجر، والحيوانات، والجمادات، ورّما يضرب القصعة على الأرض، ويكسر المائدة، ويخاطب البهيمة والجماد، كما يخاطب العقلاء، وإذا عجز عن التشفي رّما مرّق ثوبه، ولطم وجهه، وقد يعدو عدو المدهوش المتحير، ورّما اعتراه مثل الغشية، أو سقط على الأرض لا يطيق النهوض والعدو، وكيف يكون مثل هذه الأفعال القبيحة من فرط الرجوليّة، وقد قال رسول الله ﷺ: «الشجاع من يملك نفسه عند الغضب» (١).

□ [علاج الغضب]:

قد اختلف علماء الأخلاق في إمكان إزالة الغضب بالكلمة وعدمه، ف قيل: قمع أصل الغضب من القلب غير ممكن لأنّه مقتضى الطّبع، إنّما الممكن كسر سورته وتضعيفه، حتى لا يشتدّ هيجانه. وأنت خبير بأنّ الغضب الذي يلزم إزالته هو الغضب المذموم، إذ غيره مما يكون بإشارة العقل والشرع ليس غضباً فيه كلامنا، بل هو من آثار الشجاعة والاتصاف به من اللوازم وإن أطلق عليه اسم الغضب أحياناً حقيقةً أو مجازاً. كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «كان النبي ﷺ لا يغضب للدين، وإذا

أَغْضِبَهُ الْحَقُّ لَمْ يَصْرِفْهُ أَحَدُهُ وَلَمْ يَقَمْ لَغَضْبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ»^(١)، ولأريب أن الغضب الذي يحصل لرسول الله ﷺ لم يكن غضباً مذموماً، بل كان غضباً ممدوحاً يقتضيه منصب النبوة وتوجيه الشجاعة النبوية^(٢).

■ [من سيرة النبي ﷺ]:

والشاهد على ذلك غضبه لخزاعة، إذ أن النبي ﷺ قد هادن قريشاً في عام الحديبية عشر سنين، ودخلت خزاعة معه، وكان بين خزاعة وعبدالمطلب حلف قبل الاسلام، وجعلت قريش بني بكر داخلة معها، وكان بين خزاعة وبني بكر أحقاد في الجاهلية، فعدت بنو بكر على خزاعة بموضع يقال له: الوثير، وقتلوا منهم، وعاونتهم قريش سرّاً بالمال والرجال فجاءت خزاعة تستصرخ النبي ﷺ وأنشد قائلهم:

لا هم إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيك الأتلادا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك الموكدا
هم يبتوننا بالوثير هجداً وقتلونا ركعاً وسجداً^(٣)

فقام مغضباً يجرداءه، وقال: لأتصرن إن لم أنصر خزاعة ممّا أنصر به نفسي. فلم يستقرّ حتى انتصر لهم بفتح مكة، وكان الناهظ لنصرة رسول الله ﷺ عشرة آلاف رجل فلم يرجع حتى فتح مكة.

(١) المحجة البيضاء (ج ٥، ص ٣٠٣).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٥٧ - ٢٥٨).

(٣) السيرة النبوية (ج ٤، ص ٨٥٥).

■ [حال الزهراء عليها السلام]:

واستنصرت ابنته فاطمة عليها السلام المهاجرين والأنصار فلم ينصرها أحد، كما أشارت بذلك في خطبتها: «أيها بني قبله، اهضم تراث أبي وأنتم بمرأ مني وسمع، ومنتدئ ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون»^(١)، فلم يجبها أحد، كما أشارت إلى ذلك في خطابها مع أمير المؤمنين عليه السلام: «حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع» إلى آخر^(٢).

وأقامت عبراء ثكلاء حتى	لحقت بالنبي عبرى ثكولا
وكما أوصت البتولة وارا	ها علي والليل أرخى السدولا ^(٣)

المجلس التاسع والتسعون

في علاج الغضب

[قال العلامة التراقي رحمته الله]:

الغضب المذموم ممكن الزوال، ولولا إمكانه لزم وجوده للأنبياء والأوصياء، ولا ريب في بطلانه، ثم علاج الغضب يتوقف على أمور، وربما يحصل ببعضها:

(١) الاحتجاج (ج ١، ص ١٤٠).

(٢) الاحتجاج (ج ١، ص ١٤٥).

(٣) مكارم الأخلاق (ص ٣٥٠).

● **الاول:** إزالة أسبابه المهيبة له، إذ علاج كلِّ علة بحسم مادتها، وهي العجب، والفخر، والكبر، والغدر، واللجاج، والمراء، والمزاح، والاستهزاء، والمخاصمة، وشدة الحرص على فضول الجاه والأموال الفانية، وهي بأجمعها أخلاق رديّة مهككة لا خلاص من الغضب مع بقائها، فلا بدّ من إزالتها حتّى تسهل إزالته.

● **الثاني:** أن يتذكر قبح الغضب، وسوء عاقبته، وما ورد في الشريعة من الذم عليه، كما تقدم.

● **الثالث:** أن يتذكر ما ورد من المدح والثواب على دفع الغضب في موارد، ويتأمل فيما ورد في فوائد عدم الغضب، يقول النبي ﷺ: «من كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة»^(١)، وقول الباقر عليه السلام: «مكتوب في التوراة فيما ناجى الله به موسى: أمسك غضبك عمّن ملكتك عليه أكفّ عنك غضبي»^(٢).

وقول الصادق عليه السلام: «أوحى الله إلى بعض أنبيائه: اذكرني في غضبك أذكرك في غضبي، ولا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»^(٣).

وقوله عليه السلام: «سمعت أبي يقول أتى رسول الله ﷺ رجل بلوي، فقال: إني أسكن البادية فلعلني جوامع الكلم. فقال: آمرك أن لا تغضب فأعاد الإعرابي عليه المسألة ثلاث مرّات حتّى رجع إلى نفسه، فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني

(١) مكارم الأخلاق (ص ٣٥٠).

(٢) أمالي الصدوق (ص ٢٢٧).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٣٠٣).

رسول الله ﷺ **إِلَّا بِالْخَيْرِ**»^(١)، وقوله ﷺ: **«مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَهُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ»**^(٢)، إلى غير ذلك من الأخبار.

● **الرابع:** أن يتذكر فوائد ضدّ الغضب، وهو: الحلم، وكظم الغيظ، وما ورد من المدح فيهما في الأخبار كما يأتي، ويواظب على مباشرته ولو بالتكلف، فيتحلّم وإن كان في الباطن غضباً، وإذا فعل ذلك مدّة صار عادة مألوفة هنيئة على النفس، فتقطع عنها أصول الغضب.

● **الخامس:** أن يقدّم الفكر والروية على كل فعلٍ وقولٍ يصدر عنه، ويحافظ على نفسه من صدور الغضب.

● **السادس:** أن يحترز عن مصاحبة أرباب الغضب، والذين يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب، ويسمّون ذلك شجاعة ورجولية، فيقولون: نحن لا نصبر على كذا وكذا، ولا نحتمل من أحد أمراً، ويختار مجالسة أهل الحلم والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.

● **السابع:** أن يعلم أنّ ما يقع إنّما هو بقضاء الله وقدره، وأنّ الأشياء كلّها مسخّرة في قبضة قدرته، وإنّ كل ما في الوجود من الله، وإنّ الأمر كلّ الله، وإنّ الله لا يقدّر له إلّا ما فيه الخير، وربّما كان صلاحه في جوعه، أو مرضه، أو فقره، أو جرحه، أو قتله، أو غير ذلك، فإذا علم بذلك غلب عليه التوحيد ولا يغضب على أحد ولا يفتاظ عمّا يرد عليه، إذ يرى حينئذ أنّ كل شيء في قبضة قدرته أسير كالقلم في يد الكاتب، فكما أن من وقع

(١) وسائل الشيعة (ج ١٥، ص ٣٥٩).

(٢) ثواب الأعمال (ص ١٣٣).

عليه ملك بضرب عنقه لا يغضب على القلم، فكذلك من عرف الله وعلم أنَّ هذا النظام الجملي صادر منه على وفق الحكمة والمصلحة، ولو تغيّرت ذرّة منه عمّا هي عليه خرجت عن الأصلحية، لا يغضب على أحد، إلّا أنَّ غلبة التوحيد على هذا الوجه كالكبريت الأحمر، وتوفيق الوصول إليه من الله الأكبر ولو حصل لبعض المتجردين عن جلباب البدن يكون كالبرق الخاطف، ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعاً طبيعياً.

● **الثامن:** أن يتذكر أنَّ الغضب مرض قلب، ونقصان عقل، صادر عن ضعف النفس ونقصانها، لا عن شجاعتها وقوتها، ولذا يكون المجنون أسرع غضباً من العاقل، والمريض أسرع غضباً من الصحيح، والشيخ الهرم أسرع غضباً من الشاب، والمرأة أسرع غضباً من الرجل، وصاحب الأخلاق السيئة والردائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل. فالرذيل يغضب لشهوته إذا فاتته القمة، والبخيل يفتاظ لبخله إذا فاتته الحبة، حتّى يغضب لفقد أدنى شيء على أعز أهله وولده، والنفس القويّة المتّصفة بالفضيلة أجلّ شأناً من أن تتغيّر وتضطرب لمثل هذه الأمور بل هي كالطود لا تحركه العواصف، ولذا قال سيّد الرسل ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنّما الشديد الذي يملك نفسه عن الغضب»^(١)، وإن شككت في ذلك فافتح عينيك وانظر إلى طبقات الناس الموجودين، ثم ارجع إلى كتب السير والتواريخ واستمع إلى حكايات الماضين، حتّى تعلم أنَّ الحلم، والعفو، وكظم الغيظ، شيمة الأنبياء والحكماء وأكابر الملوك والعقلاء،

(١) تحف العقول (ص ٤٧).

والغضب خصلة الأتراك والأكراد والجهلاء والأغبياء^(١).

■ [من سيرة الرسول ﷺ]:

فانظر إلى حلم رسول الله ﷺ عن مشركي قريش حين أدموا جبينه بضرب الحجارة، وفر من بينهم إلى جبل أبي قبيس، فنزل هنالك عليه جبرئيل وأخذ بيده إلى الجبل، وبسطه حتى غطى جبال تهامة، ونزل عليه اسماعيل الموكل بالسموات، وقال: إن أمرتني أن أرسل عليهم النجوم لتحرقهم، ثم نزل عليه الملك الموكل بالشمس، وقال: إن أمرتني أن أرسل عليهم الشمس فتحرقهم، ثم نزل عليه الملك الموكل بالجبال. فقال: إن أمرتني أن أرسل عليهم الجبال فتطحنهم، ثم نزل عليه الملك الموكل بالبحار، فقال: إن أمرتني أن أرسل عليهم الماء فيغرقهم، فرفع ﷺ رأسه إلى السماء، وقال: «لم أرسل للعذاب بل بعثت رحمة للعالمين، دعوني وقومي فإنهم لا يعلمون»^(٢)، ومن الجانب الآخر أقبلت خديجة عليها السلام مع أمير المؤمنين عليه السلام في طلب رسول الله ﷺ وهي تجول في الوادي، فقال جبرئيل: انظر إلى خديجة فقد أبكت لبكائها ملائكة السماء، فادعها إليك. فدعاها مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت الدماء تسيل على وجهه وهو يمسحه بيده، ولم يدعه أن يسيل على الأرض، فقالت خديجة: بأبي أنت وأمي لم لا تترك الدم يجري على الأرض؟! فقال: أخشى أن يغضب الله على أهل الأرض^(٣).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٥٨ - ٢٦١).

(٢) بحار الأنوار (ج ١٨، ص ٢٤٣).

(٣) المصدر المتقدم.

﴿أما زينب رضي الله عنها فقد...﴾:

وزينب جالت في وادي كربلاء كما جالت جدتها خديجة في وادي مكة.
تنادي ابصوتها يحسين وينك يخويه جاب وصدلي ابعينك
يخويه ذاب قلبي من ونينك يخويه موش قلبي صخر مرمر

المجلس تمام العانة

أَيْضاً فِي عِلَاجِ قَطْعِ الْغَضَبِ

قال العلامة النراقي رحمته الله:

● **التاسع:** من الأمور الدافعة للغضب، أن يتذكر أن قدرة الله عليه أقوى وأشد من قدرته على هذا الضعيف الذي يغضب عليه، وهو أضعف في جنب قوته القاهرة بمراتب غير متناهية من هذا الضعيف في جنب قوته، فليحذر، ولم يأمن إذا أمضى غضبه عليه أن يمضي الله عليه غضبه في الدنيا والآخرة، وقد روي: أنه ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم، إذا غضب أعطاه صحيفة فيها: «ارحم المساكين، واخش الموت، واذكر الآخرة»، فكان يقرأها حتى يسكن غضبه ^(١).

وفي بعض الكتب الإلهية: «يا بن آدم! اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب»
فلا أمحقك فيمن أمحق ^(٢).

(١) كنز العمال (٥٩٨٣، ٦٠٥٥).

(٢) دعائم الاسلام (ج ٢، ص ٥٣٧).

● **العاشر:** أن يتذكر أن من يمضي عليه غضبه رثماً قوي وتشمّر لمقابلته، وجرد عليه لسانه بإظهار معائبه والشماتة بمصائبه، ويؤذيه في نفسه وأهله وماله وعرضه.

● **الحادي عشر:** أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الغيظ والغضب، فإن كان خوف الذلة والمهانة والاتصاف بالعجز وصغر النفس عند الناس، فلينبه أن الحلم وكظم الغيظ ودفع الغضب عن النفس ليست ذلة ولا مهانة، ولم يصدر من ضعف النفس وصغرها، بل من آثار قوة النفس وشجاعتها وأضدادها تصدر من نقصان النفس وخورها. فدفع الغضب عن نفسه لا يخرج من كبر النفس في الواقع، ولو فرض خروجه به منه في أعين جهلة الناس فلا يبالي بذلك، ويتذكر أن الاتصاف بالذلة والصغر عند بعض أراذل البشر أولى من خزي يوم المحشر، والافتضاح عند الله الملك الأكبر.

وإن كان السبب خوف أن يفوته شيء مما يحبّه، فليعلم أن ما يحبّه ويغضب لفقده إما ضروري لكل أحد، كالقوت، والمسكن، واللباس، وصحة البدن، وهو الذي أشار سيّد الرسل ﷺ بقوله: «من أصبح آمناً في سربه، معاً في بدنه، وله قوت بدمه، فكأنما خبرت له الدنيا بحذافيرها»^(١)، أو غير ضروري لأحد، كالجاه، والمنصب، وفضول الأموال، أو ضروري لبعض الناس دون بعض، كالكتاب للعالم، وأدوات الصناعات لأربابها.

ولا ريب إن كل ما ليس من هذه الأقسام ضرورياً فلا يليق أن يكون محبوباً عند أهل البصيرة وذوي المروآت، إذ ما لا يحتاج إليه الإنسان في العاجل لا بد له من تكره

في الآجل، فما بال العاقل أن يحبّه ويغضب لفقده، وإذا علم ذلك لم يغضب على فقد هذا القسم البتة، وأما ما هو ضروري لكل أو للبعض وإن كان الغضب والحزن من فقده مقتضى الطبع لشدة الاحتياج إليه، إلا أن العاقل إذا تأمل يجد أنّ ما فقد منه من الأشياء الضرورية إن أمكن ردّه والوصول إليه يمكن ذلك بدون الغيظ والغضب أيضاً، وإن لم يمكن معها أيضاً، وعلى أيّ حال بعد التأمل يعلم أن الغضب لا ثمرة له سوى تألم العاجل وعقوبة الآجل وحينئذ لا يغضب، وإن غضب يدفعه عن نفسه بسهولة.

● **الثاني عشر:** أن يعلم أنّ الله يحبّ منه ألا يغضب، والحبيب يختار البتة ما يحب محبوبه.

● **الثالث عشر:** أن يتفكّر في قبح صورته وحركاته عند غضبه، بأن يتذكر صورة غيره وحركاته عند الغضب.

ثم إعلم أنّ بعض المعالجات المذكورة يقتضي قطع أسباب الغضب وحسم موادّه حتّى لا يهيج ولا يصدر، وبعضها يكسر سورته أو يدفعه إذا صدر وهاج، ومن علاجه عند الهيجان الاستعاذة من الشيطان، والجلوس إن كان قائماً، والاضطجاع إن كان جالساً، والوضوء والغسل بالماء البارد، وإن كان غضبه على ذي رحم فليدن منه وليمسّه، فإنّ الرحم إذا مُسّت سكنت كما ورد في الأخبار^(١).

■ [من سيرة الامام الكاظم عليه السلام]:

وقد ورد هذا الخبر عن مولانا الكاظم عليه السلام مع الرشيد، قال: لمّا أمر الرشيد

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٦١ - ٢٦٣).

بحملي دخلت عليه فسلمت، فلم يرد السلام عليّ، ورأيته مغضباً فرمى إليّ بطومار، وقال: اقرأه، فإذا فيه كلام قد علم الله عزّ وجلّ برائي منه، إلى أن قال عليه السلام: والكتاب طويل، وأنا قائم أقرأه، وهو ساكت، فرفع رأسه، وقال: اكتفيت بما قرأت تكلم بحجتك، فأجابه الإمام عليه السلام بما لزم، إلى أن قال عليه السلام: فقلت: إن رأي أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمّه في حديث عن آبائه عن النبي ﷺ، فكأنه اغتنمها، فقال: مأذون لك، هاته. فقلت: حدثني أبي، عن جدّي، يرفعه إلى النبي ﷺ: «ان الرحم إذا مسّت رحماً تحركت واضطربت، فإن رأيت أن تناولني يدك - فأشار بيده إليّ - ثم قال: إذن، فدنوت، فصافحني وجذبني إلى نفسه ملياً، ثم فارقني وقد دمعت عيناه، فقال لي: اجلس يا موسى فليس عليك بأس، صدقت وصدق جدّك وصدق جدّك النبي ﷺ، لقد تحرّك دمي واضطربت عروقي وأعلم أنك لحمي ودمي وإن الذي حدثني به صحيح، ثم سألت الإمام بمسائل يطول بذكرها المقام، فأجابه على أسأله، إلى أن قال: قال الرشيد: ادفع حوائجك يا موسى فقلت: يا أمير المؤمنين، أوّل حاجتي إليك أن تأذن لي في الانصراف إلى أهلي فإنّي تركتهم باكين آيسين من أن يروني. فقال مأذون لك اردد^(١).

وفي خبر آخر لما قال الإمام عليه السلام أوّل حاجتي أن تأذن لابن عمّك أن يرجع إلى حرم جدّه وإلى عياله. فقال: ننظر إن شاء الله في رجوعك، وما أذن له بل أنزله عند السندي ابن شاهك حتّى توفي عنده^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام (ج ٢، ص ٧٨).

(٢) بحار الأنوار (ج ٤٨، ص ١٢٩).

■ [شعر]:

فدس له السم النقيع عداوة فقطع منه للحشى والحناجر
إلى أن قضى روحى فدهاه بسجنه عليه الهدى يبكي وكلّ المائر
فواحرّ قلبي حين أخرج نعشه من السجن في حال شجى كلّ ناظر
قد أخرجوه والحديد برجله يخشخش لا من دافع ولا ثائر
أتعمل حمالون نعش ابن جعفر ولا من غيور في الأنام وناكر
على جسر بغداد يخلّى وحوله ينادى بما ادمى عيون المفاخر
أهون وجدي حيث شيع نعشه بعزّ واجلال لنحو المقابر

الجلس الحادى بعد العائنة

في فضيلة الحلم وكظم الغيظ

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

قد علمت أنّ الحلم طمأنينة النفس بحيث لا يحركها الغضب بسهولة ولا
يزعجها المكروه بسرعة، فهو الضدّ الحقيقي للغضب، لأنّه المانع من حدوثه، وبعد
هيجانه لما كان كظم الغيظ ممّا يضعفه ويدفعه، فمن هذه الحيثية يكون كظم الغيظ
أيضاً ضدّاً له، فنحن نشير إلى فضيلة الحلم وشرافته، ثم إلى فوائد كظم الغيظ ومنافعه،
ليجتهد طالب إزالة الغضب في الاتصاف بالأوّل فلا يحدث فيه أصلاً، والثاني فيدفعه
عنه عند هيجانه، فنقول:

أمّا الحلم فهو: أشرف الكمالات النفسية بعد العلم، بل العلم لا يفتح بدونه أصلاً،
ولذا كلّما يمدح العلم أو يُسأل عنه يقارن به، قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغنني بالعلم

وزيتي بالحلم^(١).

وقال عليه السلام: «خمس من سنن المرسلين»، وعدّ منها الحلم^(٢).

وقال عليه السلام: «ابتنعوا الرفعة عند الله» قالوا وما هي يا رسول الله ﷺ؟!

قال عليه السلام: «تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتحلم عن جهل عليك»^(٣).

وقال عليه السلام: «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم»^(٤).

وقال عليه السلام: «إن الله يحب الحيي الحليم، ويبغض الفاحش البذيء»^(٥).

وقال عليه السلام: «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهنّ فلا تعتدّوا بشيء من عمله:

تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكفّ به السفية، وخلق يعيش به في الناس»^(٦).

وقال عليه السلام: «إذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد: أين أهل الفضل؟! فيقوم

ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة، فتلقّاهم الملائكة فيقولون: إنّنا نراكم

سراعاً إلى الجنة، فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا إذا

ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا عفونا، وإذا جهل علينا حلمنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة

فنعلم أجر العاملين»^(٧).

(١) تهذيب الأحكام (ج ٣، ص ٧٣).

(٢) مجمع الزوائد (ج ٢، ص ٩٩).

(٣) أمالي الصدوق (ص ٧١١).

(٤) مستدرک الوسائل (ج ١١، ص ٢٩١).

(٥) كنز العمال (ج ١٥، ص ٨٧٧).

(٦) مجمع الزوائد (ج ٨، ص ١٩٠).

(٧) الكافي (ج ٢، ص ١٠٨).

وقال ﷺ: «ما أعزَّ الله بجهل قطّ ولا اذلّ بحلم قطّ»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك وولده، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «إذا لم تكن حليماً فتحلم»^(٣).

وبعث ﷺ غلاماً في حاجة، فأبطأ عليه، فخرج على أثره فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه حتّى انتبه، فقال له: «يا فلان، والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا النهار»^(٤)، وقال الرضا عليه السلام: «لا يكون الرجل عابداً حتّى يكون حليماً»^(٥).

وأما كظم الغيظ، فهو: وإن لم يبلغ مرتبة الحلم فضيلةً وشرافاً، لأنّه التحلم أي تكأف الحلم، إلّا أنّه إذا واطب عليه حتّى صار معتاداً تحدث بعد ذلك صفة الحلم الطبيعي، بحيث لا يهيج الغيظ حتّى يحتاج إلى كظمه، ولذا قال رسول الله ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالحلم»^(٦)، فمن لم يكن حليماً بالطبع لابدّ له من السعي في كظم الغيظ عند هيجانه، حتّى تحصل فيه صفة الحلم، وقد مدح الله سبحانه كاضمي الغيظ في محكم كتابه^(٧)، وتواترت الأخبار على شرافته وعظم أجره، قال رسول

(١) الكافي (ج ٢، ص ١١٢).

(٢) نهج البلاغة (ج ٤، ص ٢١).

(٣) خصائص الأئمة للرضي (ص ١١٥).

(٤) الكافي (ج ٨، ص ٨٧).

(٥) مشكاة الأنوار (ص ٣٧٩).

(٦) التحفة السنية (ص ٤٥).

(٧) قال الله تعالى: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية ١٣٤ من سورة الأعراف.

الله ﷻ: «من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء»^(١).

وقال سيّد الساجدين عليه السلام: «وما تجرّعت جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ لأكافئ بها صاحبها»^(٢).

وقال الباقر عليه السلام: «من كظم غيظاً وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «ما جرع عبد جرعة غيظ أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله»^(٤).

وقال ﷻ: «أنّ لجنهم باباً لا يدخله إلّا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى»^{(٥) (٦)}.

□ [من كربلاء]:

أقول: هذه الحالة تنطبق على يزيد (لعنه الله) حيث شفى غيظه بمعصية الله، وأي معصية أعظم من قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته، ولذا لما جيء برأس الحسين عليه السلام إلى

(١) تفسير التعلبي (ج ٣، ص ١٦٦).

(٢) المحاسن (ج ١، ص ٢٩٢).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ١١٠).

(٤) التبيان (ج ٢، ص ٥٩٤).

(٥) تنبيه الخاطر (ج ١، ص ١٢١).

(٦) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٦٣ - ٢٦٥).

الشام مع رؤوس أهل بيته، وكان اللعين في قصر جيرون^(١)، فنظر إلى تلك الرؤوس على أطراف الرماح، وإذا بغراب ينعب على قصر جيرون، فأنشد قائلاً:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت

تلك الشموس على ربا جيرون

نعب^(٢) الغراب، فقلت: صح أو لا تصح^(٣)

إني قضيت من النبي ديوني^(٤)

المجلس الثاني بعد المائة

في الانتقام والعفو وفوائده

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

الانتقام هو: أن يفعل بخصمه مثل ما فعل به أو أزيد منه، وإن كان محرماً ممنوعاً من الشريعة، وهو من نتائج الغضب، إذ كل انتقام ليس جائزاً إذا كان مخالفاً، للانتقام الشرعي، فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، والفحش بالفحش والبهتان بالبهتان والسعاية إلى الظلمة بمثلها، وهكذا في سائر المحرمات، قال سيّد الرسل ﷺ: «**إن امرؤ عيرك بما فيك لا تعيره بما فيه**»^(٥).

(١) سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف حولها مدبنة تطيف لها في دمشق في وسطها كالمحلة باب الجامع الشرقي.

(٢) أو: صاح الغراب.

(٣) أو: نح أو لا تنح.

(٤) تذكرة الخواص (ج ٢، ص ١٤٨).

(٥) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٦٥).

وقال ﷺ: «المتسaban شيطانان يتهاثران»^(١).

وقد ورد أنّ رجلاً شتم آخرأ بحضرة النبي ﷺ، وقال مخاطباً للمشتوم: «إنّ الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء شيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه شيطان»^(٢).

فكل فعل أو قول يصدر من شخص إلى غيره ظلماً إن كان له في الشرع قصاص وغرامة، فيجب ألا يتعدى عنه، وإن كان العفو عن الجائر أيضاً أفضل وأولى وأقرب إلى الورع والتقوى، وإن لم يرد له بخصوصه من الشرع حكومة معينة وجب أن يقتصر في الانتقام، وما يحصل به التشفي على ما ليس فيه حرمة ولا كذب، مثل: أن يقابل الفحش والذم وغيرهما من الأذايا التي لم يقدر لها في الشرع حكومة معينة، بقوله: يا قليل الحياء، وبإسياء الخلق، وباصفيق الوجه، وأمثال ذلك إذا كان متصفأ به، ومثل: جزاك الله، وأنقم منك، ومن أنت؟؟ وهل، أنت إلآ من بين فلان، ومثل قوله: يا جاهل، وبأحمق، وهذا ليس فيه كذب مطلقاً إذ ما من أحد إلآ وفيه جهل وحمق، أما (الأول) فظاهر، وأمّا (الثاني) فلما ورد إنّ الناس كلّهم حمقى في ذات الله.

والدليل على جواز هذا القدر من الانتقام، قول النبي ﷺ: «المتسaban ما قالوا فعلى البادي منهما حتّى يتعدى المظلوم»^(٣)، وقول الكاظم عليه السلام في رجلين يتسaban: «البادي منهما أظلم ووزره ووز صاحبه عليه مالم يتعد المظلوم»^(٤).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٦٥).

(٢) سنن البيهقي (ج ١٠، ص ٢٣٥).

(٣) الجامع الصغير (ج ٢، ص ٦٦٦).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٣٢٢).

وهما يدلّان على جواز الانتصار لغير البادي من دون وزر ما لم يتعدّ، ومعلوم أنّ المراد بالسبّ فيهما (أي الحديثين) أمثال الكلمات المذكورة دون الفحش والكلمات الكاذبة، ولا ريب إن الاقتصار على مجرّد ماوردت به الرخصة بعد الشروع في الجواب مشكل، ولعلّ السكوت عن أصل الجواب وحوالة الانتقام إلى ربّ الأرباب أيسر وأفضل، ما لم يؤدّ إلى فنور الحميّة والغيرة، إذ أكثر الناس لا يقدر على ضبط نفسه عند فور الغضب، لاختلاف أحوالهم في حدوث الغضب وزواله، قال رسول الله ﷺ: «إنّ بني آدم خلقوا طبقات شتى، منهم بطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء، ومنهم بطيء الغضب سريع الفيء، لا أنّ خيرهم البطيء الغضب سريع الفيء، وشَرّهم السريع الغضب البطيء الفيء»^(١)، وقد ورد: «إنّ المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بهذه»^(٢).

ثم طرق العلاج في ترك الانتقام: أن يتنبّه على سوء عاقبته في العاجل والآجل، ويتذكر فوائد تركه، ويعلم أن الحوالة إلى المنتقم الحقيقي أحسن وأولى، وإنّ انتقامه أشدّ وأقوى، ثم يتأمل في فوائد العفو وفضيلته كما يأتي.

■ [العفو]:

العفو: ضد الانتقام، وهو إسقاط ما يستحقه من القصاص أو غرامة، ففرقه عن الحلم وكظم الغيظ ظاهر، والآيات في مدحه وحسنه أكثر من أن تحصى، قال الله تعالى:

(١) المصنف (ج ١١، ص ٣٤٧).

(٢) كشف الخفاء (ج ٢، ص ٢٩٣).

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ^(١) وقال: ﴿ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ﴾ ^(٢) وقال: ﴿ إِنْ تَعَفُّوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى ﴾ ^(٣)، وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث والذي نفسه بيده إن كنت حائفاً عليهن ما نقصت صدقه من مال فقصدها، ولا عفى رجل من مظلمة ابتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً في القيامة، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» ^(٤).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ونكتفي بهذا الحديث الواحد ^(٥).

□ [من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام]:

وإليكم انموذج من عفو أمير المؤمنين عليه السلام لما ظفر يوم الجمل أمر مناديه أن ينادي: «لا تتبعوا منهزماً، ولا تجهزوا على جريح» ^(٦)، وأمر بعائشة فحملت في هودجها إلى دار عبد الله بن خلف رئيس أهل البصرة، وقال لأخيها محمد بن أبي بكر: دونك أختك لا يتولاها غيرك. ثم أن أمير المؤمنين عليه السلام جهزها وأرسلها إلى الحجاز، وأرسل معها أربعين امرأة من عبد قيس، وهذه عادة أمير المؤمنين عليه السلام في العفو، وقد عفى عن عبد الله بن الزبير مع شدة انحرافه عنه وعداوته له.

(١) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ٢٢ من سورة النور.

(٣) الآية ٢٣٧ من سورة البقرة.

(٤) جامع الأخبار (ص ٣٧٩).

(٥) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٦٥ - ٢٦٧).

(٦) نهج البلاغة (ج ٣، ص ١٥) وكنز العمال (ج ١١، ص ٣٣٥).

■ [شعر]:

وما أحسن ما قال بعض العلويين:

ملكنا فصار العفو منا سجيّة فلما ملكتم سال بالدم أبطخ
وأحلتكم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نعف ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكلّ إناء بالذي فيه ينضج^(١)

وقد سمعتم معاملته مع عائشة، ولما قسم الأسلاب بين أصحابه ومنعهم من التعرض للنساء؛ لانهم أرادوا أن يسترقوا النساء، وقالوا: كيف حلت لنا دماؤهم وأموالهم وتحرم علينا نساؤهم؟ فقال ﷺ: «إن المرأة لا تسبى وهي في دار الإسلام».

■ [أما في كربلاء]:

ليت شعري ابن زياد صفح عن بنات رسول الله كما صفح أمير المؤمنين ﷺ عن عائشة ونساء أهل البصرة.

الجلس الثالث بعد المائة

في العنف والرفق

[قال العلامة النراقي رحمه الله]:

ومن الأخلاق المذمومة: العُنف، وهو الغلظة والفظاظة في الأقوال أو الحركات أيضاً، وهو من نتائج الغضب، وضدّه الرّفق، وهو: اللين في القول والحركات، وهو من

(١) الوافي بالوفيات (ج ١٥، ص ١٠٤).

نتائج الحلم، ولا ريب في أَنَّ الغلظة في القول والفعل ينثر الطباع، ويؤدي إلى اختلال أمر المعاش والمعاد، ولذلك نهى الله سبحانه نبيّه ﷺ عنه في مقام الإرشاد، فقال: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١).

[قال صاحب الكتاب]: قد قال بعض المتمثلين:

تاب قلبي من اثم حبك لَمَّا شاف سوء الخلاف فيك وراثه
لك طبع لو أنه لنبي طلق الناس دينه بالثلاثة

[ثم قال العلامة النراقي ﷺ]:

وروي عن سلمان عليه السلام أنه قال: «إذا أراد الله تعالى هلاك عبد نزع منه الحياة فإذا نزع منه الحياة لم يلقه إلا خائناً مخوناً، وإذا كان خائناً مخوناً نُزعت منه الأمانة، فإذا نزع منه الأمانة لم يلقه إلا فظّاً غليظاً، فإذا كان فظّاً غليظاً نُزعت منه ربة الإيمان، فإذا نزع منه ربة الإيمان لم يلقه إلا شيطاناً ملعوناً» (٢).

فيظهر من هذا الكلام إنَّ من كان من أهل الغلظة والفظاظة فهو الشيطان حقيقةً، فيجب على كلِّ عاقل أن يتجنب عن ذلك كلِّ الاجتناب، ويقدم التروي على كلِّ ما يصدر عنه من القول والفعل، ليحافظ نفسه عن التعنف والغلظة فيه، ويذكر ما ورد في فضيلة الرفق ويستعمله في حركاته وأقواله ولو بالتكلف، إلى أن يصير ملكة وتزول عنه آثار العنف بالكلية.

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٢٩١).

■ [فضيلة الرفق]:

وضدّه الرفق: والأخبار في فضيلته وفوائده أكثر من أن تحصى، ونحن نشير إلى سطر منها هاهنا: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الرفق خلقاً يَرى ما كان فيما خلق الله شيء أحسن منه»^(١).

وقال ﷺ: «إنّ الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولم ينزع من شيء إلا شانه»^(٢).

وقال ﷺ: «كُلُّ شيء قُفْلٌ وقفل الإيمان الرفق»^(٣).

وقال ﷺ: «إنّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»^(٤).

وقال ﷺ: «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله ارفقهما بصاحبه»^(٥).

وقال ﷺ: «الرفق يمن والخرق شؤم»^(٦).

وقال ﷺ: «من كان رفيقاً في أمره نال ما يريده من الناس»^(٧).

(١) الكافي (ج ٢، ص ١٢٠).

(٢) مشكاة الأنوار (ص ٣١٥).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ١١٨).

(٤) مستدرک الوسائل (ج ١١، ص ٢٩٤).

(٥) المحاسن (ج ٢، ص ٣٥٨).

(٦) تحف العقول (ص ٣٩٥).

(٧) الكافي (ج ٢، ص ١٢٠).

وقال عليه السلام: «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق»^(١).

وقال عليه السلام: «من أعطى حفظه من الرفق أعطي حفظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حفظه من الرفق حرم حفظه من خير الدنيا والآخرة»^(٢).

وقال عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق، ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله»^(٣).

وقال عليه السلام: «أتدرون من يُحرّم على النار؟ كلّ هين لّين سهل قريب»^(٤).

وقال الكاظم عليه السلام: «الرفق نصف العيش»^(٥)، وقال عليه السلام لما جرى بينه وبين رجل من القوم كلام: «ارفق بهم، فإن كفر أحدكم في غضبه، ولا خير فيمن كفره في غضبه»^(٦).

ثم إنّ التجربة شاهدة بأنّ إمضاء الأمور وإنجاح المقاصد موقوف على الرفق واللين مع الخلائق، فكلّ ملك كان رفيقاً بجنده، ورعيته انتظم أمره ودام ملكه، وإن كان فظاً غليظاً اختلّ أمره وانفضّ الناس من حوله، وزال ملكه وسلطانه في أسرع زمان. وقس عليه غيره من طبقات الناس من العلماء والأمرء وغيرهم من ذوي المناصب الجليلة، وأرباب المعاملة والمكاسب، وأصحاب الصنائع والحرف^(٧).

(١) مسند ابن الجعد (ص ٤٩٥).

(٢) شرح نهج البلاغة (ج ٦، ص ٣٣٩).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ١١٩).

(٤) مسند أبي يعلى (ج ٣، ص ٣٨٠).

(٥) دعائم الاسلام (ج ٢، ص ٢٥٤).

(٦) الكافي (ج ٢، ص ١١٩).

(٧) جامع السعادات (ج ١، ص ٢٦٧ - ٢٧٠).

■ [ضياع الرفق في كربلاء]:

لاريب أن الرفق يتفاوت بتفاوت الأشخاص، فكلّ من كان أضعف يكون الرفق في حقّه أوكد من القوي، مثلاً: الرفق باليتيم لازم من غير اليتيم، والرفق بالنساء ألزم من الرفق بالرجال، سيّما إذا كنّ فاقداً، ويتأكّد إذا كنّ أراملاً وأيامي، ولهذا أخذ السيد حيدر يوصي الحادي بالرفق بعمّاته، حيث قال:

ناترق بها فما هي إلا ناظر دامع وقلب مروّع^(١)

المجلس الرابع بعد المائة

في سوء الخلق ومضارّه

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ومن رذائل الاخلاق بالمعنى الأخص، وهو التضجر، وانقباض الوجه، وسوء الكلام، وأمثال ذلك، وهو أيضاً من نتائج الغضب، كما إنّ ضدّه أعني (حسن الخلق بالمعنى الأخص) وهو أن تلين جناحك، وتطيّب كلامك، وتلقي أخاك ببشر حسن من نتائج الحلم، وأكثر ما يطلق سوء الخلق، ممّا يبعد صاحبه عن الخالق والخلق، والتجربة به شاهدة بأنّ الطباع متنفّرة عن كلّ شيء الخلق، يكون دائماً أضحوكة للناس، ولا ينفك لحظة عن الحزن والألم، ولذا قال الصادق عليه السلام: «من ساء خلقه عذب نفسه»^(٢) وقد

(١) ديوان السيد حيدر الحلّي (ج ١، ص ٣٦).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣٢١).

يعتريه لأجله ضرر عظيم.

هذا كله في الدنيا مع سوء عاقبته في الآخرة وأدائه إلى العذاب الأبدي، ولذا ورد به الذم الشديد من الشريعة، قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الإيمان، قال اللهم قوّني، فقوّاه بحسن الخلق والسخا، ولما خلق الله الكفر، قال اللهم قوّني، فقوّاه بالبخل وسوء الخلق» (١).

وري أنه قيل له ﷺ: إنّ فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق، تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «لا خير فيها هي من أهل النار» (٢).

وعنه ﷺ: «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» (٣).

وعنه ﷺ: «إنّ العبد ليبخل من سوء خلقه أسفل درك جهنّم» (٤).

وعنه ﷺ: «أبى الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة» قيل: فكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأنّه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه» (٥).

وقال ﷺ: «سوء الخلق ذنب لا يغفر» (٦).

وقال الإمام جعفر بن محمد عليه السلام: «إذا خلق الله العبد في أصل الخلق كافراً لم يمت حتّى يحبب الله إليه الشر، فيقرب منه، فابتلاه بالكبر والجبروت، فقسى قلبه وساء خلقه، وغلظ وجهه، وظهر فحشه، وقل حياؤه وكشف الله تعالى سرّه وركب

(١) ميزان الحكمة (ج ١، ص ٧٩٨).

(٢) جامع أحاديث الشيعة (ج ١٦، ص ٩١).

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام (ج ١، ص ٤٠).

(٤) ميزان الحكمة (ج ١، ص ٨٠٧).

(٥) مسند إبراهيم بن أدهم (ص ٣٢).

(٦) وسائل الشيعة (ج ١٦، ص ٤٥).

المحارم، ولم ينزع عنها ثم ركب معاصي الله وابتغى طاعته، ووثب على الناس، لا يشيع من الخصومات، اسألوا الله العافية واطلبوها منه»^(١).

وقال بعض الأكابر: إن يصحبني فاجر حسنُ الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني عابد سيء الخلق^(٢).

وطريق العلاج وإزالة هذه الخصلة الذميمة كسائر الاخلاق المذمومة، أن يتذكر أنه يفسد دنياه وآخرته، ويجعله ممقوتاً عند الخالق والخلق، فيجتهد في إزالته، ثم يقدم التروي والتفكر عند كل حركة وتكلم فيحفظ نفسه عنه ولو بالتكلف من صدور سوء الخلق، ويتذكر ما ورد في حسن الخلق ويواظب عليه حتى يصير له ملكة.

■ [طرق اكتساب حسن الخلق]:

قد عرفت إن ضدَّ هذه الرذيلة (حسن الخلق بالمعنى الأخص)، وأقوى الأسباب على اكتسابه والمواظبة عليه أن يتذكر ما يدلُّ على شرافته ومدحه عقلاً ونقلاً. أما حكم العقل على مدحه فظاهر لا يحتاج إلى بيان، وأما النقل فالأخبار التي وردت به أكثر من أن تحصى، ونحن نورد شطراً منها تذكراً لمن أراد أن يتذكر:

قال رسول الله ﷺ: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»^(٣).

وقال ﷺ: «يا بني عبدالمطلب، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقومم

(١) الكافي (ج ٢، ص ٣٢١).

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١١، ص ٢١٩.

(٣) الكافي (ج ٢، ص ٩٩).

بطلاقة الوجه وحسن البشر»^(١).

وقال ﷺ: «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه، ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق، فزيتوا دينكم بهما»^(٢).

وقال ﷺ: «حسن الخلق ذهب بخير الدنيا وآخرة»، وقال لها بعدما سألته: إن المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان، ويدخلان الجنة لأيهما هي: «إنها لاحسنهما خلقاً»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «صنائع المعروف وحسن البشر، يكسبان المحبة ويدخلان الجنة، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار»^(٤).

ومن تأمل في هذه الأخبار، ورجع إلى الوجدان والتجربة، وتذكر أحوال الموصفين بسوء الخلق وحسنه، يجد أن كل سيء الخلق بعيد من الله ومن رحمته، والناس يبغضونه ويشتمزون منه، ولذا يحرم من برّهم وصلتهم، وكل حسن الخلق محبوب عند الله وعند الناس، فلا يزال محلاً لرحمة الله وفيوضاته، ومرجعاً للمؤمنين بإيصال نفعه وخيره إليهم، وإنجاح مقاصده ومطالبه منه، ولذا لم يبعث الله نبياً إلا وأتم فيه هذه الفضيلة، بل هي أفضل صفات المرسلين، وأشرف أعمال الصديقين، ولذا قال الله تعالى لحبيبه مثنياً عليه ومظهراً نعمته لديه: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥) (٦).

(١) الكافي (ج ٢، ص ١٠٣).

(٢) العهود المحمدية (ص ٥٣٤).

(٣) إغاثة الطالبين (ج ٢، ص ١٤٦).

(٤) وسائل الشيعة (ج ١٢، ص ١٦٠).

(٥) الآية ٤ من سورة القلم.

(٦) جامع السعادات (ج ١، ص ٢١٧ - ٢٧٤).

وقيل: سبب نزول هذه الآية: أنه ﷺ كان قد لبس برداً نجرانياً ذا حاشية قوية، فبينما هو يمشي إذ جذبه أعرابي من خلفه فحزّت من عنقه، فقال له: اعطني عطائي يا محمد ﷺ. فالتفت إليه مبتسماً وأمر له بغطائه، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

قال العلامة النراقي رحمه الله:

ولعظم شرافته بلغ رسول الله ﷺ ما بلغ من غايته، وتمكّن على ذروته ونهايته، حتّى ورد (بيننا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار، وهو قائم - يعني القائم صاحب الجارية كما في البحار - فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي ﷺ شيئاً، حتّى فعلت ذلك ثلاث مرّات، فقام لها النبي ﷺ، في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت، فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل! حبست رسول الله ﷺ ثلاث مرّات، لا تقولين له شيئاً ولا يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه؟ قالت: إنّ لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه يستشفّي بها فلماً أردت أخذها رأيته فقام، استحيت أن آخذها وهو يراني، وأكره أن استأمره في أخذها، فأخذتها) (١) (٢).

(١) مستدرک الوسائل (ج ٨، ص ٤٤٦).

(٢) جامع السعادات (١، ص ٢٧٤).

■ [من سيرة الرسول ﷺ]:

ومن كرم أخلاق النبي ﷺ: لما وفد عليه عدي بن حاتم الطائي، ودخل عليه وكان في المسجد، قال له: من أنت؟ قال: عدي بن حاتم. فقام النبي ﷺ، وفرش له رداءه وأجلسه عليه وجلس النبي ﷺ بين يديه، فلما رأى ذلك عدي أسلم وآمن برسول الله ﷺ (١).

المجلس الخامس بعد العانة

في الرذائل المتعلقة بالقوة العاقلة

[قال العلامة النراقي رحمه الله]:

من الرذائل المتعلقة بالعاقلة (الجهل المركب)، وهو: خلوّ النفس من العلم وإذعانها بما هو خلاف الواقع، مع اعتقاد كونها عالمة بما هو الحق، فصاحبه لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم ولذا، سمّي مركباً، وهو أشد الرذائل وأصعبها، وقيل: في هذا المعنى:

إذا كنت لا تدري ولست بعالم بأنك لا تدري هلكت ولا تدري

وإزالة هذا الجهل في غاية الصعوبة، كما هو ظاهر من حال بعض الطلبة، وقد اعترف أطباء النفوس بالعجز عن معالجته كما اعترف أطباء الأبدان بالعجز عن معالجة بعض الأمراض المزمنة، ولذا قال عيسى عليه السلام: «إني لا أعجز عن معالجة الأكمه

(١) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٤٠١).

والأبرص وأعجز عن معالجة الأحق»^(١)، والسرفيه أنه مع قصور النفس بهذا الاعتقاد الفاسد لا يتنبه على نقصانها، فلا يتحرك في الطلب، فيبقى في الضلال والردى مادام باقياً في دار الدنيا.

ثم المنشأ له إن كان اعوجاج السليقة فأنفع العلاج له تحريض صاحبه على تعلم العلوم الرياضية من الهندسة والحساب، فإنها موجهة لاستقامة الذهن فإنه يألف لاجلها باليقينيات فيتنبه على خلل اعتقاداتها، فيصير جهلها بسيطاً فيتنبه للطلب.

وإن كان خطأ في الاستدلال، فليوازن استدلالاته لاستدلالات أهل التحقيق والمشهورين باستقامة القريحة، ويعرض أدلة المطلوب على القواعد الميزانية باحتياط تام واستقصاء بليغ، حتى يظهر خطأه، وإن كان وجود مانع من عصبية أو تقليد أو غير ذلك فليجتهد في إزالته.

ومنها الشك والحيرة:

وهو من باب رداة الكيفية وهو عجز النفس عن تحقيق الحق وإبطال الباطل في المطالب الخفية، والغالب حصوله من تعارض الأدلة، ولا ريب أنه يهلك النفس ويفسدها، إذ الشك ينافي اليقين الذي لا يتحقق الإيمان بدونه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: «لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا»^(٢). وكان الارتباب في كلامه عليه السلام مبدأ الشك.

وقال الباقر عليه السلام: «لا ينفع مع الشك والجحود عمل»^(٣).

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢٢).

(٢) تحف العقول (ص ١٥٠).

(٣) فقه الرضا عليه السلام (ص ٣٨٨).

وقال الصادق عليه السلام: «إِنَّ الشكَّ والمعصية في النار ليس مِنَّا ولا إِلَيْنَا»^(١).
وسئل عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(٢) قال:
«بشك»^(٣).

وقال عليه السلام: «من شك في الله تعالى بعد مولده على الفطرة لم يفء إلى خير أبداً»^(٤).

وقال عليه السلام: «من شك في الله تعالى أو ظنَّ فأقام على أحدهما أحبط الله عمله، إِنَّ حجة الله هي الحجة الواضحة»^(٥).

وقال عليه السلام: «من شك في الله تعالى وفي رسوله ﷺ فهو كافر»^(٦). وبمضمونه وردت أخبار أخر، وغير خفي أنَّ المراد بالشك: ما يضعف الاعتقاد، ويزيل اليقين، لا مجرد الوسوسة وحديث النفس، لما يأتي أنه لا ينافي الإيمان، بل الظاهر من بعض الأخبار إنَّ إيجاب الشك للكفر إذا انجر إلى الجحود. كما وري إنَّ أبا بصير سأل الصادق عليه السلام: ما تقول فيمن شك في الله تعالى قال عليه السلام: «كافر». قال: فشك في رسول الله؟ قال عليه السلام: «كافر»، ثم التفت إلى زرارة، فقال: «إنما يكفر إذا جحد»^(٧).

ثم علاجه: أن يتذكر أولاً قضيةً بديهية هي: أنَّ النقيضين لا يجتمعان ولا

(١) ثواب الأعمال (ص ٢٥٩).

(٢) الآية ٨٢ من سورة الأنعام.

(٣) تفسير العياشي (ج ١، ص ٣٦٦).

(٤) الكافي (ج ٢، ص ٤٠٠).

(٥) الكافي (ج ٢، ص ٤٠٠).

(٦) الكافي (ج ٢، ص ٣٨٦).

(٧) الكافي (ج ٢، ص ٣٩٩).

يرتفعان، ومنه يعلم إجمالاً أنَّ أحد الشقوق العقلية المتصورة في المطلوب ثابت في الواقع ونفس الأمر والبواقي باطلة، ثم يتصفح المقدمات المناسبة للمطلوب ويعرضها على الأقيسة المنطقية باستقصاء بليغ واحتياط تام في كل طرف حتى يقف على موضع الخطأ ويجزم بحقيقة أحد الشقوق وبطلان الآخر.

والغرض من وضع المنطق (لا) سيما مباحث القياسات السوفسطائية المشتملة على المغالطات إزالة هذا المرض.

ولو كان ممن لا يقدر على ذلك، فالعلاج في حقّه أن يواظب على العبادة، وقراءة القرآن، ويشغل بمطالعة الأحاديث وسماعها من أهلها، ويجالس الصالحاء والمتقين، وأصحاب الورع وأهل اليقين، لتكتسب نفسه بذلك نورانية يدفع بها ظلمة شكّه^(١).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

أقول: هذا السعي لا يصدر إلا من طالب السعادة، فلا بد أن يهديه الله تعالى ويؤور قلبه بنور اليقين، كما قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، وإذا كان شقياً هيهات أن يوفق لمثل هذا ويصدق في حقّه ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٣)، لم يزل في ظلمات الشكوك، مثل عمر بن سعد حين انتدبه ابن زياد لحرب الحسين عليه السلام، فأنشد أبياته المعروفة:

أفكر في نفس وائي لحائر أفكر في نفسي على خطرين

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢١ - ١٢٣).

(٢) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

(٣) الآية ٤٠ من سورة النور.

إلى آخر (١) ...

فنهض إلى حرب الحسين عليه السلام، فجرى منه ما جرى، إلى أن منعه من شرب ماء الفرات، وكان أول رام رمى الحسين عليه السلام، أن وضع سهماً في كبد قوسه ورماه نحو الحسين عليه السلام، وقال: اشهدوا لي عند الأمير أنني أول رام رمى الحسين عليه السلام، إلى أن أمر برض جسده تنفيذاً لأمر ابن زياد حيث كتب إليه: إذا قتلت الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، وأنا أعلم أن هذا لا يضر بعد القتل لقول قلته، فهناك (٢) أمر برض الجسد الشريف.

المجلس السادس بعد المائة

في اليقين ولوازمه

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

قد عرفت إنَّ ضدَّ الجهل المركَّب والحيرة والشك هو (اليقين)، وأوَّل مراتبه اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غير زائل بشبهة ولو قويت، فالاعتقاد الذي لا يطابق الواقع ليس يقيناً وإن جزم به صاحبه واعتقد مطابقتها للواقع، بل هو كما أشير إليه جهل مركب ينشأ من اعوجاج الفريضة أو خطأ في الاستدلال أو حصول مانع من إفاضة الحق كتقليد، أو عصبية، أو غير ذلك، فاليقين من حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضدَّ الحيرة والشك، ومن حيث اعتبار المطابقة للواقع يكون ضدَّ للجهل المركب، ثم العلم إن لم

أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

(١) أأترك ملك الري والري منيتي

(من مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٨).

(٢) روضة الواعظين (ص ١٨٣).

يعتبر فيه المطابقة للواقع ففرقه عن اليقين ظاهر، وإلا فيتساويان ويتشاركان في المثبتة لليقين، ومتعلق اليقين إما أجزاء الإيمان ولوازمه، من وجود الواجب، وصفاته الكمالية، وسائر المباحث الإلهية من النبوة، والامامة، وأحوال النشأة الآخرة، أو غيرها من حقائق الأشياء التي لا يتم الإيمان بدونها، ولا ريب أن مطلق اليقين أقوى أسباب السعادة، وإن كان اليقين في المباحث الإلهية أدخل في تكميل النفس وتحصيل السعادة الأخروية، لتوقف الإيمان عليه، بل هو أصله وركنه وغيره من المراتب فروعه وغصنه، والنجاة في الآخرة لا تحصل إلا به والفاقد له خارج عن زمرة المؤمنين.

وبالجملة اليقين أشرف الفضائل الخلقية وأهمها، وأفضل الكمالات النفسية وأعظمها، هو الكبريت الأحمر الذي لا يظفر به إلا أوحدي من أعظم العرفاء، أو ألمعي من أكابر الحكماء، ومن وصل إليه فاز بالرتبة القصوى والسعادة العظمى، قال سيّد الرسل ﷺ: «أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أوتي حظه منهما لم يبال مافات من صيام النهار وقيام الليل»^(١).

وقال ﷺ: «اليقين الإيمان كله»^(٢).

وقال ﷺ: «ما آدمي إلا وله ذنوب، ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضربه الذنوب، لأنه كلما أذنب ذنباً تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل

(١) كشف الحق (ج ١، ص ٢٦٠).

(٢) الرواشح السماوية (ص ٢٨٥).

(٣) تنبيه الخواطر (ج ١، ص ٦٢).

الكثير على غير يقين»^(١).

وعنه عليه السلام: «إن الله تعالى بعلمه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»^(٢).

وفي وصية لقمان لابنه: «يا بني، لا يستطيع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتى ينقض يقينه»^{(٣) (٤)}.

□ [مراتب اليقين]:

ولليقين ثلاث مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، وقد قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^(٥)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾^(٦)، والفرق بينهما إنما يكشف بمثال: فعلم اليقين بالنار هو: مشاهدة المراتب بواسطة نورها، وعين اليقين بها هو: مشاهدة جرمها، وحق اليقين بها الاحتراق فيها، وانمحاء الهوية بها، والصورورة ناراً صرفاً، وليس وراء هذا غاية، ولا هو قابل للزيادة، وإلى هذا أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^(٧).

(١) الكافي (ج ٢، ص ٥٧).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢٥).

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢٥).

(٤) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢٤ - ١٢٥).

(٥) الآيات ٥ - ٧ من سورة التكاثر.

(٦) الآية ٩٥ من سورة الواقعة.

(٧) مناقب آل أبي طالب (ج ١، ص ٣١٧).

فاليقين أصل الإيمان، وكلّما ازداد يقينه إزداد إيمانه، وكلّما ازداد إيمانه ازداد حبه لله وهان عليه كلّ صعب شديد في ذات الله وسبيله.

وعن معاني الأخبار مسنداً عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: لمّا اشتدّ الأمر بالحسين عليه السلام نظر من كان معه فإذا هو بخلافهم، لأنّه كلّما اشتدّ الأمر تغيرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم، ووجلّت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه: تشرق ألوانهم، وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم، فقال بعض لبعض: انظروا لا يبالي بالموت. فقال لهم الحسين عليه السلام: «صبراً يا بني الكرام، فما الموت إلّا قنطرة تعبركم من البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم، فأياكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر وما هو لاعدائكم إلّا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إن أبي حدثني عن رسول الله ﷺ إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت»^(١)، ولمّا علموا بأن ليس بينهم وبين الجنة إلّا الموت كانوا يتسابقون إلى القتل وكانوا فرحين مستبشرين.

■ [شعر للسيد رضا الرضوي]:

وجدوا الردى من دون آل محمد عذباً وبعدهم الحياة مماتا
ودعاهم داعي القضاء وكلّهم نذب إذا الداعي دعاه أجابا

(١) معاني الأخبار (ص ٢٨٩).

فهووا على عفر التراب وإنما ضيقوا هناك الخرد الأتراب^(١)

المجلس السابع بعد العانة

في علامات صاحب اليقين

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ثم لصاحب اليقين علامات:

● **منها:** ألا يلتفت في أموره إلى غير الله سبحانه، ولا يكون اتكاله في مقاصده إلا عليه، ولا تثقت في مطالبه إلا به، فيتبرأ من كل حول وقوة سوى حول الله وقوته، ولا يرى لنفسه ولا لأبناء جنسه قدرة على شيء ولا منشأية لأثر، ويعلم أنّ ما يرد عليه منه تعالى، وما قدر له وعليه من الخير سيُساق إليه، فتستوي عنده حالة الوجود والعدم، والزيادة والنقصان، والمدح والفقر والغنى، والصحة والمرض، والعزّ والذلّ، ولم يكن له خوف ورجاء إلاّ منه تعالى.

والسرّ فيه أنّه يرى الأشياء كلّها من عين واحدة هو مسبّب الأسباب، ولا يلتفت إلى الوسائط بل يراها مسخرة تحت حكمه، قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «من ضعف يقينه تعلّق بالأسباب، ورخص لنفسه بذلك، واتبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، والسعي في أمور الدنيا وجمعها وأمساكها، مقرّاً باللسان أنّه لا مانع ولا معطي إلاّ الله، وأنّ العبد لا يصيب إلاّ ما رزق وقسم له، والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه، قال الله سبحانه: ﴿يَقُولُونَ يَا قُوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَآلَهُ أَعْلَمُ بِمَا

(١) ديوان السيد رضا الهندي (ص ٤٢).

يَكْتُمُونَ» (١) «(٢).

وقال عليه السلام: «ليس شيء إلا وله حد»، قيل: فما حد التوكل؟ قال: «اليقين»، قيل: فما حد اليقين؟ قال: «ألا تخاف مع الله شيئاً» (٣).

وعنه عليه السلام: «من صحة يقين المرء المسلم ألا يرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره ولو أن أحدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت» (٤).

● ومنها: أن يكون في جميع الأحوال خاضعاً لله سبحانه خاشعاً له، قائماً بوظائف خدمته في السر والعلن، مواظباً على ما أعطته الشريعة من الفرائض والسنن، متوجهاً بشرائره (٥) إليه، متخضعاً منذلاً لأبين يديه، معرضاً عن جميع ما عداه، مفرغاً قلبه عما سواه، منصرفاً بفكره إلى جناب قدسه، مستغرقاً في لجة حبه وأنسه.

والسر: أن صاحب اليقين عارف بالله وعظمته وقدرته، وبأن الله تعالى مشاهد لأعماله وافعاله مطلع على خفايا ضميره وهواجس خاطره، وأن «قَمَنَ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» ● «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (٦)، فيكون دائماً في مقام الشهود لديه، والحضور بين يديه، فلا ينفك عن الحياء والخجل، والاشتغال بوظائف الأدب والخدمة، ويكون سعيه في تخلية باطنه من الرذائل، وتحليته بالفضائل، لعين الله

(١) الآية ١٦١ من سورة آل عمران.

(٢) مستدرك الوسائل (ج ١١، ص ١٩٩).

(٣) وسائل الشريعة (ج ١٥، ص ٢٠٢).

(٤) كتاب التمهيد (ص ٥٢).

(٥) أي بثقله.

(٦) الآيتان ٨ و ٩ من سورة الزلزال.

الكائلة أشدّ من تزيين ظاهره لأبناء نوعه.

وبالجملة: من يقينه بمشاهدته تعالى لأعماله الباطنة والظاهرة وبالجزاء والحساب، يكون أبداً في مقام الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه. ومن يقينه بما فعل الله في حقّه من إعطاء ضروب النعم والاحسان، يكون دائماً في مقام الانفعال والخجل والشكر لمنعمه الحقيقي. ومن يقينه بخساسة الدنيا وفنائها، لا يركن إليها.

قال الصادق عليه السلام في الكنز الذي قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾^(١) «بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن أيقن بالدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها»^(٢).

ومن يقينه بعظمة الله الباهرة وقوّته القاهرة، يكون دائماً في مقام الهيبة والدهشة، وقد ورد أنّ سيّد الرسل ﷺ كان من شدّة خضوعه وخشوعه منه تعالى بحيث إذا كان يمشي يظنّ أنه يسقط على الأرض^(٣).

ومن يقينه بكمالاته الغير متناهية وكونه فوق التمام، يكون دائماً في مقام الشوق والوله والحب، وحكايات أصحاب اليقين من الأنبياء والمرسلين والأوصياء والكاملين في الخوف والشوق وما يعترهم من الاضطراب والتغير والتلون وأمثال ذلك في الصلاة وغيرها مشهورة، وفي كتب التواريخ والسير مسطورة، وحكايات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وحصول تكرار الغشوات له في أوقات الخلوات والمناجاة

(١) الآية ٨٢ من سورة الكهف.

(٢) قرب الاسناد (ص ٣٧٥).

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢٧).

وغفلته عن نفسه في الصلوات مما تواتر عند الخاصة والعامة^(١).

وكيف يتصور لصاحب اليقين الواقعي بالله وبِعظمته وجلاله وباطلاعه تعالى على دقائق أحواله، أن يعصيه في حضوره ولا يحصل له الانفعال والخشية والدهشة وحضور القلب والتوجه التام إليه عند القيام لديه والمثول بين يديه، مع إنا نرى أن الحاضر عند من له أدنى شوكة مجازية من الملوك والأمراء مع رذالته وخساسته أولاً وآخرأ يحصل له من الانفعال والدهشة والتوجه إليه بحيث يغفل عن ذاته.

● **ومنها:** أن يكون مستجاب الدعوات، بل وله خرق العادات، والسرفه: أن النفس كلما ازدادت يقيناً ازدادت تجرداً، فتحصل لها ملكة التصرف في موارد الكائنات، قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب»^(٢) كذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله من عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى ابن مريم عليه السلام كان يمشي على الماء، فقال: «لو زاد يقينه لمشي على الهوى»^(٣). فهذا الخبر دل على أن الكرامات تزاد بازدياد اليقين، وأن الانبياء مع جلالة محلهم من الله متفاوتون في قوة اليقين وضعفه^(٤).

■ [من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام]:

أقول: حيث أن أمير المؤمنين عليه السلام بلغ في اليقين الغاية القصوى التي ما بعدها

(١) الكافي (ج ٤، ص ٩٩) ومن لا يحضره الفقيه (ج ٢، ص ١٣١) وآلاف المصادر والمراجع.

(٢) مستدرک الوسائل (ج ١١، ص ١٩٨).

(٣) مصباح الشريعة (ص ١٧٧).

(٤) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢٤ - ١٢٨).

غاية ولذا قال: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^(١)، فتارة تراه يمشي في الهوى على فرس في قضيته مع سلمان، وتارة على البساط، وتارة يطوي الأرض من المدينة إلى المدائن لتغسيل سلمان إلى آخر الخبر، هذا في حال حياته وأما بعد مماته كم أغاث من استغاث به، وكم قطع مسافات، وكم ظهر على أحوال شتى: تارة راكباً، وتارة ماشٍ، منها: ظهوره ليلة الحادي عشر من المحرم لابنته العقيلة زينب وكان راكباً مثلثماً إلى آخر الخبر^(٢).

المجلس الثامن بعد المائة

في مراتب اليقين

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

وقد ظهر مما ذكر: أنَّ اليقين جامع جميع الفضائل ولا ينفك عن شيء منها، ثم له مراتب:

- **أولها:** علم اليقين، وهو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع كما مرّ، وهو يحصل من الاستدلال باللوازم والملزومات، ومثاله اليقين بوجود النار من مشاهدة الدخان.
- **وثانيها:** عين اليقين، وهو مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البصيرة والباطن، وهو أقوى في الوضوح والجلاء من المشاهدة بالبصر، وإلى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «لَمْ أَعْبُدَ رِبّاً لَمْ أَرَهُ»، بعد سؤال ذعبل اليماني^(٣) له: أرايت ربك؟

(١) شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام (ص ٣).

(٢) التوحيد (ص ١٠٩).

(٣) كان ذو لسان بليغ في الخطابات وهو من أصحاب الأمير %.

ولما قال صفه لنا، قال: «لا تراه العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان»^(١)، ويقول عليه السلام: «رأى قلبي ربي»^(٢)، وهو إنما يحصل من الرياضات، والتصفية، وحصول التجرد التام للنفس، ومثاله اليقين بوجود النار عند رؤيتها عياناً.

● **ونالها:** حق اليقين، وهو أن تحصل وحدة معنوية، وربط حقيقي بين العاقل والمعقول، بحيث يرى العاقل ذاته رشفة من المعقول ومرتبطة به غير منفك عنه، ويشاهد دائماً ببصيرته الباطنة فيضان الأنوار والآثار منه إليه، ومثاله: اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير احتراق.

وهذا إنما يكون لكمل العارفين بالله، المستغرقين في لجة حبه وأنسه، المشاهدين ذواتهم، بل سائر الموجودات من رشفات فيضه الأقدس، وهم الصديقون الذين قصروا أبصارهم الباطنية على ملاحظة جماله ومشاهدة أنوار جلاله. وحصول هذه المرتبة يتوقف على مجاهدات شاقة ورياضات قوية، وترك رسوم العادات، وقطع أصول الشهوات، وقلع الخواطر النفسانية. وقمع الهواجس الشيطانية، والطهارة عن أدناس جيفة الطبيعة، والتنزه عن زخارف الدنيا الدنية، وبدون ذلك لا يحصل هذا النوع من اليقين والمشاهدة، وقد قيل:

وكيف ترى ليلي بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع^{(٣) (٤)}
وقال الفارسي:

(١) نهج البلاغة (ج ٢، ص ٩٩).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢٨).

(٣) فوات الوفيات (ج ٢، ص ٨٥).

(٤) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢٨ - ١٢٩).

در ره منزل لیلی که خطر هاست در آن

شرط اول قدم آنست که مجنون باشی

او را بچشم پاک توان دید چون هلال

هر دیده جای جلوه ان پاره ماه نیست

[ثم قال العلامة النراقي رحمه الله:]

ثم فوق ذلك مرتبة يثبتها بعض أهل السلوك ويعبرون عنه بـ: بحقيقة حقّ اليقين)، والفناء في الله، وهو: أن يرى العارف ذاته مضمحلّاً في أنوار الله، محترفاً من سبحات وجهه، بحيث لا يرى استقلالاً وتحصيلاً أصلاً، ومثله اليقين بوجود النار بدخوله واحتراقه منها.

ثم لا ريب في أن اليقين الحقيقي النوراني المبري من ظلمات الأوهام والشكوك، ولو كان من المرتبة الأولى أنه لا يحصل من مجرد الفكر والاستدلال، بل يتوقف حصوله على الرياضة والمجاهدة، وتصقيل النفس، وتصفيته عن كدورات ذمائم الأخلاق وصداهها، ليحصل لها التجرد التام فتحاذي العقل الفعّال، فتتضح فيها جليلة الحقّ حقّ الانضاح.

والسرّ أنّ النفس بمنزلة المرآة تنعكس فيها صور الموجودات، من العقل الفعّال، ولا ريب أنّ انعكاس الصورة من ذوات الصور إلى المرآة يتوقف على تمامية شكلها، وصقاله جوهرها، وحصول المقابلة، وارتفاع الحائل بينهما، والظفر بالجهة التي فيها الصور المطلوبة، فيجب في انعكاس الأشياء من العقلي إلى النفس:

(۱) عدم نقصان جوهرها، فلا يكون كنفس الصبي التي لا تنجلي لها

المعلومات.

و(٢) صفاؤها من كدورات ظلمة الطبيعة وأخبث المعاصي، ونقاؤها عن رسوم العادات وخبائث الشهوات، وهو بمنزلة الصقالة عن الخبث والصدأ.
و(٣) وتوجيهها التام، وانصراف فكرها إلى المطلوب، فلا يكون مستوعب الهم بالأمور الدنيوية وأسباب المعيشة وغيرها من الخواطر المشوشة لها، وهو بمنزلة المحاذات.

و(٤) تخليتها عن التعصب والتقليد، وهو بمثابة ارتفاع الحجب.
و(٥) استحالة المطلوب من تأليف مُقَدِّمات مناسبة للمطلوب على الترتيب المخصوص والشرائط المقررة، وهو بمنزلة العثور على الجهة التي فيها الصور.
ولولا هذه الأسباب المانعة للنفوس عن إفاضة الحقائق اليقينية إليها، لكانت عالمة بجميع الأشياء المرتسمة في العقول الفعالة، إذ كل نفس لكونها أمراً ربانياً وجوهرًا ملكوتياً فهي بحسب الفطرة صالحة لمعرفة الحقائق، ولذا امتازت عن سائر المخلوقات من السموات والأرض والجبال، وصارت قابلة لحمل أمانة الله^(١) التي هي المعرفة والتوحيد، فحرمان النفس عن معرفة أعيان الموجودات إنما هو لأحد هذه الموانع، وقد أشار سيد الرسل ﷺ إلى مانع التعصب والتقليد، بقوله ﷺ: «كُلُّ مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه ويمجسانه»^(٢)، وإلى مانع كدورات المعاصي وصدأها بقوله ﷺ: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا

(١) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الآية ٧٢ من سورة الأحزاب.
(٢) شرح الأخبار (ج ١، ص ١٩٠).

إلى ملكوت السموات والأرض»^(١)، فلو ارتفعت عن النفس حجب السيئات والتعصب وحاذت شطر الحق الأول تجلّت لها صورة عالم الملك والشهادة بأسره، اذ هو متناه يمكن لها الإحاطة به، وصورة عالمي الملكوت والجبروت بقدر ما يتمكن منه بحسب مرتبته، لأنهما الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المختصة بإدراك البصائر وهي غير متناهية^(٢).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

فالحاصل: إنّ اليقين لا يحصل للنفس بمجرد الاستدلال والتفكير، بل لا بدّ من المجاهدة وإزالة الرذائل عنها، والعلم البسيط لا فائدة فيه، ولا تصل النفس به إلى اليقين بالحقائق.

ألا ترى أهل الكوفة لما احتجّ عليهم الحسين عليه السلام بحسبه ونسبه فأجابوه: إنّنا نعرفك ولسنا بتاركيك حتّى تذوق الموت غصّة بعد غصّة أو تنزل على حكم الأمير يزيد.

فغدوا حيارى لا يرون لوعظه **إلا الأسنة والسهام جواباً**^(٣)

(١) درر الأخبار (ص ٤٤٢).

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ١٢٨ - ١٣٠).

(٣) ديوان السيد رضا الهندي (ص ٤٢).

المجلس التاسع بعد المائة

في الشرك والتوحيد

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ومن رذائل القوة العاقلة الشرك: وهو أن يرى في الوجود مؤثراً غير الله سبحانه، فإن عبد هذا الغير سواء كان صنماً أو كوكباً أو انساناً أو شيطاناً كان شرك عبادة، وإن لم يعبد، ولكن لاعتقاده كونه منشأ أثر إطاعة فيما لا يرضى الله فهو شرك طاعة، والأول يُسمى بالشرك الجلي، والثاني يُسمى بالشرك الخفي، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١)، وكون الشرك أعظم الكبائر الموبقة وموجباً للخلود في النار ممّا لا ريب فيه، وقد انعقد الإجماع من الأمة فيه والآيات والأخبار الواردة فيه خارجة عن حدّ الإحصاء.

ثم للشرك مراتب تظهر في بحث التوحيد

ضدّ الشرك التوحيد: وهو إما توحيد في أصل الذات، بمعنى عدم تركيب خارجي وعقلي في ذاته تعالى وعينية وجوده وصفاته لذاته، ويلزمه كونه صرف الوجود وبحته، أو توحيد في وجوب وجوده بمعنى نفي الشرك في وجوب الوجود عنه، ولا بحث لنا هنا عن إثبات هذين القسمين، لثبوتهما في الحكمة المتعالية، أو توحيد في الفعل والتأثير والإيجاد، بمعنى أن لا فاعل ولا مؤثر إلّا هو، وهو الذي نذكر مراتبه وما يتعلّق به هاهنا، فنقول:

(١) الآية ١٠٦ من سورة يوسف.

هذا التوحيد على ما قيل له أربع مراتب: قشر، وقشر القشر، ولَبّ، ولَبّ اللبّ، والجوز له قشرتان وله لبّ، وللب دهن وهو لبّ اللب.

● **فالمرتبة الأولى:** أن يقول الإنسان باللسان: لا إله إلا الله، وقلبه منكرو غافل عنه كتوحيد المنافقين، وهذا التوحيد بمجرد اللسان ولا فائدة فيه إلا حفظ صاحبه في الدنيا من السيف والسنان.

● **الثانية:** أن يصدّق بمعنى اللفظ قلبه، كما هو شأن عموم المسلمين، وهو اعتقاد العوام وصاحبه موحد، بمعنى أنه معتقد بقلبه، خالٍ عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه؛ وهو عقد على القلب لا يوجب انشراحاً وانفتاحاً وصفاءً له، ولكنّه يحفظ صاحبه عن النار في الآخرة إن مات عليه ولم يضعف بالمعاصي.

● **الثالثة:** أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة، ولكن يراها بكثرتها صادرة عن الواحد الحقّ، وهو مقام المقربين، وصاحبه موحد، بمعنى أنه لا يشاهد إلا أفاعلاً ومؤثراً واحداً، لأنه انكشف له الحقّ كما هو عليه.

● **الرابعة:** ألا يرى في الوجود إلا واحداً، ويسمّيه أهل المعرفة الفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً، فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالواحد كان فانياً في نفسه، وهو مشاهدة الصديقين، وصاحبه موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكلّ من حيث أنه كثير بل من حيث أنه واحد. وهذا هي الغاية القصوى في التوحيد.

● **فالمرتبة الأولى:** كالقشرة العليا من الجوزة، وكما أنّ هذه القشرة لا خير فيها أصلاً، بل إن أكلتها فهي مرّة المذاق، وإن نظرت إلى باطنها فهو كربه المنظر، وإن

إتخذتها حطباً أطفأت النار، وأكثرت الدخان، وإن تركتها في البيت ضيقت المكان، فلا تصلح إلا أن تترك مدة على الجوز لحفظ القشرة السفلى ثم ترمى، فذلك التوحيد بمجرّد اللسان عديم الجدوى، كثير الضرر، مذموم الظاهر والباطن، لكن ينفع مدة في حفظ المرتبة الثانية إلى وقت الموت.

والمرتبة الثانية: كالقشرة السفلى، فكما إن هذه القشرة ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا، فإنها تصون اللب عن الفساد عند الأدّخار، وإذا فصلت أمكن الانتفاع بها حطباً، لكنها نازلة القدر بالإضافة إلى اللب، فكذلك مجرّد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالنسبة إلى مجرد نطق اللسان، إذ تحصل به النجاة في الآخرة، لكنّه ناقص القدر بالنسبة إلى الكشف والعيان الذي يحصل بانسراح الصدر وانفتاحه بإشراق نور الحق فيه.

والمرتبة الثالثة: كاللب، وكما أنّ اللب نفيس في نفسه بالإضافة إلى القشر، وكأنّه المقصود، لكنّه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن منه، فكذلك توحيد الفعل على طريق الكشف مقصّد عالٍ للسالكين، إلاّ أنّه لا يخلو من شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة، بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق.

والمرتبة الرابعة: كالدهن المستخرج من اللب، وكما إنّ الدهن هو المطلوب لذاته، فكذلك قصر النظر على مشاهدة الحقّ الأوّل هو المقصود لذاته، والمحبوب في نفسه^(١).

فالحاصل: إن الدرجة الأولى ساقطة من درجة الاعتبار، إذ أنّه مجرد إقرار

باللسان من غير اعتقاد بالجنان، وهو توحيد المنافقين حفظاً لدمائهم وأموالهم، وقد أخبر الله تعالى نبيه ﷺ عنهم بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

وقال بعضهم منكرًا للمعاد:

دعينا^(٢) نصطحب يا أم بكر

فإن الموت ثقب عن هشام

الامن^(٣) مبلغ الرحمن عني

بأنبي تارك شهر الصيام

ويوعدنا ابن كبشة^(٤) بأن سنحيي

فكيف حياة أشلاء^(٥) وهام^(٦)

وقال أيضاً:

أيوعدني الجنان بشرب خمر وينهي اليوم عن ماءٍ وتمر

(١) جامع السعادات (ج ١، ص ١٣١ - ١٣٣).

(٢) أو: ذرينا نضطجح.

(٣) أو: ألا هل مبلغ.

(٤) يقصد به النبي ﷺ.

(٥) أو: أصداء وهام.

(٦) وهو شعر للأسود بن يعفر ورد في جملة من المصادر مع اختلاف في الألفاظ، منها: المستطرف (ج ٢،

أَبْعَثْ ثُمَّ حَشَرَ ثُمَّ نَشَرَ حَدِيثُ خِرَافَةِ يَا أُمَّ بَكْرٍ (١)

■ [حقيقة ابن صهاك من رسالة له]:

وقد صرَّح في الطومار الذي بعثه لمعاوية: (من فلان إلى معاوية، أمّا بعد: إنّ الذي أكرهنا بالسيف على الاقرار به فأقررنا، والصدور وغرة، والأنفس واجنة، والنيات والبصائر شاكة) (٢) ممّا كانت عليه، من جحدنا ما دعانا إليه واطعناه فيه رفعاً لسيفه عنّا) إلى آخر (٣). ومنه: (ولقد وثبت على شهاب بني هاشم الثاقب...) إلى آخر (٤).

خالفوا كلّما به جاء طه وهو إذ ذاك ليس بالمقبور
لست تدري لم أحرقوا الباب بالنار أرادوا اطفاء ذاك النور
لست تدري ما صدر فاطم، ما المسمار ما بال قرطها المنثور (٥)
دخلوا الدار وهي حسرى بمرأى من علي ذاك الأبّي الغيور (٦)

(١) وهو شعر لابن الزعبري هكذا ورد: حياة ثم موت ثم نشر ونسب أيضاً لأبي ناس ويرجعه الأمين في أعيان الشيعة (ج ١، ص ٤٦) والبيت الذي قبله ورد هكذا:
أترك لذة الصهباء صرفاً لما وعدوه من طم وحمّر
(٢) أو: شائكة.

(٣) بحار الأنوار (ج ٣٠، ص ٢٨٨).

(٤) بحار الأنوار (ج ٣٠، ص ٢٩٠).

(٥) من شعر للسيد باقر الهندي (أدب الطف: ج ٨، ص ٢٦).

(٦) رياض المدح والثناء (ص ١٩٧).

المجلس العاشر بعد المائة

في ابتناء التوكل

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ابتناء التوكل على حصر المؤثر في الله تعالى.

إعلم: أنه لا يمكن التوكل على الله تعالى في الأمور حقّ التوكل إلاّ بالبلوغ إلى المرتبة الثالثة من التوحيد، وهي التي يرتبط بها التوكل دون غيرها، إذ المرتبة الأولى مجرد نفاق لا يفيد شيئاً، **والثانية**: مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال توكل كما ينبغي، فإنّه موجود في عموم المسلمين مع عدم وجود التوكل كما ينبغي فيهم.

فالمناط في التوكل هو ثالث المراتب في التوحيد، وهو أن ينكشف للعبد بنور الحق لا فاعل إلاّ الله، وذلك هو الذي إليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن من عباد الله عبداً أعان على نفسه فاستشعر الحزن وتجلّب بحلّاب الخوف مزهر مصباح الهدى في قلبه**»، وإنّ كل موجود من: خلق ورزق، وعطاء ومنع، وغنى وفقر، وصحّة ومرض، وعزّ وذلّ، وحياة وموت، إلى غير ذلك ممّا يطلق عليه اسم، فالمتفرد بإبداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه، فإذا انكشف له هذا لم ينظر إلى غيره، بل كان منه خوفه وإليه رجاؤه، وبه ثقته وعليه اتكاله، فإنّه الفاعل بالأنفراد دون غيره، وما سواه مسخّرون لا استقلال لهم بتحريك ذرّة من ملكوت السموات والأرض، وإذا انفتح له أبواب المعارف اتضح له هذا اتّضحاً أتمّ من المشاهدة بالبصر، وإنّما يصدّه الشيطان عن هذا التوحيد، ويوقع في قلبه شائبة الشرك بالالتفات إلى بعض الوسائط التي يتراءى في بادئ النظر منشئتها لبعض الأمور، كالاعتماد على الغيم في نزول المطر، وعلى المطر

في خروج الزرع ونمائه، وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها، وعلى بعض نظرات الكواكب واتصالاتها في حدوث بعض الحوادث في الأرض، وكالاتفات إلى اختيار بعض الحيوانات وقدرتها على بعض الأفعال، فيوسوس الشيطان في قلبه ويقول له: كيف ترى الكلّ من الله تعالى وهذا الإنسان يعطيك رزقك باختياره، فإن شاء أعطاك وإن شاء منعك، وهذا الشخص قادر على حَزْرَقبتك بسيفه فإن شاء حَزْر وإن شاء عفى عنك، فكيف لا تخافه ولا ترجوه وأمرك بيده. وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه.

ولا ريب أنّ أمثال هذا الالتفاتات جهل بحقائق الأمور، ومن مكّن الشيطان وسلّطه على نفسه حتّى يوقع هذه الوسوس في قلبه، فهو من الجاهلين بآبواب المعارف، إذ من انشكف له أمر العالم كما هو عليه، علم أنّ السماء، والكواكب، والريح، والغيم، والمطر، والإنسان، والحيوان، وغير ذلك من المخلوقات كلّهم مقهورون مسخّرون للواحد الحقّ الذي لا شريك له.

فيعلم أنّ الريح مثلاً هواء، والهواء لا يتحرّك بنفسه ما لم يحركه محرّك، وهذا المحرك لا يحرك الهواء ما لم يحركه على التحريك محرّك آخر، هكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأوّل الذي لا محرّك له ولا هو متحرك بنفسه.

وكذا الحال في توسط غيره من الأفلاك ونجومها وكائنات الجوّ، والموجودات على الأرض من الجماد والنبات والحيوان.

فالتفات العبد في نجاته إلى بعض الأشياء من الريح والأمطار أو الإنسان أو الحيوان يضاهي التفات من أخذ لثُحزرقبته، فامر الملك كاتبه بأن يكتب توقيعاً بالعفو عنه وتخليته، فأخذ العبد يشغل بمدح الحبر أو الكاغذ أو القلم أو الكاتب، ويقول لولا الحبر أو القلم أو الكاغذ أو الكاتب ما تخلّصت، فيرى نجاته من الحبر والكاغذ دون

القلم، أو من القلم دون محركه أعني الكاتب، أو من الكاتب دون الملك الذي هو محرك الكاتب ومسخره.

ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه، إنما هو مسخر بيد الكاتب، وأن الكاتب لا حكم له وإنما هو مسخر بيد الكاتب، وإن الكاتب لا حكم له وإنما هو مسخر تحت يد الملك، لم يلتفت إلى القلم والكاتب ولم يشكر إلا الملك، بل ربما يدشه فرح النجاة وشكر الملك عن أن يخطر بباله الكاغد والحبر والقلم والكاتب.

ولا ريب في أن جميع المخلوقات من: الشمس، والقمر، والنجوم، والغيم، والمطر، والأرض، وكل حيوان أو جماد مسخرات في قبضة القدرة، كتسخير القلم في يد الكاتب، وتسخير الكاتب في يد السلطان، بل هذا تمثيل في حق العبد لاعتقاده أن الملك الموقع هو الكاتب حقيقة، وليس الأمر كذلك، إذ الحق أن الكاتب هو الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١)، فمن انكشف له أن جميع ما في السموات والأرض مسخرات للواجب الحق، لم ير في الوجود مؤثراً إلا هو، وانصرف عنه الشيطان خائباً وآيس من مزج توحيده بهذا الشرك. انتهى^(٢).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

ألا ترى لما جاء الشمر بن ذي الجوشن ودنى من مخيم الحسين عليه السلام ونادى: أين ابن اختنا العباس وإخوته، وكان العباس جالساً أو واقفاً بين يدي أخيه الحسين عليه السلام، ولم

(١) الآية ١٧ من سورة الانفال.

(٢) جامع السعادات (ج ١، ص ١٣٣ - ١٣٦).

يجبه، فقال له الحسين عليه السلام: أجبته وإن كان كافراً، فإنه من بعض أخوالكم، فهناك اشتمل العباس عليه السلام للامة حربه واستوى على فرسه وخرج له، وقال: ما تريد يا بن ذي الجوشن، لقد أرعبت قلوب مخدرات النبوة؟ فقال: يا أبا الفضل، هذا أمان من الأمير لك ولإخوتك، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل. فغضب العباس عليه السلام، وقال: أتهاني عن نصرة من خلقني الله لنصرته، لأمان الله خير من أمانكم، ولكن أنت دعوتني إلى النار وأنا أدعوك إلى الجنة، أدعوك إلى نصرة الحسين عليه السلام. فولى الشمر إلى معسكرهم ورجع العباس عليه السلام وأخوته وهو يدمدم ويقول: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾ (١) (٢).

المجلس الحادي عشر بعد المائة

في المكر والحيلة

ومن رذائل القوة العاقلة استنباط وجوه المكر والحيل.

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

ولعلم أنّ المكر، والحيلة، والخديعة، والنكر، والدهاء، ألفاظ مترادفة، وهي في اللغة قد تطلق على شدة الفطنة، وأرباب المعقول يطلقونها على استنباط بعض الأمور من المآخذ الخفية البعيدة على ما تجاوز عن مقتضى استقامة القريحة، ولذا جعلوها ضدّاً للذكاء وسرعة الفهم.

(١) الآية ٥١ من سورة الكهف.

(٢) وردت هذه الأحاديث كمحاورة بين الامام الحسين عليه السلام وعبيد الله بن الحر الجعفي مع بعض الاختلاف اليسير (أمالى الصدوق: ص ٢١٩).

وللمكر مراتب شتى ودرجات لا تحصى من حيث الظهور والخفاء، فربما لم يكن فيه كثير دقة وخفاء فيشعر به من له أدنى شعور، وربما كان في غاية الغموض والخفاء بحيث لا يتفطن به الأذكاء.

ومن حيث الموارد كالباعث لظهور المحبة والصداقة واطمئنان عاقل، ثم النهجم عليه بالإيذاء والمكره، والباعث لظهور الأمانة والديانة، وتسليم الناس أموالهم ونفائسهم إليه على سبيل الوديعة أو المشاركة أو المعاملة، ثم أخذها وسرقها على نحو آخر من وجوه المكر. وكالباعث لظهور ورعه وعدالته واتخاذ الناس إياه إماماً أو أميراً فيفسد عليهم باطناً دينهم ودنياهم.

وقس على ذلك غيره من الموارد والمواضع.

ثم المكر من المهلكات العظيمة، لأنه أظهر صفات الشيطان، والمتصف به أعظم جنوده، ومعصيته أشد من معصية إصابة المكروه إلى الغير في العلانية، إذ المطلع بإرادة الغير إيذاءه يحتاط ويحافظ نفسه عنه، فربما دفع أذيته، وأما الغافل فليس في مقام الاحتياط، لظنه ان هذا المكّار المحتال محبّ وناصح له.

فيصل إليه ضرره وكيدته في لباس الصداقة والمحبة.

فمن أحضر طعاماً مسموماً عند الغير مريداً إهلاكه فهو أخبث نفساً وأشدّ معصية ممّن شهر سيفه علانية مريداً قتله، إذ الثاني أظهر ما في باطنه وأعلم هذا الغير بإرادته، فيجزم بأنّه عدوّ ومحارب له فيتعرض لصرف شرّه ومنع ضرره، فربما تمكّن في مقام الإيذاء والعدوان، والغافل المسكين لا خبر له من خبائث باطنه، فيقطع أنّه يحسن إليه فلا يكون معه في مقام الدفع والاحتياط، بل في مقام المحبة والوداد، فيقتله وهو يعلم أنّه يحسن إليه ويهلكه وهو في مقام الخجل منه.

وبالجملة: هذه الرذيلة أخبث الرذائل وأشدّها معصية، ولذا قال رسول

الله ﷺ: «ليس منا من مكر مسلماً»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا المكر والخديعة في النار لكنت أمكر

الناس»^(٢).

وكان (عليه السلام) كثيراً ما يتنفس الصعداء ويقول: «واويلاه يمكرون بي

ويعلمون أنّي بمكرهم عالم وأعرف منهم بوجوه المكر، ولكنّي أعلم أنّ المكر

والخديعة في النار فأصبر على مكرهم ولا أرتكب مثل ما ارتكبوا»^(٣).

وطريق علاجه - بعد اليقظة -: أن يتأمل في سوء عاقبته وفي تأديته إلى النار

ومجاورة الشيطان والأشرار، ويتذكر أنّ وبال كلّ مكر وحيلة يرجع في الدنيا على

صاحبه، كما نطق به الآيات والأخبار وشهدت به التجربة والاعتبار، ثم يتذكر فوائد

ضدّه ومحامده، أعني استنباط ما يوجب النصيحة والخيرية للمسلمين، وموافقة

ظاهره لباطنه في أفعاله وأقواله، وبعد ذلك لو كان عاقلاً مشفقاً على نفسه لاجتنب عنه

كلّ الاجتناب، وينبغي أن يقدم التروّي في كلّ فعل يصدر منه لئلا يكون فيه مكر ولا

حيلة، وإذا عثر على فعل يتضمّن فليتركه معاتباً لنفسه، وإذا تكرّر منه ذلك نزول عن

نفسه أصول المكر والحيلة وفروعها بالكلية^(٤).

(١) ثواب الأعمال (ص ٢٧١).

(٢) الكافي (ج ٢، ص ٣٣٦).

(٣) جامع السعادات (ج ١، ص ١٩١).

(٤) جامع السعادات (ج ١، ص ١٨٩ - ١٩١).

■ [قصة مالك بن نويرة]:

خلاصة الأمر: إن المكر والخديعة ليست من صفات الأخيار، بل من صفات الأشرار المقتدين بابليس اللعين، ألا ترى خالد بن الوليد لما أرسل إلى غزو بني حنيفة وهم مالك بن نويرة وأصحابه، فلما ورد عليهم آمنهم وأظهر الصداقة إلى أن هجم الليل ناموا وهم آمنون فكبسوهم غيلة، وقتلوا مالك وأصحابه بتهمة الارتداد وبات خالد بن الوليد بزوجة مالك تلك الليلة من غير اعتداد، فأمرؤا النساء فمن جملتهم خولة فلما دخلت المسجد بعد أن سلمت على رسول الله ﷺ وأبدت الشكاية استقبلت القوم وألقت عليهم مقالاً، فقالت: ما بالكم معاشر العرب تصونون حلائلكم وتهتكون حلائل غيركم؟ ف قيل لها: حين قلتم لا نزكي ولا نصلي. فقالت: والله ما قالها أحد من بني حنيفة، وأنا نضرب صبياننا على الصلاة من التسع، وعلى الصيام من السبع، وأنا لنخرج الزكاة من حيث أن يبقى من جمادى الآخرة عشرة أيام، ويوصي مريضنا بها الوصية، والله يا قوم ما نكثنا وما غيرنا ولا بدلنا حتى تقتلون رجالنا وتسبوا حريمنا، إلى آخر كلامها.. وقد تعجبت من فعلهم بقولها: ما لكم تصونون حلائلكم، وتهتكون حلائل غيركم، وحق لها أن تعجب من أن المرأة المسلمة تسبى (١).

(١) الفضائل لابن شاذان (ص ١٠٠).

■ [الحال في كربلاء]:

وليبتها نظرت إلى عقيلة الطالبين زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام وقد سبين من بلد إلى بلد إلى أن أدخلت مع باقي بنات أمير المؤمنين عليها السلام على يزيد، ووقفت وألقت تلك الخطبة، إلى أن قالت: أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائك وإماءك...^(١) الحديث.

الجلس الثاني عشر بعد العانة

في الطهارة وأسرارها

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

إعلم أن الطهارة والنظافة أهم الأمور للعباد، إذ الطهارة الظاهرة وسيلة إلى حصول الطهارة الباطنة، وما لم تحصل الأولى لم تحصل الثانية. ولذا ورد في مدحها ما ورد، قال الله سبحانه: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٢). وقال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾^(٣). وقال رسول الله ﷺ: «بني الدين على النظافة»^(٤).

(١) بحار الأنوار (ج ٤٥، ص ١٣٤).

(٢) الآية ١٠٩ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٧ من سورة المائدة.

(٤) كشف الخفاء (ج ١، ص ٢٨٨).

وقال عليه السلام: «الطهور نصف الإيمان»^(١).

وقال عليه السلام: «مفتاح الصلاة الطهور»^(٢).

وقال عليه السلام: «بنس العبد القاذورة»^(٣).

وقال عليه السلام: «من اتخذ ثوباً فلينظفه»^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن، وهو طهور للصلاة»^(٥).

■ [مراتب الطهارة]:

ثم للطهارة أربع مراتب:

● **الأولى:** تطهير الظاهر من الأحداث والأخبث والفضلات.

● **الثانية:** تطهير الجوارح من الجرائم والآثام والتبعات.

● **الثالثة:** تطهير القلب من مساوي الأخلاق ورذائلها.

● **الرابعة:** تطهير السر عما سوى الله تعالى، وهي تطهير الأنبياء والصديقين.

والطهارة في كل مرتبة نصف العمل الذي فيها، إذ الغاية القصوى في عمل السر

أن ينكشف له جلال الله وعظمته، وتحصل له المعرفة التامة، والحب والأنس، ولا

(١) عوالي اللثالي (ج ١، ص ١١٥).

(٢) وسائل الشيعة (ج ١، ص ٣٩٨).

(٣) الكافي (ج ٦، ص ٤٣٩) هكذا جاء النص: «فبنس العبد القاذورة».

(٤) دعائم الاسلام (ج ٢، ص ١٥٨).

(٥) الكافي (ج ٦، ص ٤٤٤).

يمكن حصول ذلك ما لم يرتحل عن ما سوى الله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾^(١)، فإن الله وغيره لا يجتمعان في قلب واحد: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^(٢)، فتطهير السرِّ عمّا سوى الله نصف عمله، والنصف الآخر شروق نور الحق فيه، والغاية القصوى في عمل القلب عمارته بالأخلاق المحمودة، والعقائد الحقة المشروعة، ولا يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها، من الأخلاق المذمومة، والعقائد الفاسدة، فتطهيرها عنها أحد الشطرين، والشرط الآخر تحليلته بالفضائل والعقائد الحقة.

وأما عمل الجوارح، فالمقصود منه عمارتها بالطاعات. ولا يمكن ذلك ما لم يطهر عن المعاصي والمناهي. فهذا التطهير نصف عملها، ونصفه الآخر عمارتها بالطاعات، وقس على ذلك الحال في المرتبة الأولى. وإلى ذلك الإشارة بقول النبي ﷺ: «الطهور نصف الإيمان»^(٣). فإن المراد: أن تطهير الظاهر، والجوارح، والقلب، والسر، من النجاسات والمعاصي ورذائل الأخلاق وما سوى الله نصف الإيمان، ونصفه الآخر عمارتها بالنظافة والطاعات ومعالي الأخلاق، والاستغراق في شهود جمال الحق وجلاله. ولا تظن أن مراده ﷺ إن مجرد تطهير الظاهر عن النجاسات بإضافة الماء نصف الإيمان، مع تلوث الجوارح بأخباث المعاصي، وتنجس القلب بأقذار مساوي الأخلاق، وتشوش السر وتكدره بما سوى الله. فالمراد التطهير في المراتب الأربع، التي هي من مقامات الدين، وهي مرتبة يتوقف بعضها على بعض،

(١) الآية ٩١ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٤ من سورة الأحزاب.

(٣) صحيح مسلم (ج ١، ص ٧).

ولا يمكن أن ينال العبد ما هو فوق، ما لم يتجاوز ما دونه، فلا يصل إلى طهارة السر مما سوى الله، وعمارته بمعرفة الله، وانكشاف جلاله وعظمته، ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الأخلاق المذمومة، وتحليته بالملكات المحمودة، ولا يصل إلى ذلك ما لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المعاصي وعمارتها بالطاعات، ولا يصل إلى ذلك ما لم يفرغ عن إزالة الخبث والحدث عن الظاهر، وعمارته بالنظافة والطهارة^(١).

■ البكاء لأجل الامام الحسين عليه السلام:

أقول: هذه مراتب الإيمان، كما إنّ البكاء على الحسين الشهيد عليه السلام مراتب:

● **أولها:** بكاء القلب، وهو عبارة عن الهمّ والغمّ على ما جرى عليهم من الأعداء، وهو أول المراتب، كما قال الصادق عليه السلام: «نَفْسُ الْمَهْمُومِ لَقَلَمُنَا تَسْبِيحٌ»^(٢).

● **الثاني منها:** وجع القلب، وهو يحصل من تراكم الغموم والهموم، وقال الصادق عليه السلام: «إِنْ الْمَوْجِعُ قَلْبَهُ لَنَا لِيَفْرَحَ يَوْمَ يَرَانَا عِنْدَ مَوْتِهِ فَرِحَةً لَا تَزَالُ تِلْكَ الْفَرِحَةُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يَرِدَ عَلَيْنَا الْحَوْضُ»^(٣).

● **الثالث منها:** دوران الدمعة في الحديقة بلا خروج، وهذه المرتبة فوق مرتبة وجع القلب، كما قال الصادق عليه السلام لمسمع: «وَمَا بَكَى أَحَدٌ رَحْمَةً لَنَا إِلَّا رَحِمَهُ اللَّهُ قَبْلَ

(١) جامع السعادات (ج ٣، ص ٢٤٧ - ٢٤٩).

(٢) أمالي المفيد (ص ٣٣٨)، بشارة المصطفى (ص ١٦٨) والدر النظيم (ص ٦٤٢) والكافي (ج ٢،

ص ٢٢٦) وأمالي الطوسي (ص ١١٥).

(٣) كامل الزيارات (ص ٢٠٤).

أن تخرج الدمعة من عينيه»^(١).

● **الرابع منها:** منها خروج الدمعة من العين ولو بقدر جناح بعوضة، وهذا هو الذي قال فيه الصادق عليه السلام: «من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينيه مثل جناح البعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر»^(٢).

● **القسم الخامس منها:** وهو أعلى من تلك المراتب وأفضلها، وهنيئاً لمن عمل بها، وهو تقاطر الدمعة وسيلانها على الخد واللحية مع الصراخ والنحيب والشهقة، وكفى له من الأجر والثواب دعاء الصادق عليه السلام له، بقوله: «رحم الله تلك الصرخة التي كانت لأجلنا»^(٣)، وهذه المرتبة بكاء الزهراء عليه السلام في كل يوم تنظر إلى قميص ولدها الحسين عليه السلام وتشهق شهقة حتى يسكنها أبوها^(٤).

وقد ورد إن الرباب بعد رجوعها من الشام مكثت في كربلاء سنة كاملة وقد ضربت لها خيمة على قبر الحسين عليه السلام تبكي، وكلما فطرت قطرة من دموعها على الأرض كتبت حسين، وبعد السنة قوضت رحلها وسمعت هاتفاً يقول: هل وجدوا ما طلبوا؟ فاجابه هاتف آخر: آيسوا^(٥) وانقلبوا، ولما وصلت المدينة أمرت بقشع سقف

(١) كامل الزيارات (ص ٢٠٤).

(٢) مثير الأحزان (ص ٥) وتفسير القمي (ص ٢٩٢) وكامل الزيارات (ص ١٠٣) وينابيع المودة (ج ٣، ص ١٠٢) واللهموف (ص ٨٦).

(٣) الكافي (ج ٤، ص ٥٨٣) وكامل الزيارات (ص ٢٢٩) وثواب الأعمال (ص ٩٥) والمزار للمشهدي (ص ٣٣٥).

(٤) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٣٠٠).

(٥) بل ينسوا.

دارها، وكانت تجلس مع ابنتها سكينه^(١)، وفي خبر إته ورد أعرابي وسأل عن الحسين عليه السلام، وكانت المكاملة له الرباب إلى آخر الخبر ثم أنشأت:

انّ كان نوراً يستضاء به^(٢).

المجلس الثالث عشر بعد المائة

في أسرار الصلاة

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

إعلم أنّ الصلاة معجون سماوي وتركيب إلهي، ركب من أجزاء كثيرة مختلفة، متفاوتة في الفضل والاهتمام بها، فبعضها بمنزلة الروح، وبعضها بمثابة الأعضاء الرئيسة، وبعضها بمنزلة سائر الأعضاء.

وتوضيح ذلك: إن الإنسان - مثلاً - لما كان حقيقة مركبة من أجزاء معينة، فهو لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلا بمعنى باطن هو الروح، وأعضاء محسوسة بعضها في جوفه وبعضها في ظاهره. وهذه الأعضاء متفاوتة المراتب، إذ بعضها مما ينعدم الإنسان بعده وتزول الحياة بزواله، كالقلب والدماغ والكبد والمعدة وأمثالها، وبعضها وإن لم ينعدم بعده أصل الحياة، إلا أنه ترتفع به تمامية الإنسان ويصير ناقصاً، كاليد والرجل والعين وأمثالها، وبعضها يفوت بفواته الحسن، كالحاجبين واللحية

(١) وقد وردت الحادثة في غير هذه الأشخاص كما في تعليق التعليق (ج ٢، ص ٤٨٢) وتاريخ مدينة دمشق (ج ٧٠، ص ٢٠).

(٢) وردت الحادثة في الجوهرة في نسب الامام علي وآله عليهم السلام (ص ٤٧) وتمت البيت: بكربلاء قتيلاً غير مدفون.

والأهداب وأمثالها، وبعضها يفوت بفواته كمال الحسن لا أصله، كاستقواس الحاجبين وتناسب الخلقة، وسواد شعر اللحية، وامتزاج البياض بالحمرة، وأمثال ذلك. وكذلك الصلاة حقيقة مركبة، وصورة صورها الشرع من أمور متفاوتة، وتعبداً باكتسابها.

فروحها: النية، والقربة، وحضور القلب، والاخلاص.

وأعمالها الأركانية: من تكبيرة الاحرام، والركوع، والسجود، والقيام، بمنزلة الأعضاء الرئيسية، فتفوت بفواتها الصلاة على الإطلاق، ولا يمكن تحقيقها وصحتها بدونها.

وسائر الأعمال الواجبة: من الفاتحة، والسور، وإذا كان الركوع، والسجدين، والطمأنينة فيها، وفي رفع الرأس عنها، والتشهد، والتسليم، وغير ذلك من الأعمال الواجبة التي تبطل الصلاة بتركها عمداً لا سهواً، بمنزلة اليدين والرجلين وآلات التناسل وغير ذلك، مما قد تفوت الحياة بزوالها وقد لا تفوت به.

والأعمال المسنونة والهيئات المندوبة، والآداب المستحبة: من القنوت، ودعاء الافتتاح، وغير تكبير الاحرام من التكبيرات والتعوذ عن زائد قدر الواجب في التشهد، والتسليم من الأذكار، وغير ذلك مما لا تبطل الصلاة بتركها عمداً أو سهواً، ولكن تخرج بها عن الحسن والكمال وزيادة الأجر والثواب، فهي بمنزلة الحاجبين واستقواسهما واللحية والأهداب وتناسب الخلقة، وغير ذلك مما يفوت بعضها الحسن والجمال وبفوات بعض كمالها، ويصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموماً غير مرغوب فيه. وإذا عرفت ذلك: فاعلم - يا حبيبي - أن صلاتك قربة وتحفة تنترب بها إلى حضرة ملك الملوك، كوصيفة يهديها طالب القرب والجاه من السلاطين إليهم. وهذه

التحفة تعرض على الله ثم ترد إليك في يوم العرض الأكبر، فإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقييحها، فمن أداها على النحو المأمور به، بأعمالها الواجبة والمندوبة، وشرائطها الظاهرة والباطنة، مع الإخلاص، وحضور القلب، كان كمن أهدى عبداً صحيحاً سوياً شاباً جميلاً عاقلاً كاملاً إلى ملك من الملوك. ومن اقتصر على أعمالها الظاهرة، وغفل من الحضور والتوجه والقرينة والإخلاص، كان كمن أهدى عبداً ميتاً بلا روح إلى ملك من الملوك. ومن ترك عمداً شيئاً من واجباته، كان كمن أهدى عبداً مقتولاً إليه. ومن اقتصر على أقل ما يجزي كان كمن أهدى إليه عبداً حياً أعمى، أو أصم، أو أبكم، أو مقطوع الأطراف، أو هرمأ، أو قبيح المنظر، أو مجروح الأعضاء، أو أمثال ذلك.

فتنبه أيها الغافل، وتأمل في أنك إذا أهديت تحفة إلى ملك من ملوك الدنيا، بل إلى من دونه بمراتب كثيرة، من الأمراء والحكام، كيف تجتهد وتسعى في تجويدها وتحسينها ليقبلها، فما بالك أيها المغرور تغفل وتتساهل من تحسين هديتك وتحفتك إلى ملك الملوك الذي منه بدؤك وإليه عودك، وقد ورد أن كل صلاة لا يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الأول على صاحبها يوم العرض الأكبر تقول: (ضيعك الله كما ضيعتني) (١) (٢).

(١) المحاسن (ج ١، ص ٨١).

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٢٥٧ - ٢٥٩).

■ [الاعتبار من كربلاء]:

نعم تسقط الطمأنينة والمستحبات وبعض آداب الصلاة غير الأركان في صلاة الخوف والمطاردة في ميدان الحرب كما صلى أصحاب أمير المؤمنين عليه ليلة الهير على خيولهم بالإيماء، وكما صلى الحسين عليه يوم عاشوراء بأصحابه (١)، فقال لزهير بن القين وسعيد بن عبدالله: تقدّما أمامي حتّى أصلي الظهر. فتقدّما أمامه في نحو من نصف من أصحابه حتّى صلى بهم صلاة الخوف، وسعيد تقدّم أمام الحسين عليه فاستهدف لهم يرمونه بالنبل، كلّما أخذ الحسين عليه يميناً وشمالاً قام بين يديه فما زال يرمى إليه حتّى سقط على الأرض، وهو يقول: اللهم العنهم لعنّ عاد وثمود، اللهم أبلغ نبئك عني السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فأني أردت بذلك نصرة ذريّة نبئك. (٢) ثمّ مات فوجد فيه ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرّماح، وقيل صلى الحسين عليه وأصحابه فرادى بالإيماء، فهكذا بات أنصار الحسين عليه، ولذا يقول السيد فيهم:

عنه والنبل وقفة الأشباح

بيض والنبل بالوجوه الوضاء (٤)

وقفوا يدرؤون سمر العوالي

فوقوه بيض الظبّا بالوجوه (٣) الـ

(١) هكذا في الأصل والأصح: الأصحاب.

(٢) الملهوف (ص ١٦٥) وفي طبعة أخرى (ص ٦٦).

(٣) أو: بالنحور.

(٤) وهو شعر للسيد رضا الهندي رحمه الله راجع الديوان (ص ٥٣).

المجلس الرابع عشر بعد المائة

في حقيقة الصلاة

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

لابحث لنا عما يتعلّق بظاهرها من الأجراء والشرائط والأحكام، إذ بيان ذلك على عهدة الفقه، فلنشر إلى المعاني الباطنة التي بها تتمّ حياتها، وإلى الأسرار والآداب الخفية الباطنة المتعلقة باجزائها وشرائطها الظاهرة لتكون ملحوظة للعبد فعلها^(١).

ف نقول: المعاني الباطنة التي هي روح الصلاة وحقيقتها، سبعة:

● **(الأول):** الإخلاص والقربة، وخلوها عن شوائب الرياء.

● **(الثاني):** حضور القلب، وهو أن يفرّغ القلب عن ما لا يتعلّق بالصلاة وألفاظها حتّى يكون العلم مقروناً بما يفعله ويقول، من غير جريان الفكر في غيرهما، فمهما انصرف الفكر من غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه من غير غفلة عنه فقد حصل حضور القلب، ثم حضور القلب قد يُعبّر عنه الاقبال على الصلاة والتوجّه، وقد يعبّر عنه بالخشوع بالقلب، فإنّ الخشوع في الصلاة خشوعان: خشوع بالقلب، وهو أن ينفّر لجمع الهمة لها، والإعراض عمّا سواها، بحيث لا يكون في قلبه غير المعبود. وخشوع بالجوارح وهو أن يغيّض بصره، ولا يلتفت، ولا يعبث، ولا يتأبّ، ولا يتمطّى، ولا يفرق أصابعه، وبالجملة: لا يتحرّك لغير الصّلاة، ولا يفعل شيئاً من المكروهات، وربّما عبّر عن ذلك بالخضوع؛ وقد ورد أنّ بعض المعصومين عليهم السّلام مرّ برجل

(١) هكذا في المطبوع ولعله عند.

بصليّ وهو يعث بلحيته فقال: «لو خضع قلبه لخشعت جوارحه»^(١).

● **(الثالث):** التفهّم لمعنى الكلام، وهو أمر وراء حضور القلب، فربّما يكون القلب حاضراً مع اللفظ، ولا يكون حاضراً مع معناه، فالمراد بالتفهّم هو اشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ، وهذا مقام يتفاوت فيه الناس، إذ ليس يشترك الناس في تفهّم معاني القرآن والتسبيحات، فكم من معانٍ لطيفة يفهمها بعض المصلّين في أثناء الصلاة ولم تكن خطرت بقلبه قبل ذلك ولا يفهمها غيره، ومن هناك كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، فإنّها تفهم أموراً تمنع تلك الأمور عن الفحشاء والمنكر لا محالة.

● **(الرابع):** التعظيم وهو أمر وراء حضور القلب والتفهّم، إذ الرّجل ربّما يخاطب غيره وهو حاضر القلب فيه ومتفهّم لمعناه، ولا يكون معظماً له.

● **(الخامس):** الهيبة، وهي زائدة على التّعظيم لأنها عبارة عن خوف منشأ التعظيم، لأنّ من لا يخاف لا يسمّى هائباً، ثم كلّ خوف لا يسمّى مهابة، بل الهيبة خوف مصدره الاجلال.

● **(السادس):** الرّجاء، ولاريب أنّه زائدة عمّا ذكر، فكم من رجله يعظّم سلطاناً أو ملكاً من الملوك، ويهابه ويخاف سطوته، لا يرجو برّه وإحسانه، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله، كما أنّه خائف بتقصيره عقابه.

● **(السابع):** الحياء، ومستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب، وهو زائد على التعظيم والخوف والرجاء، لتصورها من غير حياء، حيث لا يكون توهم وتقصير

وارتكاب ذنب.

■ [حضور القلب]:

وإعلم أن كون الأمور المذكورة روح الصلاة وحقيقتها، والمقصود الأصلي منها، أمر ظاهر، إذ الغرض الأصلي من العبادة والطاعات هي تصفية النفس وتصقيها، فكل عمل يكون أشد تأثيراً في تصفية النفس وتصقيها يكون أفضل، ولاريب في أن المقتضي لصفاء النفس وتجزدها وتصقيها عن الكدورات من الصلاة ليس إلا الأمور المذكورة، وليس لنفس الحركات الظاهرة كثير مدخلية فيها، وكيف لا يكون حضور القلب والخشوع روح الصلاة ولا يتوقف كمال الصلاة عليه، مع أن المصلي في صلاته ودعائه مناج ربه^(١).

لاريب إذا عرف العبد أنه مناج لربه، وهو ملع على سرائره يعرض عما سواه ويقبل بكلية عليه، بل لا يشعر بما يصيبه كما ورد أن أمير المؤمنين عليه السلام خفي صوته في ميدان الحرب على الحسين عليه السلام وعلى أصحابه فكسر الحسين عليه السلام غمد سيفه والحسين الحسن عليه السلام كذلك حتى كسر في ذلك اليوم اثنا عشر ألف غمد سيف، واقتحموا الميدان، وإذا بأمير المؤمنين عليه السلام قائم يصلي بين الصفيين فلما انفتل من صلاته خاطبه الحسين عليه السلام في ذلك، فقال: إنما نقاتلهم على هذه الصلاة.

(١) جامع السعادات (ج ٣، ص ٢٥٩ - ٢٦٠).

■ [وَأَمَّا سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)]:

ولكن حرّ قلبي لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) لما خفي صوته عن الحرم والأطفال يوم عاشوراء من الذي مضي يتفقد خبره؟ يقول الكعبي:

وَوَلَّى مَهْرَهُ يَنْعَاهُ حَزْناً	بِمَقْلَةٍ ثَاكِلٍ وَحْشَى كَثِيبٍ
فَكَمْ مِنْ ثَاكِلٍ تَهْوَى عَلَيْهِ	لَصَبْغِ الْوَجْهِ بِالْقَانِي الصَّبِيبِ
وَنَادِبَةٍ تَعْتَفُ فِيهِ شَمْرًا	وَشَمْرٍ مُمْكِنٍ حَدَّ الْقَضِيبِ
وَنَادَتْ زَيْنَبٌ مِنْهَا بِصَوْتٍ	يَصْدَعُ جَانِبَ الصَّخْرِ الصَّلِيبِ ^(١)

الجلس الخامس عشر بعد المائة

في حضور القلب

[قال العلامة النراقي (رحمته الله)]:

كيف لا يكون حضور القلب والخشوع روح الصلاة ولا يتوقف كمال الصلاة عليه، مع أن المصلي في صلاته ودعائه مناجٍ ربه؟ ولا شك أن الكلام مع الغفلة ليس بمناجاة، وأيضاً الكلام إعراب عما في الضمير، ولا يأتي الإعراب عما في الضمير إلا بحضور القلب، فأجِبْ سؤالٍ في قوله: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢)، إذا كان القلب غافلاً، ولا شك أيضاً أن المقصود من القراءة والأذكار الثناء والحمد والتضرع والدعاء،

(١) نقله في أعيان الشيعة (ج ١٠، ص ٢٤٧) عن السيد هاشم الاحسائي (رحمته الله).

(٢) الآية السادسة من سورة الفاتحة.

والمخاطب هو الله تعالى، فإذا كان قلب العبد محجوباً عنه بحجاب الغفلة، ولا يراه ولا يشاهده، بل كان غافلاً عن المخاطب، ويحرك لسانه بحكم العادة.

في مناجات شعبان لأُمير المؤمنين عليه السلام: «فلا تجعلني ممن صرفت عنه وجهك وحجبه سهوه عن عفوك إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرج أبصار القلوب حجب النور».

فما أبعد هذا المقصود بالصلاة التي شرعت لتصفيل القلب، وتجديد ذكر الله، ورسوخ عقد الإيمان بها. هذا حكم القراءة والذكر.

وأما الركوع والسجود، فالمقصود منهما التعظيم قطعاً، والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة، وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه المشقة ما يقصد الامتحان به، كما في أفعال الحج وإعطاء المال في الزكاة، وإمساك النفس عن الشهوات في الصوم. فكيف يجعل مجرد هذه الحركة مع خفتها وسهولتها عماد الدين، والفاصل بين الكفر والإسلام، وتقدم على سائر العبادات، ويجب القتل بسبب تركها على الخصوص، ولكون الحضور والخشوع والخشية عمدة ما يقصد به من الصلاة تظاهرت الآيات والأخبار على الترغيب عليها وفضيلتها ومدح أهلها وعلى ذم الغفلة والتفكر في أمور الدنيا والوساوس الباطلة عند الاشتغال بالصلاة، وقد تظاهرت الأخبار أيضاً بأن الأنبياء والأوصياء وأكابر الأولياء كانوا عند اشتغالهم في الصلاة في غاية الإقبال والخشوع والخوف.

قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١). وقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

(١) الآية الثانية من سورة المؤمنون.

لِذِكْرِي والغفلة تضاد الذكر، فمن كان غافلاً في صلاته لا يكون مقيماً للصلاة لذكره. وقال: **«وَلَا تُكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ»** ^(١). وقال: **«قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ»** ^(٢)، ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصليين، لا لأنهم سهوا عنها وتركوها. وقال: **«لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ»** ^(٣).

قيل المراد: سكارى من كثرة الهم، قيل: من حب الدنيا، ولو حُمل على ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا، إذ بين فيه العلة، وقال: حتى تعلموا ما تقولون ^(٤). وكمن من مصّل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته، وقال رسول الله ﷺ «من صلى ركعتين، لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا، غفر له ما تقدم من ذنبه» ^(٥). وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه» ^(٦).

وقال ﷺ: «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف واشعرت المناسك لإقامة ذكر الله، فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو غاية المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك» ^(٧).

وقال الباقر عليه السلام: «إن العبد يُرفع له من صلاته نصفها وثلثها وربعها وخمسها، فما يرفع له إلا ما أقبل عليه بقلبه، وأنما أمروا بالنوافل ليستم لهم ما نقصوا من

(١) الآية ٢٠٤ من سورة الأعراف.

(٢) الآيتان ٤ - ٥ من سورة الماعون.

(٣) الآية ٤٢ من سورة النساء.

(٤) جامع السعادات (ج ٣، ص ٢٦٢).

(٥) السنن الكبرى (ج ١، ص ٤٨).

(٦) أو لا يقبل الله صلاته (مستدرك الوسائل: ج ٤، ص ١٠٩).

(٧) عوالي اللئالي (ج ١، ص ٣٢٣).

الفريضة»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا صليت صلاة فريضة، فصل لوقتها صلاة مودع يخاف ألا يعود فيها»^(٢) (٣).

المجلس السادس عشر بعد المائة

في تحصيل المعاني الباطنة

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

إعلم أن العلاج في تحصيل المعاني الباطنة المذكورة للصلاة، أعني الحضور، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء، هو تحصيل أسباب هذه المعاني، وقد عرفت أسبابها. وطريق العلاج في تحصيل هذه الأسباب إنما يتم بأمرين:

● **الأول:** معرفة الله، ومعرفة جلاله وعظمته واستناد الكل إليه، ومعرفة كونه عالماً بذرات العالم ويسرائر العباد. ويلزم أن تكون هذه المعرفة يقينية، ليترتب عليها الأثر؛ إذ ما لم يحصل اليقين بأمرٍ، لا يحصل التشمّر في طلبه والهرب عنه. وهذه المعرفة هي المعبر عنها بالإيمان، ولا ريب في كونها موجبة لحصول المعاني المذكورة وأسبابها. إذ المؤمن يكون البتة حاضر القلب مع ربه عند مناجاته، ومتفهماً لما يسأله عنه، معظماً له، وخائفاً منه، وراجياً منه، ومستحيماً من تقصيره.

● **الثاني:** فراغ القلب، وخلوه من مشاغل الدنيا. فإن انفكاك المؤمن العارف،

(١) علل الشرائع (ص ٣٢٨).

(٢) ثواب الأعمال (ص ٥٧).

(٣) جامع السعادات (ج ٣، ص ٢٦٠ - ٢٦٣).

المتيقن بالله وبجلاله وعظمته، وباطلاعه عليه من المعاني المذكورة في صلاته، لا سبب له إلا تفرق الفكر، وتقسّم الخاطر، وغيبية القلب عن المناجاة، والغفلة عن الصلاة، ولا تلهي عن الصلاة إلا الخواطر الردية الشاغلة. فالدواء في إحضار القلب هو دفع كل تلك الخواطر، ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه.

وسبب توارد الخواطر، إما أن يكون أمراً خارجاً، أو أمراً في ذاته باطناً. والأول: ما يظهر للبصر، أو يقرع على السمع. فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه، ويتصرف فيه ثم ينجر منه الفكر إلى غيره، ويتسلسل فيكون الإبصار أو الاستماع سبباً للافتكار، ثم يصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض. ومن قويت رتبته وعلت همته، لم يلهه ما يجري على حواسه. ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق فيه فكره. **فعلاجه:** قطع هذه الأسباب، بأن يغض بصره، أو يصلي في بيت مظلم، ولا يترك بين يديه ما يشغل حسه، ويقرب من حائط عند صلاته، حتى لا تتسع مسافة بصره، ويتحرز من الصلاة على الشوارع، وفي المواضع المنقوشة المصبوغة، والعمارات العالية المرتفعة؛ ولذلك كان المتعبدون يصلون في بيت مظلم صغير، سعته بقدر السجود، ليكون أجمع للهم. والأقوياء كانوا يحضرون المساجد، ويغضون البصر، ولا يجاوزونه موضع السجود، كما ورد الأمر به، ويرون كمال الصلاة في ألا يعرفوا مَنْ على يمينهم وشمالهم.

وأما الثاني: أعني الأسباب الباطنة، فهي أشد؛ فإن من تفرقت همومه وتشعبت خواطره في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب. وغض البصر لا يغنيه، فإن ما وقع في القلب من قبل كافٍ للشغل؛ **فهذا علاجه:** أن يرد نفسه قهراً إلى فهم ما يقرؤه، ويشغلها به عن غيره، ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم، بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة، وخطر المقام بين يدي الله تعالى، وهول

المطلع، ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهيمه من أمر الدنيا، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره، فهذا طريق تسكين الأفكار فإن لم تسكن أفكاره بهذا الدواء المسكن، فلا ينجيه إلا المسهل الذي يجمع مادة الداء من أعماق العروق، وهو أن ينظر في الأمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب. ولا ريب في أنها تعود إلى مهماته، وهي إنما صارت مهمة لأجل شهواته، فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق. فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه، وجند إبليس عدوه، فإمساكه أضر عليه من إخراجهِ، فيخلص عنه بإخراجه. وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة، ولا يغني غيره. فإن ما ذكر من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر، إنما ينفع في الشهوات الضعيفة وألهم الذي لا يشغل إلا حواشي القلب. وأما الشهوة القوية المرهقة، فلا ينفع معها التسكين، بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك، ثم تغلبك وتقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة.

ومثاله: مثال رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره، فكانت أصوات العصافير تشوش عليه، فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود إلى فكره، فتعود العصافير فيعود إلى السفير بالخشبة، فقليل له: إن هذا سير الواني ولا يتقطع، فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة. فكذلك شجرة الشهوة، إذا استعملت وتفرعت أغصانها، إنجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار، وانجذاب الذباب إلى الأقدار، والشغل يطول في دفعها. فإن الذباب كلما ذب آب، ولأجله سمي ذباباً، وكذلك الخواطر، وهذه الشهوات كثيرة قلما يخلو العبد منها، ويجمعها أصل واحد، وهو حب الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة، وأساس كل نقصان، ومنيع كل فساد. ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا يتزود منها ويستعين بها على الآخرة، فلا يطمعن في أن

تصفوله لذة المناجاة في الصلاة. فإن من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته، وهمة الرجل مع قرّة عينه، فإن كانت قرّة عينه في الدنيا انصرف همه لا محالة إليها. ولكن مع هذا لا ينبغي أن تترك المجاهدة، ورد القلب إلى الصلاة، وتقليل الأسباب الشاغلة، فهذا هو الدواء، ولمراته استبشعته الطباع، وبقيت العلة مزمنة، وصار الداء عضالاً. حتى أن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثون أنفسهم فيهما بأمور الدنيا، فعجزوا عنه. فإذا لا مطمع لأمثالنا فيه^(١).

الجلس السابع عشر بعد المائة

أيضاً في اسرار الصلاة

[قال العلامة النراقي رحمته الله]:

■ [أسرار الأذان]:

إعلم أنّ في تحصيل كل واحد من شروط الصلاة وأفعالها وأركانها أسرار وتنبيهات، فينبغي للمؤمن المريد للآخرة ألا يغفل عنها، فهي هي نذكرها:

أما الأذان: فإذا سمعت نداء المؤذن، فأخطر في قلبك هول النداء يوم القيامة، وتشمر بباطنك وظاهره للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فأعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار، مشحوناً بالرغبة إلى الابتداء، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى

(١) جامع السعادات (ج ٣، ص ٢٦٨ - ٢٧٠).

والفوز يوم القضاء، ولذلك قال سيد الأنبياء: «أرحنا يا بلال!»^(١)، أي أرحنا بها وبالنداء إليها، إذ كانت قرة عينه فيها.

واعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله، واعتبر بذلك أن الله جل جلاله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير، واستحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذباً في تكبيرك، وانفِ عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل. وأحضر النبي ﷺ، وتأدب بين يديه، وأشهد له بالرسالة مخلصاً، وصل عليه وآله، وحرك نفسك، واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى الصلاة، وما يوجب الفلاح، وما هو خير الأعمال وأفضلها. وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه، واختمه بذلك كما افتتحت به، واجعل مبدءك منه، وعودك إليه، وقوامك به، واعتمادك على حوله وقوته. فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

■ [فضل الوقت]:

وإذا دخل الوقت، استحضر أنه ميقات جعله الله لك، لتقوم فيه بخدمته، وتتأمل للمثول في حضرته، والفوز بطاعته، وليظهر على قلبك السرور، وعلى وجهك البهجة عند دخوله، لكونه سبباً لقربك ووسيلة إلى فوزك. فاستعد له بالطهارة والنظافة، ولبس الثياب الصالحة للمناجاة، كما تتأهب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا، وتلقاه بالسكينة والوقار والخوف والرجاء، واستحضر عظمة الله وجلاله، وعدم تناهي قدرته وكماله ونقصان قدرك ومرتبك، وعدم قابليتك للقيام بخدمته، وقصورك عن أداء

(١) تيسير الوصول (ج ٢، ص ٢٩٧).

وظائف طاعته.

■ [آداب الصلاة]:

وإذا طهرت بدنك وثيابك، وأتيت بالوضوء أو الغسل للصلاة، فاعلم أن هذه طهارة ظاهرية قشرية، فلا تغفل عن لبك وذاتك، فطهره بالتوبة والندم على ما فرط، وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهر بها باطنك، فإنه موضع نظرك، ثم إذا سترت مقابح بدنك عن أبصار الخلق باللباس، فأخطر بالك فضائح شرك التي لا يطلع عليها إلا ربك، وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله ساتر، وإنما يكفرها الخوف والندم والحياء، فتستفيد بإظهارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والندم والحياء من مكانها، فتذل به نفسك، ويستكين تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الآبق، الذي ندم فرجع إلى مولاه، ناكساً رأسه من الخوف والحياء. قال الصادق عليه السلام: «أزین اللباس للمؤمن لباس التقوى، وأنعمه الإيمان»، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ^(١).

وأما اللباس الظاهر، فنعمة من الله تعالى تستر بها عورات بني آدم، وهي كرامة أكرم الله بها ذرية آدم ما لم يكرم بها غيره، وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم. وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عز وجل، بل يقربك من ذكره وشكره وطاعته، ولا يحملك على العجب والرياء والتزين والتفاخر والخيلاء، فإنها من آفات الدين، ومورثة للفسوة في القلب. فإذا لبست ثوبك، فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته،

(١) الآية ٢٥ من سورة الأعراف.

والبس باطنك بالصدق كما ألبست ظاهرك بثوبك، وليكن باطنك من الصدق في ستر الهيبة، وظاهرك في ستر الطاعة. واعتبر بفضل الله، حيث خلق أسباب اللباس ليستر بها العورات الظاهرة، وفتح أبواب التوبة والإنابة والإغاثة ليستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء. ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك ما أعظم منه. واشتغل بعيب نفسك واصفح عما لا يعنيك حاله وأمره. واحذر أن يفنى عمرك بعمل غيرك، ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله في العاجل، وأوفر أسباب العقوبة في الآجل. وما دام العبد منشغلاً بطاعة الله تعالى، ومعرفة عيوب نفسه، وترك ما يشين في دين الله عز وجل، فهو بمعزل عن الآفات، خائض في بحر رحمة الله عز وجل، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان. وما دام ناسياً لذنوبه، جاهلاً بعيوبه، راجعاً إلى حوله وقوته، لا يفلح إذا أبدأ» (١) (٢).

(١) مصباح الشريعة (ص ١٣٧).

(٢) جامع السعادات (ج ٣، ص ٢٧١ - ٢٧٣).

الفصل الثالث

الملحقات في الأخلاق

من السيرة والتاريخ ومفاهيم الاسلام

في فضل الصيام نقلاً من تاسع البحار^(١)

قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) [و] في الأحزاب ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾^(٣).

عن السكوني، عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه «ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب» قالوا: بلى. قال ﷺ: «الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره والحب في الله والموازرة على العمل الصالح يقطعان دابره والاستغفار يقطع وتينه، ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام»^(٤).

قال الصادق عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوماً تطوعاً

(١) وفي الطبعة الحديثة الثالث والتسعون (ص ٢٤٦).

(٢) الآية ١٥٣ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.

(٤) أمالي الصدوق (ص ٣٧).

ابتغاء ثواب الله تعالى وجبت له المغفرة»^(١) (عن النوفلي عن السكوني عن الصادق عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صائم يحضر قوماً يطعمون إلا سبحت أعضاؤه وكانت صلاة الملائكة عليه، وكانت صلاتهم له استغفاراً»^(٢)). (عن ابن علوان)، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح»^(٣)، (في خبر أبي زر) سئل النبي ﷺ: ما الصوم؟ قال ﷺ: «فرض مجزي، وعند الله أضعاف»^(٤)، (عن ابن عباس عن النبي ﷺ) قال: «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم هو له غير الصيام هو لي وأنا أجزي به، والصيام جنة العبد المؤمن يوم القيامة كما بقي أحدكم سلاحه في الدنيا، ولخوف فم الصائم أطيب عند الله عز وجل من ريح المسك، والصائم يفرح بفرحتين حين يفطر ويشرب، وحين يلتقاني فأدخله الجنة»^(٥).

(عن أنس ابن وابن) قال: قال رسول الله ﷺ: «الصوم جنة، يعني حجاب من النار» وإنما قال ذلك، لأن الصوم نسك باطن ليس فيه نزعة شيطان ولا مراءاة إنسان^(٦). أيضاً عن أنس بن مالك) قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوماً تطوعاً فلو أعطي ملائكة الأرض ذهباً وما وفى أجره دون يوم الحساب»^(٧) يعني: أن ثواب الصوم ليس يُقدَّر

(١) أمالي الصدوق (ص ٣٢٩).

(٢) أمالي الزيدوني (ص ٣٠٥).

(٣) قرب الاسناد (ص ٦٢).

(٤) الخصال (ج ٢، ص ١٠٤).

(٥) الخصال (ج ١، ص ٢٤).

(٦) معاني الأخبار (ص ٤٠٨).

(٧) معاني الأخبار (ص ٤٠٩).

كما قُدرت الحسنة بعشر أمثالها، قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى عزَّ وجلَّ: كَلَّ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ بِعَشْرَةِ أَضْعَافِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضَعْفٍ إِلَّا الصَّابِرُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، فَتَوَابُ الصَّابِرِ مَخْزُونٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّابِرُ هُوَ الصَّوْمُ»^(١). (عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام) قال رسول الله ﷺ: «الصَّوْمُ جَنَّةٌ، أَي سِتْرٌ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا وَحِجَابٌ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا صُمْتَ فَأَنْوِي بِصَوْمِكَ كَفَّ النَّفْسَ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَقَطَعَ الْهَمَةَ عَنْ خَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَأَنْزَلَ نَفْسَكَ مِنْزِلَةَ الْمَرْضَى لَا تَشْتَهِي طَعَاماً وَلَا شَرَاباً، مَتَوَقِعاً فِي كُلِّ لَحْظَةٍ شَفَاكَ مِنْ مَرَضِ الذُّنُوبِ، وَطَهَرَ بَاطِنَكَ مِنْ كُلِّ كَدَرٍ، وَغَفَلَةً وَظُلْمَةً تَقْطَعُكَ عَنْ مَعْنَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى»^(٢). (قال رسول الله ﷺ): «قال الله عزَّ وجلَّ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، فَالصَّوْمُ يَمِيتُ مَرَادَ النَّفْسِ، وَشَهْوَةَ الطَّبْعِ الْحَيَوَانِيِّ، وَفِيهِ صِفَاءُ الْقَلْبِ، وَطَهَارَةُ الْجَوَارِحِ، وَعِمَارَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَالشُّكْرُ عَلَى النِّعَمِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْفُقَرَاءِ، وَزِيَادَةُ التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ وَالْبُكَاءِ وَحَبْلُ الْإِتِّجَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَسَبَبُ انْكِسَارِ الْهَمَةِ، وَتَخْفِيفِ السَّيِّئَاتِ، وَتَضْعِيفِ الْحَسَنَاتِ، وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَا يَحْصِي»^(٣). (عن أنس بن مالك) قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يُدْعَى الرَّيَّانَ، لَا يَدْخُلُ فِيهِ إِلَّا الصَّائِمُونَ، وَأَمَّا سَمِيُّ هَذَا الْبَابِ الرَّيَّانَ لِأَنَّ الصَّائِمَ يَجْهَدُهُ الْعَطَشُ أَكْثَرَ مِمَّا يَجْهَدُهُ الْجُوعُ، فَإِذَا دَخَلَ الصَّائِمُ مِنْ هَذَا الْبَابِ تَلَقَّاهُ الَّذِي لَا يَعْطِشُهُ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٤).

(١) معاني الأخبار (ص ٤٠٩).

(٢) مصباح الشريعة (ص ١٥).

(٣) مصباح الشريعة (ص ١٦).

(٤) معاني الأخبار (ص ٤٠٩).

(قال النبي ﷺ): «صوموا تصحوا»^(١)، في دعوات الراوندي، قال أبو الحسن عليه السلام: «دعوة الصائم تستجاب عند أفطاره»^(٢)، وقال عليه السلام: «إِنَّ لِكُلِّ صَائِمٍ دَعْوَةَ مُتَسَجِّبَةٍ عِنْدَ إِفْطَارِهِ لِأَثَرِهِ»^(٣) (وقال الصادق عليه السلام) لعلي بن عبد العزيز: «أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ وَفَرْعِهِ وَذُرْوَتِهِ وَسَنَامِهِ» قلت: بلى. قال: «أَصْلُهُ الصَّلَاةُ وَفَرْعُهُ الزَّكَاةُ وَذُرْوَتُهُ وَسَنَامُهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ»^(٥).

(في كتاب الغايات) قال الصادق عليه السلام: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ الصَّوْمُ فِي الْحَبْرِ» عن النهدي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعَةٌ لَا تَرُدُّ لَهُمْ دَعْوَةً، وَيَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَصِيرُ إِلَى الْعَرْشِ: دَعَاءُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ وَالْمَظْلُومِ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ، وَالْمُعْتَمِرِ حَتَّى يَرْجِعَ، وَالصَّائِمِ حَتَّى يَفْطُرَ»^(٦).

(عن المفضل) عن الصادق عليه السلام: «بَنِي الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ دَعَائِمٍ: عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْإِنَّمَةِ مِنَ وَلَدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٧).

(عن أبي عبد الله عليه السلام) قال: «مَنْ كَانَ عَلَى أَمْرٍ لَيْسَ بِحَقٍّ لَمْ يَتَبْ مِنْهُ وَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ

(١) الدعوات (ص ٧٦).

(٢) الدعوات (ص ٢٦).

(٣) وسائل الشيعة (ج ١٠، ص ١٤٩).

(٤) وسائل الشيعة (ج ١٠، ص ١٤٩).

(٥) المحاسن (ج ١، ص ٢٨٩).

(٦) الكافي (ج ٢، ص ٥١٠).

(٧) فضائل الأشهر الثلاثة (ص ٨٦).

في شعبان وشهر رمضان لم يزل عليه إلى قابل»^(١).

(في كتاب الإمامة والتبصرة) عن سعد بن صدقة، عن الصادق عن أبيه عليه السلام. عن آبائه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة»^(٢) وقال عليه السلام: «الصوم في الحرّ جهاد»^(٣)، (عن جعفر بن محمد عليه السلام) قال: «ثلاثة من روح الله تعالى تهجد من الليل بالصلاة، ولقاء الاخوان، والصوم»^(٤).

(عن جعفر بن محمد عليه السلام) أنه قال: أوصى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد فقال: «يا أسامة، عليك بطريق الجنة، وإياك أن تختلج عنها» فقال أسامة: يا رسول الله ﷺ: وما أيسر ما يقطع به ذلك الطريق؟ قال ﷺ: «الظلم في الهواجر، وكسر النفس عن لذة الدنيا، يا أسامة: عليك بالصوم فإنه جنة من النار، وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع فافعل، يا أسامة؛ عليك بالصوم، فإنه قريبة إلى الله»^(٥).

(وعن جعفر بن محمد عليه السلام) إنه قال: وقف أبو ذرّ (رضي الله عنه) عند باب الكعبة فقال: أيها الناس أنا جندب بن جنادة المكي الغفاري؟ إني لكم ناصح شفيق، فهلّموا، فاكتنفه الناس فقال: إن أحدكم لو أراد سفره لآخذ من الزاد ما يصلح ولا بد منه، فطريق يوم القيامة أحق ما تزودتم له. فقام له رجل، فقال: فأرشدنا يا أبا ذر. فقال: حجّ حجة لعظائم الأمور، وصم يوماً لزجرة النشور، وصلّ ركعتين في سواد الليل لوحشة

(١) فضائل الأشهر الثلاثة (ص ٩٦).

(٢) الخصال (ص ٣١٤).

(٣) مستدرک الوسائل (ج ٧، ص ٥٠٥).

(٤) دعائم الاسلام (ج ١، ص ٢٦٩).

(٥) بحار الأنوار (ج ٩٣، ص ٢٥٨).

القبور، وكلمة حقّ تقولها أو كلمة سوء تسكت عنها صدقة منك على مسكين، فلعلك تنجو من يوم عسير، اجعل الدنيا كلمةً في طلب الحلال، وكلمةً في طلب الآخرة، وانظر كلمةً لاتضرّ ولاتنفع فدعها واجعل المال درهمين درهماً قدّمته لآخرتك ودرهماً أنفقته على عيالك كلّ يوم صدقة»^(١) وعن رسول الله ﷺ، إنه قال: «نوم الصائم عبادة، ونفسه تسبيح»^(٢).

في صبر الأمّهات

أصيبت أعرابية - بانبها وهي حاجة -، فلمّا دفنته قامت على قبره، وقالت: والله يا بني لقد غدّوتك رضيعاً، وفقدتك سريعاً، وكأنّه لم يكن بين الحالين مدّة التّدّ بعيشك فيها، فأصبحت بعد لنظارة والغضارة ورونق الحياة، والتنسم في طيب روائحها تحت أطباق الثرى، جسداً هامداً، ورُفاتاً سحيقاً وصعيداً جُرزا، أي بني، لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفناء، وأسكنتك دار البلى، ورمّني بعدك نكبة الرّدى. أي بني؛ لقد أسفر لي عن وجه الدنيا صباح داج ظلامه، ثم قالت: أي رب، ومنك العدل، وخلقت الجور، وهبته لي قوّة عين فلم تمتعني به كثيراً بل، سلبته وشيكاً، ثم أمرتني بالصبر، ووعدتني عليه الأجر، فصدّقت وعدك، ورضيت قضاءك، فرحم الله من تراحم على من استودعته الرّدم، ووَسّدت الثرى، اللهم ارحم غربته، وأنس وحشته، واستر عورته، يوم تُكشّف الهنات والسوءات.

(١) دعائم الاسلام (ج ١، ص ٢٧٠).

(٢) المحاسن (ج ١، ص ٧٢).

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها قالت: أي بني إني قد تزودت لسفري، فليت شعري ما زادك لبعد طريقك ويوم معارك، اللهم إني أسألك له الرضا برضائي عنه. ثم قالت: أستودعك من أستودعك في أحشائي جنيماً، وأكل الوالدات ما أمض حرارة قلوبهن، وأقلق مضاجعهن، وأطول ليلهن، وأقل أنسهن، وأشد وحشتهن، وأبعدهن من السرور، وأقربهن من الأحزان.

❏ [في التحذير من المال:]

عن النبي ﷺ: «إحذروا المال فإنه كان فيما مضى رجل قد جمع مالاً وولداً، وأقبل على نفسه وجمع لهم فاعى، فأتاه ملك الموت فقرع بابه، وهو في ذي مسكين، فخرج إليه الحجاب، فقال لهم: ادعوا لي سيديكم، قالوا: أو يخرج سيدينا إلى مثلك، ودفعوه حتى نحوه عن الباب، ثم عاد إليهم في مثل تلك الهيئة، وقال: ادعوا لي سيديكم، وأخبروه أنني ملك الموت، فلما سمع سيدهم هذا الكلام قعد خائفاً فرقاً، وقال لأصحابه: ليتواله في المقال، وقولوا له: لعلك تطلب غير سيدينا بارك الله فيك. قال لهم: لا، ودخل عليه، وقال له: فأوص ما كنت موصياً، فإني قابض روحك قبل أن أخرج، فصاح أهله وبكوا، فقال: افتحوا الصناديق، واكتبوا ما فيها من الذهب والفضة. ثم أقبل على المال يسبه، ويقول له: لعنك الله يا مال، أنت أنسييني ذكر ربّي، وأغفلتني عن أمر آخرتي، حتى بغتني من أمر الله ما قد بغتني، فأنطق الله المال فقال له: لم تسبني وأنت ألام مني ألم تكن في أعين الناس حقيراً فرفعوك لما رأوا عليك من أثري؟ ألم تحضر أبواب الملوك والسادة ويحضرها الصالحون وتدخل قبلهم وهم يؤخرون؟ ألم تخطب بنات الملوك ويخطبهن الصالحون فتتكح ويردون؟ فلو كنت تنفقي في سبيل

الخيرات لم أمتنع عليك، ولو كنت تنفقني في سبيل الله لم أنقص عليك، فلم تسبني وأنت ألام مني؛ وإنما خلقت أنا وأنت من تراب فأنتلق تراباً وانطلق أنت باثمي، هكذا يقول المال لصباحه»^(١).

روى الصدوق القمي رحمه الله، عن جابر، قال: كان أبو جعفر الباقر عليه السلام، يقول: «إن شهر رمضان لفضلاً على [جميع] سائر الشهور، كفضل رسول الله ﷺ على سائر الأنبياء»^(٢).

وإنما سمي شهر رمضان بذلك لأنه أرمضت فيه الأرض من الحر، وقيل: لأنه يمرض الذنوب، أي يحرقها^(٣).

قال رسول الله ﷺ: «ما خلق الله شيئاً إلا وجعل له سيده، فالتسر سيد الطيور، والأسد سيد الوحوش، والثور سيد البهائم، والجمعة سيد الأيام، وإسرافيل سيد الملائكة، وشهر رمضان سيد الشهور»^(٤).

وقال عليه السلام: «إن لله سبحانه من جميع ما خلق خياراً وخيرته من الشهور شهر رجب وشعبان وشهر رمضان: فشعبان أفضل الشهور، إلا مما كان من شهر رمضان فإنه أفضل منه، وإن الله عز وجل نزل في شهر رمضان ألف من الرحمة، ألف ضعف ما ينزل في سائر الشهور»^(٥).

(١) مستدرک الوسائل (ج ١٥، ص ٢٧٣).

(٢) أو سائر الرسل (ثواب الأعمال: ص ٤٠).

(٣) روضة الواعظين (ص ٣٣٨).

(٤) شرح الأخبار (ج ١، ص ٢٢٢).

(٥) بحار الأنوار (ج ٩٣، ص ٣٧٣).

وفيه أنزل القرآن، قال الله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(١)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) وقال عز وجل: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٣)، ولكن مع أنه كلف العباد كلهم بالصيام قد يتسامح عنه، كما قال عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الى آخر^(٤).

وإنما فرض الصيام على العباد كلهم ليساوي بين الملك ومن دونه؛ لأن لا يطفئ الملك على من دونه من رعيته؛ وليعلم الملك أن لا فرق بينه وبين سائر رعيته عند الله؛ وليحس الغني ألم الجوع والعطش فيمن على الفقير؛ وليستحس على الضعيف. والثواب الذي أعدّه الله للصائمين دون غيرهم لا يوصف، (عن أبي هريرة) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استهل شهر رمضان غلقت أبواب النار، وفتحت أبواب الجنة، وصُفدت^(٥) الشياطين»^(٦).

■ [يتين موعظة]:

ومعجب بثياب العيد يلبسها فاصبحت في غدِ أثواب أكفان

(١) الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٨٣ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

(٤) الآية ١٨٥ من سورة البقرة، وتتمتها: ﴿أو على سفر قعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم

العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾.

(٥) اوثقت بالأغلال الحديد.

(٦) صحيح البخاري (ج ٢، ص ٦٧٢).

حتى متى يُعمر الإنسان مسكنه يصير مسكنه قبراً لإنسان

□ وقال المرحوم الشيخ جواد محي الدين:

عجبت لأحمق في الدهر يلهو ووفر الشيب أعلن بالرحيل

يمهد مرقداً لقصير نوم ويترك مرقد النوم الطويل

أقول: إذا كان الله عز وجل قد أعدّ هذا الفضل العظيم، وهذا الثواب الجزيل، وأعدّ من الدرجات الرفيعة، والمراتب العالية في الجنان، ما لم يعطها أحداً إلا لمن صام هذا الشهر الشريف، حيث أوجبه على العباد، فكيف يترك صوم هذا الشهر الشريف ويترك هذه اللذات؟! كيف يغفل كل عاقل عنها؟! وقد بلغه أنّ الامام زين العابدين السجاد عليه السلام قد قضى عمره متطوّعاً لله عز وجل، صائماً نهاره، قائماً ليله، ولكن إذا حضر الافطار جاءه غلامه بطعام وشراب يضعه بين يديه، ويقول: كل يا مولاي، فيبكي ويقول: كيف آكل وكيف أشرب، وقد قتل ابن رسول الله جائعاً عطشاً حتى يبيل طعامه ويمزج شرابه بدموع عينيه ^(١).

(عن العلاء بن يزيد القرشي) قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام شهر رمضان فحفظ فرجه ولسانه، وكفّ أذاه عن الناس، غفر الله ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخّر، وأعتقه من النار، وأحلّه دار القرار وقبل: شفاعته في عدد رمل عالج من مذنب أهل التوحيد» ^(٢).

(عن علي بن الحسين بن فضال)، عن أبيه، عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال:

(١) وفيات الأئمة عليهم السلام (ص ١٥٠).

(٢) وسائل الشيعة (ج ١٠، ص ٢٤٣).

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ شهر رمضان شهر عظيم يضاعف الله فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات ويرفع فيه الدرجات، من تصدق في هذا الشهر بصدقة غفر الله له، ومن أحسن فيه إلى ما ملك يمينه غفر الله له، ومن حسن فيه خلقه غفر الله له، ومن كظم فيه غيظه غفر الله له، ومن وصل فيه رحمه غفر الله له»، ثم قال: «إنَّ شهركم هذا ليس كالشهور، إنَّه إذا أقبل إليكم أقبل بالبركة والرحمة، وإذا أدبر عنكم أدبر بغفران الذنوب، هذا شهر أعمال الخير فيه مضاعفة، وأعمال الخير فيه مقبولة، من صلى منكم في هذا الشهر لله عز وجل ركعتين يتطوع بهما غفر الله له»، ثم قال: «إنَّ الشقي حق الشقي من خرج من هذا الشهر ولم تغفر له ذنوبه، فحينئذٍ يخسر حين يفوز المحسنون بجوائز الرب الكريم»^(١).

يامن دامت خسارته، قد أقبلت أيام التجارة الرابحة.

■ [شعر]:

يا ذا الذي ماكفاه الذنب في رجب

حتى عصى ربّه في شهر شعبان

لقد أظنك شهر الصوم بعدهما

فلا تصيره أيضاً شهر عصيان

واتل الكتاب وسبح فيه مجتهداً

فإنّه شهر تسبيح وقرآن

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: (ج ٢، ص ٢٦٣).

واحلم على جسدٍ ترجو النجاة له

فسوف تضرهم أجساد بنيان

كم كنت تعرف مَن صام في سلف

من بين أهل وجيران واخوان

أفناهم الموت واستبقاك بعدهم

حيًا فما أقرب القاصي من الداني

عن أبي سلمة عن عبد الرحمن قال: قال رسول الله ﷺ: وذكر شهر رمضان وفُضِّلَ بما فضَّله الله عزَّ وجلَّ على سائر الشهور، قال: «شهر فرض الله صيامه، وسنَّ قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(١) عن أبان ابن أبي عباس، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أوَّل ليلة من شهر رمضان نادى الجليل تبارك وتعالى رضوان خازن الجنة، فيقول: يا رضوان. فيقول: لبيك ربِّي وسعديك. فيقول: جنتي وزينتها للصائمين من أمة محمد ﷺ، ولا تعلقها عنهم حتى ينقضي شهرهم» قال: ثم يقول: «يا مالك» فيقول: لبيك ربِّي وسعديك، فيقول: «أغلق الجحيم عن الصائمين من أمة محمد ﷺ ولا تفتحها عليهم حتى ينقضي شهرهم»، ثم يقول لجبرئيل: يا جبرئيل. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: «يا جبرئيل، أنزل على الأرض فغلَّ مردة الشياطين حتى لا يفسدوا على عبادي صومهم»^(٢). والله تعالى ملك في السماء الدنيا يقال له درائيل، فرائضه^(٣) تحت

(١) مستدرک الوسائل (ج ٧، ص ٣٩٧).

(٢) النوادر للراوندي (ص ٢٥٧).

(٣) في مصدر: رأسه تحت العرش.

العرش، وله جناحان؛ جناح مكلّل بالياقوت والآخر بالدّر، متجاوز المشرق والمغرب، ينادي الشهر كلّهُ: يا باغي الخير هلمّ، يا باغي الشر أقصر، هل من سائل فيعطى سؤاله، وهل من داع فُستجاب دعوته، هل من تائب فيتأب عليه، وهل من مستغفر فيغفر له، ويقول عزّوجلّ: عبادي، اصبروا، وأبشروا فتوشكوا أن تنقلبوا إلى رحمتي وكرامتي. قال: والله عزّوجلّ عتقاء عند كلّ فطر، رجال ونساء^(١).

(في مصباح الأنوار خبر الأصمعي):^(٢)

قال: خرجت إلى حج بيت الله الحرام، وإلى زيارة النبي ﷺ، فبينما أنا أطوف حول الكعبة، وكانت ليلة معتمرة، وإذا بصوت أنين وحنين وبكاء، فتتبعت الصوت وإذا أنا بشاب حسن الوجه، ظريف الشمايل، عليه ذوائب^(٣)، وهو متعلّق بأستار الكعبة، وهو يقول: ياسيدي ومولاي، قد نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حيّ قيوم، إلهي غلّقت الملوك عليها أبوابها، وقام عليه حجّابها وحرّاسها، وبابك مفتوح للسائلين، فما أنا ببابك أنظر إلى رحمتك يا أرحم الراحمين، ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطرّ في الظلم	وكاشف الضرّ والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا	وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
ادعوك ربي حزناً هائماً قلقاً	فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان عفوك ^(٤) لا يرحوه ذو سفه	فمن يجود على العاصين بالنعمة ^(٥)

(١) مستدرک الوسائل (ج ٧، ص ٢٧٤).

(٢) ينقله اليماني الشيرازي في حديقة الأفراح لإزالة الأشرار (١٧٠).

(٣) أو: عليه أثر الخير وله ذؤابتان.

(٤) أو: إن كان جودك.

قال: ثم رفع رأسه إلى السماء، وهو ينادي: إلهي وسيدي، أطعك بمشيئتك فلك الحجة عليّ بإظهار حجّتك، إلّا ما رحمتني وعفوت عني، ولاتخيني ياسيدي. ثم قال: إلهي وسيدي، الحسنات نسرك، والسيئات ماتصرك، فاغفر لي وتجاوز عني فيما لا يضرّك، ثم أنشأ يقول:

ألا أيها المأمول في كلّ حاجة شكوت إليك الضر فارحم شكاي
ألا يارجائي أنت كاشف كربتي فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
فزادي قليل لا أراه مبلّغي على الزاد أبكي أم على بعد سفرتي
أتيت بأعمال قباح رديت فما في الوري عبد جناك جناتي
أحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين مودتي

وكان يكرّر هذه الأبيات حتى سقط مغشياً عليه ^(٦)، فدنوت منه لأعرفه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

قال الأصمعي: فأخذت رأسه، ووضعت في حجره، وبكيت وقطرت قطرة من دموعي على خدّه، ففتح عينه، وقال: «من هذا الذي أشغلني عن ذكر ربي»، قلت: يامولاي عبدك وعبد أجدادك الأصمعي، فما هذا الجزع والصراخ والبكاء والأنين، وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة؟! وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ^(٧) قال: فاستوى قاعداً، وقال: «هيهات يا أصمعي إنّ الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن

(٥) أو: بالكرم.

(٦) شرح إحقاق الحق (ج ١٢، ص ٤٠).

(٧) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

عصاه ولو كان سيداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١). قال الأصمعي فتركته على حاله ينجي ربه^(٢).

نَبَذَ فِي الْمَوْعِظَةِ

قال رسول الله ﷺ: «حُبِّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»^(٣)، و«مَا تَعَبَّدَ إِلَهِي بِشَيْءٍ مِثْلَ الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا»^(٤)، و«وَاحَى إِلَى مُوسَى «أَنْ يَامُوسَى لَا تَرْكَنْ إِلَى صَاحِبِ الدُّنْيَا فَلَنْ تَأْتِيَنِي بِكَبِيرَةٍ هِيَ أَشَدُّ مِنْهَا»^(٥) وَمَرَّ مُوسَى بِرَجُلٍ وَهُوَ يَبْكِي، ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَبْدُكَ يَبْكِي مِنْ مَخَافَتِكَ، فَقَالَ: يَا بَنَ عِمْرَانَ، لَوْ نَزَلَ دِمَاغُهُ مَعَ عَيْنَيْهِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يَسْقُطَا، لَمْ أَغْفِرْ لَهُ، وَهُوَ يَحِبُّ الدُّنْيَا»^(٦) (وقال ابن عَبَّاسٍ): يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالدُّنْيَا فِي صُورَةِ عَجُوزٍ زُرْقَاءَ شَمْطَاءَ، بَادِيَةِ أَنْيَابِهَا، مَشْوَاهَةٍ خَلَقْتَهَا، تَشْرَفُ عَلَى الْخَلَائِقِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: تَعْرِفُونَ هَذِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي تَنَاجَزْتُمْ عَلَيْهَا، وَبِهَا تَقَاطَعْتُمْ الْأَرْحَامَ، وَبِهَا تَحَاسَدْتُمْ، وَتَبَاغَضْتُمْ، وَاغْتَرَرْتُمْ، ثُمَّ تَقْدَفُ فِي جَهَنَّمَ، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ أَتَبَاعِي وَأَشْيَاعِي،

(١) الآية ١٠١ من سورة المؤمنين.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب (ج ٤، ص ١٥٠).

(٣) الكافي (ج ٢، ص ١٣١).

(٤) التحصين (ص ٢٧).

(٥) في مصدر: إلى حب الدنيا.

(٦) الجواهر السنية (ص ٧٦).

(٧) التحصين (ص ٢٧).

فيقول الله عزَّ وجلَّ: إلحقوا بها أتباعها وأشياعها^(١).

قال بعضهم: بلغني أنَّ رجلاً عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق، عليها من كلِّ زينة الحلِيِّ والثياب، لا يمرُّ بها أحد إلا جرحته، فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآها النَّاسُ، وإذا أقبلت كانت أقبح شيء رآها النَّاسُ، عجوز شمطاء. قال: قلت: أعود بالله منك. قالت: لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم. قال: قلت: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا.

(وروي) أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا، فرآها في صورة عجوز شمطاء عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجت؟ قالت لا أحصيهم. قال: فكَلِّهم مات عنك أو طَلَّقوك؟! قالت: بل كَلِّهم قتلت. قال عيسى عليه السلام: يا بُوساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف أهلكتهم واحداً بعد واحد ولا يكونون منك على حذر.

يا طالب الدنيا يغرك وجهها فلتندم إذا رأيت قفاها^(٢)

وقال عيسى عليه السلام: ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها، وتغرَّه ويثق بها وتخذله؟ ويل للمغتربين كيف أتتهم ما يكرهون، وفارقتهم يحبون وجاء بهم ما يوعدون، ويل لمن الدنيا همُّه، والخطاب عمله، كيف يفتضح هذا عند الله^(٣).
(قيل) أوحى الله إلى موسى، يا موسى؛ مالك ودار الظالمين، إنها ليست لك بدار، فأخرج منها همك، وفارقها بعقلك، فليست هي إلا للعامل فيها فنعمت الدار يا موسى،

(١) المصدر المتقدم.

(٢) المصدر المتقدم.

(٣) التحصين (ص ٢٩).

إني مرصد للظالم حتى آخذ للمظلوم^(١).

(وعن النبي ﷺ) قال: إن الدنيا لا ينظر إليها تقول يوم القيامة: ياربّ إجعلني لأدنا أوليائك نصيباً اليوم، فيقول: اسكني يا لاشيء، إني لم أرضك لهم في الدنيا كيف أرضاك لهم اليوم^(٢).

(قضية أبو العاص بن الربيع)

روى ابن أبي الحديد في شرح النهج^(٣)، عن محمد ابن اسحاق، في كتابه، كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ختن رسول الله ﷺ زوج ابنته زينب، وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانةً وتجارَةً، وكان ابناً لها له بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، وكان الربيع بن عبد العزى بعلاً لها له فكانت خديجة خالة أبي العاص، فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه زينب، وكان رسول الله ﷺ لا يخالف خديجة، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فزوجه إياها، فكان أبو العاص من خديجة بمنزلة ولدها، فلما أكرم الله رسوله بالنبوة آمنت به خديجة وبناته كلهن وصدقته وشهدن أن ما جاء به حقّ ودنّ بدينه، وثبت أبو العاص على شركه، وكان رسول الله ﷺ قد زوج عتبة بن أبي لهب إحدى ابنتيه رقية أو أمّ كلثوم، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فلما أنزل عليه الوحي ونادى قومه بأمر الله باعدوه، فقال بعضهم لبعض: فرغتم محمداً من همّه، أخذتم عنه بناته وأخرجتموهن

(١) المصدر المتقدم.

(٢) المصدر المتقدم.

(٣) شرح نهج البلاغة (ج ١٤، ص ١٨٨).

من عياله، فردّوا عليه بناته، فأشغلوه بهنّ، فمشوا إلى أبي العاص، فقالوا: فارق صاحبك بنت محمد، ونحن نزوّجك أي امرأة شئت من قريش، فقال: لاها الله إذن لا أفارق صاحبتني، وما أحبّ أن لي بها امرأة من قريش، فكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يثني عليه خيراً.

ثم مشوا إلى عتبة ابن أبي لهب، فقالوا له: طلق بنت محمد ونحن ننكحك أي امرأة شئت من قريش. فقال: إن أنتم زوجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتها. فزوّجوه ابنة سعيد ابن العاص ففارقتها، ولم يكن دخل بها فأخرجها الله من يده كرامة لها وهوناً، ثم أخذها عثمان بن عفان بعده، وكان رسول الله ﷺ مغلوباً على أمره بمكة، لا يحلّ ولا يحرم، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب وأبي العاص، إلا أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر وهو بمكة أن يفرّق بينهما، وأقامت معه على إسلامها وهو على شركه، حتّى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وبقيت زينب بمكة مع أبي العاص، فلمّا سارت قريش إلى بدر سار أبو العاص معهم، فأصيب، فأمر يوم بدر، وأتى به إلى النبي ﷺ، فكان عنده من الأسارى، فلمّا بعث أهل مكة في فداء أسارهم، بعثت زينب في فداء أبي العاص بعلها بمال، وكان فيما بعثت به قلادة كانت خديجة أمهم أدخلتها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه، فلما رآها رسول الله ﷺ رقى لها رقّة شديدة، وقال: «أيّها المسلمون: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردّوا عليها ما بعثت به من الفداء فافعلوا»، فقالوا: نعم يا رسول الله ﷺ، فنديك بأنفسنا وأموالنا، فردّوا عليها ما بعثت به وأطلقوا لها أبي العاص

بغير فداء^(١).

■ [وقفه وتأمل:]

قلت: قرأت على [النقيب] أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري العلوي هذا الخبر، فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد، أما كان يقتضي التكريم والاحسان أن يطيب قلب فاطمة بفدك، ويستوهبه لها من المسلمين، أتقصر منزلتها عند رسول الله ﷺ عن منزلة أختها زينب، وهي سيدة نساء العالمين، هذا إذا لم يثبت لها حق، لا بالنحلة ولا بالإرث، فقلت له: فدك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقاً من حقوق المسلمين فلم يجز له أن يأخذه منهم، فقال: وفداء أبي العاص بن الربيع قد صار حقاً من حقوق المسلمين، وقد أخذه رسول الله ﷺ منهم، فقلت: رسول الله ﷺ صاحب الشريعة، والحكم حكمه، وليس أبو بكر كذلك، فقال: ما قلت هلاً أخذه أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه إلى فاطمة، وإنما قلت هلاً استنزل المسلمين عنه واستوهبه منهم لها كما استوهب رسول الله ﷺ فداء أبي العاص أتراه، لو قال: هذه بنت نبيكم قد حضرت تطلب هذه النخيلات، أفنطيطون عنها نفساً أكانوا منعوها ذلك، فقلت له: قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو هذا قال: إنهما لم يأتيا بحسن في شرع التكريم.

قال محمد بن اسحاق وكان رسول الله: لما أطلق سبيل أبا العاص أخذ عليه فيما نرى عهداً أو شرطه عليه في إطلاقه أو إنَّ أبا العاص وعده ابتداءً بأن يحمل إليه زينب

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٢٩٦).

ولم يظهر ذلك من أبي العاص، ولا من رسول الله ﷺ، إلا أنه لما خلا سبيله وخرج إلى مكة بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال لهما: كوننا بمكان كذا وكذا حتى تمرّ بكما زينب فنصحبانها حتى تأتياني بها، فخرجنا نحو مكة وذلك بعد بدر بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فأخذت تتجهّز^(١).

حتى فرغت من جهازها حملها أخو بعلها وهو كنانة بن الربيع قدّم لها بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، وخرج بها نهاراً يقود بعيرها وهي في هودج لها، وتحدّث بذلك الرجال من قريش والنساء وتلاومت في ذلك، [و]أشفقت أن تخرج ابنة محمد ﷺ من بينهم على تلك الحالة، فخرجوا في طلبها سراعاً حتى أدركوها بذى طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن عبدالمطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، ونافع بن عبدالميسر الفهري، فروّعها هبار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً فلما رجعت طرحت ما في بطنها، وقد كانت من خوفها رأت دماً وهي في الهودج، فلذلك أباح رسول الله ﷺ يوم فتح مكة دم هبار^(٢).

(قلت: وهذا الخبر أيضاً قرأته على النقيب أبي جعفر، فقال: إذا كان رسول الله ﷺ أباح دم هبار بن الأسود لأنه روّع زينب فألقت ما في بطنها، فظهر الحال أنه لو كان حياً لأباح دم من روّع فاطمة حتّى ألقت ما في بطنها. فقلت: أروي عنك ما يقوله قوم إنّ فاطمة روّعت فألقت المحسن، فقال: لا تروي عني ولا تروي عني بطلانه، فإني متوقّف في هذا الموضع لتعارض الأخبار عندي فيه.

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٢٩٧).

(٢) البداية والنهاية (ج ٣، ص ٤٠٠) وشرح نهج البلاغة (ج ١٤، ص ١٩٢).

قال الواقدي فبرك حموها كنانة بن الربيع، ومثله كنانة بين يديه، ثم أخذ منها سهماً فوضعه في كبد قوسه، وقال: أحلف بالله لا يدنو اليوم منها رجل إلّا وضعت فيه سهماً، فتنكب الناس عنه.

وجاء أبو سفيان صخر بن حرب في جلة من قريش، فقال له: أيتها الرجل، أكف عتاك بلك حتى نكلمك، فكف فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه، فقال: إنك لم تحسن ولم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية جهاراً، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد أبيها، فيظن الناس إذا أنت خرجت بابنته إليه جهاراً أنّ ذلك من ذل أصابنا، وإنّ ذلك منا وهن، ولعمري مالنا في حبسها عن أبيها من حاجة، وما فيها من ثار، ولكن ارجع بالمرأة حتى اذا هدأت الأصوات، وتحذت الناس بردها سلها سلاً خفياً، وألحقها بأبيها فردّها كنانة بن الربيع إلى مكة، فأقامت بها ليالي حتى إذا هدأ الصوت عنها حملها على بغيرها، وخرج بها ليلاً حتى سلّمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدا بها على رسول الله ﷺ^(١).

(قال محمد بن اسحاق) بسند عن أبي هريرة، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيها إلى عير لقريش، فيها متاع لهم وناس منهم، فقال: إن ظفرتم بهيار بن الأسود ونافع بن عبد قيس، فحرقوهما بالنار، حتى إذا كان الغد بعث، فقال لنا: إني قد أمرتكم بتحريق الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلّا الله تعالى، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما ولا تحرقوهما^(٢).

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٢٩٩).

(٢) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٣٠٢).

قال البلاذري: إِنَّ هَبَّارَ كَانَ مَمَّنْ عَرَضَ لَزَيْنَبَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ حُمِلَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ سَرَايَاهُ أَنْ ظَفَرُوا بِهَبَّارٍ أَنْ يَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ، ثُمَّ قَالَ: لَا يَعْذِبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ ظَفَرُوا بِهِ أَنْ يَقْطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ هَرَبَ هَبَّارٌ، ثُمَّ قَدَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَيُقَالُ: أَتَاهُ حِينَ فَرَّغَ مِنْ أَمْرِ حَنْزَلٍ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. فَقَبِلَ إِسْلَامَهُ وَأَمَرَ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لَهُ أَحَدٌ، وَخَرَجَتْ سَلْمَى مَوْلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا قَدْ مَحَا الْإِسْلَامُ مَا قَبْلَهُ».

قال البلاذري: قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ غُلْظَتِهِ عَلَى هَبَّارَ بْنِ الْأَسَدِ يَطْأُ رَأْسَهُ اسْتِحْيَاءً وَهَبَّارٌ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ (١).
قال محمد بن اسحاق: فَأَقَامَ أَبُو الْعَاصِ بِمَكَّةَ عَلَى شِرْكِهِ، وَأَقَامَتْ زَيْنَبُ عِنْدَ أَبِيهَا بِالْمَدِينَةِ، فَدَفَّرَ بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامَ، حَتَّى كَانَ قَبِيلُ الْفَتْحِ، خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ بِمَالٍ لَهُ وَأَمْوَالٍ لِقُرَيْشٍ أَبْضَعُوهَا مَعَهُ، وَكَانَ رَجُلًا مَأْمُونًا، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ تِجَارَتِهِ أَقْبَلَ قَافِلًا لِقَبِيلِهِ سَرِيَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَصَابُوا مَا مَعَهُ وَأَعْجَزَهُمْ هُوَ هَارِبًا، فَخَرَجَتْ السَّرِيَّةُ بِمَا أَصَابَتْ مِنْ مَالِهِ، حَتَّى قَدِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَرَجَ أَبُو الْعَاصِ تَحْتَ اللَّيْلِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَجَارَ بِهَا فَأَجَارَتْهُ، وَإِنَّمَا جَاءَ فِي طَلَبِ مَالِهِ الَّذِي أَصَابَتْهُ تِلْكَ السَّرِيَّةُ، فَلَمَّا كَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ صَرَخَتْ زَيْنَبُ مِنْ بَيْنِ النِّسَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ.

فلما سلم النبي ﷺ وانصرف من الصلاة أقبل عليهم، فقال: «أيها الناس هل سمعتم ما سمعت» قالوا: نعم. قال ﷺ: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعتم أنه يجير على الناس أذنانهم»، ثم انصرف ودخل على ابنته زينب، فقال: «أي بنيّة أكرمي مثواه وأحسني إليه قراه ولا يصلنّ إليك فإنك لا تحلين له»، ثم بعث إلى تلك السرية الذين كانوا أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: إنّ هذا الرجل ممّا بحيث علمتم وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنّا نحبّ ذلك، وإن أبيتم فهو في الله الذي أفاءه عليكم وأنتم أحقّ به، فقالوا: يا رسول الله بل ردّه عليه، فردّ عليه ماله ومتاعه، حتّى أنّ الرجل كان يأتي بالحبل ويأتي الآخر بالشئنة^(١) ويأتي الآخر بالإداوة^(٢) والآخر بالشّظاظ^(٣)، حتّى ردوا ماله ومتاعه بأسره عند آخره ولم يفقد منه شيئاً، ثم احتمله إلى مكّة، فلما قدمها أدّى إلى كلّ ذي مال من قريش ماله ممّن كان أبضع معه بشيء حتّى إذا فرغ من ذلك، قال لهم: يامعشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً، لقد وجدناك وفيّاً كريماً. قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والله مامنعي من الإسلام إلاّ نخوف أن تظنوا إنّي أردت أن أكل أموالكم، وأذهب بها فإذا سلّمها الله لكم، وأديتها إليكم، فإنّي أشهدكم إنّي قد أسلمت وتبعت دين محمد ﷺ، ثم خرج سريعاً حتى قدم المدينة على رسول الله ﷺ مسلماً^(٤).

(١) السقاء البالي.

(٢) المطهرة التي يتوضأ لها.

(٣) عود يشد به فم العزارة.

(٤) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٣٠٣).

في أحوال زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليها السلام

لَمَّا وَلَدَتْ زَيْنَبَ عليها السلام جَاءَتْ بِهَا أُمُّهَا الزَّهْرَاءُ عليها السلام إِلَى أَبِيهَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَقَالَتْ لَهُ: «سَمِّ هَذِهِ الْمَوْلُودَةَ». فَقَالَ عليها السلام: «مَا كُنْتُ لِأَسْبِقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»، وَكَانَ فِي سَفَرِهِ، وَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَسَأَلَهُ عَلِيُّ عليه السلام عَنْ اسْمِهَا، فَقَالَ ﷺ: «مَا كُنْتُ لِأَسْبِقَ رَبِّي تَعَالَى»، فَهَبَطَ جِبْرِئِيلُ يَقْرَأُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ السَّلَامَ مِنَ اللَّهِ الْجَلِيلِ، وَقَالَ لَهُ: سَمِّ هَذِهِ الْمَوْلُودَةَ زَيْنَبَ، فَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ لَهَا هَذَا الْاسْمَ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهَا مِنَ الْمَصَائِبِ، فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «مَنْ بَكَى عَلَى مَصَابِ هَذِهِ الْبِنْتِ كَانَ كَمَنْ بَكَى عَلَى أَخَوَيْهَا الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام».

وَتَكُنَّى: بِأُمِّ كَلْثُومٍ، كَمَا تَكُنَّى بِأُمِّ الْحَسَنِ أَيْضاً^(١)، وَيُقَالُ لَهَا: زَيْنَبُ الْكُبْرَى لِلْفَرْقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَنْ سَمَّيَتْ بِاسْمِهَا مِنْ أَخَوَاتِهَا، وَكُنِّيَتْ بِكُنْيَتِهَا، كَمَا أَنَّهَا تُلَقَّبُ: بِالصَّدِيقَةِ الصَّغْرَى، لِلْفَرْقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أُمِّهَا الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءُ عليها السلام، وَتُلَقَّبُ: بِالْعَقِيلَةِ، وَعَقِيلَةُ بَنِي هَاشِمٍ، وَعَقِيلَةُ الطَّالِبِيِّينَ^(٢)، وَالْعَقِيلَةُ هِيَ الْمَرْأَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى قَوْمِهَا الْعَزِيزَةُ فِي بَيْتِهَا، وَتُلَقَّبُ بِالْعَالِمَةِ غَيْرِ الْمَعْلَمَةِ، وَعَابِدَةُ آلِ عَلِيٍّ، وَهِيَ أَوَّلُ بِنْتٍ وَلَدَتْ لِفَاطِمَةَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا) فِي أَشْهُرِ الْأَقْوَالِ.

وَكَانَتْ وَلادَتْهَا فِي الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ جُمَادِي الْأُولَى فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ أَوْ السَّادِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ عَلَى الْأَصَحِّ^(٣).

(١) وفيات الأئمة عليهم السلام (ص ٤٣١).

(٢) وفيات الأئمة عليهم السلام (ص ٤٣١).

(٣) المصدر المتقدم.

■ [مختصر في مقتل الحسين عليه السلام]:

ثم حمل على القوم، فجعل يقاتل، ويقول:

خيرة الله من الخلق أبي **بعد جدي وأنا ابن الخيرتين**
والدي شمس وأمي قمر **وأنا الكوكب وابن القمرين^(١)**

فلم يزل يقاتل حتى رماه أبو الحتوف بحجر وقع في جبهته المقدسة، فسالت الدماء على وجهه، فرفع الثوب ليمسح الدم عن وجهه، فرماه ملعون من القوم بسهم وقع في لبتة قلبه، فانحطّ عن ظهر جواده إلى الأرض قائلاً: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله^(٢)»، فبقي ثلاث ساعات من النهار، فابتدر إليه أربعون فارس كل يريد قطع برأسه^(٣)، فكلما رمقه الحسين عليه السلام بطرفه، رجع وابن سعد ينادي: عجلوا عليه من يأتيني برأس حسين. فقال الشمر: أنا فأقبل والحسين عليه السلام مغشياً عليه، فبرك على صدره، فقال له الحسين عليه السلام: «ويلك من أنت، لقد ارتقيت مرتقاً عظيماً»، فقال: هو الشمر. فقال: «ويلك» قال: أنت، فقال: أنت الحسين بن علي جدك النبي وأبوك علي، وأمك فاطمة. فقال عليه السلام: «إذا عرفت حسبي ونسبي فلم تقتلني؟!»، فقال: لطلب الجائزة من يزيد. فقال له الحسين عليه السلام: «أيا أحب إليك شفاعتي جدي أم الجائزة من يزيد؟»، فقال: دائق من جائزة يزيد خير لي منك ومن جدك، فقال عليه السلام: «إذا كان ولا بد من قتلي فاسقني شربة من الماء». فقال: هيهات، لا ذقت منه قطرة واحدة، ثم أكبه على

(١) الفتوح (ج ٥، ص ١٣٢).

(٢) بحار الأنوار (ج ٤٥، ص ٥٣).

(٣) ينابيع المودة (ج ٣، ص ٨٢).

وجهه^(١).

في أحوال ليلة عاشوراء

لمّا رأى الحسين عليه السلام وحدته، وقتل أنصاره، ورأى خيام الأنصار خالية، بقي متحيراً ينظر مرة إلى اخوته وأولاده وبني عمّه صرعى مقتولين مجذّلين، ومرة ينظر إلى غربته ووحدته، ومرة ينظر إلى النساء وغريبتهنّ ووحدتهنّ وما يرجعن إليه من الأسر والذل، فنادى بصوت عال حزين: «أما من ناصر ينصرنا، أما من مغيث يغيثنا، هل من موحد يخاف الله، أما من ذاب يذبّ عن حرم رسول الله ﷺ»^(٢)، فلما نادى هذا النداء تزلزلت أركان العرش وقوائمه، وبكت السموات، وضجّت الملائكة، واضطربت الأرض، فقالوا بأجمعهم: ياربّنا! هذا حبيبك، وقرّة عين حبيبك، فأذن لنا بالنصرة.

□ [استعداد الملائكة لنصرة الحسين عليه السلام]:

وهو في هذه الحالة، إذ صحيفة قد نزلت من السماء في يده الشريفة، فلمّا فتحها ونظر فيها، إذا هو العهد المأخوذ عليه بالشهادة قبل خلق الخلق في هذه الدنيا، فلمّا نظر إلى ظهر تلك الصحيفة، فإذا هو مكتوب فيه بخط واضح جلّي: يا حسين، نحن ما ختمنا عليك الموت، وما ألزمتنا عليك الشهادة، فلك الخيار، ولا ينقص حظّك عندنا،

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام (ص ٦٠).

(٢) شجرة طوبى (ج ٢، ص ٢١٥).

فإن شئت صرفت عنك هذه البليّة، فاعلم إنّنا قد جعلنا السموات والأرضين والملائكة، في حكمك فأمرهم بما تريد من إهلاك هؤلاء الكفّر الفجرة (لعنهم الله)، فإذا بالملائكة قد ملؤوا ما بين السماء والأرض بأيديهم حراب من النار ينتظرون حكم الحسين عليه السلام وأمره فيما يأمرهم به، فلمّا عرف عليه السلام مضمون الكتاب وما في تلك الصحيفة رفعها إلى السماء، ورمى بها إليها، وقال: «إلهي وسيدي، وددت أن أقتل وأحيى بسبعين مرة في طاعتك ومحبتك، سيّما إذا كان في قتلي نصره دينك، وإحياء أمرك وحفظ ناموس شرعك، ثم إنني قد سئمت الحياة بعد قتل الأحمّة وقتل هؤلاء الفتية من آل محمد ﷺ» (١). فلم يأذن للملائكة بشيء وباشر الحرب بنفسه.

وفي بعض المقاتل: لمّا أراد أن يتقدم إلى القتال نظر يميناً وشمالاً، ونادى: ألا هل من يقدم إليّ جوادي، فسمعت زينب عليها السلام، وأخذت بعنان الجواد، وأقبلت إليه وهي تقول: لمن تنادي، وقد قرحت فؤادي (٢). فنادته سكينه: يا أبة استسلمت للموت؟ فقال عليه السلام: «كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين؟» فقالت: يا أبت ردنا إلى حرم جدنا. فقال عليه السلام: «هيهات لو ترك القطا لنام»، فتصارخت النساء فسكتن (٣).

وقال عليه السلام: «إن البكاء أمامكن»، فدعى ببردة رسول الله ﷺ، والتحف بها، وأفرغ عليه درعه الفاضل، واستوى على متن جواده، وهو غائص في الحديد، فأقبل على أخته أمّ كلثوم، وقال لها: «أوصيك يا أختي بنفسك خيراً، فإني بارز إلى

(١) معالي السبطين (ج ٢، ص ١٨).

(٢) معالي السبطين (ج ٢، ص ٢٧).

(٣) بحار الأنوار (ج ٤٥، ص ٤٧).

هؤلاء»^(١) . فاقبلت سكينه باكية العين وكان يحبها حباً شديداً، فضمها إلى صدره ومسح دموعها بكمه، وقال:

سيطول بعدي يا سكينه فأعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقني قلبي يدمعك حسرة مادام مني الروح في جثمانني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان^(٢)

ثم قال لأخته: يا أختاه، آتيني بثوب عتيق لا يرغب [أحد] فيه [من القوم] أجعله تحت ثيابي، لئلا أجرد منه بعد قلتي^(٣)، فتقدم على فرسه نحو القوم حتى واجههم، وخطب فيهم خطبة طويلة إلى أن قال ﷺ: «أما بعد فانسبوني وانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قلتي وانتهاك حرمتي؛ أنست ابن بنت نبيكم وابن وصيته وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدقين برسول الله ﷺ وما جاء به من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الطيار في الجنة [بجناحين] عمي؟ أولم يبلغكم ما قال رسول الله ﷺ لي ولأخي الحسن ﷺ هذان سيدا شباب أهل الجنة»^(٤). إلى أن قال: «ويحكم أتطالبوني بقتيل منكم قتلته، أو بمال استهلكته، أو بقصاص من جراحة»^(٥) فأخذوا لا يكلمونه، فقال: «يا شبت بن ربعي، ويا فلان، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار واحضر

(١) المنتخب للطريحي (ص ٤٣٨).

(٢) مناقب آل أبي طالب (ج ٣، ص ٢٥٧).

(٣) المنتخب للطريحي (ص ٤٥١).

(٤) اعلام الورى بأعلام الهدى (ج ١، ص ٤٥٨).

(٥) الارشاد (ج ٢، ص ٩٧).

الجنان وإنما تقدم على جندك مجتة؟ فأجابوه: ماندرى ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمك. فقال الحسين عليه السلام: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم أقرار العبيد»^(١).

وأقبل الحسين على عمر بن سعد، وقال: «أخبرك في ثلاث خصال»، قال: وما هي؟ قال عليه السلام: «تتركني حتى أرجع إلى المدينة حرم جيتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». قال: مالي إلى ذلك من سبيل. قال عليه السلام: «اسقوني شربة من الماء قد نشفت كبدي من الظمأ» فقال: لا وإلى الثانية من سبيل. قال عليه السلام: «وإن كان ولا بد من قتلي فليبرز إلي رجل بعد رجل» فقال لك ذلك^(٢).

فأمر اللعين أن يبرز إليه رجل بعد رجل، وهو روعي له الفداء يقتل كل من دنى منه من عيون الرجال، حتى قتل منهم ألفاً وتسعمائة وخمسين رجلاً، سوى المجروحين، فلما نظر الشمر (لعنه الله) إلى ذلك، قال لعمر بن سعد: أيها الأمير والله لو برز إلى الحسين أهل الأرض لأفناهم عن آخرهم، فالرأي أن نفترق عليه ونملأ الأرض بالفرسان والنبال والرماح، ونحيط به من كل جانب ومكان^(٣).

وقال المجلسي: فصاح عمر بن سعد (لعنه الله): الويل لكم، أتدرون لمن تقاتلون، هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب فحملوا عليه، وكانت الرماة أربعة آلاف، فرموه بالسهم وهو كالأسد الضاري. قال: فحالوا بينه وبين رحله، فصاح بهم: «يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين،

(١) بحار الأنوار (ج ٥، ص ٧).

(٢) تظلم الزهراء عليه السلام (ص ٢٥٠).

(٣) المحاسن الفاخرة (ص ٣١١).

وكنتم لاتخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً» فناداه الشمر (لعنه الله): ما تقول يا بن فاطمة قال ﷺ: «أقول أنا الذي أقاتلكم وأنتم تقاتلونني، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وجهالكُم عن التعرّض لحرمي مادمت حياً» فقال الشمر: لك هذا، ثم نادى: إليكم عن حرم الرجل، فاقصدوه بنفسه، فلعمري لهو كفو كريم. قال: فقصدته القوم^(١).

قال حميد بن مسلم^(٢): ما رأيت مثكولاً قط قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أريط جأشاً منه، وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشدّ عليها بسبعة فتكشف أمامه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب.

قال شهاب الدين: ولم يزل يقاتل حتى قتل أربعة عشر ألف فارس، وقال الشيخ عبد علي آل عصفور: قتل ستة وثلاثين ألف فارس وهو مع ذلك يطلب شربةً ومن الماء، وحمل على المشرعة، وفرق القوم، واقحم الفرس على الفرات، فلما وقع الفرس برأسه ليشرب، قال الامام ﷺ: «أنت عطشان وأنا عطشان، لاذقت الماء حتى تشرب»، فلما سمع الفرس كلام الحسين ﷺ كأنه فهم الكلام فلم يشرب، فقال الحسين ﷺ: «أشرب وأنا أشرب» فمدّ الحسين ﷺ يده فغرف الماء، فقال له فارس: يا أبا عبدالله أتلئت بشرب الماء وقد هتكت حرملك، فنفض الماء من يده، وهو يعلم أنه كذب، ولكن الغيرة العلوية لاتدعه، وحمل على القوم فكشفهم، فإذا الخيم سالمة^(٣).

(١) بحار الأنوار (ج ٤٥، ص ٥٠).

(٢) وفي مشير الأحزان (ص ٥٤): قال عبدالله بن عمار بن عبد يغوث، وفي بحار الأنوار (ج ٤٥، ص ٥٠)

قال بعض الرواة.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ج ٣، ص ٢١٥).

ثم جمع الحرم والأطفال وأوصاهم: بالصبر، وأمرهم أن يلبسوا متانعهم، ثم قال: «أخت زينب، أم كلثوم الوداع؛ ياسكينة، يارقية، الوداع، ياغيلي، يامريضي، الوداع».

خرجت زينب تنادي: الوداع. فضمها مولاي ضم الوداع، وقال: «هذا آخر الاجتماع».

قضية بئر ذات العلم^(١)

معتدلة بين الاطناب وايجاز

برواية أبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، قالوا: لما رجع النبي ﷺ من غزاة السكاسك والسكون مؤيداً منصوراً متوجهاً مجبوراً، وقد فتح الله على يديه، وأقر بالنصر عينيه إذ دخل أرضاً مقفرة، وبراري مغبرة ذات طرق دارسة، وأشجار يابسة، وأنهار طامسة، ليس فيها حسيس ولا أنيس إلا زعيق الجان وعوي الفيلان، فاشتد على المسلمين الحرّ.

فعند ذلك قال النبي ﷺ: «معاشر الناس، من فيكم يعرف هذه الأرض؟» فقام إليه عمر بن أمية الضميري، وقال: أنا أعرف هذه الأرض، تسمى وادي الكتيب الأزرق، يضلّ فيها الدليل ولا يوجد فيها ظل ظليل، لا يدخلها ركب إلا برك، ولا جيش إلا احترق^(٢)، لا يدري أين طريقها، خلية من الأنس عامرة بالجنّ.

(١) وتعرف بـ (غزوة بئر ذات العلم) والبئر قريب من الجحفة.

(٢) أو: هلك.

قال: فلما سمع النبي ﷺ ذلك وسمع المسلمون أيقنوا بالهلاك. ثم لاذوا برسول الله ﷺ مستجيرين به، فقال النبي ﷺ: «من يعرف فيها بئراً أيها المسلمون، وأضمن له على الله الجنة»، فعندها قال عمر بن أمية الضيمري: ها هنا يارسول الله ﷺ، براء يقال لها براء ذات العلم فيه ماء أبرد من الثلج، إلا أنه لا يقدر عليه أحد، لأنه براء معمور من الجنّ والعفاريت المتمردين على سليمان بن داود عليه السلام، مانزل به ركب إلا أهلكوه، ولا جيش إلا أحرقوه، وقد نزل به تبع اليماني فأحرقوا من عسكره عشرة آلاف فارس، ونزل به برهام بن فارس فهلك من عسكره خلق كثير، وأنّ جماجم القتلى حوله يارسول الله ﷺ كبيض النعام. فقال رسول الله ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأفوض أمري إلى الله» ثم أنه نزل، وأمر المسلمين بالنزول، ونصبوا خيامهم بالأرض ماتزدداد إلا حراً وهم مع ذلك عطاشى.

فعند ذلك نادى رسول الله ﷺ، وقال: «معاشر الناس والمسلمين من يعضي إلى هذا البئر ويكشف لنا خبره وأنا أضمن له على الله تعالى بالجنة»، فقام أبو العاص بن الربيع، فقال: يارسول الله ﷺ فإني به عارف، وقد نزلت عليه ونحن في خلق كثير فلم نقدر عليه، وخرجت علينا عفاريتهم فما سلم منا إلا من سبق به جواده، ولكن ذلك اليوم كنّا نعبد الأصنام واليوم قد هدانا الله بك يا خير الأنام. فقال النبي ﷺ: «أنت لها يا أبا العاص، شكر الله لك مقالاً». ثم أمره بالمسير، وضمّ إليه عشرة من أصحابه^(١)، ثم ساروا وأخذوا معهم عشرين من المطايا عليها القرب والروايا، ودنوا من البئر وهم

(١) ذكر منهم في الأنوار العلوية (ص ٢٦٦): أبو دجانة الأنصاري، وقيس بن سعد بن عباد، وسعد بن معاذ، وعبادة بن بشير، وثابت بن نحيس، وعمر بن أمية الضيمري.

يكبرون الله ويهلّلونه ويصلون على النبي ﷺ.

فلما قربوا من البثر وإذا بعفريت قد خرج إليهم كالنخلة السحوق وعيناه بتقدّان كأنهما^(١) والنيران تخرج منهما، وصاح بنا صيحةً أعظم من الرعد العاصف فتزلزلت بها الأرض.

قال: فعرضنا على الهرب، فقال لنا أبو العاص^(٢): يا إخواني، من الموت تفرون وأنتم إلى الله صائرون، ارجعوا إلى رحالكم ودعوني أنا ولهذا العفريت، فإن ظفرت به فهو المراد وإن ظفربي فأنجوا بأنفسكم سالمين، وأبلغوا سلامي رسول الله ﷺ، ثم إن أبا العاص جرّد سيفه، ودنى من العفريت، فناداه العفريت أما علمت أنّ في هذا البثر الملوك العاتية والعفاريت المتمردة، أما علمت أنّ سليمان بن داود تمرّدنا عليه، وقتلنا قوم عاذ وبعد كلام جرى بينهما صرخ العفريت صرخة عظيمة رجفت منها القلوب، وارتعدت منها الفرائص، ثم أرخي عليه كلكله، فكان أبو العاص كالعصفور في مخلاب الصقر فأحرقه، فاذا هو كالفحمة. فأتينا النبي ﷺ وهو يبكي على أبي العاص، وقد نزل عليه جبرئيل عليه السلام، فأخبره بهلاكه، وأمره أن يبعث إليه علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان الإمام عليه السلام قد تأخّر عن العسكر في حاجة عرضت لرسول الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «يا أبا الحسن سر إليه فإن الله حافظك وناصرك ولكن خذ معك القوم الذين كانوا مع أبي العاص»، ثم دفع إليه الراية، وقام اليه مشياً، ثم رفع يده إلى السماء، وأقبل يدعو الله، ثم رجع النبي ﷺ.

(١) في المرجع: كأنهما جمرتان.

(٢) في المرجع: فقال لنا أبو العباس.

وسار الإمام عليه السلام وسرنا معه، حتى أشرفنا على البئر ونزلنا حوله ونحن نقرأ القرآن، فعند ذلك كبر الإمام عليه السلام بأعلى صوته، وقال: «قد جاء الحق وزهق الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقاً»، قال عمرو: فماجت الجن في البئر، وإذا نحن بالعفريت الذي قتل أبا العاص قد طلع لنا من البئر في أعظم صورة، ثم تقدم نحو الإمام عليه السلام وناداه: من أنت أيها النازل علينا والقادم إلينا ولم تستأذن أحداً، أما علمت أنه لا يطمع فينا طامع فجرى بينهما أشعار^(١).

فلما سمع العفريت ذلك الشعر من الإمام عليه السلام حمل على الإمام عليه السلام وأراد أن يفعل به مثل ما فعل بأبي العاص، فالتقاء الإمام عليه السلام وزعق عليه الزعقة المعروفة بالهاشمية، فقلنا: إنها صاعقة نزلت من السماء حتى جاوبته الأصوات من كل جانب، فأذهله، ثم بادره بذي الفقار فضربه ضربة هاشمية، فخرّ لها شطرين، ثم إن الإمام عليه السلام نادى: «هلمّوا لي بالقرب والزوايا»، وقد قام عرق الهاشمي بين عينيه، وقد ملأ غيظاً وحنقاً وخرج علينا جميع الأصناف بصور مختلفة، ونظر إلينا الإمام عليه السلام ونحن نرتعد فرقاً، وخرج من باب البئر شهاب عظيم عالٍ في الجوّ إلى عنان السماء، وعلل الصراخ، فعند ذلك ناداهم أمير المؤمنين عليه السلام: «يا معشر الجنّ والشیاطین، أتطاولون عليّ باختلاف صوركم، الله اذن لكم أم على الله تفترون، عزمت عليكم بالصفات صفاء،

(١) قال العفريت:

من جند إبليس لنا المعالي

نحن جنود الجن والسعالي

فقال له الامام علي عليه السلام شعراً:

ارجع خزاك الله عن قتال

يا أيها الكاذب في المقال

أنا ابن عم المصطفى الفضل

أنا علي كاشف الأحوال

(الأنوار العلوية: ص ٢٦٨).

والزاجرات زجراً»، الى آخر.

فما استتم الإمام عليه السلام دعائه حتى خمدت النيران، وغاب الدخان، فعندها تقدم الإمام عليه السلام ونحن خائفون ومعنا القرب، حتى وصلنا ووقفنا قرب البئر ثم استدعى بالدلو فأخذه فأدلاه، فلما صار في قرار البئر وإذا بالدلو قد قطع وأرمي خارج البئر الى ثلاث مرات، فقام عرق الغضب بين عينيه ونادى: «يا معاشر الجنّ والشیاطین، تخوفوني بالنزول إليکم، فاشتدوا قتالي واعتدوا لبرازي»، ثم ربط الرشاء في ظهره، فأدله في وسط البئر، فانقطع الرشاء، فرمى الإمام عليه السلام بنفسه في قعر البئر وذو الفقار بيده مسلول، وإذا بزعات الإمام عليه السلام كصواعق من السماء، فطابت أنفسنا، وإذا بقائل يقول: ألا وإن الأمان والذمام يابن أبي طالب. فقال عليه السلام: «والله مالکم عندي أمان ولا ذمام، حتى تقولوا قولاً مخلصاً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتعطوني العهد والمواثيق أن لاتمنعوا وارداً هذا البئر».

فبينما نحن كذلك، وإذا برسول الله ﷺ في نفر قليل، وهو يبكي وينادي: «يا ابن عمّاه» إذ هبط الأمين جبرئيل من قبل الجبار، وقال: يا محمد، السّلام يقرؤك السّلام، ويقول لك: ما هذا الجزع والفرع الذي أراه فيك من قبل ابن عمك، ناده فهو يجيبك، وقد أئده الله بالنصر، وأحاطت به ملائكتي فهم بين يديه، وعن يمينه، وعن شماله. فنادى النبي ﷺ: «يا أبا الحسن» فأجابه عليه السلام بالتلبية: «لبيك لبيك يا رسول الله ﷺ، أبشر بالنصر». ثم قلنا ندلي له بعض الأرشية حتى يصعد، فلم نشعر إلا وهو معنا، قال: فعانقه النبي ﷺ وضمّه الى صدره، وقبّل ما بين عينيه، ثم قال عليه السلام: «أتحدثني أم أحدثك بما جرى عليك؟» فقال له علي عليه السلام: «من فيك أحلى بأبي أنت وامي».

قال قيس بن سعد: فسمعت بعض النفر الذين كانوا معه يقول: الساعة تبكي وتصيح والآن تضحك! وتريد أن تحدثه بما جرى عليه.

قال عمرو: وأقبل رسول الله ﷺ يحدثنا بما جرى للامام ﷺ، وما لاقاه من أعداء الله في البئر، فقال أمير المؤمنين ﷺ: «صلقت يا رسول الله ﷺ، قد كان ذلك». ومن جملة ما حدثنا به رسول الله ﷺ أن الامام ﷺ قد قتل منهم في البئر زهاء عشرين ألف عفريت، وأسلمت على يديه أربعة وعشرون قبيلة من طوائفهم الذين بقوا إلى الآن^(١).

(١) الأنوار العلوية (ص ٢٦٤-٢٧٢) مع الاختصار في نقلها ورواها ابن شهر آشوب ﷺ في المناقب (ج ١، ص ٣٥٩) وفي العقد النضيد (ص ١٦٧) وحلية الأبرار (ج ٢، ص ٩٢) ومدينة المعاجز (ج ٢، ص ٨٢) وبحار الأنوار (ج ٤١، ص ٧٠) والسيرة الحلبية (ج ٢، ص ٦٢٨) وعمدة الأخبار في مدينة المختار (ص ٢٥٦) ووفاء الوفاء (ج ٣، ص ١١٣٩).

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

(١)

داود الدينوري (٢٨٢ هـ).

٧- الاختصاص: لأبي عبدالله محمد بن

محمد بن النعمان البغدادي المعروف

بالشيخ المفيد (٤١٣ هـ).

٨- أخلاق أهل البيت ﷺ: للسيد محمد

مهدي الصدر رحمه الله.

٩- أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن علي

بن محمد بن حبيب البصري الماوردي

(٤٥٠ هـ).

١٠- أدب الطف: للسيد جواد شبر رحمه الله.

١١- الارشاد (في معرفة حجج الله على

العباد): لأبي عبدالله محمد بن محمد بن

النعمان العكبري البغدادي الملقب

١- الاتحاف بحب الاشراف: لعبدالله بن

محمد بن عامر الشبراوي (١١٧١ هـ).

٢- اثبات الوصية: لعلي بن الحسين بن

علي السعودي (٣٣٣ هـ).

٣- الاحتجاج على أهل اللجاج: لأبي

منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي

(القرن السادس).

٤- الأحكام في أصول الأحكام: لأبي

محمد علي بن حزم الاندلسي الظاهري.

٥- إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد

بن محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ).

٦- الأخبار الطوال: لأبي حنيفة احمد بن

الرواة.

بالشيخ المفيد (ص ٤١٣ هـ).

١٨- الاعتقادات في دين الامامية: لأبي عبد

١٢- ارشاد القلوب (إلى الصواب المنجي

محمد بن النعمان العكبري البغدادي

من عمل به من أليم العقاب): لأبي

الملقب بالشيخ المفيد (ص ٤١٣ هـ).

محمد الحسن بن محمد الديلمي (من

١٩- الأعلام: لخير الدين الزركلي (١٣٩٦ هـ).

أعلام القرن الثامن).

٢٠- اعلام الورى بأعلام الهدى: للشيخ

١٣- أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن

أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن

أحمد النيشابوري الواحدي (ص ٤٦٨

بن الفضل الطبرسي (المتوفى ٥٤٨ هـ).

للهجرة).

٢١- أعيان الشيعة: للسيد محسن بن

١٤- أسد الغابة (في معرفة الصحابة):

عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي

لعزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم

(١٣٧١ هـ).

الشياني المعروف بابن الاثير (٦٣٠ هـ).

٢٢- الأغاني: لأبي الفرج الاصفهاني (٣٥٦

١٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب:

هـ).

لأبي عمر يوسف بن عبدالله المعروف

٢٣- الأم: لأبي عبدالله محمد بن ادريس

بابن عبدالبر النمري القرطبي (المتوفى

الشافعي (ص ٢٠٤ هـ).

٤٦٣ هـ).

٢٤- الأمالي: لأبي جعفر الشيخ الصدوق

١٦- الاصابة في تمييز الصحابة: للحافظ

محمد بن علي بن الحسين بن بابويه

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

القمي (بعد ٣٨١ هـ).

(المتوفى ٨٥٢ هـ).

٢٥- الأمالي: لأبي جعفر شيخ الطائفة محمد

١٧- الأصول الستة عشر (من الأصول

بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ).

الأولية في الروايات): لنخبة من

الأئمة الأطهار عليهم السلام: للشيخ محمد باقر

بن محمد تقي المجلسي (١١١٠ هـ).

٣٣- بدائع الصنائع: لعلاء الدين الكاساني

(ت ٥٨٧ هـ).

٣٤- البداية والنهاية: لأبي الفداء اسماعيل

بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ).

٣٥- بشارة المصطفى لشيعه

المرتضى: لعماد الدين أبي جعفر

محمد بن أبي القاسم الطبري (من أعلام

القرن السادس).

٣٦- بغية الباحث عن زوائد مسند

الحارث: لنور الدين علي بن أبي بكر

الهيتمي (المتوفى ٨٠٧ هـ).

(ت)

٣٧- تاج العروس (من شرح القاموس):

لمحب الدين أبي الفيض السيد محمد

مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي

الحنفي.

٣٨- تاريخ الاسلام: لأبي عبدالله شمس

الدين الذهبي (ص ٧٤٨ هـ).

٢٦- الأُمالي: لأبي عبدالله محمد بن محمد بن

النعمان البغدادي المعروف بالشيخ

المفيد (٤١٣ هـ).

٢٧- الأُمالي: لأبي القاسم علي بن الحسين

المشهور بعلم الهدى والشريف المرتضى

(٤٣٦ هـ).

٢٨- الأُمثل في تفسير كتاب الله المنزل:

لنخبة من الكتاب باشراف الشيخ ناصر

مكارم الشيرازي.

٢٩- أنساب الأشراف: لأحمد بن يحيى بن

جابر البلاذري (من أعلام القرن الثالث

الهجري).

٣٠- الأنوار النعمانية في معرفة النشأة

الإنسانية: للسيد نعمة الله الموسوي

الجزائري (١١١٢ هـ).

٣١- أوائل المقالات: للشيخ المفيد محمد بن

محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري

البغدادي (٤١٣ هـ).

(ب)

٣٢- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار

- ٣٩- تاريخ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير (المتوفى ٣١٠ هـ).
- ٤٠- تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي.
- ٤١- تاريخ الفخري (في الآداب السلطانية والدول الإسلامية): لفخر الدين محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي (٧٠٩ هـ).
- ٤٢- تاريخ مدينة دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٥٧١ هـ).
- ٤٣- القنمة في تواريخ الأئمة عليهم السلام: للسيد تاج الدين بن علي بن أحمد الحسيني العاملي.
- ٤٤- التحصين (لأسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين): للسيد رضي الدين علي بن الطاووس الحلبي (٦٦٤ هـ).
- ٤٥- تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: لأبي محمد الحسن بن علي بن الحسين
- بن شعبة الحراني (القرن الرابع).
- ٤٦- التحفة الاثني عشرية: لعبد العزيز الدهلوي.
- ٤٧- تخريج الأحاديث والآثار: لجمال الدين الزيلعي (٧٦٢ هـ).
- ٤٨- التخويف من النار: لابن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ).
- ٤٩- تذكرة الموضوعات: لمحمد طاهر بن علي الهندي الفتني (٩٨٦ هـ).
- ٥٠- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: لزكي الدين عبدالمعظم بن عبدالقوي المنذري (٦٥٦ هـ).
- ٥١- تسلية المجالس وزينة المجالس: للسيد محمد بن أبي طالب الحسيني الحائري (من أعلام القرن العاشر).
- ٥٢- تظلم الزهراء عليها السلام: لآقا رضي بن نبي القزويني (١١٣٤ هـ).
- ٥٣- تفسير ابن عربي: لعبد الله محمد بن علي المشهور بمحيي الدين بن عربي الحاتمي (٦٣٨ هـ).

الزبيدي الشافعي (ص ٩٤٤هـ).

(ث)

٦١- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: لأبي

جعفر الشيخ الصدوق محمد بن علي بن

الحسين بن بابويه القمي (بعد ٣٨١هـ).

(ج)

٦٢- جامع أحاديث الشيعة: للآقا حسين

الطباطبائي البروجردي رحمته الله.

٦٣- جامع الأخبار: لمحمد بن محمد

السبزواري رحمته الله.

٦٤- جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي

جعفر محمد بن جرير الطبري

(ص ٣١٠هـ).

٦٥- جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن

الطرق والأسناد: لمحمد بن علي

الأردبيلي (١١٠١هـ).

٦٦- جامع السعادات: للمولى مهدي بن أبي

ذر الكاشاني النراقي (المتوفى

١٢٠٩هـ).

٦٧- الجامع الصغير (في أحاديث البشير

٥٤- تفسير الثعالبي (الكشف والبيان

في تفسير القرآن): لأحمد بن ابراهيم

الثعلبي (٤٢٧هـ).

٥٥- تفسير القرآن العظيم (مسنداً عن

الرسول ﷺ): لمبدالرحمن بن

محمد بن حاتم الرازي (٣٢٧هـ).

٥٦- تفسير القمي: لأبي الحسن علي بن

ابراهيم القمي (من أعلام القرنين الثالث

والرابع الهجري).

٥٧- التفسير المنسوب للإمام

العسكري رحمته الله: للإمام أبي محمد

الحسن العسكري (٢٦٠هـ).

٥٨- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: لأبي

الحسين ورام بن أبي فراس المالكي

الاشعري (٦٠٥هـ).

٥٩- تهذيب الأحكام (في شرح المقنعة):

لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن

الطوسي (المتوفى ٤٦٠هـ).

٦٠- تيسير الوصول إلى جامع الأصول:

لمبدالرحمن بن علي بن محمد الشيباني

٧٤- الحقائق الناطرة في أحكام العترة

الطاهرة: للشيخ يوسف بن أحمد

البحراني (١١٨٦ هـ).

٧٥- حديقة الأفراح لأزالة الأتراح في

الأدب والنوادر: لأحمد بن محمد بن

علي الانصاري اليمني الشهير بالشرواني

(المتوفى ١٢٥٣ هـ).

٧٦- الحقائق (في أسرار الدين ومكارم

الأخلاق): للمولى الفيض محمد بن

مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني

(١٠٩١ هـ).

٧٧- حلية الأبرار (في أحوال محمّد وآله

الأطهار عليه السلام): للسيد هاشم بن سليمان

الكتكاني (١١٠٧ هـ).

(خ)

٧٨- خصائص الأئمة عليهم السلام: للشرif

الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن

موسى الموسوي البغدادي (٤٠٦ هـ).

(د)

٧٩- دراسات في علم الدراية: للاستاذ علي

النذير): لجلال الدين عبدالرحمن بن

أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ).

٦٨- الجواهر السننية في الأحاديث

القدسية: لمحمد بن الحسن الشيخ الحر

العالمي (١١٠٤ هـ).

٦٩- جواهر المطالب (في مناقب الامام

علي بن أبي طالب عليه السلام): لشمس الدين

أبي البركات محمد بن أحمد دمشقي

الباعوني الشافعي (٨٧١ هـ).

٧٠- الجوهرة في نسب الامام علي عليه السلام

وآله: لمحمد بن أبي بكر الأنصاري

التاهساني المعروف بـ (البري).

(ح)

٧١- حاشية الدسوقي: لشمس الدين الشيخ

محمد عرفه الدسوقي.

٧٢- حاشية رد المحتار (على الدر

المختار): لمحمد أمين الشهير بابن

عابدين.

٧٣- الحاشية على الكشف: للقاضي صالح

بن داود الأنسي (١١٠٠ هـ).

الراتبة، والمناقب الثاقبة، والمثالب

العاتبة): للمولى محمد باقر بن

عبدالكريم الدهدشتي البهبهاني

(١٢٨٥هـ).

٨٧- ديوان الأزري الكبير: للشيخ محمد

كاظم الأزري البغدادي (١١٩٤هـ).

٨٨- ديوان السيد حيدر الحلي: للسيد

حيدر بن السيد سليمان (١٣٠٤هـ).

٨٩- ديوان السيد رضا الهندي: المتوفى

سنة (١٣٦٢هـ).

٩٠- ديوان الكعبي: للحاج هاشم بن حردان

الكعبي (١٣٣١هـ).

(٥)

٩١- ذخيرة المعاد (في شرح الارشاد):

للملا محمد باقر السبزواري رحمته الله.

٩٢- الذريعة إلى تصانيف الشيعة:

للشيخ محمد محسن المشتهر بأقا بزرگ

الطهراني (١٣٨٩هـ).

٩٣- ذكر أخبار اصبهان: لأبي نعيم الحافظ.

٩٤- ذكرى الشيعة في أحكام

أكبر الغفاري رحمته الله.

٨٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور:

لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر

السيوطي (٩٨هـ).

٨١- الدر النظيم (في مناقب الائمة

اللهاميم): لجمال الدين يوسف بن حاتم

الشامي.

٨٢- درر الأخبار (المنتخب من بحار

الأنوار): للسيد مهدي حجازي.

٨٣- دعائم الاسلام (وذكر الحلال

والحرام والقضايا والأحكام): لأبي

حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن

أحمد التميمي المغربي.

٨٤- الدعوات: للمولى أبي الحسين سعيد بن

هبة الله المشهور بقطب الدين الراوندي

(٥٧٣هـ).

٨٥- دلائل الامامة: للشيخ أبي جعفر محمد

بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام

القرن الخامس الهجري).

٨٦- الدمعة الساكبة (في المصيبة

الشریعة: للشیخ شمس الدین محمد بن
مکی العاملي (٧٨٦هـ).

٩٥- ذوب النضار (في شرح الثار): للشیخ
جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله
المعروف بابن نما الحلبي (من أعلام
القرن السابع).

(د)

٩٦- رجال الكشي (أو اختيار معرفة
الرجال): للشیخ الطائفة أبي جعفر
الطوسي رحمته الله.

٩٧- روائع نهج البلاغة: لجورج جرداق.
٩٨- روح المعاني (في تفسير القرآن
والسبع المثاني): المعروف بـ (تفسير
الآلوسي) لشهاب الدین السید محمود
بن عبدالله أبي الثناء الآلوسي البغدادي
(ص ١٢٧٠هـ).

٩٩- روضة الواعظین: لمحمد بن الحسن
بن علي الفتال النيسابوري (القرن
السادس).

١٠٠- روضات الجنات في أحوال العلماء

والسادات: للسید محمد باقر
الخوانساري الاصفهاني (١٣١٣هـ).

١٠١- رياض المدح والثناء: للشیخ حسين
علي آل الشیخ سليمان البلادي
البحراني رحمته الله.

(ذ)

١٠٢- ازهر الأدب وثمر الألباب: لأبي اسحاق
ابراهيم بن علي المعروف بالحصرمي
القيرواني المالكي.

(س)

١٠٣- سبل السلام: لمحمد بن اسماعيل
الكحلاني ثم الصنعاني.
١٠٤- سبل الهدى والرشاد (في سيرة خير
العباد): لمحمد بن يوسف الصالحي
الشامي (٩٤٢هـ).

١٠٥- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي:
لأبي عبدالله محمد بن منصور بن أحمد
بن إدريس العجلي الحلبي (٥٩٨هـ).

١٠٦- السقيفة: للشیخ محمدرضا المظفر
النجفي.

- المرعشي النجفي رحمته الله.
- ١١٧- شرح الأخبار (في فضائل الأنمة الأظهر رحمته الله): للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ص ٣٦٣ هـ).
- ١١٨- شرح الأزهار: لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني.
- ١١٩- شرح الاسماء الحسنی: للملا هادي السبزواري رحمته الله.
- ١٢٠- شرح أصول الكافي: لصدر المتألهين محمد بن ابراهيم الشيرازي (١٠٥٠ هـ).
- ١٢١- شرح رسالة الحقوق: للسيد حسن ابن السيد علي القبانجي رحمته الله.
- ١٢٢- شرح العقيدة الطحاوية: لعبد الغني بن طالب الغنيمي الدمشقي الميداني (١٢٩٨ هـ).
- ١٢٣- شرح نهج البلاغة: لعزالدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي (ص ٦٥٦ هـ).
- ١٠٧- السقيفة وفدك: لأبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري البصري البغدادي (٣٢٣ هـ).
- ١٠٨- سنن ابن ماجة: لأبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٧٣ هـ).
- ١٠٩- سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ).
- ١١٠- سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٩٧ هـ).
- ١١١- السنن الكبرى: لأبي أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨ هـ).
- ١١٢- السيرة الحلبيّة: لعلي بن برهان الدين الحلبي.
- ١١٣- السيرة النبوية: لأبي الفداء اسماعيل بن كثير (٧٤٧ هـ).
- ١١٤- السيرة النبوية: لابن هشام. (ش)
- ١١٥- شجرة طوبى: للشيخ محمد مهدي الحائري رحمته الله.
- ١١٦- شرح احقاق الحق: للسيد شهاب الدين

(ص)

١٢٤- الصحاح (تاج اللغة وصحاح

العربية): لاسماعيل بن حماد

الجوهري.

١٢٥- صحيح البخاري: لأبي عبدالله محمد

بن اسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ).

١٢٦- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج

القشيري النيشابوري (٢٦١ هـ).

١٢٧- الصحيفة السجادية: الامام علي بن

الحسين زين العابدين عليه السلام.

١٢٨- الصحيفة السجادية الكاملة: للسيد

محمد باقر بن السيد مرتضى الموحّد

الابطحي الاصفهاني.

١٢٩- الصحيفة الهادية والتحفة المهدية:

للشيخ ابراهيم بن محسن الكاشاني رحمته الله.

١٣٠- الصراط المستقيم إلى مستحقّي

التقديم: للشيخ زين الدين أبي محمد

علي بن يونس العاملي النباطي البياضي

(٨٧٧ هـ).

١٣١- الصواعق المحرقة (على أهل

الرفض والزندقة): للشيخ شهاب

الدين أحمد بن حجر الهيتمي (٩٧٣ هـ).

(ط)

١٣٢- طبقات الشافعية الكبرى: لأبي نصر

عبد الوهاب بن علي بن عبدالكافي

السبكي (٧٧١ هـ).

١٣٣- الطرائف في معرفة مذاهب

الطوائف: للسيد رضي الدين أبي

القاسم علي بن موسى ابن طاووس

الحلي (٦٦٤ هـ).

١٣٤- طرائف المقال (في معرفة طبقات

الرجال): للسيد علي اصغر الجابلق

البروجردي (١٣١٣ هـ).

(ع)

١٣٥- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية:

للشيخ رضي الدين علي بن يوسف بن

مطهر الحلي رحمته الله.

١٣٦- العقد الحسيني: للشيخ عز الدين

الحسين بن عبدالصمد ابن محمد

الحارثي الهمداني الجبعي (٩٨٤ هـ).

ابراهيم الاحساني المعروف بابن ابي

جمهور (أوائل القرن العاشر).

١٤٦- عيون أخبار الرضا عليه السلام: لأبي جعفر

الشيخ الصدوق محمد بن علي بن

الحسيني بن بابويه القمي (بعد ٣٨١ هـ).

١٤٧- عيون الحكم والمواعظ: للشيخ كافي

الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي

الواسطي (من أعلام القرن السادس).

(غ)

١٤٨- الغدير (في الكتاب والسنة والأدب):

للشيخ عبدالحسين أحمد الأميني رحمته الله.

١٤٩- غرر الحكم ودرر الكلم: لأبي الفتح

عبدالواحد بن محمد بن عبدالواحد

الأمدي (حوالي ٥٥٠ هـ).

١٥٠- الغيبة: لابن أبي زينب محمد بن ابراهيم

النعماني (من أعلام القرن الرابع).

١٥١- الغيبة: لشيخ الطائفة أبو جعفر

الطوسي رحمته الله.

(ف)

١٥٢- فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد

١٣٧- العقد المنير في تحقيق الدراهم

والدنانير: للسيد موسى المازندراني.

١٣٨- العقد النضيد: لأحمد بن يوسف سمير

الحلي (٧٥٦ هـ).

١٣٩- العقود الاثني عشرية: للسيد مهدي

بحر العلوم رحمته الله.

١٤٠- عمدة الأخبار في مدينة المختار:

لأحمد بن عبدالحميد العباسي.

١٤١- عمدة المطالب (في أنساب آل أبي

طالب): لجمال الدين احمد بن علي

الحسيني المعروف بابن عنه (٨٢٨ هـ).

١٤٢- عمدة القاري في شرح صحيح

البخاري: لمحمود بن أحمد العيني

(٨٥٥ هـ).

١٤٣- العهود المحمدية: لعبد الوهاب

الشعراني.

١٤٤- عوالم العلوم والمعارف والأحوال:

للشيخ عبده الله البحراني الاصفهاني رحمته الله.

١٤٥- عوالي اللئالي العزيزية في

الأحاديث الدينية: لمحمد بن علي بن

(ك)

الشوكاني (١٢٥٠ هـ).

١٦٠-الكافي: لأبي جعفر ثقة الاسلام محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (٣٢٩ هـ).

١٥٣-الفصول المهمة في معرفة الأئمة عليهم السلام: للشيخ نورالدين علي بن محمد ابن الصباغ المالكي (٨٥٥ هـ).

١٦١-الكامل: للشيخ عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشابي المعروف بابن الأثير.

١٥٤-الفضائل: للفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (٢٦٠ هـ).

١٦٢-الكامل في ضعفاء الرجال: لأبي أحمد عبادة بن عدي الجرجاني (٣٦٥ هـ).

١٥٥-فضائل الخمسة من الصحاح الستة: للسيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي رحمته الله.

١٦٣-كامل الزيارات: للشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (٣٦٨ هـ).

١٥٦-فضائل الأشهر الثلاثة: لمحمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق رحمته الله.

١٦٤-كتاب الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين عليهم السلام: للمحقق محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي القمي (١٠٩٨ هـ).

١٥٧-فقه الرضا عليه السلام: المنسوب للإمام الرضا عليه السلام.

١٦٥-كتاب التمهيد: لأبي علي محمد بن همام الاسكافي (٣٣٦ هـ).

١٥٨-فيض القدير (شرح الجامع الصغير): لمحمد عبدالرؤوف المناوي (١٠٢٩ هـ).

(ق)

١٦٦-كتاب التوايين: لمعبده بن قدامة.

١٥٩-القواعد الفقهية: للسيد محمد حسن البجنوردي.

١٦٧-كتاب الزهد: للحسين بن سعيد الكوفي

اشتهر من الأحاديث على ألسنة
الناس): لاسماعيل بن محمد العجلوني
الجراحي (١١٦٢ هـ).

١٧٥- كشف الغمة في معرفة الأئمة: لأبي
الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح
الاريلي (٦٩٣ هـ).

١٧٦- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي
طالب: لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن
محمد الكنجي الشافعي.

١٧٧- الكليني والكافي: للشيخ عبدالرسول
عبدالحسين الغفار.

١٧٨- الكنى والألقاب: للشيخ عباس بن محمد
رضا القمي (١٣٥٩ هـ).

١٧٩- كنز العمال في سنن الأقوال
والأفعال: لعلاء الدين علي المتي بن
حسام الهندي (٩٧٥ هـ).

١٨٠- كنوز الحقائق في حديث خير
الخلافة: لمبدالرؤوف المنوي
(١٠٣١ هـ).

الاهوازي (من أعلام القرنين الثاني
والثالث الهجري).

١٦٨- كتاب سليم بن قيس الهلالي: للتابعي
سليم بن قيس الهلالي (٧٦ هـ).

١٦٩- كتاب الفتوح: لأبي محمد أحمد بن
اعثم الكوفي (٣١٤ هـ).

١٧٠- كتاب المجروحين: لمحمد بن حبان بن
أحمد بن حاتم التميمي البستي
(٣٥٤ هـ).

١٧١- كتاب المؤمن: للحسين بن سعيد
الكوفي الاهوازي.

١٧٢- الكشف (عن حقائق غوامض
التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل): لأبي القاسم جاره محمود
بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ).

١٧٣- كشف الحجب والأستار عن أحوال
الكتاب والأسفار: للسيد اعجاز حسين
ابن السيد محمد علي النيسابوري
الكتتوري (١٢٨٦ هـ).

١٧٤- كشف الخفاء (ومزيل الإلباس عما

(ل)

١٨٨- مجالس المؤمنين: للقاضي نورا لله

المرعشي الشوشري (٩٤٨ هـ).

١٨٩- مجمع النورين وملتقى البحرين:

للشيخ أبو الحسن المرندي.

١٩٠- المجموع (شرح المذهب): لأبي زكريا

محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦ هـ).

١٩١- محاسبة النفس: للشيخ تقي الدين

ابراهيم بن علي الكفعمي (من أعلام

القرن التاسع الهجري).

١٩٢- المحاسن: لأبي جعفر أحمد بن محمد

بن خالد البرقي (٢٨٠ هـ).

١٩٣- المختصر: للشيخ حسن بن سليمان

الحلي (القرن التاسع الهجري).

١٩٤- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء:

لمحمد بن المرتضى المولى محسن

المعروف بالفيض الكاشاني (١٠٩١ هـ).

١٩٥- المحلى: لأبي محمد علي بن احمد بن

سعيد حزم (٤٥٦ هـ).

١٩٦- مدينة المعاجز: (الأئمة الاثنى

عشر عليهم السلام): للمحدث السيد هاشم

١٨١- اللهوف على قتلى الطفوف: للسيد

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن

طاووس الحسيني (٦٦٤ هـ).

١٨٢- لوايع الأشجان (في مقتل

الحسين عليه السلام): للسيد محسن الأمين

العالمي رحمه الله.

(م)

١٨٣- مأساة الزهراء عليها السلام: للسيد جعفر

مرتضى العالمي.

١٨٤- المبسوط: لشمس الدين السرخسي.

١٨٥- مثير الأحزان: لنجم الدين محمد بن

جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلبي

(٦٤٥ هـ).

١٨٦- المجازات النبوية: لأبي الحسن

الشريف الرضي محمد بن الحسين بن

موسى (٤٠٦ هـ).

١٨٧- المجالس الفاخرة في مصائب

العترة الطاهرة: للسيد عبدالحسين

شرف الدين العالمي رحمه الله.

- البحراني رحمته الله.
 ١٩٧- المزار الكبير: للشيخ أبي عبد الله محمد بن جعفر المشهدي رحمته الله.
 ١٩٨- مسائل علي بن جعفر ومستدركاتهما: لملي بن الامام الصادق عليه السلام.
 ١٩٩- مستدرک سفينة البحار: للشيخ علي النمازي الشاهرودي (١٤٠٥ هـ).
 ٢٠٠- المستدرک علی الصحيحين: لمحمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ).
 ٢٠١- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: للميرزا حسين النوري (١٣٢٠ هـ).
 ٢٠٢- المسترشد (في امامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام): للحافظ محمد بن جرير بن رستم الطبري الامامي (القرن الرابع الهجري).
 ٢٠٣- المستطرف من كل فن مستظرف: لمحمد بن أحمد الخطيب الاشيهي.
 ٢٠٤- مسند أبي يعلي: للحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي (٣٠٧ هـ).
 ٢٠٥- مسند ابراهيم بن أدهم: للحافظ محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى المعروف بابن منده (٣٩٥ هـ).
 ٢٠٦- مسند أحمد: لأحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١ هـ).
 ٢٠٧- مسند الامام الرضا عليه السلام: للشيخ عزيز الله العطارى الجنوشاني.
 ٢٠٨- مسند الامام الرضا عليه السلام: لداود بن سليمان بن يوسف الغازي.
 ٢٠٩- مسند زيد بن علي: لعبد العزيز بن اسحاق.
 ٢١٠- مسند الشهاب: للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (٤٥٤ هـ).
 ٢١١- مشكاة الأنوار (في غرر الأخبار): لأبي الفضل علي بن الحسين بن الفضل الطبرسي (القرن السابع).
 ٢١٢- مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة: للسيد محمد حسن الميرجهاني الطباطبائي رحمته الله.

٢٢٠- معجم الفقهاء: لمحمد رواقله جى
وحامد صادق قتيبي.

معجم المحاسن والمساوئ: للشيخ أبي
طالب بن علي أكبر تجليل التبريزي.

٢٢١- معدن الجواهر ورياضة الخواطر:

لأبي الفتح محمد بن علي الكراجكي.

٢٢٢- المعيار والموازنة (في فضائل الامام

أمير المؤمنين عليه السلام): لأبي جعفر

الاسكافي محمد بن عبدالله المعتزلي

(٢٢٠ هـ).

٢٢٣- المغني (عن حمل الأسفار في

الأسفار في تخريج مافي الاحياء من

الأخبار): لأبي الفضل عبدالرحيم بن

الحسين بن عبدالرحمن الشافعي

المعروف بالعراقي (٨٠٦ هـ).

٢٢٤- مغني المحتاج (إلى معرفة ألفاظ

المنهاج): للشيخ محمد الشريفي

الخطيب (القرن العاشر الهجري).

٢٢٥- المفردات: للراغب الاصفهاني.

٢٢٦- مقاتل الطالبين: لأبي الفرج

٢١٣- مصباح المتجهد: للشيخ أبي جعفر

محمد بن الحسن بن الحسن المشتهر

شيخ الطائفة الطوسي (٤٦٠ هـ).

٢١٤- مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة:

منسوب للامام الصادق عليه السلام.

٢١٥- معالي السبطين (في أحوال

السيدين): للشيخ محمد مهدي بن

عبدالهادي المازندراني الحائري رحمته الله.

٢١٦- معاني الأخبار: لأبي جعفر الشيخ

الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن

بابويه القمي (٣٨١ هـ).

٢١٧- معاهد التنصيص على شواهد

التلخيص: لبدرالدين أبي الفتح

عبدالرحيم بن عبدالرحمن العبادي

(٩٦٣ هـ).

٢١٨- المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان

بن أحمد الطبراني.

٢١٩- معجم رجال الحديث وتفصيل

طبقات الرواة: للسيد أبي القاسم

الخوئي رحمته الله.

الطيب المشهور بـ ابن المغازلي
(٤٨٣ هـ).

٢٣٥- مناقب آل أبي طالب: لابن شهر آشوب
مشير الدين أبي عبدالله محمد بن علي
المازندراني (٥٨٨ هـ).

٢٣٦- المنتخب في جمع المراثي والخطب:
للشيخ فخر الدين أحمد بن علي بن أحمد
بن طريح النجفي (١١٤٨ هـ).

٢٣٧- من حياة الخليفة عمر: لعبد الرحمن
البكري.

٢٣٨- من لا يحضره الفقيه: لأبي جعفر الشيخ
الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن
بابويه القمي (بعد ٣٨١ هـ).

٢٣٩- منية المريد (في آداب المفيد
والمستفيد): للشيخ زين الدين بن علي
العاملي المعروف بالشهيد الثاني
(٩٦٥ هـ).

٢٤٠- المواقف (في علم الكلام): للعلامة
عضد الدين عبد الرحمن ابن أحمد
الايحي (٧٥٦ هـ).

الاصفهاني (ص ٣٥٦ هـ).

٢٢٧- مقتل الحسين عليه السلام: للمؤرخ أبي مخنف
لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن
مسلم الأزدي الغامري.

٢٢٨- مقتل الحسين عليه السلام: للموفق بن أحمد
المكي الخوارزمي (ص ٥٦٨ هـ).

٢٢٩- المقنع: للشيخ أبي جعفر الصدوق،
محمد بن علي بن الحسين بن بابويه
القمي (ص ٣٨١ هـ).

٢٣٠- مكارم الأخلاق: لأبي نصر رضي الدين
الحسن بن الفضل الطبرسي (القرن
السادس).

٢٣١- مكاشفة القلوب: لأبي حامد محمد بن
محمد الغزالي (٥٠٥ هـ).

٢٣٢- الملاحم والفتن: للسيد رضي الدين أبي
القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد
بن طائوس (٦٦٤ هـ).

٢٣٣- المناقب: للموفق بن أحمد بن محمد
المكي الخوارزمي (٥٦٨ هـ).

٢٣٤- المناقب: لأبي الحسن علي بن محمد بن

٢٤١- موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام):

للشيخ هادي النجفي.

٢٤٢- الموسوعة الفقهية الميسرة: للشيخ

محمد علي الأنصاري.

٢٤٣- موسوعة كلمات الامام الحسين (عليه السلام):

للجنة الحديث في معهد تحقيقات باقر

العلوم (عليه السلام) التابعة لمنظمة الاعلام

الاسلامي.

٢٤٤- الموطأ: لمالك بن أنس.

٢٤٥- ميزان الحكمة: للشيخ محمد

المحمدي الري شهري.

(ن)

٢٤٦- ناسخ التواريخ: للميرزا محمد تقي

سپهر (١٢٩٧ هـ).

٢٤٧- النهاية في غريب الحديث والأثر:

للمبارك بن محمد بن محمد الجزري

المعروف بابن الأثير (٦٠٦ هـ).

٢٤٨- نهج البلاغة: لأبي الحسن الشريف

الرضي محمد بن الحسين بن موسى

(٤٠٦ هـ).

٢٤٩- نهج السعادة (في مستدرك نهج

البلاغة): للشيخ محمد باقر

المحمودي (عليه السلام).

٢٥٠- النوادر: لفضل الله بن علي بن عبيدالله

الراوندي (عليه السلام).

٢٥١- نور الأبصار (في مناقب آل بيت

النبي المختار): لمؤمن بن حسن مؤمن

الشبلنجي.

٢٥٢- نور الأفهام: لحسن بن محمد

اللواساني.

٢٥٣- نور العين في مشهد الحسين (عليه السلام):

لأبي اسحاق الاسفرايني.

٢٥٤- نيل الأوطار (من أحاديث سيد

الأخيار): لمحمد بن علي ابن محمد

الشوكاني (١٢٥٥ هـ).

(هـ)

٢٥٥- الهجوم على بيت فاطمة (عليها السلام):

لعبد الزهراء مهدي.

(و)

٢٥٦- الوافي: لمحمد بن مرتضى المشتهر

بمحسن الكاشاني رحمته الله.

٢٥٧- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل

بن ابيك الصفدي (٧٦٤ هـ).

٢٥٨- وسائل الشيعة (إلى تحصيل مسائل

الشريعة): للمحدث الشيخ محمد بن

الحسن الحر العاملي (١١٠٤ هـ).

٢٥٩- وفيات الأئمة عليهم السلام: لمجموعة من

العلماء الأعلام.

٢٦٠- وفيات الأعيان (وأبناء أسماء

الزمان): لأبي العباس أحمد بن محمد

بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١ هـ).

(ي)

٢٦١- ينابيع المودة لذوي القربى: للشيخ

سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي

(١٢٩٤ هـ).

المحتويات

٣	مقدّمة التحقيق:
٣	هوية الكتاب:
٥	منهج المصنف:
٦	مصنف الكتاب:
٧	اسمه ونسبه:
٧	ولادته:
٧	اسرته وموطنه:
٧	الهجرة:
٨	دراسته:
٨	المقومات الذاتية:
٨	اهتماماته وميوله:
٩	المنبر الحسيني:
٩	ترحاله وأسفاره:

- وكالته لمراجع التقليد: ١٢
- مصنفاته: ١٢
- وفاته: ١٣
- قبره ومدفنه: ١٤
- عملنا في الكتاب: ١٤
- صورة من المخطوطة ١٦
- صورة من المخطوطة ١٧
- الفصل الأول: المقدمات في الأخلاق** ١٩
- في تحصيل الأخلاق الفاضلة وترك الردية ٢٦
- في أنّ الاخلاق لا تزول بالكليّة ٢٩
- النفس المطمئنة واللّوامة والأمانة ٣٤
- في ما يلزم لطالب السعادة ٣٦
- قانون العلاج في الطب الروحاني للأمراض الروحانية ٤٧
- طريقة معرفة الأمراض النفسانية ٤٨
- في الحسد وهو من رذائل الأخلاق المهلكات ٤٩
- بواعث الحسد ٥٣
- علاج الحسد ٥٦
- في الايذاء والاهانة والاحتقار ٥٩
- كفّ الأذى عن المسلمين ٦١
- النميّة وهي قسم من الايذاء ٦٤

٦٧	في الرياء وما يتعلق به من الذم
٦٨	ذم الرياء في الكتاب والسنة
٧٠	في الرياء ونتائج الرياء
٧٢	أقسام الرياء
٧٤	أيضاً من أقسام الرياء
٧٧	في قطع الرحم وما يتعلق به
٨١	(عقوق الوالدين وهو أشد أنواع قطيعة الرحم)
٨٥	(في برّ الوالدين)
٨٩	في ظلم العباد
٩١	(وضدّ الظلم العدل)
٩٢	في الظلم
٩٥	(في البخل والشحّ)
٩٩	في البخل والشحّ
١٠٤	في السخاء والجود
١٠٩	في موضوع حديث الغدير
١١٠	الحثّ على التعجيل في الإعطاء
١١١	الإيثار أعلى درجات الجود والسخاء
١١٣	(السرف في وجوب الزكاة وفضيلة سائر الانفاقات)
١١٧	هذا المجلس تبع لما قيل خمس صفحات
١١٧	في فضيلة اعلان الصدقة الواجبة

- هذا المجلس في العجب بالعمل ١٢١
- طرف من شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام ١٢٤
- المفردات الأخلاقية ١٢٩
- والعبر القدسية ١٢٩
- في الكفر والشرك وأقسامه ١٣١
- في الشرك وأقسامه ١٣٥
- في الشرك الأخرى ١٤٠
- في التكبر والفخر ١٤٤
- في الفخر والكبر أيضاً ١٤٩
- في الكبر والفخر أيضاً ١٥٤
- أيضاً في الفخر والتكبر ١٥٨
- أيضاً في الفخر والكبر ١٦٣
- في الكذب ١٦٧
- في الكذب أيضاً ١٧٢
- في الكذب الخفي ١٧٧
- في الغرور وتعريفه ١٨٢
- أيضاً في الغرور ١٨٦
- في حب الدنيا وأنها رأس كل خطيئة ١٩٠
- في حب الدنيا وذمها ١٩٣
- أيضاً في حب الدنيا ١٩٧

٢٠١	في حبِّ الدُّنيا أيضاً
٢٠٥	في حبِّ الدُّنيا أيضاً
٢٠٨	في ذمِّ المال
٢١٢	في التمييز بين الدنيا المذمومة والممدوحة
٢١٤	في الكسب
٢١٨	الجمع بين ذمِّ المال ومدحه
٢١٩	غوائل المال وفوائده
٢٢١	في فوائد المال الدنيوية والدنيوية
٢٢٣	وأما الامور المنجية من غوائل المال
٢٢٧	في الزهد
٢٣١	في الزهد أيضاً
٢٣٥	في الفقر ومراتبه
٢٣٦	اختلاف أحوال الفقراء
٢٣٨	في مدح الفقر
٢٤٢	في الموازنة بين الفقر والغنى
٢٤٥	ما ينبغي للفقير
٢٤٩	أيضاً في وظائف الفقراء
٢٥٠	[فصل]
٢٥٣	في التَّهاون والمداهنة في
٢٥٣	الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

- في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للمداهنة فيه ٢٥٧
- في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٦٢
- في شروط الامر بالمعروف ٢٦٦
- ما ينبغي للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٧٠
- (فصل) ما ينبغي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٧١
- في العصيان والوقاحة والاصرار على المعصية ٢٧٥
- في التوبة ٢٧٩
- في وجوب التوبة ٢٨٣
- في وجوب عموم التوبة ٢٨٨
- في عموم التوبة عن المحرمات وترك الواجبات على الكل ٢٩٠
- في قبول التوبة ٢٩٥
- في طرق التوبة ٢٩٩
- في الصغائر ٣٠٢
- في الصغائر كيف تكون كبائر ٣٠٦
- في تبعض التوبة ٣١٠
- في مراتب التوبة ٣١٣
- في عدم الثقة من الاستقامة على التوبة ٣١٧
- في محاسبة النفس ٣٢١
- في علاج الاصرار على المعصية ٣٢٦
- في رياضة النفس على الطاعة ٣٣٠

٣٣٣	في النية، وأنها روح العمل
٣٣٧	فيما يتعلّق بالقوّة الغضبيّة من الرذائل والفضائل وعلاج ذلك
٣٤١	في الخوف وأقسامه
٣٤٥	في قصر الأمل في الدنيا
٣٤٩	في الخوف الممدوح
٣٥٢	في الخوف من الله تعالى
٣٥٦	أيضاً في: الخوف من الله تعالى
٣٦٠	أيضاً في الخوف من الله تعالى
٣٦٣	في الخوف والرجاء المحمود والمذموم
٣٦٦	في طرق تحصيل الخوف الممدوح
٣٦٩	في خوف سوء الخاتمة
٣٧٣	في أسباب سوء الخاتمة
٣٧٧	أيضاً في أسباب سوء الخاتمة
٣٨٠	في التخلص من خاطر السوء عند الموت
٣٨٣	في التلازم بين الخوف والرجاء
٣٨٦	ماورد في الرجاء من الآيات والأحاديث
٣٩٢	في مواقع الخوف والرجاء وترجيح أحدهما على الآخر
٣٩٦	في سوء الظن بالخالق والمخلوق
٤٠٠	في اجتناب مواقع التّهمة
٤٠٢	في الحقد ومضادّه

- ٤٠٥ في الضرب والفحش واللّعن والطّعن
- ٤٠٨ في العُجب
- ٤١١ في العجب ومضاره
- ٤١٥ في آفات العجب وعلاجه
- ٤١٩ في التفكّر في مهانة الإنسان
- ٤٢٣ في علاج العجب
- ٤٢٦ في علاج العجب بالعبادة
- ٤٢٩ أيضاً في علاج العجب
- ٤٣٢ في علاج العجب بالحسب والنّسب
- ٤٣٥ في علاج العجب بالمال والقوّة والجاه والمنصب وولاية السلطان و...
- ٤٣٩ في العجب بالعقل والكياسة والتفطّن لدقائق الأمور والعجب بالرأي و...
- ٤٤٢ في الكبر والتكبر
- ٤٤٥ التكبر على الله وعلى الناس
- ٤٤٦ في درجات الكبر
- ٤٤٧ علاج الكبر علماً وعملاً
- ٤٥٠ في علاج الكبر
- ٤٥٠ اشكال وحلّ
- ٤٥٤ في علاج الكبر أيضاً
- ٤٥٨ أيضاً في العلاج العملي للكبر

٤٦٢	في التواضع ومدحه
٤٦٦	في الذلة المذموم
٤٧١	في البغي وتزكية النفس
٤٧٥	في كتمان الحق والانصاف والقساوة
٤٧٩	في الانسداد بين الناس والاصلاح والشماتة
٤٨٣	في المرء والجدال والخصومة
٤٨٧	في الخصومة المذمومة
٤٩١	في السخرية والاستهزاء
٤٩٥	في السخرية والاستهزاء
٤٩٨	في المزاح الممدوح
٥٠٢	في الغضب
٥٠٦	في مفسد الغضب
٥١٠	في علاج الغضب
٥١٥	أيضاً في علاج قطع الغضب
٥١٩	في فضيلة الحلم وكظم الغيظ
٥٢٣	في الانتقام والعفو وفوائده
٥٢٧	في العنف والرفق
٥٣١	في سوء الخلق ومضاره
٥٣٦	في الرذائل المتعلقة بالقوة العاقلة

- ٥٤٠ في اليقين ولوازمه
- ٥٤٤ في علامات صاحب اليقين
- ٥٤٨ في مراتب اليقين
- ٥٥٣ في الشرك والتوحيد
- ٥٥٨ في ابتناء التوكل
- ٥٦١ في المكر والحيلة
- ٥٦٥ في الطهارة وأسرارها
- ٥٧٠ في أسرار الصلاة
- ٥٧٤ في حقيقة الصلاة
- ٥٧٧ في حضور القلب
- ٥٨٠ في تحصيل المعاني الباطنة
- ٥٨٣ أيضاً في أسرار الصلاة
- ٥٨٧ الملحقات في الأخلاق
- ٥٨٧ من السيرة والتاريخ ومفاهيم الاسلام
- ٥٨٩ في فضل الصيام نقلاً من تاسع البحار
- ٥٩٤ في صبر الأمّهات
- ٦٠٣ نبذ في الموعظة
- ٦٠٥ (قضية أبو العاص بن الربيع)
- ٦١٢ في أحوال زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليها السلام

٦١٤	 في أحوال ليلة عاشوراء
٦١٩	 قضية بئر ذات العلم
٦١٩	 معتدلة بين الاطئاب وايجاز
٦٢٥	 المصادر والمراجع
٦٤٣	 المحتويات